الميزان في تفسير القرآن

للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

المجلد السادس عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

الميزان فى تفسير القرآن

كاتب:

محمد حسين طباطبايى

نشرت فى الطباعة:

علامه طباطبايى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

تفسیر المیزان المجلد ۱۶

اشاره

سرشناسه : طباطبائی، سیدمحمدحسین، ۱۲۸۱ - ۱۳۶۰.

عنوان و نام پدیدآور : تفسیر المیزان/ محمدحسین طباطبائی؛ ترجمه ناصر مکارم شیرازی... [و دیگران].

وضعیت ویراست : [ویراست ۲؟]

مشخصات نشر : قم: بنیاد علمی و فکری علامه طباطبائی ؛ تهران: مرکز نشر فرهنگی رجا: امیرکبیر، ۱۳۶۳-

مشخصات ظاهری : ۲۰ج.

شابک : ۱۶۰۰۰ریال(دوره کامل)

یادداشت : جلد۱۱ و ۱۹ کتاب توسط سید محمدباقر موسوی همدانی ترجمه شده است.

یادداشت : ج.۱۱ (چاپ صد و بیست و هشتم: ۱۳۶۳).

یادداشت : ج.۱۹ (چاپ اول؟: ۱۳۶۳).

یادداشت : عنوان عطف: ترجمه تفسیر المیزان.

عنوان عطف : ترجمه تفسیر المیزان.

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -، مترجم

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵م ۹۰۴۱ ۱۳۶۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۳-۳۵۴۹

ص :۱

اشاره

(۲۸)(سوره القصص مکیه، و هی ثمان و ثمانون آیه)(۸۸)

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۱ الی ۱۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

طسم (۱) تِلْکَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ (۲) نَتْلُوا عَلَيْکَ مِنْ نَبَإِ مُوسىٰ وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۳) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاٰ فِی اَلْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهٰا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طٰائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنٰاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِی نِسٰاءَهُمْ إِنَّهُ كٰانَ مِنَ اَلْمُفْسِدِينَ (۴) وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى اَلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِی اَلْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ اَلْوٰارِثِينَ (۵) وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِی اَلْأَرْضِ وَ نُرِیَ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا مِنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَحْذَرُونَ (۶) وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذٰا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِی اَلْيَمِّ وَ لاٰ تَخٰافِی وَ لاٰ تَحْزَنِی إِنّٰا رٰادُّوهُ إِلَيْکِ وَ جٰاعِلُوهُ مِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۷) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا كٰانُوا خٰاطِئِينَ (۸) وَ قٰالَتِ اِمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِی وَ لَکَ لاٰ تَقْتُلُوهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۹) وَ أَصْبَحَ فُؤٰادُ أُمِّ مُوسىٰ فٰارِغاً إِنْ كٰادَتْ لَتُبْدِی بِهِ لَوْ لاٰ أَنْ رَبَطْنٰا عَلىٰ قَلْبِهٰا لِتَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۰) وَ قٰالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۱۱) وَ حَرَّمْنٰا عَلَيْهِ اَلْمَرٰاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقٰالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نٰاصِحُونَ (۱۲) فَرَدَدْنٰاهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهٰا وَ لاٰ تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (۱۳) وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اِسْتَوىٰ آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِکَ نَجْزِی اَلْمُحْسِنِينَ (۱۴)

ص: ۵

(بيان)

غرض السوره الوعد الجميل للمؤمنين و هم بمكه قبل الهجره شرذمه قليلون يستضعفهم فراعنه قريش و طغاتها و اليوم يوم شده و عسره و فتنه بأن الله سيمن عليهم و يجعلهم أئمه و يجعلهم الوارثين و يمكن لهم و يرى طغاه قومهم منهم ما كانوا يحذرون يقص تعالى للمؤمنين من قصه موسى و فرعون أنه خلق موسى فى حين كان فرعون فى أوج قدرته يستضعف بنى إسرائيل يذبح أبناءهم و يستحيى نساءهم فرباه فى حجر عدو،حتى إذا استوى و بلغ أشده نجاه و أخرجه من بينهم إلى مدين ثم رده إليهم رسولا منه بسلطان مبين حتى إذا أغرق فرعون و جنوده أجمعين و جعل بنى إسرائيل هم الوارثين و أنزل التوراه على موسى هدى و بصائر للمؤمنين.

و على هذا المجرى يجرى حال المؤمنين و فيه وعد لهم بالملك و العزه و السلطان و وعد للنبى ص برده إلى معاد.

و انتقل من القصه إلى بيان أن من الواجب فى حكمه الله أن ينزل كتابا من عنده للدعوه الحقه ثم ذكر طعنهم فى دعوه القرآن بقولهم:لو لا أوتى مثل ما أوتى موسى

ص: ۶

و الجواب عنه،و تعللهم عن الإيمان بقولهم: إن نتبع الهدى معک نتخطف من أرضنا و الجواب عنه و فيه التمثل بقصه قارون و خسفه.

و السوره مکیه کما یشهد بذلک سیاق آیاتها،و ما أوردناه من الآیات فصل من قصه موسی و فرعون من یوم ولد موسی إلی بلوغه أشده.

قوله تعالی:« طسم تِلْکَ آیٰاتُ الْکِتٰابِ الْمُبِینِ »تقدم الکلام فیه فی نظائره.

قوله تعالی:« نَتْلُوا عَلَیْکَ مِنْ نَبَإِ مُوسیٰ وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ »« مِنْ » للتبعیض و« بِالْحَقِّ »متعلق بقوله:« نَتْلُوا »أی نتلو تلاوه متلبسه بالحق فهو من عندنا و بوحی منا من غیر أن یداخل فی إلقائه الشیاطین،و یمکن أن یکون متعلقا بنبإ أی حال کون النبإ الذی نتلوه علیک متلبسا بالحق لا مریه فیه.

و قوله:« لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ »اللام فیه للتعلیل و هو متعلق بقوله:« نَتْلُوا »أی نتلو علیک من نبإهما لأجل قوم یؤمنون بآیاتنا.

و محصل المعنی:نتلو علیک بعض نبإ موسی و فرعون تلاوه بالحق لأجل أن یتدبر فیه هؤلاء الذین یؤمنون بآیاتنا ممن اتبعوک و هم طائفه أذلاء مستضعفون فی أیدی فراعنه قریش و طغاه قومهم فیتحققوا أن الله الذی آمنوا به و برسوله و تحملوا کل أذی فی سبیله هو الله الذی أنشأ موسی(ع)لإحیاء الحق و إنجاء بنی إسرائیل و إعزازهم بعد ذلتهم هاتیک الذله یذبح أبناءهم و یستحیی نساءهم و قد علا فرعون و أنشب فیهم مخالب قهره و أحاط بهم بجوره.

أنشأه و الجو ذلک الجو المظلم الذی لا مطمع فیه فرباه فی حجر عدوه ثم أخرجه من مصر ثم أعاده إلیهم بسلطان فأنجی به بنی إسرائیل و أفنی بیده فرعون و جنوده و جعلهم أحادیث و أحلاما.

فهو الله جل شأنه یقص علی نبیه قصتهم و یرمز له و لهم بقوله:« لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ » أنه سیفعل بهؤلاء مثل ما فعل بأولئک و یمن علی هؤلاء المستضعفین و یجعلهم أئمه و یجعلهم الوارثین حذو ما صنع ببنی إسرائیل.

قوله تعالی:« إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاٰ فِی الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهٰا شِیَعاً یَسْتَضْعِفُ طٰائِفَهً مِنْهُمْ »إلخ،العلو فی الأرض کنایه عن التجبر و الاستکبار،و الشیع جمع شیعه و هی

الفرقه،قال فی المجمع:،الشیع:الفرق و کل فرقه شیعه و سموا بذلک لأن بعضهم یتابع بعضا.انتهی.و کان المراد بجعل أهل الأرض-و کأنهم أهل مصر و اللام للعهد-فرقا إلقاء الاختلاف بینهم لئلا یتفق کلمتهم فیثوروا علیه و یقلبوا علیه الأمور علی ما هو من دأب الملوک فی بسط القدره و تقویه السلطه،و استحیاء النساء إبقاء حیاتهن.

و محصل المعنی:أن فرعون علا فی الأرض و تفوق فیها ببسط السلطه علی الناس و إنفاذ القدره فیهم و جعل أهلها شیعا و فرقا مختلفه لا تجتمع کلمتهم علی شیء و بذلک ضعف عامه قوتهم علی المقاومه دون قوته و الامتناع من نفوذ إرادته.

و هو یستضعف طائفه منهم و هم بنو إسرائیل و هم أولاد یعقوب(ع)و قد قطنوا بمصر منذ أحضر یوسف(ع)أباه و إخوته و أشخصهم هناک فسکنوها و تناسلوا بها حتی بلغوا الألوف.

و کان فرعون هذا و هو ملک مصر المعاصر لموسی(ع)یعاملهم معامله الأسراء الأرقاء و یزید فی تضعیفهم حتی بلغ من استضعافه لهم أن أمر بتذبیح أبنائهم و استبقاء نسائهم و کان فیه إفناء رجالهم بقتل الأبناء الذکور و فیه فناء القوم.

و السبب فی ذلک أنه کان من المفسدین فی الأرض فإن الخلقه العامه التی أوجدت الإنسان لم یفرق فی بسط الوجود بین شعب و شعب من الشعوب الإنسانیه ثم جهز الکل بما یهدیهم إلی حیاه اجتماعیه بالتمتع من أمتعه الحیاه الأرضیه و لکل ما یعادل قیمته فی المجتمع و ما یساوی زنته فی التعاون.

هذا هو الإصلاح الذی یهتف به الصنع و الإیجاد،و التعدی عن ذلک بتحریر قوم و تعبید آخرین و تمتیع شعب بما لا یستحقونه و تحریم غیرهم ما یصلحون له هو الإفساد الذی یسوق الإنسانیه إلی البید و الهلاک.

و فی الآیه تصویر الظرف الذی ولد فیه موسی(ع)و قد أحدقت الأسباب المبیده لبنی إسرائیل علی إفنائه.

قوله تعالی:« وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ إلی قوله- مٰا کٰانُوا یَحْذَرُونَ »الأصل فی معنی المن -علی ما یستفاد من کلام الراغب-الثقل و منه تسمیه ما یوزن به منا،و المنه النعمه الثقیله و من علیه منا أی أثقله بالنعمه.قال:و یقال

ذلک علی وجهین أحدهما بالفعل کقوله:« وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا »أی نعطیهم من النعمه ما یثقلهم و الثانی بالقول کقوله:« یَمُنُّونَ عَلَیْکَ أَنْ أَسْلَمُوا »و هو مستقبح إلا عند کفران النعمه.انتهی ملخصا.

و تمکینهم فی الأرض إعطاؤهم فیها مکانا یملکونه و یستقرون فیه،و عن الخلیل أن المکان مفعل من الکون و لکثرته فی الکلام أجری مجری فعال.فقیل:تمکن و تمسکن نحو تمنزل انتهی.

و قوله:« وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ »إلخ الأنسب أن یکون حالا من« طٰائِفَةً »و التقدیر یستضعف طائفه منهم و نحن نرید أن نمن علی الذین استضعفوا إلخ و قیل:معطوف علی قوله:« إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاٰ فِی الْأَرْضِ »و الأول أظهر،و« نُرِیدُ »علی أی حال لحکایه الحال الماضیه.

و قوله:« وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً »عطف تفسیر علی قوله:« نَمُنَّ »و کذا ما بعده من الجمل المتعاقبه.

و المعنی:أن الظرف کان ظرف علو فرعون،و تفریقه بین الناس و استضعافه لبنی إسرائیل استضعافا یبیدهم و یفنیهم و الحال أنا نرید أن ننعم علی هؤلاء الذین استضعفوا من کل وجه نعمه تثقلهم و ذلک بأن نجعلهم أئمه یقتدی بهم فیکونوا متبوعین بعد ما کانوا تابعین،و نجعلهم الوارثین لها بعد ما کانت بید غیرهم و نمکن لهم فی الأرض بأن نجعل لهم مکانا یستقرون فیه و یملکونه بعد ما لم یکن لهم من المکان إلا ما أراد غیرهم أن یبوئهم فیه و یقرهم علیه،و نری فرعون و هو ملک مصر و هامان و هو وزیره و جنودهما منهم أی من هؤلاء الذین استضعفوا ما کانوا یحذرون و هو أن یظهروا علیهم فیذهبوا بملکهم و مالهم و سنتهم کما قالوا فی موسی و أخیه لما أرسلا إلیهم: «یُرِیدٰانِ أَنْ یُخْرِجٰاکُمْ مِنْ أَرْضِکُمْ بِسِحْرِهِمٰا وَ یَذْهَبٰا بِطَرِیقَتِکُمُ الْمُثْلیٰ» طه:۶۳.

و الآیه تصور ما فی باطن هذا الظرف الهائل الذی قضی علی بنی إسرائیل أن لا یعیش منهم متنفس و لا یبقی منهم نافخ نار و قد أحاطت بهم قدره فرعون الطاغیه و ملأ أقطار وجودهم رعبه و هو یستضعفهم حتی یقضی علیهم بالبید هذا ظاهر الأمر و فی باطنه الإراده الإلهیه تعلقت بأن تنجیهم منهم و تحول ثقل النعمه من آل فرعون

الأقوياء العالين إلى بنى إسرائيل الأذلاء المستضعفين و تبدل من الأسباب ما كان على بنى إسرائيل لهم و ما كان لآل فرعون عليهم و الله يحكم لا معقب لحكمه.

قوله تعالى:« وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذٰا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ »إلى آخر الآيه، الإيحاء هو التكليم الخفى و يستعمل فى القرآن فى تكليمه تعالى بعض خلقه بنحو الإلهام و الإلقاء فى القلب كما فى قوله: «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَهٰا» ، :

الزلزال:۵ و قوله: «وَ أَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» ، :النحل:۶۸ و قوله فى أم موسى:

« وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ »الآيه أو بنحو آخر كما فى الأنبياء و الرسل،و فى غيره تعالى كما فى قوله: «إِنَّ الشَّيٰاطِينَ لَيُوحُونَ إِلىٰ أَوْلِيٰائِهِمْ» :الأنعام:۱۲۱،و الإلقاء الطرح، و اليم البحر و النهر الكبير.

و قوله:« وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ »فى الكلام إيجاز بالحذف و التقدير و حبلت أم موسى به-و الحال هذه الحال من الشده و الحده-و وضعته و أوحينا إليها إلخ.

و المعنى:و قلنا بنوع من الإلهام لأم موسى لما وضعته:أرضعيه ما دمت لا تخافين عليه من قبل فرعون فإذا خفت عليه-أن يطلع عليه آل فرعون فيأخذوه و يقتلوه-فألقيه فى البحر و هو النيل على ما وردت به الروايه و لا تخافى عليه القتل و لا تحزنى لفقده و مفارقته إياك إنا رادوه إليك بعد ذلك و جاعلوه من المرسلين فيكون رسولا إلى آل فرعون و بنى إسرائيل.

فقوله:« إِنّٰا رَادُّوهُ إِلَيْكِ »تعليل للنهى فى قوله:« وَ لاٰ تَحْزَنِى »كما يشهد به أيضا قوله بعد:« فَرَدَدْنٰاهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهٰا وَ لاٰ تَحْزَنَ »و الفرق بين الخوف و الحزن بحسب المورد أن الخوف إنما يكون فى مكروه محتمل الوقوع و الحزن فى مكروه قطعى الوقوف.

قوله تعالى:« فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا كٰانُوا خٰاطِئِينَ » الالتقاط أصابه الشىء و أخذه من غير طلب،و منه اللقطه و اللام فى قوله:« لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً »للعاقبه-على ما قيل-و الحزن بفتحتين و الحزن بالضم فالسكون بمعنى واحد كالسقم و السقم،و المراد بالحزن سبب الحزن فإطلاق الحزن عليه مبالغه فى سببيته لحزنهم.

و الخـاطئين اسم فاعـل من خطئ يخطأ خطأ كعلم يعلم علمـا كمـا أن المخطئ اسم فاعـل من أخطـأ يخطئ إخطاء،و الفرق بين الخاطئ و المخطئ على ما ذكره الراغب أن الخاطئ يطلق على من أراد فعلا لا يحسنه ففعله قال تعالى:« إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً »،و قال:« وَ إِنْ كُنّا لَخاطِئِينَ »،و المخطئ يستعمل فيمن أراد فعلا يحسـنه فوقع منه غيره و اسم مصـدره الخطأ بفتحتين،قال تعالى: «وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً» ، :النساء:۹۲ و المعنى الجامع هو العدول عن الجهه.انتهى ملخصا.

فقوله:« إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ »أى فيما كانوا يفعلونه فى أبناء بنى إسـرائيل و موسـى تحـذرا من انهـدام ملكهم و ذهـاب سـلطانهم بيـدهم إراده لتغيير المقـادير عن مجاريها فقتلوا الجم الغفير من الأبناء و لا شأن لهم فى ذلك و تركوا موسى حيث التقطوه و ربوه فى حجورهم و كان هو الذى بيده انقراض دولتهم و زوال ملكهم.

و المعنى:فأصابه آل فرعون و أخذوه من اليم و كان غايه ذلك أن يكون لهم عدوا و سـبب حزن إن فرعون و هامان و جنودهما كانوا خاطئين فى قتل الأبناء و ترك موسـى:أرادوا أن يقضوا على من سيقضـى عليهم فعادوا يجتهـدون فى حفظه و يجـدون فى تربيته.

و بذلك يظهر أن تفسير بعضهم كونهم خاطئين بأنهم كانوا مذنبين فعاقبهم الله أن ربى عدوهم على أيديهم ليس بسديد.

قوله تعالى:« وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ »شفاعه من امرأه فرعون و قد كانت عنده حينما جاءوا إليه بموسى-و هو طفل ملتقط من اليم-تخاطب فرعون بقوله:« قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ »أى هو قره عين لنا« لا تَقْتُلُوهُ »و إنما خاطب بالجمع لأن شركاء القتل كانوا كثيرين من سبب و مباشر و آمر و مأمور.

و إنمـا قالت ما قالت لأن الله سـبحانه ألقى محبه منه فى قلبها فعادت لا تملك نفسـها دون أن تـدفع عنه القتل و تضـمه إليها،قال تعالى فيما يمن به على موسى(ع):

«وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي» :طه:۳۹.

و قوله:« عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً »قالته لما رأت فی وجهه من آثار الجلال و سیماء الجذبه الإلهیه،و فی قولها:« أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً »دلاله علی أنهما کانا فاقدین للابن.

و قوله:« وَ هُمْ لاٰ یَشْعُرُونَ »جمله حالیه أی قالت ما قالت و شفعت له و صرفت عنه القتل و القوم لا یشعرون ما ذا یفعلون و ما هی حقیقه الحال و ما عاقبته؟ قوله تعالی:« وَ أَصْبَحَ فُؤٰادُ أُمِّ مُوسیٰ فٰارِغاً إِنْ کٰادَتْ لَتُبْدِی بِهِ لَوْ لاٰ أَنْ رَبَطْنٰا عَلیٰ قَلْبِهٰا لِتَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ » الإبداء بالشیء إظهاره،و الربط علی الشیء شده و هو کنایه عن التثبیت.

و المراد بفراغ فؤاد أم موسی فراغه و خلوه من الخوف و الحزن و کان لازم ذلک أن لا یتوارد علیه خواطر مشوشه و أوهام متضاربه یضطرب بها القلب فیأخذها الجزع فتبدی ما کان علیها أن تخفیه من أمر ولدها.

و ذلک أن ظاهر السیاق أن سبب عدم إبدائها له فراغ قلبها و سبب فراغ قلبها الربط علی قلبها و سبب الربط هو قوله تعالی لها فیما أوحی إلیها:« لاٰ تَخٰافِی وَ لاٰ تَحْزَنِی إِنّٰا رَادُّوهُ إِلَیْکِ »إلخ.

و قوله:« إِنْ کٰادَتْ لَتُبْدِی بِهِ لَوْ لاٰ »إلخ،«إِنْ »مخففه من الثقیله أی إنها قربت من أن تظهر الأمر و تفشی السر لو لا أن ثبتنا قلبها بالربط علیه،و قوله:

« لِتَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ »أی الواثقین بالله فی حفظه فتصبر و لا تجزع علیه فلا یبدو أمره.

و المجموع أعنی قوله:« إِنْ کٰادَتْ لَتُبْدِی بِهِ »إلی آخر الآیه فی مقام البیان لقوله:

« وَ أَصْبَحَ فُؤٰادُ أُمِّ مُوسیٰ فٰارِغاً »و محصل معنی الآیه و صار قلب أم موسی بسبب وحینا خالیا من الخوف و الحزن المؤدیین إلی إظهار الأمر،لو لا أن ثبتنا قلبها بسبب الوحی لتکون واثقه بحفظ الله له لقربت من أن تظهر أمره لهم بالجزع علیه.

و بما تقدم یظهر ضعف بعض ما قیل فی تفسیر جمل الآیه کقول بعضهم فی« وَ أَصْبَحَ فُؤٰادُ أُمِّ مُوسیٰ فٰارِغاً »أی صفرا من العقل لما دهمها من الخوف و الحیره حین سمعت بوقوع الطفل فی ید فرعون،و قول آخرین:أی فارغا من الوحی الذی أوحی إلیها

بالنسيان،و ما قيل:أى فارغا من كل شيء إلا ذكر موسى أى صار فارغا له.فإنها جميعا وجوه لا يحتمل شيئا منها السياق.

و نظير ذلك فى الضعف قولهم:إن جواب لو لا محذوف و التقدير لو لا أن ربطنا على قلبها لأبدته و أظهرته،و الوجه فى تقديرهم ذلك ما قيل:إن لو لا شبيهه بأدوات الشرط فلها الصدر و لا يتقدم جوابها عليها.و قد تقدمت المناقشه فيه فى الكلام على قوله تعالى: «وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لاَ أَنْ رَأىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ» :يوسف:٢۴.

قوله تعالى:« وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لاَ يَشْعُرُونَ »قال فى المجمع:، القص اتباع الأثر و منه القصص فى الحديث لأنه يتبع فيه الثانى الأول.

و قال:و معنى بصرت به عن جنب أبصرته عن جنابه أى عن بعد.انتهى.

و المعنى:و قالت أم موسى لأخته اتبعى أثر موسى حتى ترين إلام يئول أمره فرأته عن بعد و قد أخذه خدم فرعون و هم لا يشعرون بأنها تقصه و تراقبه.

قوله تعالى:« وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ »التحريم فى الآيه تكوينى لا تشريعى و معناه جعله بحيث لا يقبل ثدى مرضع و يمتنع من ارتضاعها.

و قوله:« مِنْ قَبْلُ »أى من قبل حضورها هناك و مجيئها إليهم و المراضع جمع مرضعه كما قيل.

و قوله:« فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ » تفريع على ما تقدمه غير أن السياق يدل على أن هناك حذفا كأنه قيل:و حرمنا عليه المراضع غير أمه من قبل أن تجيء أخته فكلما أتوا له بمرضع لترضعه لم يقبل ثديها فلما جاءت أخته و رأت الحال قالت عند ذلك لآل فرعون:هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لنفعكم و هم له ناصحون؟.

قوله تعالى:« فَرَدَدْنَاهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لاَ تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ »تفريع على ما تقدمه مع تقدير ما يدل عليه السياق، و المحصل أنها قالت:هل أدلكم على أهل بيت كذا فأنعموا لها بالقبول فدلتهم على أمه فسلموه إليها فرددناه إلى أمه بنظم هذه الأسباب.

و قوله:« كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لاٰ تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ »إلخ،تعليل للرد و المراد بالعلم هو اليقين بالمشاهده فإنها كانت تعلم من قبل أن وعد الله حق و كانت مؤمنه و إنما أريد بالرد أن توقن بالمشاهده أن وعد الله حق.

و المراد بوعد الله مطلق الوعد الإلهي بدليل قوله:« وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ »أي لا يوقنون بذلك و يرتابون في مواعده تعالى و لا تطمئن إليها نفوسهم،و محصله أن توقع بمشاهده حقيه هذا الذي وعدها الله به أن مطلق وعده تعالى حق.

و ربما يقال:إن المراد بوعد الله خصوص الوعد المذكور في الآيه السابقه:« إِنّٰا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جٰاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ »و لا يلائمه قوله بعد:« وَ لٰكِنَّ »إلخ على ما تقدم.

قوله تعالى:« وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوىٰ آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ » بلوغ الأشد أن يعمر الإنسان ما تشتد عند ذلك قواه و يكون في الغالب في الثمان عشره،و الاستواء الاعتدال و الاستقرار فالاستواء في الحياه استقرار الإنسان في أمر حياته و يختلف في الأفراد و هو على الأغلب بعد بلوغ الأشد،و قد تقدم الكلام في معنى الحكم و العلم و إيتائهما و معنى الإحسان في مواضع من الكتاب.

(بحث روائي)

في الدر المنثور،أخرج ابن أبي شيبه و ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب رض: في قوله تعالى:« وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ » قال:يوسف و ولده.

أقول:لعل المراد بنو إسرائيل،و إلا فظهور الآيه في خلافه غير خفي.

و في معاني الأخبار،بإسناده عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال:سمعت أبا عبد الله(ع)يقول: إن رسول الله ص-نظر إلى علي و الحسن و الحسين(ع) فبكى-و قال:أنتم المستضعفون بعدي.قال المفضل:فقلت له:ما معنى ذلك؟قال:

معناه أنكم الأئمه بعدي-إن الله عز و جل يقول:« وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ-وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوٰارِثِينَ »فهذه الآيه جاريه فينا إلى يوم القيامه.

أقول:و الروايات من طرق الشيعه فى كون الآيه فى أئمه أهل البيت(ع) كثيره و بهذه الروايه يظهر أنها جميعا من قبيل الجرى و الانطباق.

و فى نهج البلاغه،: لتعطفن الدنيا عليا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها و تلا عقيب ذلك« وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ-وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ ».

و فى تفسير القمى،:فى قوله تعالى:« وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى »إلى آخر الآيه:

حدثنى أبى عن الحسن بن محبوب عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر (ع)قال: إنه لما حملت به أمه لم يظهر حملها إلا عند وضعها له-و كان فرعون قد وكل بنساء بنى إسرائيل نساء من القبط يحفظنهن-و ذلك أنه كان لما بلغه عن بنى إسرائيل أنهم يقولون:إنه يولد فينا رجل يقال له:موسى بن عمران-يكون هلاك فرعون و أصحابه على يده-فقال فرعون عند ذلك:لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون-و فرق بين الرجال و النساء و حبس الرجال فى المحابس.

فلما وضعت أم موسى بموسى-نظرت إليه و حزنت عليه و اغتمت و بكت-و قالت:

يذبح الساعه-فعطف الله عز و جل قلب الموكله بها عليه-فقالت لأم موسى:ما لك قد اصفر لونك؟فقالت أخاف أن يذبح ولدى-فقالت:لا تخافى و كان موسى لا يراه أحد إلا أحبه و-هو قول الله:« وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ».

فأحبته القبطيه الموكله بها-و أنزل الله على أم موسى التابوت،و نوديت ضعيه فى التابوت فألقيه فى اليم و هو البحر« وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي-إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ »فوضعته فى التابوت و أطبقته عليه و ألقته فى النيل.

و كان لفرعون قصر على شط النيل متنزه-فنظر من قصره-و معه آسيه امرأته-إلى سواد فى النيل ترفعه الأمواج-و الرياح تضربه حتى جاءت به إلى باب قصر فرعون-فأمر فرعون بأخذه فأخذ التابوت و رفع إليه-فلما فتحه وجد فيه صبيا فقال:

هذا إسرائيلى- فألقى الله فى قلب فرعون محبه شديده و كذلك فى قلب آسيه.

و أراد فرعون أن يقتله فقالت آسيه: لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً- وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ أنه موسى.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« قُرَّتُ عَيْنٍ لِی وَ لَکَ لاٰ تَقْتُلُوهُ »إلخ،

عن النبی ص:

و الذی يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قره عين-كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هداها-و لكنه أبی للشقاء الذی كتبه الله عليه.

و فی المعانی،بإسناده عن محمد بن نعمان الأحول عن أبی عبد الله(ع): فی قول الله عز و جل:« وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَویٰ »قال:أشده ثمان عشره سنه« وَ اسْتَویٰ »التحی.

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۱۵ الی ۲۱]

اشاره

وَ دَخَلَ اَلْمَدِينَهَ عَلیٰ حِينِ غَفْلَهٍ مِنْ أَهْلِهٰا فَوَجَدَ فِيهٰا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاٰنِ هٰذٰا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هٰذٰا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغٰاثَهُ اَلَّذِی مِنْ شِيعَتِهِ عَلَی اَلَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسیٰ فَقَضیٰ عَلَيْهِ قٰالَ هٰذٰا مِنْ عَمَلِ اَلشَّيْطٰانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (۱۵) قٰالَ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيمُ (۱۶) قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَنْعَمْتَ عَلَیَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (۱۷) فَأَصْبَحَ فِی اَلْمَدِينَهِ خٰائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا اَلَّذِی اِسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قٰالَ لَهُ مُوسیٰ إِنَّكَ لَغَوِیٌّ مُبِينٌ (۱۸) فَلَمّٰا أَنْ أَرٰادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُمٰا قٰالَ يٰا مُوسیٰ أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِی كَمٰا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاّٰ أَنْ تَكُونَ جَبّٰاراً فِی اَلْأَرْضِ وَ مٰا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ اَلْمُصْلِحِينَ (۱۹) وَ جٰاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی اَلْمَدِينَهِ يَسْعیٰ قٰالَ يٰا مُوسیٰ إِنَّ اَلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّی لَكَ مِنَ اَلنّٰاصِحِينَ (۲۰) فَخَرَجَ مِنْهٰا خٰائِفاً يَتَرَقَّبُ قٰالَ رَبِّ نَجِّنِی مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِينَ (۲۱)

ص :۱۶

(بيان)

فصل ثان من قصه موسى(ع)فيه ذكر بعض ما وقع بعد بلوغه أشده فأدى إلى خروجه من مصر و قصده مدين.

قوله تعالى:« وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهٰا »إلخ،لا ريب أن المدينه التى دخلها على حين غفله من أهلها هى مصر،و أنه كان يعيش عند فرعون،و يستفاد من ذلك أن القصر الملكى الذى كان يسكنه فرعون كان خارج المدينه و أنه خرج منه و دخل المدينه على حين غفله من أهلها،و يؤيد ما ذكرنا ما سيأتى من قوله:« وَ جٰاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعىٰ »على ما سيجىء من الاستظهار.

و حين الغفله من أهل المدينه هو حين يدخل الناس بيوتهم فتتعطل الأسواق و تخلو الشوارع و الأزقه من الماره كالظهيره و أواسط الليل.

و قوله:« فَوَجَدَ فِيهٰا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاٰنِ »أى يتنازعان و يتضاربان،و قوله:« هٰذٰا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هٰذٰا مِنْ عَدُوِّهِ »حكايه حال تمثل به الواقعه،و معناه:أن أحدهما كان إسرائيليا من متبعيه فى دينه-فإن بنى إسرائيل كانوا ينتسبون يومئذ إلى آبائهم إبراهيم و إسحاق و يعقوب(ع)فى دينهم و إن كان لم يبق لهم منه إلا الاسم و كانوا يتظاهرون بعباده فرعون-و الآخر قبطيا عدوا له لأن القبط كانوا أعداء بنى إسرائيل،و من الشاهد أيضا على كون هذا الرجل قبطيا قوله فى موضع آخر يخاطب ربه: «وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخٰافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» :الشعراء:۱۴.

و قوله:« فَاسْتَغٰاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ » الاستغاثه: الاستنصار من الغوث بمعنى النصره أى طلب الإسرائيلى من موسى أن ينصره على عدوه القبطى.

و قوله:« فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقَضىٰ عَلَيْهِ »ضميرا« فَوَكَزَهُ »و« عَلَيْهِ »للذى من عدوه و الوكز -على ما ذكره الراغب و غيره-الطعن و الدفع و الضرب بجمع الكف،

و القضاء هو الحكم و القضاء عليه كنايه عن الفراغ من أمره بموته،و المعنى:فدفعه أو ضربه موسى بالوكز فمات،و كان قتل خطإ و لو لا ذلك لكان من حق الكلام أن يعبر بالقتل.

و قوله:« قٰالَ هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ »الإشاره بهذا إلى ما وقع بينهما من الاقتتال حتى أدى إلى موت القبطى و قد نسبه نوع نسبه إلى عمل الشيطان إذ قال: « هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ »و« مِنْ »ابتدائيه تفيد معنى الجنس أو نشوئيه،و المعنى:هذا الذى وقع من المعاداه و الاقتتال من جنس العمل المنسوب إلى الشيطان أو ناش من عمل الشيطان فإنه هو الذى أوقع العداوه و البغضاء بينهما و أغرى على الاقتتال حتى أدى ذلك إلى مداخله موسى و قتل القبطى بيده فأوقعه ذلك فى خطر عظيم و قد كان يعلم أن الواقعه لا تبقى خفيه مكتومه و أن القبط سيثورون عليه و أشرافهم و ملؤهم و على رأسهم فرعون سينتقمون منه و من كل من تسبب إلى ذلك أشد الانتقام.

فعند ذلك تنبه(ع)أنه أخطأ فيما فعله من الوكز الذى أورده مورد الهلكه و لا ينسب الوقوع فى الخطإ إلى الله سبحانه لأنه لا يهدى إلا إلى الحق و الصواب فقضى أن ذلك منسوب إلى الشيطان.

و فعله ذاك و إن لم يكن معصيه منه لوقوعه خطأ و كون دفاعه عن الإسرائيلى دفعا لكافر ظالم،لكن الشيطان كما يوقع بوسوسته الإنسان فى الإثم و المعصيه كذلك يوقعه فى أى مخالفه للصواب يقع بها فى الكلفه و المشقه كما أوقع آدم و زوجه فيما أوقع من أكل الشجره المنهيه فأدى ذلك إلى خروجهما من الجنه.

فقوله:« هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ »انزجار منه عما وقع من الاقتتال المؤدى إلى قتل القبطى و وقوعه فى عظيم الخطر و ندم منه على ذلك،و قوله:« إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ »إشاره منه إلى أن فعله كان من الضلال المنسوب إلى الشيطان و إن لم يكن من المعصيه التى فيها إثم و مؤاخذه بل خطأ محضا لا ينسب إلى الله بل إلى الشيطان الذى هو عدو مضل مبين،فكان ذلك منه نوعا من سوء التدبير و ضلال السعى يسوقه إلى عاقبه وخيمه و لذا لما اعترض عليه فرعون بقوله:« وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ

مِنَ الْكافِرِينَ »أجابه بقوله: «فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّالِّينَ» :الشعراء:۲۰.

قوله تعالى:« قالَ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ » اعتراف منه عند ربه بظلمه نفسه حیث أوردها مورد الخطر و ألقاها فی التهلکه، و منه یظهر أن المراد بالمغفره المسئوله فی قوله:« فَاغْفِرْ لِی »هو إلغاء تبعه فعله و إنجاؤه من الغم و تخلیصه من شر فرعون و ملئه،کما یظهر من قوله تعالی:« وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّیْناکَ مِنَ الْغَمِّ» :طه:۴۰.

و هذا الاعتراف بالظلم و سؤال المغفره نظیر ما وقع من آدم و زوجه المحکی فی قوله تعالی: «قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ» الأعراف:۲۳.

قوله تعالی:« قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَیَّ فَلَنْ أَکُونَ ظَهِیراً لِلْمُجْرِمِینَ »قیل:

الباء فی قوله:« بِما أَنْعَمْتَ »للسببیه و المعنی رب بسبب ما أنعمت علی،لک علی أن لا أکون معینا للمجرمین فیکون عهدا منه لله تعالی و قیل:الباء للقسم و الجواب محذوف و المعنی:أقسم بما أنعمت علی لأتوبن أو لأمتنعن فلن أکون ظهیرا للمجرمین،و قیل:

القسم استعطافی و هو القسم الواقع فی الإنشاء کقولک بالله زرنی،و المعنی أقسمک أن تعطف علی و تعصمنی فلن أکون ظهیرا للمجرمین.

و الوجه الأول هو الأوجه لأن المراد بقوله:« بِما أَنْعَمْتَ عَلَیَّ »-علی ما ذکروه-أما إنعامه تعالی علیه إذ حفظه و خلصه من قتل فرعون و رده إلی أمه، و أما إنعامه علیه إذ قبل توبته من قتل القبطی و غفر له بناء علی أنه علم مغفرته تعالی بإلهام أو رؤیا أو نحوهما و کیف کان فهو إقسام بغیره تعالی،و المعنی أقسم بحفظک إیای أو أقسم بمغفرتک لی،و لم یعهد فی کلامه تعالی حکایه قسم من غیره بغیره بهذا النحو.

و قوله:« فَلَنْ أَکُونَ ظَهِیراً لِلْمُجْرِمِینَ »قیل:المراد بالمجرم من أوقع غیره فی الجرم أو من أدت إعانته إلی جرم کالإسرائیلی الذی خاصمه القبطی فأوقعت إعانته موسی فی جرم القتل فیکون فی لفظ المجرمین مجاز فی النسبه من حیث تسمیه السبب الموقع فی الجرم مجرما.

و قیل:المراد بالمجرمین فرعون و قومه و المعنی:أقسم بإنعامک علی لأتوبن فلن

أكون معينا لفرعون و قومه بصحبتهم و ملازمتهم و تكثير سوادهم كما كنت أفعله إلى هذا اليوم.

و رد هذا الوجه الثانى بأنه لا يناسب المقام.

و الحق أن قوله:« رَبِّ بِمٰا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ »عهد من موسى(ع)أن لا يعين مجرما على إجرامه شكرا لله تعالى على ما أنعم عليه،و المراد بالنعمه و قد أطلقت إطلاقا الولايه الإلهيه على ما يشهد به قوله تعالى: «فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِينَ» :النساء:۶۹.

و هؤلاء أهل الصراط المستقيم مأمونون من الضلال و الغضب لقوله تعالى: «اهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرٰاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّٰالِّينَ» ، :الفاتحه:

۷ و ترتب الامتناع عن إعانه المجرمين على الإنعام بهذا المعنى ظاهر لا ستره عليه.

و من هنا يظهر أن المراد بالمجرمين أمثال فرعون و قومه دون أمثال الإسرائيلى الذى أعانه فلم يكن فى إعانته جرم و لا كان وكز القبطى جرما حتى يتوب(ع)منه كيف؟و هو(ع)من أهل الصراط المستقيم الذين لا يضلون بمعصيته،و قد نص تعالى على كونه من المخلصين الذين لا سبيل للشيطان إليهم بالإغواء حيث قال: «إِنَّهُ كٰانَ مُخْلَصاً وَ كٰانَ رَسُولاً نَبِيًّا» :مريم:۵۱.

و قد نص تعالى أيضا آنفا بأنه آتاه حكما و علما و أنه من المحسنين و من المتقين من أمره أن لا تستخفه عصبيه قوميه أو غضب فى غير ما ينبغى أو إعانه و نصره لمجرم فى إجرامه.

و قد كرر« قٰالَ »ثلاثا حيث قيل:« قٰالَ هٰذٰا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰانِ »« قٰالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى »« قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ »و ذلك لاختلاف السياق فى الجمل الثلاث فالجمله الأولى قضاء منه و حكم،و الجمله الثانيه استغفار و دعاء،و الجمله الثالثه عهد و التزام.

قوله تعالى:« فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَهِ خٰائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قٰالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ »تقييد« فَأَصْبَحَ »بقوله:« فِى الْمَدِينَهِ » دليل على أنه بقى فى المدينه و لم يرجع إلى قصر فرعون، و الاستصراخ الاستغاثه برفع الصوت من الصراخ بمعنى الصياح،و الغوايه إخطاء الصواب خلاف الرشد.

و المعنى:فأصبح موسى فى المدينه-و لم يرجع إلى بلاط فرعون-و الحال أنه خائف من فرعون ينتظر الشر ففاجأه أن الإسرائيلى الذى استنصره على القبطى بالأمس يستغيث به رافعا صوته على قبطى آخر قال موسى للإسرائيلى توبيخا و تأنيبا:

إنك لغوى مبين لا تسلك سبيل الرشد و الصواب لأنه كان يخاصم و يقتتل قوما ليس فى مخاصمتهم و المقاومه عليهم إلا الشر كل الشر.

قوله تعالى:« فَلَمّٰا أَنْ أَرٰادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمٰا قٰالَ يٰا مُوسىٰ أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمٰا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ »إلى آخر الآيه،ذكر جل المفسرين أن ضمير« قٰالَ » للإسرائيلى الذى كان يستصرخه و ذلك أنه ظن أن موسى إنما يريد أن يبطش به لما سمعه يعاتبه قبل بقوله:« إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ »فهاله ما رأى من إرادته البطش فقال:

« يٰا مُوسىٰ أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمٰا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ »إلخ،فعلم القبطى عند ذلك أن موسى هو الذى قتل القبطى بالأمس فرجع إلى فرعون فأخبره الخبر فائتمروا بموسى و عزموا على قتله.

و ما ذكروه فى محله لشهاده السياق بذلك فلا يعبأ بما قيل:إن القائل هو القبطى دون الإسرائيلى،هذا و معنى باقى الآيه ظاهر.و فى قوله:« أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمٰا »تعريض للتوراه الحاضره حيث تذكر أن المتقاتلين هذين كانا جميعا إسرائيليين، و فيه أيضا تأييد أن القائل:« يٰا مُوسىٰ أَ تُرِيدُ »إلخ،الإسرائيلى دون القبطى لأن سياقه سياق اللوم و الشكوى.

قوله تعالى:« وَ جٰاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَهِ يَسْعىٰ قٰالَ يٰا مُوسىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ »إلخ، الائتمار المشاوره،و النصيحه خلاف الخيانه.

و الظاهر كون قوله:« مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَهِ »قيدا لقوله:« جٰاءَ »فسياق القصه يعطى أن الائتمار كان عند فرعون و بأمر منه،و أن هذا الرجل جاء من هناك و قد كان قصر فرعون فى أقصى المدينه و خارجها فأخبر موسى بما قصدوه من قتله و أشار عليه بالخروج من المدينه.

و هذا الاستئناس من الكلام يؤيد ما تقدم أن قصر فرعون الذى كان يسكنه كان خارج المدينه،و معنى الآيه ظاهر.

قوله تعالی:« فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً یَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ »فیه تأیید أنه ما کان یری قتله القبطی خطأ جرما لنفسه.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،قال":فلم یزل موسی عند فرعون فی أکرم کرامه-حتی بلغ مبلغ الرجال-و کان ینکر علیه ما یتکلم به موسی(ع)من التوحید-حتی هم به فخرج موسی من عنده و دخل المدینه-فإذا رجلان یقتتلان-أحدهما یقول بقول موسی و الآخر یقول بقول فرعون-فاستغاثه الذی من شیعته فجاء موسی-فوکز صاحب فرعون فقضی علیه و تواری فی المدینه.

فلما کان الغد جاء آخر-فتشبث بذلک الرجل الذی یقول بقول موسی-فاستغاث بموسی فلما نظر صاحبه إلی موسی قال له. أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ ؟ فخلی عن صاحبه و هرب.

و فی العیون،بإسناده إلی علی بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون و عنده الرضا(ع)-فقال له المأمون:یا ابن رسول الله-أ لیس من قولک:إن الأنبیاء معصومون؟ قال:بلی.قال:فأخبرنی عن قول الله:« فَوَکَزَهُ مُوسی فَقَضی عَلَیْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ »قال الرضا(ع):إن موسی(ع)دخل مدینه من مدائن فرعون- علی حین غفله من أهلها و ذلک بین المغرب و العشاء-فوجد فیها رجلین یقتتلان-هذا من شیعته و هذا من عدوه-فقضی علی العدو بحکم الله تعالی ذکره فوکزه فمات،قال: هذا مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ -یعنی الاقتتال الذی وقع بین الرجلین-لا ما فعله موسی(ع)من قتله « إِنَّهُ »یعنی الشیطان« عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِینٌ ».

قال المأمون:فما معنی قول موسی:« رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی »؟ قال:یقول:وضعت نفسی غیر موضعها بدخول هذه المدینه-فاغفر لی أی استرنی من أعدائک لئلا یظفروا بی فیقتلونی-فغفر له إنه هو الغفور الرحیم.قال موسی:رب بما أنعمت علی من القوه-حتی قتلت رجلا بوکزه فلن أکون ظهیرا للمجرمین-بل أجاهدهم بهذه القوه حتی ترضی.

ص: ۲۲

فأصبح موسی(ع)فی المدینه خائفا یترقب-فإذا الذی استنصره بالأمس یستصرخه علی آخر-قال له موسی إنک لغوی مبین-قاتلت رجلا بالأمس و تقاتل هذا الیوم-لأؤدبنک و أراد أن یبطش به-فلما أراد أن یبطش بالذی هو عدو لهما و هو من شیعته-قٰالَ یٰا مُوسیٰ أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَمٰا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ؟إِنْ تُرِیدُ إِلاّٰ أَنْ تَکُونَ جَبّٰاراً فِی الْأَرْضِ-وَ مٰا تُرِیدُ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْمُصْلِحِینَ .قال المأمون:جزاک الله عن أنبیائه خیرا یا أبا الحسن.

[سوره القصص (٢٨): الآیات ٢٢ الی ٢٨]

اشاره

وَ لَمّٰا تَوَجَّهَ تِلْقٰاءَ مَدْیَنَ قٰالَ عَسیٰ رَبِّی أَنْ یَهْدِیَنِی سَوٰاءَ اَلسَّبِیلِ (٢٢) وَ لَمّٰا وَرَدَ مٰاءَ مَدْیَنَ وَجَدَ عَلَیْهِ أُمَّةً مِنَ اَلنّٰاسِ یَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ اِمْرَأَتَیْنِ تَذُودٰانِ قٰالَ مٰا خَطْبُکُمٰا قٰالَتٰا لاٰ نَسْقِی حَتّٰی یُصْدِرَ اَلرِّعٰاءُ وَ أَبُونٰا شَیْخٌ کَبِیرٌ (٢٣) فَسَقیٰ لَهُمٰا ثُمَّ تَوَلّٰی إِلَی اَلظِّلِّ فَقٰالَ رَبِّ إِنِّی لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ (٢۴) فَجٰاءَتْهُ إِحْدٰاهُمٰا تَمْشِی عَلَی اِسْتِحْیٰاءٍ قٰالَتْ إِنَّ أَبِی یَدْعُوکَ لِیَجْزِیَکَ أَجْرَ مٰا سَقَیْتَ لَنٰا فَلَمّٰا جٰاءَهُ وَ قَصَّ عَلَیْهِ اَلْقَصَصَ قٰالَ لاٰ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِینَ (٢۵) قٰالَتْ إِحْدٰاهُمٰا یٰا أَبَتِ اِسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَیْرَ مَنِ اِسْتَأْجَرْتَ اَلْقَوِیُّ اَلْأَمِینُ (٢۶) قٰالَ إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی اِبْنَتَیَّ هٰاتَیْنِ عَلیٰ أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمٰانِیَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ وَ مٰا أُرِیدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَیْکَ سَتَجِدُنِی إِنْ شٰاءَ اَللّٰهُ مِنَ اَلصّٰالِحِینَ (٢٧) قٰالَ ذٰلِکَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ أَیَّمَا اَلْأَجَلَیْنِ قَضَیْتُ فَلاٰ عُدْوٰانَ عَلَیَّ وَ اَللّٰهُ عَلیٰ مٰا نَقُولُ وَکِیلٌ (٢٨)

ص: ٢٣

(بيان)

فصل ثالث من قصته(ع)يذكر فيه خروجه من مصر إلى مدين عقيب قتله القبطى خوفا من فرعون و تزوجه هناك بابنه شيخ كبير لم يسم فى القرآن لكن تذكر روايات أئمه أهل البيت(ع)و بعض روايات أهل السنه أنه هو شعيب النبى المبعوث إلى مدين.

قوله تعالى:« وَ لَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَواءَ السَّبِيلِ » قال فى المجمع:، تلقاء الشىء حذاؤه،و يقال:فعل ذلك من تلقاء نفسه أى من حذاء داعى نفسه.و قال: سواء السبيل وسط الطريق انتهى.

و مدين -على ما فى مراصد الاطلاع-،مدينه قوم شعيب و هى تجاه تبوك على بحر القلزم بينهما ست مراحل و هى أكبر من تبوك و بها البئر التى استقى منها موسى لغنم شعيب(ع)انتهى،و يقال:إنه كان بينهما و بين مصر مسيره ثمان و كانت خارجه من سلطان فرعون و لذا توجه إليها.

و المعنى:و لما صرف وجهه بعد الخروج من مصر حذاء مدين قال:أرجو من ربى أن يهدينى وسط الطريق فلا أضل بالعدول عنه و الخروج منه إلى غيره.

و السياق-كما ترى-يعطى أنه(ع)كان قاصدا لمدين و هو لا يعرف الطريق الموصله إليها فترجى أن يهديه ربه.

قوله تعالى:« وَ لَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النّاسِ يَسْقُونَ »إلخ الذود الحبس و المنع،و المراد بقوله:« تَذُودانِ »أنهما يحبسان أغنامهما من أن ترد الماء أو تختلط بأغنام القوم كما أن المراد بقوله:« يَسْقُونَ »سقيهم أغنامهم و مواشيهم، و الرعاء جمع الراعى و هو الذى يرعى الغنم.

ص:۲۴

و المعنى:و لما ورد موسى ماء مدين وجد على الماء جماعه من الناس يسقون أغنامهم و وجد بالقرب منهم مما يليه امرأتين تحبسان أغنامهما و تمنعانها أن ترد المورد قال موسى مستفسرا عنهما-حيث وجدهما تذودان الغنم و ليس على غنمهما رجل-:

ما شأنكما؟قالتا لا نسقى غنمنا أى عادتنا ذلك حتى يصدر الراعون و يخرجوا أغنامهم و أبونا شيخ كبير-لا يقدر أن يتصدى بنفسه أمر السقى و لذا تصدينا الأمر.

قوله تعالى:« فَسَقىٰ لَهُمٰا ثُمَّ تَوَلّٰى إِلَى الظِّلِّ فَقٰالَ رَبِّ إِنِّى لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فهم»(ع)من كلامهما أن تأخرهما فى السقى نوع تعفف و تحجب منهما و تعد من الناس عليهما فبادر إلى ذلك و سقى لهما.

و قوله:« ثُمَّ تَوَلّٰى إِلَى الظِّلِّ فَقٰالَ رَبِّ إِنِّى لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ »أى انصرف إلى الظل ليستريح فيه و الحر شديد و قال ما قال،و قد حمل الأكثرون قوله:

« رَبِّ إِنِّى لِمٰا أَنْزَلْتَ »إلخ على سؤال طعام يسد به الجوع،و عليه فالأولى أن يكون المراد بقوله« لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ »القوه البدنيه التى كان يعمل بها الأعمال الصالحه التى فيها رضى الله كالدفاع عن الإسرائيلى و الهرب من فرعون بقصد مدين و سقى غنم شعيب و اللام فى« لِمٰا أَنْزَلْتَ »بمعنى إلى و إظهار الفقر إلى هذه القوه التى أنزلها الله إليه من عنده بالإفاضه كنايه عن إظهار الفقر إلى شىء من الطعام تستبقى به هذه القوه النازله الموهوبه.

و يظهر منه أنه(ع)كان ذا مراقبه شديده فى أعماله فلا يأتى بعمل و لا يريده و إن كان مما يقتضيه طبعه البشرى إلا ابتغاء مرضاه ربه و جهادا فيه،و هذا ظاهر بالتدبر فى القصه فهو القائل لما وكز القبطى: رَبِّ بِمٰا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ثم القائل لما خرج من مصر خائفا يترقب:« رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ » ثم القائل لما أخذ فى السلوك:« عَسىٰ رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوٰاءَ السَّبِيلِ »ثم القائل لما سقى و تولى إلى الظل:« رَبِّ إِنِّى لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ »ثم القائل لما آجر نفسه شعيبا و عقد على بنته: « وَ اللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ ».

و ما نقل عن بعضهم أن اللام فى« لِمٰا أَنْزَلْتَ »للتعليل و كذا قول بعضهم إن المراد بالخير خير الدين و هو النجاه من الظالمين بعيد مما يعطيه السياق.

قوله تعالی:« فَجٰاءَتْهُ إِحْدٰاهُمٰا تَمْشِی عَلَی اسْتِحْیٰاءٍ »إلی آخر الآیه.ضمیر إحداهما للمرأتین،و تنکیر الاستحیاء للتفخیم و المراد بکون مشیها علی استحیاء ظهور التعفف من مشیتها،و قوله:« لِیَجْزِیَکَ أَجْرَ مٰا سَقَیْتَ لَنٰا »ما مصدریه أی لیعطیک جزاء سقیک لنا،و قوله:« فَلَمّٰا جٰاءَهُ وَ قَصَّ عَلَیْهِ الْقَصَصَ قٰالَ لاٰ تَخَفْ »إلخ یلوح إلی أن شعیبا استفسره حاله فقص علیه قصته فطیب نفسه بأنه نجا منهم إذ لا سلطان لهم علی مدین.

و عند ذلک تمت استجابته تعالی لموسی(ع)أدعیته الثلاثه فقد کان سأل الله تعالی عند خروجه من مصر أن ینجیه من القوم الظالمین فأخبره شعیب(ع)بالنجاه و ترجی أن یهدیه سواء السبیل و هو فی معنی الدعاء فورد مدین،و سأله الرزق فدعاه شعیب لیجزیه أجر ما سقی و زاد تعالی فکفاه رزق عشر سنین و وهب له زوجا یسکن إلیها.

قوله تعالی:« قٰالَتْ إِحْدٰاهُمٰا یٰا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَیْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِیُّ الْأَمِینُ »إطلاق الاستیجار یفید أن المراد استخدامه لمطلق حوائجه التی تستدعی من یقوم مقامه و إن کانت العهده باقتضاء المقام رعی الغنم.

و قوله:« إِنَّ خَیْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ »إلخ،فی مقام التعلیل لقوله:« اِسْتَأْجِرْهُ » و هو من وضع السبب موضع المسبب و التقدیر استأجره لأنه قوی أمین و خیر من استأجرت هو القوی الأمین.

و فی حکمها بأنه قوی أمین دلاله علی أنها شاهدت من نحو عمله فی سقی الأغنام ما استدلت به علی قوته و کذا من ظهور عفته فی تکلیمهما و سقی أغنامهما ثم فی صحبته لها عند ما انطلق إلی شعیب حتی أتاه ما استدلت به علی أمانته.

و من هنا یظهر أن هذه القائله:« یٰا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ »إلخ،هی التی جاءته و أخبرته بدعوه أبیها له کما وردت به روایات أئمه أهل البیت(ع)و ذهب إلیه جمع من المفسرین.

قوله تعالی:« قٰالَ إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هٰاتَیْنِ عَلیٰ أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمٰانِیَ حِجَجٍ »إلخ،عرض من شعیب لموسی(ع)أن یأجره نفسه ثمانی سنین أو عشرا

قبال تزويجه إحدى ابنتيه و ليس بعقد قاطع و من الدليل عدم تعين المعقوده فى كلامه (ع).

فقوله:« إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ »دليل على حضورهما إذ ذاك،و قوله:« عَلىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمٰانِيَ حِجَجٍ »أى على أن تأجرنى نفسك أى تكون أجيرا لى ثمانى حجج، و الحجج جمع حجه و المراد بها السنه بعنايه أن كل سنه فيها حجه للبيت الحرام،و به يظهر أن حج البيت-و هو من شريعه إبراهيم(ع)-كان معمولا به عندهم.

و قوله:« فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ »أى فإن أتممته عشر سنين فهو من عندك و باختيار منك من غير أن تكون ملزما من عندى.

و قوله:« وَ مٰا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ »إخبار عن نحو ما يريده منه من الخدمه و أنه عمل غير موصوف بالمشقه و أنه مخدوم صالح.

و قوله:« سَتَجِدُنِي إِنْ شٰاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰالِحِينَ »أى إنى من الصالحين و ستجدنى منهم إن شاء الله فالاستثناء متعلق بوجدان موسى إياه منهم لا بكونه فى نفسه منهم.

قوله تعالى:« قٰالَ ذٰلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاٰ عُدْوٰانَ عَلَيَّ وَ اللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ »الضمير لموسى(ع).

و قوله:« ذٰلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ »أى ذلك الذى ذكرته و قررته من المشارطه و المعاهده و عرضته على ثابت بيننا ليس لى و لا لك أن نخالف ما شارطناه،و قوله:« أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاٰ عُدْوٰانَ عَلَيَّ »بيان للأجل المردد المضروب فى كلام شعيب(ع) و هو قوله:« ثَمٰانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ »أى لى أن أختار أى الأجلين شئت فإن اخترت الثمانى سنين فليس لك أن تعدو على و تلزمنى بالزياده و إن اخترت الزياده و خدمتك عشرا فليس لك أن تعدو على بالمنع من الزياده.

و قوله:« وَ اللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ »توكيل له تعالى فيما يشارطان يتضمن إشهاده تعالى على ما يقولان و إرجاع الحكم و القضاء بينهما إليه لو اختلفا،و لذا اختار التوكيل على الإشهاد لأن الشهاده و القضاء كليهما إليه تعالى،و هذا كقول يعقوب(ع) حين أخذ الموثق من بنيه أن يردوا إليه ابنه فيما يحكيه الله: «فَلَمّٰا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قٰالَ اللّٰهُ عَلىٰ مٰا نَقُولُ وَكِيلٌ» :يوسف:۶۶.

(بحث روائی)

فی کتاب کمال الدین،بإسناده إلی سدیر الصیرفی عن أبی عبد الله (ع)فی حدیث طویل:

وَ جٰاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی الْمَدِینَهِ یَسْعیٰ-قٰالَ یٰا مُوسیٰ إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ- فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النّٰاصِحِینَ فَخَرَجَ مِنْهٰا خٰائِفاً یَتَرَقَّبُ

-من مصر بغیر ظهر و لا دابه و لا خادم تخفضه أرض-و ترفعه أخری حتی انتهی إلی أرض مدین.

فانتهی إلی أصل شجره فنزل فإذا تحتها بئر-و إذا عندها أمه من الناس یسقون- و إذا جاریتان ضعیفتان و إذا معهما غنیمه لهما- قال ما خطبکما قالتا أبونا شیخ کبیر-و نحن جاریتان ضعیفتان لا نقدر أن نزاحم الرجال-فإذا سقی الناس سقینا فرحمهما فأخذ دلوهما فقال لهما:قدما غنمکما فسقی لهما ثم رجعتا بکره قبل الناس.

ثم تولی موسی إلی الشجره فجلس تحتها-و قال:« رَبِّ إِنِّی لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ »فروی أنه قال ذلک و هو محتاج إلی شق تمره-فلما رجعتا إلی أبیهما-قال:ما أعجلکما فی هذه الساعه-قالتا:وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقی لنا.فقال لإحداهما اذهبی-فادعیه لی فجاءته إحداهما تمشی علی استحیاء-قالت: إِنَّ أَبِی یَدْعُوکَ لِیَجْزِیَکَ أَجْرَ مٰا سَقَیْتَ لَنٰا .

فروی أن موسی(ع)قال لها:وجهنی إلی الطریق و امشی خلفی-فإنا بنی یعقوب لا ننظر فی أعجاز النساء،فلما جاءه و قص علیه القصص-قال: لاٰ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِینَ .

قال: إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هٰاتَیْنِ-عَلیٰ أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمٰانِیَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ -فروی أنه قضی أتمهما-لأن الأنبیاء(ع)لا تأخذ إلا بالفضل و التمام.

أقول:و روی ما فی معناه القمی فی تفسیره.

و فی الکافی،عن علی بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی عمیر عمن ذکره عن أبی عبد الله (ع): فی قول الله عز و جل حکایه عن موسی(ع):« رَبِّ إِنِّی لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ »قال:سأل الطعام.

أقول:

و روی العیاشی عن حفص عنه(ع):مثله،و لفظه إنما عنی الطعام:

و أیضا عن لیث عن أبی جعفر(ع)مثله ،

و فی نهج البلاغه،:مثله و لفظه و الله ما سأله إلا خبزا یأکله.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن أنس بن مالک قال:قال رسول الله ص: لما سقی موسی للجاریتین ثم تولی إلی الظل-فقال: رَبِّ إِنِّی لِمٰا أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ -قال:إنه یومئذ فقیر إلی کف من تمر.

و فی تفسیر القمی،قال": قالت إحدی بنات شعیب: یٰا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَیْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِیُّ الْأَمِینُ ،فقال لها شعیب(ع):أما قوته فقد عرفتنیه أنه یستقی الدلو وحده-فبم عرفت أمانته؟فقالت:إنه لما قال لی:تأخری عنی و دلینی علی الطریق-فإنا من قوم لا ینظرون فی أدبار النساء-عرفت أنه لیس من الذین ینظرون أعجاز النساء فهذه أمانته:

أقول:و روی مثله فی المجمع،عن علی(ع) .

و فی المجمع،و روی الحسن بن سعید عن صفوان عن أبی عبد الله(ع)قال: رسائل أیتهما التی قالت:إن أبی یدعوک؟قال:التی تزوج بها.قیل:فأی الأجلین قضی؟ قال:أوفاهما و أبعدهما عشر سنین.قیل:فدخل بها قبل أن یمضی الشرط أو بعد انقضائه؟قال:قبل أن ینقضی.قیل له:فالرجل یتزوج المرأه و یشترط لأبیها إجاره شهرین أ یجوز ذلک؟قال:إن موسی علم أنه سیتم له شرطه.قیل:کیف؟ قال:علم أنه سیبقی حتی یفی.

أقول:و روی قضاء عشر سنین فی الدر المنثور،عن النبی ص بعده طرق.

و فی تفسیر العیاشی،و قال الحلبی: سئل أبو عبد الله(ع)عن البیت-أ کان یحج قبل أن یبعث النبی ص؟قال:نعم-و تصدیقه فی القرآن قول شعیب-حین قال لموسی(ع)حیث تزوج:« عَلیٰ أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمٰانِیَ حِجَجٍ »و لم یقل ثمانی سنین.

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۲۹ الی ۴۲]

اشاره

فَلَمّا قَضی مُوسَی اَلْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ اَلطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ اُمْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَهٍ مِنَ اَلنّارِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (۲۹) فَلَمّا أَتاها نُودِیَ مِنْ شاطِئِ اَلْوادِ اَلْأَیْمَنِ فِی اَلْبُقْعَهِ اَلْمُبارَکَهِ مِنَ اَلشَّجَرَهِ أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اَللّهُ رَبُّ اَلْعالَمِینَ (۳۰) وَ أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلّی مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسی أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ اَلْآمِنِینَ (۳۱) اُسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ وَ اُضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ اَلرَّهْبِ فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ (۳۲) قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ (۳۳) وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ (۳۴) قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا یَصِلُونَ إِلَیْکُما بِآیاتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اِتَّبَعَکُمَا اَلْغالِبُونَ (۳۵) فَلَمّا جاءَهُمْ مُوسی بِآیاتِنا بَیِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلاّ سِحْرٌ مُفْتَریً وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِی آبائِنَا اَلْأَوَّلِینَ (۳۶) وَ قالَ مُوسی رَبِّی أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدی مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَکُونُ لَهُ عاقِبَهُ اَلدّارِ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ اَلظّالِمُونَ (۳۷) وَ قالَ فِرْعَوْنُ یا أَیُّهَا اَلْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرِی فَأَوْقِدْ لِی یا هامانُ عَلَی اَلطِّینِ فَاجْعَلْ لِی صَرْحاً لَعَلِّی أَطَّلِعُ إِلی إِلهِ مُوسی وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ مِنَ اَلْکاذِبِینَ (۳۸) وَ اِسْتَکْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِی اَلْأَرْضِ بِغَیْرِ اَلْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَیْنا لا یُرْجَعُونَ (۳۹) فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی اَلْیَمِّ فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ اَلظّالِمِینَ (۴۰) وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی اَلنّارِ وَ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ لا یُنْصَرُونَ (۴۱) وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هذِهِ اَلدُّنْیا لَعْنَهً وَ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ هُمْ مِنَ اَلْمَقْبُوحِینَ (۴۲)

ص: ۳۰

(بيان)

فصل آخر من قصه موسى(ع)و قد أودع فيه إجمال قصته من حين سار بأهله من مدين قاصدا لمصر و بعثته بالرساله إلى فرعون و ملئه لإنجاء بنى إسرائيل و تكذيبهم له إلى أن أغرقهم الله فى اليم و تنتهى القصه إلى إيتائه الكتاب و كأنه هو العمده فى سرد القصه.

قوله تعالى:« فَلَمّا قَضىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً » إلخ،المراد بقضائه الأجل إتمامه مده خدمته لشعيب(ع)و المروى أنه قضى أطول الأجلين،و الإيناس الإبصار و الرؤيه،و الجذوه من النار القطعه منها،و الاصطلاء الاستدفاء.

و السياق يشهد أن الأمر كان بالليل و كانت ليله شديده البرد و قد ضلوا الطريق فرأى من جانب الطور و قد أشرفوا عليه نارا فأمر أهله أن يمكثوا ليذهب إلى ما آنسه لعله يجد هناك من يخبره بالطريق أو يأخذ قطعه من النار فيصطلوا بها،و قد وقع فى القصه من سوره طه موضع قوله:« لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ »إلخ قوله: «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النّارِ هُدىً» طه:١٠،و هو أدل على كونهم ضلوا الطريق.

و كذا فى قوله خطابا لأهله:« اُمْكُثُوا »إلخ،شهاده على أنه كان معها من يصح

ص :٣١

معه خطاب (۱)الجمع.

قوله تعالى:« فَلَمّٰا أَتٰاهٰا نُودِیَ مِنْ شٰاطِئِ الْوٰادِ الْأَیْمَنِ فِی الْبُقْعَهِ الْمُبٰارَکَهِ مِنَ الشَّجَرَهِ »إلخ قال فی المفردات:، شاطئ الوادی جانبه،و قال:أصل الوادی الموضع الذی یسیل منه الماء و منه سمی المنفرج بین الجبلین وادیا و جمعه أودیه انتهی و البقعه القطعه من الأرض علی غیر هیئه التی إلی جنبها.

و المراد بالأیمن الجانب الأیمن مقابل الأیسر و هو صفه الشاطئ و لا یعبأ بما قاله بعضهم:إن الأیمن من الیمین مقابل الأشأم من الشؤم.

و البقعه المبارکه قطعه خاصه من الشاطئ الأیمن فی الوادی کانت فیه الشجره التی نودی منها،و مبارکتها لتشرفها بالتقریب و التکلیم الإلهی و قد أمر بخلع نعلیه فیها لتقدسها کما قال تعالی فی القصه من سوره طه: «فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُویً» :طه:۱۲.

و لا ریب فی دلاله الآیه علی أن الشجره کانت مبدءا للنداء و التکلیم بوجه غیر أن الکلام و هو کلام الله سبحانه لم یکن قائما بها کقیام الکلام بالمتکلم منا فلم تکن إلا حجابا احتجب سبحانه به فکلمه من ورائه بما یلیق بساحه قدسه من معنی الاحتجاب و هو علی کل شیء محیط،قال تعالی: «وَ مٰا کٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُکَلِّمَهُ اللّٰهُ إِلاّٰ وَحْیاً أَوْ مِنْ وَرٰاءِ حِجٰابٍ أَوْ یُرْسِلَ رَسُولاً فَیُوحِیَ بِإِذْنِهِ مٰا یَشٰاءُ» :الشوری:۵۱.

و من هنا یظهر ضعف ما قیل:إن الشجره کانت محل الکلام لأن الکلام عرض یحتاج إلی محل یقوم به.

و کذا ما قیل:إن هذا التکلیم أعلی منازل الأنبیاء(ع)أن یسمعوا کلام الله سبحانه من غیر واسطه و مبلغ.و ذلک أنه کان کلاما من وراء حجاب و الحجاب واسطه و ظاهر آیه الشوری المذکوره آنفا أن أعلی التکلیم هو الوحی من غیر واسطه حجاب أو رسول مبلغ.

۱- ۱) و فی التوراه الحاضره أنه حمل معه إلی مصر امرأته و بنیه(سفر الخروج الإصحاح الرابع آیه ۲۰).

و قوله:« أَنْ يٰا مُوسىٰ إِنِّى أَنَا اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ »أن فيه تفسيريه،و فيه إنباء عن الذات المتعاليه المسماه باسم الجلاله الموصوفه بوحدانيه الربوبيه النافيه لمطلق الشرك إذ كونه ربا للعالمين جميعا-و الرب هو المالك المدبر لملكه الذى يستحق العباده من مملوكيه-لا يدع شيئا من العالمين يكون مربوبا لغيره حتى يكون هناك رب غيره و إله معبود سواه.

ففى الآيه إجمال ما فصله فى سوره طه فى هذا الفصل من النداء من الإشاره إلى الأصول الثلاثه أعنى التوحيد و النبوه و المعاد إذ قال: «إِنَّنِى أَنَا اللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدْنِى وَ أَقِمِ الصَّلاٰةَ لِذِكْرِى إِنَّ السّٰاعَةَ آتِيَةٌ» XالآياتX:طه:۱۴-۱۶.

قوله تعالى:« وَ أَنْ أَلْقِ عَصٰاكَ فَلَمّٰا رَآهٰا تَهْتَزُّ كَأَنَّهٰا جَانٌّ وَلّٰى:مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ » تقدم تفسيره فى سوره النمل.

قوله تعالى:« يٰا مُوسىٰ أَقْبِلْ وَ لاٰ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ »بتقدير القول أى قيل له:أقبل و لا تخف إنك من الآمنين،و فى هذا الخطاب تأمين له،و به يظهر معنى قوله فى هذا الموضع من القصه فى سوره النمل: «يٰا مُوسىٰ لاٰ تَخَفْ إِنِّى لاٰ يَخٰافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ» :النمل:۱۰ و أنه تأمين معناه أنك مرسل و المرسلون آمنون لدى و ليس من العتاب و التوبيخ فى شىء.

قوله تعالى:« اُسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضٰاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ »المراد بسلوك يده فى جيبه إدخاله فيه،و المراد بالسوء-على ما قيل-البرص.

و الظاهر أن فى هذا التقييد تعريضا لما فى التوراه الحاضره فى هذا (۱)الموضع من القصه:ثم قال له الرب أيضا:أدخل يدك فى عبك فأدخل يده فى عبه ثم أخرجها و إذا يده برصاء مثل الثلج.

قوله تعالى:« وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنٰاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ »إلى آخر الآيه، الرهب بالفتح فالسكون و بفتحتين و بالضم فالسكون الخوف،و الجناح قيل:المراد به اليد و قيل:العضد.

۱- ۱) سفر الخروج الإصحاح الرابع آيه ۶.

قیل:المراد بضم الجناح إلیه من الرهب أن یجمع یدیه علی صدره إذا عرضه الخوف عند مشاهده انقلاب العصا حیه لیذهب ما فی قلبه من الخوف.

و قیل:إنه لما ألقی العصا و صارت حیه بسط یدیه کالمتقی و هما جناحاه فقیل له:اضمم إلیک جناحک أی لا تبسط یدیک خوف الحیه فإنک آمن من ضررها.

و الوجهان-کما تری-مبنیان علی کون الجمله أعنی قوله:« وَ اضْمُمْ »إلخ،من تتمه قوله:« أَقْبِلْ وَ لاٰ تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِینَ »و هذا لا یلائم تخلل قوله:« اُسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ »إلخ،بین الجملتین بالفصل من غیر عطف.

و قیل:الجمله کنایه عن الأمر بالعزم علی ما أراده الله سبحانه منه و الحث علی الجد فی أمر الرساله لئلا یمنعه ما یغشاه من الخوف فی بعض الأحوال.

و لا یبعد أن یکون المراد بالجمله الأمر بأن یأخذ لنفسه سیماء الخاشع المتواضع فإن من دأب المتکبر المعجب بنفسه أن یفرج بین عضدیه و جنبیه کالمتمطی فی مشیته فیکون فی معنی ما أمر الله به النبی ص من التواضع للمؤمنین بقوله: «وَ اخْفِضْ جَنٰاحَکَ لِلْمُؤْمِنِینَ» :الحجر:۸۸ علی بعض المعانی.

قوله تعالی:« قٰالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخٰافُ أَنْ یَقْتُلُونِ »إشاره إلی قتله القبطی بالوکز و کان یخاف أن یقتلوه قصاصا.

قوله تعالی:« وَ أَخِی هٰارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِسٰاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخٰافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ »قال فی المجمع:،یقال:فلان ردء لفلان إذا کان ینصره و یشد ظهره.انتهی.

و قوله:« إِنِّی أَخٰافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ »تعلیل لسؤاله إرسال هارون معه، و السیاق یدل علی أنه کان یخاف أن یکذبوه فیغضب و لا یستطیع بیان حجته للکنه کانت فی لسانه لا أنه سأل إرساله لئلا یکذبوه فإن من یکذبه لا یبالی أن یکذب هارون معه و من الدلیل علی ذلک ما وقع فی سوره الشعراء فی هذا الموضع من القصه من قوله: «قٰالَ رَبِّ إِنِّی أَخٰافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ وَ یَضِیقُ صَدْرِی وَ لاٰ یَنْطَلِقُ لِسٰانِی فَأَرْسِلْ إِلیٰ هٰارُونَ» :الشعراء:۱۳.

فمحصل المعنی:أن أخی هارون هو أفصح منی لسانا فأرسله معینا لی یبین

صدقى فى دعواى إذا خاصمونى إنى أخاف أن يكذبون فلا أستطيع بيان صدق دعواى.

قوله تعالى:« قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ »شد عضده بأخيه كنايه عن تقويته به،و عدم الوصول إليهما كنايه عن عدم التسلط عليهما بالقتل و نحوه كأن الطائفتين يتسابقان و إحداهما متقدمه دائما و الأخرى لا تدركهم بالوصول إليهم فضلا أن يسبقوهم.

و المعنى:قال سنقويك و نعينك بأخيك هارون و نجعل لكما سلطه و غلبه عليهم فلا يتسلطون عليكما بسبب آياتنا التى نظهركما بها.ثم قال:« أَنْتُمَا وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ »و هو بيان لقوله:« وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً »إلخ،يوضح أن هذا السلطان يشملهما و من اتبعهما من الناس.

و قد ظهر بذلك أن السلطان بمعنى القهر و الغلبه و قيل:هو بمعنى الحجه و الأولى حينئذ أن يكون قوله:« بِآيَاتِنَا » متعلقا بقوله:« اَلْغَالِبُونَ »لا بقوله:« فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا »و قد ذكروا فى الآيه وجوها أخر لا جدوى فى التعرض لها.

قوله تعالى:« فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً »إلخ، أى سحر موصوف بأنه مفترى و المفترى اسم مفعول بمعنى المختلق أو مصدر ميمى وصف به السحر مبالغه.

و الإشاره فى قوله:« مَا هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً »إلى ما جاء به من الآيات أى ليس ما جاء به من الخوارق إلا سحرا مختلقا افتعله فنسبه إلى الله كذبا.

و الإشاره فى قوله:« وَ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »إلى ما جاء به من الدعوه و أقام عليها حجه الآيات،و أما احتمال أن يراد بها الإشاره إلى الآيات فلا يلائمه تكرار اسم الإشاره على أنهم كانوا يدعون أنهم سيأتون بمثلها كما حكى الله عن فرعون فى قوله: «فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ» :طه:۵۸ على أن عدم معهوديه السحر و عدم مسبوقيته بالمثل لا ينفعهم شيئا حتى يدعوه.

فالمعنى:أن ما جاء به موسى دين مبتدع لم ينقل عن آبائنا الأولين أنهم اتخذوه فى وقت من الأوقات،و يناسبه ما حكى فى الآيه التاليه من قول موسى:« رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدىٰ »إلخ.

قوله تعالى:« وَ قٰالَ مُوسىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جٰاءَ بِالْهُدىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عٰاقِبَةُ الدّٰارِ »إلخ،مقتضى السياق كونه جوابا من موسى عن قولهم:« وَ مٰا سَمِعْنٰا بِهٰذٰا فِي آبٰائِنَا الْأَوَّلِينَ »فى رد دعوى موسى،و هو جواب مبنى على التحدى كأنه يقول:إن ربى-و هو رب العالمين له الخلق و الأمر-هو أعلم منكم بمن جاء بالهدى و من تكون له عاقبه الدار و هو الذى أرسلنى رسولا جائيا بالهدى-و هو دين التوحيد- و وعدنى أن من أخذ بدينى فله عاقبه الدار،و الحجه على ذلك الآيات البينات التى آتانيها من عنده.

فقوله:« رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جٰاءَ بِالْهُدىٰ مِنْ عِنْدِهِ »يريد به نفسه و المراد بالهدى الدعوه الدينيه التى جاء بها.

و قوله:« وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عٰاقِبَةُ الدّٰارِ »المراد بعاقبه الدار إما الجنه التى هى الدار الآخره التى يسكنها السعداء كما قال تعالى حكايه عنهم: «وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشٰاءُ» :الزمر:۷۴ و إما عاقبه الدار الدنيا كما فى قوله: «قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهٰا مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ الْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» :الأعراف:۱۲۸ و إما الأعم الشامل للدنيا و الآخره،و الثالث أحسن الوجوه ثم الثانى كما يؤيده تعليله بقوله:« إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ ».

و فى قوله:« إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ »تعريض لفرعون و قومه و فيه نفى أن تكون لهم عاقبه الدار فإنهم بنوا سنه الحياه على الظلم و فيه انحراف عن العداله الاجتماعيه التى تهدى إليها فطره الإنسان الموافقه للنظام الكونى.

قال بعض المفسرين:و الوجه فى عطف قوله:« وَ قٰالَ مُوسىٰ رَبِّي أَعْلَمُ »إلخ، على قولهم:« مٰا هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُفْتَرىً »إلخ حكايه القولين ليوازن السامع بينهما ليميز صحيحهما من الفاسد.انتهى.و ما قدمناه من كون قول موسى(ع)مسوقا لرد قولهم أوفق للسياق.

قوله تعالى:« وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ يٰا أَيُّهَا الْمَلَأُ مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي »إلى آخر الآيه،فيه تعريض لموسى بما جاء به من الدعوه الحقه المؤيده بالآيات المعجزه يريد أنه لم يتبين له حقيه ما يدعو إليه موسى و لا كون ما أتى به من الخوارق آيات معجزه من

عند الله و أنه ما علم لهم من إله غيره.

فقوله:« مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِی »سوق للكلام فی صوره الإنصاف ليقع فی قلوب الملأ موقع القبول كما هو ظاهر قوله المحكی فی موضع آخر: «مَا أُرِيكُمْ إِلاّٰ مٰا أَرىٰ وَ مٰا أَهْدِيكُمْ إِلاّٰ سَبِيلَ الرَّشٰادِ» :المؤمن:۲۹.

فمحصل المعنی:أنه ظهر للملإ أنه لم يتضح له من دعوه موسی و آياته أن هناك إلها هو رب العالمين و لا حصل له علم بأن هناك إلها غيره ثم أمر هامان أن يبنی له صرحا لعله يطلع إلی إله موسی.

و بذلك يظهر أن قوله:« مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِی »من قبيل قصر القلب فقد كان موسی(ع)يثبت الألوهيه لله سبحانه و ينفيها عن غيره و هو ينفيها عنه تعالی و يثبتها لنفسه،و أما سائر الآلهه التی كان يعبدها هو و قومه فلا تعرض لها.

و قوله:« فَأَوْقِدْ لِی يٰا هٰامٰانُ عَلَی الطِّينِ فَاجْعَلْ لِی صَرْحاً »المراد بالإيقاد علی الطين تأجيج النار عليه لصنعه الأجر المستعمل فی الأبنيه،و الصرح البناء العالی المكشوف من صرح الشیء إذا ظهر ففی الجمله أمر باتخاذ الأجر و بناء قصر عال منه.

و قوله:« لَعَلِّی أَطَّلِعُ إِلیٰ إِلٰهِ مُوسیٰ »نسب الإله إلی موسی بعنايه أنه هو الذی يدعو إليه،و الكلام من وضع النتيجه موضع المقدمه و التقدير:اجعل لی صرحا أصعد إلی أعلی درجاته فأنظر إلی السماء لعلی أطلع إلی إله موسی كأنه كان يری أنه تعالی جسم ساكن فی بعض طبقات الجو أو الأفلاك فكان يرجو إذا نظر من أعلی الصرح أن يطلع إليه أو كان هذا القول من قبيل التعميه علی الناس و إضلالهم.

و يمكن أن يكون المراد أن يبنی له رصدا يترصد الكواكب فيری هل فيها ما يدل علی بعثه رسول أو حقيه ما يصفه موسی(ع)،و يؤيد هذا قوله علی ما حكی فی موضع آخر: «يٰا هٰامٰانُ ابْنِ لِی صَرْحاً لَعَلِّی أَبْلُغُ الْأَسْبٰابَ أَسْبٰابَ السَّمٰاوٰاتِ فَأَطَّلِعَ إِلیٰ إِلٰهِ مُوسیٰ وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ كٰاذِباً» :المؤمن:۳۷.

و قوله:« وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰاذِبِينَ »ترق منه من الجهل الذی يدل عليه قوله:

« مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِی »إلی الظن بعدم الوجود و قد كان كاذبا فی قوله هذا و لا يقوله إلا تمويها و تعميه علی الناس و قد خاطبه موسی بقوله: «لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا أَنْزَلَ

هٰؤُلاٰءِ إِلاّ رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ» :إسراء:١٠٢.

و ذكر بعضهم أن قوله:« مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي »من قبيل نفى المعلوم بنفى العلم فيما لو كان لبان فيكون نظير قوله: «قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللّٰهَ بِمٰا لاٰ يَعْلَمُ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِي الْأَرْضِ» :يونس:١٨ و أنت خبير بأنه لا يلائم ذيل الآيه.

قوله تعالى:« وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنٰا لاٰ يُرْجَعُونَ » أى كانت حالهم حال من يترجح عنده عدم الرجوع و ذلك أنهم كانوا موقنين فى أنفسهم كما قال تعالى:« وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اسْتَيْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا ».

قوله تعالى:« فَأَخَذْنٰاهُ وَ جُنُودَهُ »إلخ النبذ الطرح،و اليم البحر و الباقى ظاهر.

و فى الآيه من الاستهانه بأمرهم و تهويل العذاب الواقع بهم ما لا يخفى.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّٰارِ وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ لاٰ يُنْصَرُونَ »الدعوه إلى النار هى الدعوه إلى ما يستوجب النار من الكفر و المعاصى لكونها هى التى تتصور لهم يوم القيامه نارا يعذبون فيها أو المراد بالنار ما يستوجبها مجازا من باب إطلاق المسبب و إراده سببه.

و معنى جعلهم أئمه يدعون إلى النار،تصييرهم سابقين فى الضلال يقتدى بهم اللاحقون و لا ضير فيه لكونه بعنوان المجازاه على سبقهم فى الكفر و الجحود و ليس من الإضلال الابتدائى فى شىء.

و قيل:المراد بجعلهم أئمه يدعون إلى النار تسميتهم بذلك على حد قوله:

«وَ جَعَلُوا الْمَلاٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبٰادُ الرَّحْمٰنِ إِنٰاثاً» :الزخرف:١٩.

و فيه أن الآيه التاليه على ما سيجىء من معناها لا تلائمه.على أن كون الجعل فى الآيه المستشهد بها بمعنى التسميه غير مسلم.

و قوله:« وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ لاٰ يُنْصَرُونَ »أى لا تنالهم شفاعه من ناصر.

قوله تعالى:« وَ أَتْبَعْنٰاهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيٰا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ »بيان للازم ما وصفهم به فى الآيه السابقه فهم لكونهم أئمه يقتدى بهم من خلفهم فى الكفر و المعاصى لا يزال يتبعهم ضلال الكفر و المعاصى من مقتديهم و متبعيهم و عليهم من الأوزار مثل ما للمتبعين فيتبعهم لعن مستمر باستمرار الكفر و المعاصى بعدهم.

فالآیه فی معنی قوله: «وَ لَیَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ» :العنکبوت:۱۳ و قوله: «وَ نَکْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ» ، :یس:۱۲ و تنکیر اللعنه للدلاله علی تفخیمها و استمرارها.

و کذا لما لم ینلهم یوم القیامه نصر ناصر کانوا بحیث یتنفر و یشمئز عنهم النفوس و یفر منهم الناس و لا یدنو منهم أحد و هو معنی القبح و قد وصف الله تعالی من قبح منظرهم شیئا کثیرا فی کلامه.

(بحث روائی)

فی المجمع،روی الواحدی بالإسناد عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ص أی الأجلین قضی موسی؟قال:أوفاهما و أبطأهما.

أقول:و روی ما فی معناه بالإسناد عن أبی ذر عنه(ص).

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن مقسم قال: لقیت الحسن بن علی بن أبی طالب رض-فقلت له:أی الأجلین قضی موسی؟الأول أو الآخر؟ قال:الآخر.

و فی المجمع،روی أبو بصیر عن أبی جعفر(ع)قال: لما قضی موسی الأجل و سار بأهله نحو البیت أخطأ الطریق فرأی نارا« قٰالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً ».

و عن کتاب طب الأئمه،بإسناده عن جابر الجعفی عن الباقر(ع)فی حدیث قال: و قال الله عز و جل فی قصه موسی(ع):« وَ أَدْخِلْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضٰاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ »یعنی من غیر برص.

و فی تفسیر القمی،: فی قوله تعالی:« وَ أَخِی هٰارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِسٰاناً-فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی »قال الراوی:فقلت لأبی جعفر(ع):فکم مکث موسی (ع)غائبا عن أمه-حتی رده الله عز و جل علیها؟قال:ثلاثه أیام.

قال:فقلت:فکان هارون أخا موسی(ع)لأبیه و أمه؟قال:نعم أ ما تسمع الله عز و جل یقول:« یَا بْنَ أُمَّ لاٰ تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لاٰ بِرَأْسِی »؟فقلت:

فأيهما كان أكثر سنا؟قال:هارون.قلت:فكان الوحى ينزل عليهما جميعا؟قال:

كان الوحى ينزل على موسى و موسى يوحيه إلى هارون-.

فقلت له:أخبرنى عن الأحكام و القضاء و الأمر و النهى-كان ذلك إليهما؟قال:

كان موسى الذى يناجى ربه و يكتب العلم-و يقضى بين بنى إسرائيل-و هارون يخلفه إذا غاب من قومه للمناجاه.قلت:فأيهما مات قبل صاحبه؟قال:مات هارون قبل موسى و ماتا جميعا فى التيه.قلت:فكان لموسى ولد؟قال:لا كان الولد لهارون و الذريه له.

أقول:و آخر الروايه لا يوافق روايات أخر تدل على أنه كان له ولد،و فى التوراه الحاضره أيضا دلاله على ذلك.

فى جوامع الجامع،: فى قوله تعالى:« وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ »قال(ع)فيما حكاه عن ربه عز و جل:الكبرياء ردائى و العظمه إزارى-فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى النار.

و فى الكافى،بإسناده عن طلحه بن زيد عن أبى عبد الله(ع)قال: قال:إن الأئمه فى كتاب الله عز و جل إمامان-قال الله تبارك و تعالى:« وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا »لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم و حكم الله قبل حكمهم.قال:

« وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّٰارِ »يقدمون أمرهم قبل أمر الله-و حكمهم قبل حكم الله و-يأخذون بأهوائهم خلاف ما فى كتاب الله عز و جل.

(كلام حول قصص موسى و هارون(ع)) فى فصول

۱-منزله موسى عند الله و موقفه العبودى:

كان(ع)أحد الخمسه أولى العزم الذين هم ساده الأنبياء و لهم كتاب و شريعه كما خصهم الله تعالى بالذكر فى قوله:

«وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثٰاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنٰا مِنْهُمْ مِيثٰاقاً غَلِيظاً» :الأحزاب:۷،و قال: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ وَ مٰا وَصَّيْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ» :الشورى:۱۳

و لقد امتن الله سبحانه عليه و على أخيه فى قوله: «وَ لَقَدْ مَنَنّا عَلىٰ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ» :الصافات:۱۱۴ و سلم عليهما فى قوله: «سَلاٰمٌ عَلىٰ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ» :الصافات:۱۲۰.

و أثنى على موسى(ع)بأجمل الثناء فى قوله: «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتٰابِ مُوسىٰ إِنَّهُ كٰانَ مُخْلَصاً وَ كٰانَ رَسُولاً نَبِيًّا وَ نٰادَيْنٰاهُ مِنْ جٰانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنٰاهُ نَجِيًّا» :مريم:

۵۲ و قال: «وَ كٰانَ عِنْدَ اللّٰهِ وَجِيهاً» :الأحزاب:۶۹ و قال: «وَ كَلَّمَ اللّٰهُ مُوسىٰ تَكْلِيماً» :النساء:۱۶۴.

و ذكره فى جمله من ذكرهم من الأنبياء فى سوره الأنعام الآيه ۸۴-۸۸ فأخبر أنهم كانوا محسنين صالحين و أنه فضلهم على العالمين و اجتباهم و هداهم إلى صراط مستقيم.و ذكره فى جمله الأنبياء فى سوره مريم ثم ذكر فى الآيه ۵۸ منها أنهم الذين أنعم الله عليهم.

فاجتمع بذلك له(ع)معنى الإخلاص و التقريب و الوجاهه و الإحسان و الصلاح و التفضيل و الاجتباء و الهدايه و الإنعام و قد مر البحث عن معانى هذه الصفات فى مواضع تناسبها من هذا الكتاب و كذا البحث عن معنى النبوه و الرساله و التكليم.

و ذكر الكتاب النازل عليه و هو التوراه فوصفها بأنها إمام و رحمه(سوره الأحقاف:۱۲)و بأنها فرقان و ضياء و ذكر:(الأنبياء:۴۸)و بأن فيها هدى و نور :(المائده:۴۴)و قال: «وَ كَتَبْنٰا لَهُ فِي الْأَلْوٰاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ» :الأعراف:۱۴۵.

غير أنه تعالى ذكر فى مواضع من كلامه أنهم حرفوها و اختلفوا فيها.و قصه بخت نصر و فتحه فلسطين ثانيا و هدمه الهيكل و إحراقه التوراه و حشره اليهود إلى بابل سنه خمسمائه و ثمان و ثمانين قبل المسيح ثم فتح كورش الملك بابل سنه خمسمائه و ثمان و ثلاثين قبل المسيح و إذنه لليهود أن يرجعوا إلى فلسطين ثانيا و كتابه عزراء الكاهن التوراه لهم معروف فى التواريخ و قد تقدمت الإشاره إليه فى الجزء الثالث من الكتاب فى قصص المسيح(ع).

۲-قصص موسى(ع)فى القرآن:

هو(ع)أكثر الأنبياء ذكرا فى

القرآن الكريم فقد ذكر اسمه-على ما عدوه-فى مائه و سته و ستين موضعا من كلامه تعالى،و أشير إلى قصته إجمالا أو تفصيلا فى أربع و ثلاثين سوره من سور القرآن، و قد اختص من بين الأنبياء بكثره المعجزات،و قد ذكر فى القرآن شىء كثير من معجزاته الباهره كصيروره عصاه ثعبانا،و اليد البيضاء،و الطوفان،و الجراد، و القمل،و الضفادع،و الدم،و فلق البحر،و إنزال المن و السلوى،و انبجاس العيون من الحجر بضرب العصا،و إحياء الموتى،و رفع الطور فوق القوم و غير ذلك.

و قد ورد فى كلامه تعالى طرف من قصصه(ع)من دون استيفائها فى كل ما دق و جل بل بالاقتصار على فصول منها يهم ذكرها لغرض الهدايه و الإرشاد على ما هو دأب القرآن الكريم فى الإشاره إلى قصص الأنبياء و أممهم.

و هذه الفصول التى فيها كليات قصصه هى أنه تولد بمصر فى بيت إسرائيلى حينما كانوا يذبحون المواليد الذكور من بنى إسرائيل بأمر فرعون و جعلت أمه إياه فى تابوت و ألقته فى البحر و أخذ فرعون إياه ثم رده إلى أمه للإرضاع و التربيه و نشأ فى بيت فرعون.

ثم بلغ أشده و قتل القبطى و هرب من مصر إلى مدين خوفا من فرعون و ملئه أن يقتلوه قصاصا.

ثم مكث فى مدين عند شعيب النبى(ع)و تزوج إحدى بنتيه.

ثم لما قضى موسى الأجل و سار بأهله آنس من جانب الطور نارا و قد ضلوا الطريق فى ليله شاتيه فأوقفهم مكانهم و ذهب إلى النار ليأتيهم بقبس أو يجد على النار هدى فلما أتاها ناداه الله من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعه المباركه من الشجره و كلمه و اجتباه و آتاه معجزه العصا و اليد البيضاء فى تسع آيات و اختاره للرساله إلى فرعون و ملئه و إنجاء بنى إسرائيل و أمره بالذهاب إليه.

فأتى فرعون و دعاه إلى كلمه الحق و أن يرسل معه بنى إسرائيل و لا يعذبهم و أراه آيه العصا و اليد البيضاء فأبى و عارضه بسحر السحره و قد جاءوا بسحر عظيم من ثعابين و حيات فألقى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحره ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى و هارون و أصر فرعون على جحوده و هدد السحره و لم يؤمن.

فلم يزل موسی(ع)يدعوه و ملأه و يريهم الآيه بعد الآيه كالطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم آيات مفصلات و هم يصرون على استكبارهم،و كلما وقع عليهم الرجز قالوا:يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك و لنرسلن معك بنى إسرائيل فلما كشف الله عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون.

فأمره الله أن يسرى بنى إسرائيل ليلا-فساروا حتى بلغوا ساحل البحر فعقبهم فرعون بجنوده فلما تراءى الفريقان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين فأمر بأن يضرب بعصاه البحر فانفلق الماء فجاوزوا البحر و اتبعهم فرعون و جنوده حتى إذا اداركوا فيها جميعا أطبق الله عليهم الماء فأغرقهم عن آخرهم.

و لما أنجاهم الله من فرعون و جنوده و أخرجهم إلى البر و لا-ماء فيه و لا كلاء أكرمهم الله فأنزل عليهم المن و السلوى و أمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتا عشره عينا قد علم كل أناس مشربهم فشربوا منها و أكلوا منهما و ظللهم الغمام.

ثم واعد الله موسى أربعين ليله لنزول التوراه بجبل الطور فاختار قومه سبعين رجلا ليسمعوا تكليمه تعالى إياه فسمعوا ثم قالوا:لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقه و هم ينظرون ثم أحياهم الله بدعوه موسى،و لما تم الميقات أنزل الله عليه التوراه و أخبره أن السامرى قد أضل قومه بعده فعبدوا العجل.

فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فأحرق العجل و نسفه فى اليم و طرد السامرى و قال له:اذهب فإن لك فى الحياه أن تقول لا مساس و أما القوم فأمروا أن يتوبوا و يقتلوا أنفسهم فتيب عليهم بعد ذلک ثم استكبروا عن قبول شريعه التوراه حتى رفع الله الطور فوقهم.

ثم إنهم ملوا المن و السلوى و قالوا لن نصبر على طعام واحد و سألوه أن يدعو ربه أن يخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها و قثائها و فومها و عدسها و بصلها فأمروا أن يدخلوا الأرض المقدسه التى كتب الله لهم فأبوا فحرمها الله عليهم و ابتلاهم بالتيه يتيهون فى الأرض أربعين سنه.

و من قصص موسى(ع)ما ذكره الله فى سوره الكهف من مضيه مع فتاه إلى

مجمع البحرين للقاء العبد الصالح و صحبته حتی فارقه.

۳-منزله هارون(ع)عند الله و موقفه العبودی:

أشرکه الله تعالی مع موسی(ع)فی سوره الصافات فی المن و إیتاء الکتاب و الهدایه إلی الصراط المستقیم و فی التسلیم و أنه من المحسنین و من عباده المؤمنین(الصافات:۱۱۴-۱۲۲) و عده مرسلا(طه:۴۷)و نبیا(مریم:۵۳)و أنه ممن أنعم علیهم(مریم:۵۸) و أشرکه مع من عدهم من الأنبیاء فی سوره الأنعام فی صفاتهم الجمیله من الإحسان و الصلاح و الفضل و الاجتباء و الهدایه(الإنعام:۸۴-۸۸).

و فی دعاء موسی لیله الطور: «وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی هٰارُونَ أَخِی اشْدُدْ بِهِ أَزْرِی وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً إِنَّکَ کُنْتَ بِنٰا بَصِیراً» :طه:۳۵.

و کان(ع)ملازما لأخیه فی جمیع مواقفه یشارکه فی عامه أمره و یعینه علی جمیع مقاصده.

و لم یرد فی القرآن الکریم مما یختص به من القصص إلا خلافته لأخیه حین غاب عن القوم للمیقات و قال لأخیه هارون اخلفنی فی قومی و أصلح و لا تتبع سبیل المفسدین و لما رجع موسی إلی قومه غضبان أسفا و قد عبدوا العجل ألقی الألواح و أخذ برأس أخیه یجره إلیه قال ابن أم إن القول استضعفونی و کادوا یقتلوننی فلا تشمت بی الأعداء و لا تجعلنی مع القوم الظالمین قال رب اغفر لی و لأخی و أدخلنا فی رحمتک و أنت أرحم الراحمین.

۴-قصه موسی(ع)

فی التوراه الحاضره:قصصه(ع)موضوعه فیما عدا السفر الأول من أسفار التوراه الخمسه و هی:سفر الخروج و سفر اللاویین و سفر العدد و سفر التثنیه تذکر فیها تفاصیل قصصه(ع)من حین ولادته إلی حین وفاته و ما أوحی إلیه من الشرائع و الأحکام.

غیر أن فیها اختلافات فی سرد القصه مع القرآن فی أمور غیر یسیره.

و من أهمها أنها تذکر أن نداء موسی و تکلیمه من الشجره کان فی أرض مدین

قبل أن يسير بأهله و ذلك حين كان يرعى غنم يثرون (۱)حميه كاهن مديان فساق الغنم إلى وراء البريه و جاء إلى جبل الله حوريب و ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقه فناداه الله و كلمه بما كلمه و أرسله إلى فرعون لإنجاء بنى إسرائيل. (۲)

و منها ما ذكرت أن فرعون الذى أرسل إليه موسى غير فرعون الذى أخذ موسى و رباه ثم هرب منه موسى لما قتل القبطى خوفا من القصاص. (۳)

و منها أنها لم تذكر إيمان السحره لما ألقوا عصيهم فصارت حيات فتلقفتها عصا موسى بل تذكر أنهم كانوا عند فرعون و عارضوا موسى فى آيتى الدم و الضفادع فأتوا بسحرهم مثل ما أتى به موسى(ع)معجزه. (۴)

و منها أنها تذكر أن الذى صنع لهم العجل فعبدوه هو هارون النبى أخو موسى (ع)و ذلك أنه لما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون و قالوا له:قم اصنع لنا آلهه تسير إمامنا لأن هذا(موسى)الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ما ذا أصابه؟فقال لهم هارون:انزعوا أقراط الشعب التى فى آذان نسائكم و بنيكم و بناتكم و أتونى بها.

فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم و أتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم و صوره بالإزميل فصبغه عجلا مسبوكا فقالوا أ هذه آلهتک يا إسرائيل التى أصعدتک من أرض مصر. (۵)

و فى الآيات القرآنيه تعريضات للتوراه فى هذه المواضع من قصصه(ع)غير خفيه على المتدبر فيها.

و هناک اختلافات جزئيه کثيره کما وقع فى التوراه فى قصه قتل القبطى أن

۱- ۱) تسمى التوراه أبا زوجه موسى يثرون كاهن مديان.

۲- ۲) الإصحاح الثالثه من سفر الخروج.

۳- ۳) سفر الخروج،الإصحاح الثانى.الآيه ۲۳.

۴- ۴) الإصحاح السابع و الثامن من سفر الخروج.

۵- ۵) الإصحاح الثانى و الثلاثون من سفر الخروج.

المتضاربين ثانيا كانا جميعا إسرائيليين. (۱)

و أيضا وقع فيها أن الذى ألقى العصا فتلقفت حيات السحره هو هارون ألقاها بأمر موسى. (۲)

و أيضا لم تذكر فيها قصه انتخاب السبعين رجلا للميقات و نزول الصاعقه عليهم و إحياءهم بعده.

و أيضا فيها أن الألواح التى كانت مع موسى لما نزل من الجبل و ألقاها كانت لوحين من حجر و هما لوحا الشهاده (۳).إلى غير ذلك من الاختلافات.

[سوره القصص (۲۸): الآيات ۴۳ الى ۵۶]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى اَلْكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا اَلْقُرُونَ اَلْأُولى بَصائِرَ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۴۳) وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ اَلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى اَلْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ اَلشّاهِدِينَ (۴۴) وَ لكِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ اَلْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ لكِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ (۴۵) وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ اَلطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۴۶) وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۴۷) فَلَمّا جاءَهُمُ اَلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنّا بِكُلٍّ كافِرُونَ (۴۸) قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اَللّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۹) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اَللّهِ إِنَّ اَللّهَ لا يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلظّالِمِينَ (۵۰) وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ اَلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۵۱) اَلَّذِينَ آتَيْناهُمُ اَلْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (۵۲) وَ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ إِنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنّا كُنّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (۵۳) أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ اَلسَّيِّئَةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۵۴) وَ إِذا سَمِعُوا اَللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي اَلْجاهِلِينَ (۵۵) إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اَللّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۵۶)

۱- ۱) الإصحاح الثانى من سفر الخروج.

۲- ۲) الإصحاح السابع من سفر الخروج.

۳- ۳) الإصحاح الثانى من سفر الخروج.

(بیان)

سیاق الآیات یشهد أن المشرکین من قوم النبی ص راجعوا بعض أهل الکتاب و استفتوهم فی أمره(ص)و عرضوا علیهم بعض القرآن النازل علیه و هو

ص :۴۷

مصدق للتوراه فأجابوا بتصديقه و الإيمان بما يتضمنه القرآن من المعارف الحقه و أنهم كانوا يعرفونه بأوصافه قبل أن يبعث كما قال تعالى:« وَ إِذٰا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ قٰالُوا آمَنّٰا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنٰا إِنّٰا كُنّٰا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ».

فساء المشركين ذلك و شاجروهم و أغلظوا عليهم فى القول و قالوا:إن القرآن سحر و التوراه سحر مثله« سِحْرٰانِ تَظٰاهَرٰا »و« إِنّٰا بِكُلٍّ كٰافِرُونَ »فأعرض الكتابيون عنهم و قالوا: سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ لاٰ نَبْتَغِي الْجٰاهِلِينَ .

هذا ما يلوح إليه الآيات الكريمه بسياقها،و هو سبحانه لما ساق قصه موسى (ع)و أنبأ أنه كيف أظهر قوما مستضعفين معبدين معذبين يذبح أبناؤهم و تستحيى نساؤهم على قوم عالين مستكبرين طغاه مفسدين بوليد منهم رباه فى حجر عدوه الذى يذبح بأمره الألوف من أبنائهم ثم أخرجه لما نشأ من بينهم ثم بعثه و رده إليهم و أظهره عليهم حتى أغرقهم أجمعين و أنجى شعب إسرائيل فكانوا هم الوارثين.

عطف القول على الكتاب السماوى الذى هو المتضمن للدعوه و به تتم الحجه و هو الحامل للتذكره فذكر أنه أنزل التوراه على موسى(ع)فيه بصائر للناس و هدى و رحمه لعلهم يتذكرون فينتهون عن معصيه الله بعد ما أهلك القرون الأولى بمعاصيهم.

و كذا أنزل على النبى ص القرآن و قص عليه قصص موسى(ع)و لم يكن هو شاهدا لنزول التوراه عليه و لا حاضرا فى الطور لما ناداه و كلمه،و قص عليه ما جرى بين موسى و شعيب(ع)و لم يكن هو ثاويا فى مدين يتلو عليهم آياته و لكن أنزله و قص عليه ما قصه رحمه منه لينذر به قوما ما أتاهم من نذير من قبله لأنهم بسبب كفرهم و فسوقهم فى معرض نزول العذاب و أصابه المصيبه فلو لم ينزل الكتاب و لم يبلغ الدعوه لقالوا:ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتک و كانت الحجه لهم على الله سبحانه.

فلما جاءهم الحق من عنده ببعثه النبى ص و نزول القرآن قالوا: لَوْ لاٰ أُوتِيَ مِثْلَ مٰا أُوتِيَ مُوسىٰ أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمٰا أُوتِيَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ حين راجعوا أهل الكتاب فى أمره فصدقوه فقال المشركون: سِحْرٰانِ تَظٰاهَرٰا يعنون التوراه و القرآن،و قالوا إِنّٰا بِكُلٍّ كٰافِرُونَ .

ثم لقن سبحانه نبیه ص الحجه علیهم بقوله:« قُلْ فَأْتُوا بِکِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ هُوَ أَهْدیٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ »أی إن من الواجب فی حکمه الله أن یکون هناک کتاب نازل من عند الله یهدی إلی الحق و تتم به الحجه علی الناس و هم یعرفون فإن لم تکن التوراه و القرآن کتابی هدی و کافیین لهدایه الناس فهناک کتاب هو أهدی منهما و لیس کذلک إذ ما فی الکتابین من المعارف الحقه مؤیده بالإعجاز و بدلاله البراهین العقلیه.علی أنه لیس هناک کتاب سماوی هو أهدی منهما فالکتابان کتابا هدی و القوم فی الإعراض عنهما متبعون للهوی ضالون عن الصراط المستقیم و هو قوله:

« فَإِنْ لَمْ یَسْتَجِیبُوا لَکَ فَاعْلَمْ أَنَّمٰا یَتَّبِعُونَ أَهْوٰاءَهُمْ »إلخ.

ثم مدح سبحانه قوما من أهل الکتاب راجعهم المشرکون فی أمر النبی ص و القرآن فأظهروا لهم الإیمان و التصدیق و أعرضوا عن لغو القول الذی جبهوهم به.

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ آتَیْنٰا مُوسَی الْکِتٰابَ مِنْ بَعْدِ مٰا أَهْلَکْنَا الْقُرُونَ الْأُولیٰ بَصٰائِرَ لِلنّٰاسِ »إلخ اللام للقسم أی أقسم لقد أعطینا موسی الکتاب و هو التوراه بوحیه إلیه.

و قوله:« مِنْ بَعْدِ مٰا أَهْلَکْنَا الْقُرُونَ الْأُولیٰ »أی الأجیال السابقه علی نزول التوراه کقوم نوح و من بعدهم من الأمم الهالکه و لعل منهم قوم فرعون،و فی هذا التقیید إشاره إلی مسیس الحاجه حینئذ إلی نزول الکتاب لاندراس معالم الدین الإلهی بمضی الماضین و لیشار فی الکتاب الإلهی إلی قصصهم و حلول العذاب الإلهی بهم بسبب تکذیبهم لآیات الله لیعتبر به المعتبرون و یتذکر به المتذکرون.

و قوله:« بَصٰائِرَ لِلنّٰاسِ »جمع بصیره بمعنی ما یبصره به و کان المراد بها الحجج البینه التی یبصر بها الحق و یمیز بها بینه و بین الباطل،و هی حال من الکتاب و قیل:

مفعول له.

و قوله:« وَ هُدیً »بمعنی الهادی أو ما یهتدی به و کذا قوله:« وَ رَحْمَةً »بمعنی ما یرحم به و هما حالان من الکتاب کبصائر،و قیل:کل منهما مفعول له.

و المعنی:و أقسم لقد أعطینا موسی الکتاب و هو التوراه من بعد ما أهلکنا

الأجيال الأولى فاقتضت الحكمه تجديد الدعوه و الإنذار حال كون الكتاب حججا بينه يبصر بها الناس المعارف الحقه و هدى يهتدون به إليها و رحمه يرحمون بسبب العمل بشرائعه و أحكامه لعلهم يتذكرون فيفقهون ما يجب عليهم من الاعتقاد و العمل.

قوله تعالى:« وَ مٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنٰا إِلىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَ مٰا كُنْتَ مِنَ الشّٰاهِدِينَ »الخطاب للنبى ص،و الغربى صفه محذوفه الموصوف و المراد جانب الوادى الغربى أو جانب الجبل الغربى.

و قوله:« إِذْ قَضَيْنٰا إِلىٰ مُوسَى الْأَمْرَ »كان القضاء مضمن معنى العهد،و المراد بعهد الأمر إليه-على ما قيل-أحكام أمر نبوته بإنزال التوراه إليه و أما العهد إليه بأصل الرساله فيدل عليه قوله بعد:« وَ مٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الطُّورِ إِذْ نٰادَيْنٰا »و قوله:

« وَ مٰا كُنْتَ مِنَ الشّٰاهِدِينَ »تأكيد لسابقه.

و المعنى:و ما كنت حاضرا و شاهدا حين أنزلنا التوراه على موسى فى الجانب الغربى من الوادى أو الجبل.

قوله تعالى:« وَ لٰكِنّٰا أَنْشَأْنٰا قُرُوناً فَتَطٰاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ » تطاول العمر تمادى الأمد و الجمله استدراك عن النفى فى قوله:« وَ مٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الْغَرْبِيِّ »،و المعنى:

ما كنت حاضرا هناك شاهدا لما جرى فيه و لكنا أوجدنا أجيالا بعده فتمادى بهم الأمد ثم أنزلنا عليك قصته و خبر نزول الكتاب عليه ففى الكلام إيجاز بالحذف لدلاله المقام عليه.

قوله تعالى:« وَ مٰا كُنْتَ ثٰاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا وَ لٰكِنّٰا كُنّٰا مُرْسِلِينَ » الثاوى المقيم يقال:ثوى فى المكان إذا أقام فيه،و الضمير فى« عَلَيْهِمْ » لمشركى مكه الذين كان النبى ص يتلو عليهم آيات الله التى تقص ما جرى على موسى (ع)فى مدين زمن كونه فيه.

و قوله:« وَ لٰكِنّٰا كُنّٰا مُرْسِلِينَ »استدراك من النفى فى صدر الآيه.

و المعنى:و ما كنت مقيما فى أهل مدين-و هم شعيب و قومه-مشاهدا لما جرى على موسى هناك تتلو على المشركين آياتنا القاصه لخبره هناك و لكنا كنا مرسلين لك إلى قومك موحين بهذه الآيات إليك لتتلوها عليهم.

قوله تعالى:« وَ مٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الطُّورِ إِذْ نٰادَيْنٰا وَ لٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ »إلى آخر الآيه،الظاهر من مقابله الآيه لقوله السابق:« وَ مٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنٰا »إلخ، إن المراد بهذا النداء ما كان من الشجره فى الليله التى آنس فيها من جانب الطور نارا.

و قوله:« وَ لٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ »إلخ،استدراک عن النفى السابق،و الظاهر أن« رَحْمَةً »مفعول له،و الالتفات عن التكلم بالغير إلى الغيبه فى قوله:« مِنْ رَبِّكَ » للدلاله على كمال عنايته تعالى به(ص).

و قوله:« لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أَتٰاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ »الظاهر أن المراد بهذا القوم أهل عصر الدعوه النبويه أو هم و من يقارنهم من آبائهم فإن العرب خلت فيهم رسل منهم كهود و صالح و شعيب و إسماعيل(ع).

و المعنى:و ما كنت حاضرا فى جانب الطور إذ نادينا موسى و كلمناه و اخترناه للرساله حتى تخبر عن هذه القصه إخبار الحاضر المشاهد و لكن لرحمه منا أخبرناک بها لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلک لعلهم يتذكرون.

قوله تعالى:« وَ لَوْ لاٰ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنٰا »إلخ، المراد بما قدمت أيديهم ما اكتسبوه من السيئات من طريق الاعتقاد و العمل بدليل ذيل الآيه،و المراد بالمصيبه التى تصيبهم أعم من مصيبه الدنيا و الآخره فإن الإعراض عن الحق بالكفر و الفسوق يستتبع المؤاخذه الإلهيه فى الدنيا كما يستتبعها فى الآخره،و قد تقدم بعض الكلام فيه فى ذيل قوله: «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ» :الأعراف:۹۶ و غيره.

و قوله:« فَيَقُولُوا رَبَّنٰا لَوْ لاٰ أَرْسَلْتَ »متفرع على ما تقدمه على تقديم عدم إرسال الرسول و جواب لو لا ـ محذوف لظهوره و التقدير:لما أرسلنا رسولا.

و محصل المعنى:أنه لو لا أنه تكون لهم الحجه علينا على تقدير عدم إرسال الرسول و أخذهم بالعذاب بما قدمت أيديهم من الكفر و الفسوق لما أرسلنا إليهم رسولا ـ لكنهم يقولون ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتک التى يتلوها علينا و نكون من المؤمنين.

قوله تعالى:« فَلَمّٰا جٰاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنٰا قٰالُوا لَوْ لاٰ أُوتِيَ مِثْلَ مٰا أُوتِيَ مُوسىٰ »

إلـخ،أى فأرسلنا إليهم الرسول بـالحق و أنزلنـا الكتاب فلما جاءهم الحق من عنـدنا و الظاهر أنه الكتاب النازل على الرسول و هو القرآن النازل على النبى ص.

و المراد بقولهم:« لَوْ لاٰ أُوتِيَ مِثْلَ مٰا أُوتِيَ مُوسىٰ »أى لو لا أوتى النبى ص مثل التوراه التى أوتيها موسى(ع)،و كأنهم يريدون به أن ينزل القرآن جمله واحـده كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: «وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وٰاحِدَةً» :الفرقان:٣٢.

و قد أجاب الله عن قولهم بقوله:« أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمٰا أُوتِيَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ قٰالُوا سِحْرٰانِ تَظٰاهَرٰا »يعنون القرآن و التوراه« وَ قٰالُوا إِنّٰا بِكُلٍّ كٰافِرُونَ ».و الفرق بين القولين أن الأول كفر بالكتابين و الثانى كفر بأصل النبوه و لعله الوجه لتكرار« قٰالُوا » فى الكلام.

قوله تعالى:« قُلْ فَأْتُوا بِكِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ »تفريع على كون القرآن و التوراه سحرين تظاهرا،و لا يصح هذا التفريع إلا إذا كان من الواجب أن يكون بين الناس كتاب من عند الله سبحانه يهديهم و يجب عليهم اتباعه فإذا كانا سحرين باطلين كان الحق غيرهما،و هو كذلك على ما تبين بقوله:

« وَ لَوْ لاٰ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ »إلخ،إن للناس على الله أن ينزل عليهم الكتاب و يرسل إليهم الرسول،و لذلك أمر تعالى نبيه ص أن يطالبهم بكتاب غيرهما هو أهدى منهما ليتبعه.

ثم الكتابان لو كانا سحرين تظاهرا كانا باطلين مضلين لا هدى فيهما حتى يكون غيرهما من الكتاب الذى يأتون به أهدى منهما-لاستلزام صيغه التفضيل اشتراك المفضل و المفضل عليه فى أصل الوصف-لكن المقام لما كان مقام المحاجه ادعى أن الكتابين هاديان لا مزيد عليهما فى الهدايه فإن لم يقبل الخصم ذلك فليأت بكتاب يزيد عليهما فى معنى ما يشتملان عليه من بيان الواقع فيكون أهدى منهما.

و القرآن الكريم و إن كان يصرح بتسرب التحريف و الخلل فى التوراه الحاضره و ذلك لا يلائم عدها كتاب هدى بقول مطلق لكن الكلام فى التوراه الواقعيه النازله على موسى(ع)و هى التى يصدقها القرآن.

ص :٥٢

على أن موضوع الكلام هما معا و القرآن يقوم التوراه الحاضره ببيان ما فيها من الخلل فهما معا هدى لا كتاب أهدى منهما.

و قوله:« إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ »أى فى دعوى أنهما سحران تظاهرا.

قوله تعالى:« فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمٰا يَتَّبِعُونَ أَهْوٰاءَهُمْ »إلى آخر الآيه، الاستجابه و الإجابه بمعنى واحد،قال فى الكشاف:هذا الفعل يتعدى إلى الدعاء بنفسه و إلى الداعى باللام،و يحذف الدعاء إذا عدى إلى الداعى فى الغالب فيقال:

استجاب الله دعاءه أو استجاب له،و لا يكاد يقال:استجاب له دعاءه.انتهى.

فقوله:« فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ »تفريع على قوله:« قُلْ فَأْتُوا بِكِتٰابٍ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمٰا أَتَّبِعْهُ »أى فإن قلت لهم كذا و كلفتهم بذلك فلم يأتوا بكتاب هو أهدى من القرآن و التوراه و تعين أن لا هدى أتم و أكمل من هداهما و هم مع ذلك يرمونها بالسحر و يعرضون عنهما فاعلم أنهم ليسوا فى طلب الحق و لا بصدد اتباع ما هو صريح حجه العقل و إنما يتبعون أهواءهم و يدافعون عن مشتهيات طباعهم بمثل هذه الأباطيل:

« سِحْرٰانِ تَظٰاهَرٰا »« إِنّٰا بِكُلٍّ كٰافِرُونَ ».

و يمكن أن يكون المراد بقوله:« أَنَّمٰا يَتَّبِعُونَ أَهْوٰاءَهُمْ »إنهم إن لم يأتوا بكتاب هو أهدى منهما و هم غير مؤمنين بهما فاعلم أنهم إنما يبنون سنه الحياه على اتباع الأهواء و لا يعتقدون بأصل النبوه و أن لله دينا سماويا نازلا عليهم من طريق الوحى و عليهم أن يتبعوه و يسلكوا مسلك الحياه بهدى ربهم،و ربما أيد هذا المعنى قوله بعد:« وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّٰهِ »إلخ.

و قوله:«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّٰهِ »استفهام إنكارى و المراد به استنتاج أنهم ضالون،و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ »تعليل لكونهم ضالين باتباع الهوى فإن اتباع الهوى إعراض عن الحق و انحراف عن صراط الرشد و ذلك ظلم و الله لا يهدى القوم الظالمين و غير المهتدى هو الضال.

و محصل الحجه أنهم إن لم يأتوا بكتاب هو أهدى منهما و ليسوا مؤمنين بهما فهم متبعون للهوى،و متبع الهوى ظالم و الظالم غير مهتد و غير المهتدى ضال فهم ضالون.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ وَصَّلْنٰا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » التوصيل تفعيل من

الوصل يفيد التكثير كالقطع و التقطيع و القتل و التقتيل،و الضمير لمشركى مكه و المعنى أنزلنا عليهم القرآن موصولا بعضه ببعض:الآيه بعد الآيه،و السوره إثر السوره من وعد و وعيد و معارف و أحكام و قصص و عبر و حكم و مواعظ لعلهم يتذكرون.

قوله تعالى:« اَلَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ » الضميران للقرآن و قيل:للنبى ص.و الأول أوفق للسياق،و فى الآيه و ما بعدها مدح طائفه من مؤمنى أهل الكتاب بعد ما تقدم فى الآيات السابقه من ذم المشركين من أهل مكه.

و سياق ذيل الآيات يشهد على أن هؤلاء الممدوحين طائفه خاصه من أهل الكتاب آمنوا به فلا يعبأ بما قيل إن المراد بهم مطلق المؤمنين منهم.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ قٰالُوا آمَنّٰا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنٰا »إلخ،ضمائر الإفراد للقرآن،و اللام فى« اَلْحَقُّ »للعهد و المعنى و إذا يقرأ القرآن عليهم قالوا:آمنا به إنه الحق الذى نعهده من ربنا فإنه عرفناه من قبل.

و قوله:« إِنّٰا كُنّٰا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ »تعليل لكونه حقا معهودا عندهم أى إنا كنا من قبل نزوله مسلمين له أو مؤمنين للدين الذى يدعو إليه و يسميه إسلاما.

و قيل:الضميران للنبى ص و ما تقدم أوفق للسياق،و كيف كان فهم يعنون بذلك ما قرءوه فى كتبهم من أوصاف النبى ص و الكتاب النازل عليه كما يشير إليه قوله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرٰاةِ وَ الْإِنْجِيلِ» ، :الأعراف:۱۵۷ و قوله: «أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰاءُ بَنِي إِسْرٰائِيلَ» :الشعراء:۱۹۷.

قوله تعالى:« أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمٰا صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ » إلخ فى الآيه وعد جميل لهم على ما فعلوا و مدح لهم على حسن سلوكهم و مداراتهم مع جهله المشركين و لذا كان الأقرب إلى الفهم أن يكون المراد بإيتائهم أجرهم مرتين إيتاؤهم أجر الإيمان بكتابهم و أجر الإيمان بالقرآن و صبرهم على الإيمان بعد الإيمان بما فيهما من كلفه مخالفه الهوى.

و قيل:المراد إيتاؤهم الأجر بما صبروا على دينهم و على أذى الكفار و تحمل المشاق و قد عرفت ما يؤيده السياق.

و قوله:« وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ »إلخ الدرء الدفع،و المراد بالحسنه و السيئه قيل:الكلام الحسن و الكلام القبيح،و قيل:العمل الحسن و السيئ و هما المعروف و المنكر،و قيل:الخلق الحسن و السيئ و هما الحلم و الجهل،و سياق الآيات أوفق للمعنى الأخير فيرجع المعنى إلى أنهم يدفعون أذى الناس عن أنفسهم بالمداراه، و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قٰالُوا لَنٰا أَعْمٰالُنٰا وَ لَكُمْ أَعْمٰالُكُمْ » إلخ،المراد باللغو لغو الكلام بدليل تعلقه بالسمع،و المراد سقط القول الذى لا ينبغى الاشتغال به من هذر أو سب و كل ما فيه خشونه،و لذا لما سمعوه أعرضوا عنه و لم يقابلوه بمثله و قالوا: لَنٰا أَعْمٰالُنٰا وَ لَكُمْ أَعْمٰالُكُمْ و هو متاركه،و قوله:« سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ » أى أمان منا لكم،و هو أيضا متاركه و توديع تكرما كما قال تعالى:« وَ إِذٰا خٰاطَبَهُمُ الْجٰاهِلُونَ قٰالُوا سَلاٰماً ».

و قوله:« لاٰ نَبْتَغِي الْجٰاهِلِينَ »أى لا نطلبهم بمعاشره و مجالسه،و فيه تأكيد لما تقدمه،و هو حكايه عن لسان حالهم إذ لو تلفظوا به لكان من مقابله السيئ بالسيئ.

قوله تعالى:« إِنَّكَ لاٰ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ »المراد بالهدايه الإيصال إلى المطلوب و مرجعه إلى إفاضه الإيمان على القلب و معلوم أنه من شأنه تعالى لا يشاركه فيه أحد،و ليس المراد بها إراءه الطريق فإنه من وظيفه الرسول لا معنى لنفيه عنه،و المراد بالاهتداء قبول الهدايه.

لما بين فى الآيات السابقه حرمان المشركين و هم قوم النبى ص من نعمه الهدايه و ضلالهم باتباع الهوى و استكبارهم عن الحق النازل عليهم و إيمان أهل الكتاب به و اعترافهم بالحق ختم القول فى هذا الفصل من الكلام بأن أمر الهدايه إلى الله لا إليك يهدى هؤلاء و هم من غير قومك الذين تدعوهم و لا يهدى هؤلاء و هم قومك الذين تحب اهتداءهم و هو أعلم بالمهتدين.

(بحث روائى)

فى الدر المنثور،أخرج البزار و ابن المنذر و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن أبى

سعید الخدری قال*:قال رسول الله ص: ما أهلک الله قوما و لا قرنا و لا أمه و لا أهل قریه-بعذاب من السماء منذ أنزل التوراه علی وجه الأرض-غیر القریه التی مسخت قرده.أ لم تر إلی قوله تعالی:« وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ-مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَکْنَا الْقُرُونَ الْأُولی »؟ أقول:و فی دلاله الآیه علی الإهلاک بخصوص العذاب السماوی ثم انقطاعه بنزول التوراه خفاء.

و فیه،:فی قوله تعالی:« وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَیْنا »الآیه،:أخرج ابن مردویه عن ابن عباس عن النبی ص قال: لما قرب الله موسی إلی طور سیناء نجیا- قال:أی رب هل أحد أکرم علیک منی؟قربتنی نجیا و کلمتنی تکلیما.قال:

نعم،محمد أکرم علی منک.قال:فإن کان محمد أکرم علیک منی-فهل أمه محمد أکرم من بنی إسرائیل؟فلقت لهم البحر-و أنجیتهم من فرعون و عمله و أطعمتهم المن و السلوی.

قال:نعم،أمه محمد أکرم علی من بنی إسرائیل.قال:إلهی أرنیهم.قال:إنک لن تراهم و إن شئت أسمعتک صوتهم.قال:نعم إلهی.

فنادی ربنا أمه محمد:أجیبوا ربکم،فأجابوا و هم فی أصلاب آبائهم-و أرحام أمهاتهم إلی یوم القیامه-فقالوا:لبیک أنت ربنا حقا و نحن عبیدک حقا.قال:صدقتم و أنا ربک و أنتم عبیدی حقا-قد غفرت لکم قبل أن تدعونی-و أعطیتکم قبل أن تسألونی- فمن لقینی منکم بشهاده أن لا إله إلا الله دخل الجنه.

قال ابن عباس:فلما بعث الله محمدا ص-أراد أن یمن علیه بما أعطاه و بما أعطی أمته-فقال:یا محمد« وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَیْنا ».

أقول:و رواه فیه أیضا بطرق أخری عن غیره،و روی هذا المعنی أیضا الصدوق فی العیون،عن الرضا(ع)

لکن حمل الآیه علی هذا المعنی یوجب اختلال السیاق و فساد ارتباط الجمل المتقدمه و المتأخره بعضها ببعض.

و فی البصائر،بإسناده عن محمد بن الفضیل عن أبی الحسن(ع): فی قول الله عز و جل:« وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَیْرِ هُدیً مِنَ اللّهِ »یعنی من اتخذ دینه هواه بغیر هدی من أئمه الهدی).

ص :۵۶

أقول:و روی مثله بإسناده عن المعلی عن أبی عبد الله(ع)

و هو من الجری أو من البطن.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ »الآیات،نزل قوله:

« اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ »و ما بعده-فی عبد الله بن سلام و تمیم الداری-و الجارود و العبدی و سلمان الفارسی-فإنهم لما أسلموا نزلت فیهم الآیات.عن قتاده.

و قیل:نزلت فی أربعین رجلا من أهل الإنجیل-کانوا مسلمین بالنبی ص قبل مبعثه-اثنان و ثلاثون من الحبشه-أقبلوا مع جعفر بن أبی طالب وقت قدومه-و ثمانیه قدموا من الشام منهم بحیراء و أبرهه و الأشرف و أیمن و إدریس و نافع و تمیم.

أقول:و روی غیر ذلک.

و فیه: فی معنی قوله تعالی:« وَ یَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ السَّیِّئَهَ »و قیل:یدفعون بالحلم جهل الجاهل.عن یحیی بن سلام،و معناه یدفعون بالمداراه مع الناس أذاهم عن أنفسهم: و روی مثل ذلک عن أبی عبد الله(ع) .

و فی الدر المنثور،أخرج عبد بن حمید و مسلم و الترمذی و ابن أبی حاتم و ابن مردویه و البیهقی فی الدلائل عن أبی هریره قال: لما حضرت وفاه أبی طالب أتاه النبی ص-فقال:یا عماه قل:لا إله إلا الله-أشهد لک بها عند الله یوم القیامه،فقال:لو لا أن یعیرنی قریش-یقولون ما حمله علیها إلا جزعه من الموت لأقررت بها علیک-فأنزل الله علیه:« إِنَّکَ لاٰ تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ-وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ » أقول:و روی ما فی معناه عن ابن عمر و ابن المسیب و غیرهما،و روایات أئمه أهل البیت(ع)مستفیضه علی إیمانه و المنقول من أشعار مشحون بالإقرار علی صدق النبی ص و حقیه دینه،و هو الذی آوی النبی ص صغیرا و حماه بعد البعثه و قبل الهجره فقد کان أثر مجاهدته وحده فی حفظ نفسه الشریفه فی العشر سنین قبل الهجره یعدل أثر مجاهده المهاجرین و الأنصار بأجمعهم فی العشر سنین بعد الهجره.

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۵۷ الی ۷۵]

اشاره

وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ اَلْهُدیٰ مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً یُجْبیٰ إِلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنّا وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۵۷) وَ کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَرْیَهٍ بَطِرَتْ مَعِیشَتَها فَتِلْکَ مَساکِنُهُمْ لَمْ تُسْکَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاّٰ قَلِیلاً وَ کُنّا نَحْنُ اَلْوارِثِینَ (۵۸) وَ مٰا کانَ رَبُّکَ مُهْلِکَ اَلْقُریٰ حَتّٰی یَبْعَثَ فِی أُمِّها رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا وَ ما کُنّا مُهْلِکِی اَلْقُریٰ إِلاّٰ وَ أَهْلُها ظالِمُونَ (۵۹) وَ ما أُوتِیتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَمَتاعُ اَلْحَیاهِ اَلدُّنْیا وَ زِینَتُها وَ ما عِنْدَ اَللّٰهِ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۶۰) أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاٰقِیهِ کَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ اَلْحَیاهِ اَلدُّنْیا ثُمَّ هُوَ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ مِنَ اَلْمُحْضَرِینَ (۶۱) وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکائِیَ اَلَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۶۲) قالَ اَلَّذِینَ حَقَّ عَلَیْهِمُ اَلْقَوْلُ رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ اَلَّذِینَ أَغْوَیْنٰا أَغْوَیْنٰاهُمْ کَما غَوَیْنا تَبَرَّأْنا إِلَیْکَ ما کانُوا إِیّانا یَعْبُدُونَ (۶۳) وَ قِیلَ اُدْعُوا شُرَکاءَکُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ یَسْتَجِیبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا اَلْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ کانُوا یَهْتَدُونَ (۶۴) وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ اَلْمُرْسَلِینَ (۶۵) فَعَمِیَتْ عَلَیْهِمُ اَلْأَنْباءُ یَوْمَئِذٍ فَهُمْ لاٰ یَتَساءَلُونَ (۶۶) فَأَمّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَعَسیٰ أَنْ یَکُونَ مِنَ اَلْمُفْلِحِینَ (۶۷) وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ مٰا یَشاءُ وَ یَخْتارُ ما کانَ لَهُمُ اَلْخِیَرَهُ سُبْحانَ اَللّٰهِ وَ تَعالیٰ عَمّا یُشْرِکُونَ (۶۸) وَ رَبُّکَ یَعْلَمُ مٰا تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما یُعْلِنُونَ (۶۹) وَ هُوَ اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ لَهُ اَلْحَمْدُ فِی اَلْأُولیٰ وَ اَلْآخِرَهِ وَ لَهُ اَلْحُکْمُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۷۰) قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اَللّٰهُ عَلَیْکُمُ اَللَّیْلَ سَرْمَداً إِلیٰ یَوْمِ اَلْقِیامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَیْرُ اَللّٰهِ یَأْتِیکُمْ بِضِیاءٍ أَ فَلاٰ تَسْمَعُونَ (۷۱) قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اَللّٰهُ عَلَیْکُمُ اَلنَّهارَ سَرْمَداً إِلیٰ یَوْمِ اَلْقِیامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَیْرُ اَللّٰهِ یَأْتِیکُمْ بِلَیْلٍ تَسْکُنُونَ فِیهِ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ (۷۲) وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَکُمُ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهارَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۷۳) وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکائِیَ اَلَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۷۴) وَ نَزَعْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ شَهِیداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَکُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ اَلْحَقَّ لِلّٰهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ (۷۵)

ص :۵۸

(بیان)

تذکر الآیات عذرا آخر مما اعتذر به مشرکو مکه عن الإیمان بکتاب الله بعد ما ذکرت عذرهم السابق:« لَوْ لاٰ أُوتِیَ مِثْلَ مٰا أُوتِیَ مُوسیٰ »و ردته و هو قولهم:إن آمنا بما جاء به کتابک من الهدی و هو دین التوحید تخطفنا مشرکو العرب من أرضنا بالقتل و السبی و النهب و سلب الأمن و السلام.

فرده تعالی بأنا جعلنا لهم حرما آمنا یحترمه العرب و یجبی إلیه ثمرات کل شیء فلا موجب لخوفهم من تخطفهم.

علی أن تنعمهم بالأموال و الأولاد و بطر معیشتهم لا یضمن لهم الأمن من الهلاک حتی یرجحوه علی اتباع الهدی فکم من قریه بطرت معیشتها أهلکها الله و استأصلها و ورثها فتلک مساکنهم لم تسکن من بعدهم إلا قلیلا.

ص :۵۹

على أن الـذى يؤثرونه على اتباع الهـدى إنما هو متاع الحياه الـدنيا العاجله و لا يختاره عاقل على الحياه الآخره الخالـده التى عند الله سبحانه.

على أن الخلق و الأمر لله فإذا اختار شيئا و أمر به فليس لأحد أن يخالفه إلى ما يشتهيه لنفسه فيختار ما يميل إليه طبعه ثم استشهد تعالى بقصه قارون و خسفه به و بداره الأرض.

قـوله تعـالى:« وَ قَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا »إلى آخر الآـيه. التخطف الاختلاـس بسـرعه،و قيـل الخطف و التخطف الاسـتلاب من كـل وجه، و كان تخطفهم من أرضـهم اسـتعاره أريـد به القتل و السبى و نهب الأموال كأنهم و ما يتعلق بهم من أهل و مال يؤخـذون فتخلو منهم أرضـهم،و المراد بالأرض أرض مكه و الحرم بـدليل قوله بعد:« أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً »و القائل بعض مشركى مكه.

و الجمله مسوقه للاعتذار عن الإيمان بأنهم إن آمنوا تخطفتهم العرب من أرضـهم أرض مكه لأنهم مشركون لا يرضون بإيمانهم و رفض أوثانهم فهو من قبيل إبداء المانع ففيه اعتراف بحقيه أصل الدعوه و أن الكتاب بما يشـتمل عليه حق لكن خطر التخطف مانع من قبوله و الإيمان به،و لهذا عبر بقوله:« إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ »و لم يقل:

إن نتبع كتابك أو دينك أو ما يقرب من ذلك.

و قوله:« أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً »قيـل: التمكين مضـمن معنى الجعل و المعنى أ و لم نجعل لهم حرما آمنا ممكنين إياهم،و قيل:حرما منصوبا على الظرفيه و المعنى:أ و لم نمكن لهم فى حرم،و« آمِناً »صـفه« حَرَماً »أى حرما ذا أمن، و عـد الحرم ذا أمن-و المتلبس بالأـمن أهله-من المجـاز فى النسـبه،و الجمله معطوفه على محـذوف و التقـدير أ و لم نعصـمهم و نجعـل لهم حرما آمنا ممكنين إياهم.

و هذا جواب أول منه تعالى لقولهم:« إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا » و محصله:أنا مكناهم فى أرض جعلناها حرما ذا أمن تحترمه العرب فلا موجب لخوفهم أن يتخطفوا منها أن آمنوا.

و قوله:« يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَرٰاتُ كُلِّ شَيْءٍ » الجبايه الجمع،و الكل للتكثير لا للعموم لعدم إراده العموم قطعا،و المعنى:يجمع إلى الحرم ثمرات كثير من الأشياء،و الجمله

صفه لحرما جيء بها لما عسى أن يتوهم أنهم يتضررون إن آمنوا بانقطاع الميره.

و قوله:« رِزْقاً مِنْ لَدُنّا »مفعول مطلق أو حال من ثمرات،و قوله:« وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ »استدراك عن جميع ما تقدم أى إنا نحن حفظناهم فى أمن و رزقناهم من كل الثمرات لكن أكثرهم جاهلون بذلك فيحسبون أن الذى يحفظهم من تخطف العرب هو شركهم و عبادتهم الأصنام.

قوله تعالى:« وَ كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهٰا »إلى آخر الآيه البطر الطغيان عند النعمه،و« مَعِيشَتَهٰا »منصوب بنزع الخافض أى و كم أهلكنا من قريه طغت فى معيشتها.

و قوله:« فَتِلْكَ مَسٰاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاّٰ قَلِيلاً »أى إن مساكنهم الخربه الخاويه على عروشها مشهوده لكم نصب أعينكم باقيه على خرابها لم تعمر و لم تسكن بعد هلاكهم إلا قليلا منها.

و بذلك يظهر أن الأنسب كون« إِلاّٰ قَلِيلاً »استثناء من« مَسٰاكِنُهُمْ »لا من قوله:« مِنْ بَعْدِهِمْ »بأن يكون المعنى لم تسكن من بعدهم إلا زمانا قليلا إذ لا يسكنها إلا الماره يوما أو بعض يوم فى الأسفار.

و قوله:« وَ كُنّٰا نَحْنُ الْوٰارِثِينَ »حيث ملكوها ثم تركوها فلم يخلفهم غيرنا فنحن ورثناهم مساكنهم،و فى الجمله أعنى قوله:« كُنّٰا نَحْنُ الْوٰارِثِينَ »عنايه لطيفه فإنه تعالى هو المالك لكل شيء ملكا حقيقيا مطلقا فهو المالك لمساكنهم و قد ملكها إياهم بتسليطهم عليها ثم نزعها من أيديهم بإهلاكهم و بقيت بعدهم لا مالك لها إلا هو فسمى نفسه وارثا لهم بعنايه أنه الباقى بعدهم و هو المالك لما كان بأيديهم كان ملكهم الاعتبارى انتقل إليه و لا انتقال هناك بالحقيقه و إنما ظهر ملكه الحقيقى بزوال ملكهم الاعتبارى.

و الآيه جواب ثان منه تعالى لقولهم:« إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا » و محصله أن مجرد عدم تخطف العرب لكم من أرضكم لا يضمن لكم البقاء و لا يحفظ لكم أرضكم و التنعم فيها كما تشاءون فكم من قريه بالغه فى التنعم ذات أشر و بطر أهلكنا أهلها و بقيت مساكنهم خاليه غير مسكونه لا وارث لها إلا الله.

قوله تعالى:« وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ حَتّٰى يَبْعَثَ فِي أُمِّهٰا رَسُولاً »أم القرى هى أصلها و كبيرتها التى ترجع إليها و فى الآيه بيان السنه الإلهيه فى عذاب القرى بالاستئصال و هو أن عذاب الاستئصال لا يقع منه تعالى إلا بعد إتمام الحجه عليهم بإرسال رسول يتلو عليهم آيات الله،و إلا بعد كون المعذبين ظالمين بالكفر بآيات الله و تكذيب رسوله.

و فى تعقيب الآيه السابقه بهذه الآيه الشارحه لسنته تعالى فى إهلاك القرى تخويف لأهل مكه المشركين بالإيماء إلى أنهم لو أصروا على كفرهم كانوا فى معرض نزول العذاب لأن الله قد بعث فى أم قراهم و هى مكه رسولا يتلو عليهم آياته و هم مع ذلك ظالمون بتكذيب رسولهم.

و بذلك يظهر النكته فى الالتفات من التكلم بالغير إلى الغيبه فى قوله:« وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ »فإن فى الإيماء إلى حصول شرائط العذاب فيهم لو كذبوا النبى ص تقويه لنفسه و تأكيدا لحجته،و أما العدول بعده إلى سياق التكلم بالغير فى قوله:

« وَ مٰا كُنّٰا مُهْلِكِي الْقُرىٰ »فهو رجوع إلى السياق السابق بعد قضاء الوطر.

قوله تعالى:« وَ مٰا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتٰاعُ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا »إلخ الإيتاء: الإعطاء و« مِنْ شَيْءٍ »بيان لما لإفاده العموم أى كل شىء أوتيتموه،و المتاع ما يتمتع به و الزينه ما ينضم إلى الشىء ليفيده جمالا و حسنا،و الحياه الدنيا الحياه المؤجله المقطوعه التى هى أقرب الحياتين منا و تقابلها الحياه الآخره التى هى خالده مؤبده،و المراد بما عند الله الحياه الآخره السعيده التى عند الله و جواره و لذا عد خيرا و أبقى.

و المعنى:أن جميع النعم الدنيويه التى أعطاكم الله إياها متاع و زينه زينت بها هذه الحياه الدنيا التى هى أقرب الحياتين منكم و هى بائده فانيه و ما عند الله من ثوابه فى الدار الآخره المترتب على اتباع الهدى و الإيمان بآيات الله خير و أبقى فينبغى أن تؤثروه على متاع الدنيا و زينتها أ فلا تعقلون.

و الآيه جواب ثالث عن قولهم:« إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا » محصله لنسلم أنكم إن اتبعتم الهدى تخطفكم العرب من أرضكم لكن الذى تفقدونه هو متاع الحياه الدنيا و زينتها الفانيه فما بالكم تؤثرونه على ما عند الله من ثواب اتباع

الهدی و سعاده الحیاه الآخره و هی خیر و أبقی.

قوله تعالی:« أَ فَمَنْ وَعَدْنٰاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاٰقِیهِ کَمَنْ مَتَّعْنٰاهُ مَتٰاعَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا ثُمَّ هُوَ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ مِنَ الْمُحْضَرِینَ »الآیه إلی تمام سبع آیات إیضاح لمضمون الآیه السابقه -و هو أن إیثار اتباع الهدی أولی من ترکه و التمتع بمتاع الحیاه الدنیا-ببیان آخر فیه مقایسه حال من اتبع الهدی و ما یلقاه من الوعد الحسن الذی وعده الله،من حال من لم یتبعه و اقتصر علی التمتع من متاع الحیاه الدنیا و سیستقبله یوم القیامه الإحضار و تبری آلهته منه و عدم استجابتهم لدعوته و مشاهده العذاب و السؤال عن إجابتهم الرسل.

فقوله:« أَ فَمَنْ وَعَدْنٰاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاٰقِیهِ »الاستفهام إنکاری،و الوعد الحسن هو وعده تعالی بالمغفره و الجنه کما قال تعالی: «وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ أَجْرٌ عَظِیمٌ» :المائده:۹،و لا یکذب وعده تعالی قال: «أَلاٰ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ:» یونس:۵۵.

و قوله:« کَمَنْ مَتَّعْنٰاهُ مَتٰاعَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا »أی و هو محروم من ذلک الوعد الحسن لاقتصاره علی التمتع بمتاعها،و الدلیل علی هذا التقیید المقابله بین الوعد و التمتیع.

و قوله:« ثُمَّ هُوَ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ مِنَ الْمُحْضَرِینَ »أی للعذاب،أو للسؤال و المؤاخذه و« ثُمَّ »للترتیب الکلامی و إتیان الجمله اسمیه کما فیما یقابلها من قوله:« فَهُوَ لاٰقِیهِ » للدلاله علی التحقق.

قوله تعالی:« وَ یَوْمَ یُنٰادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکٰائِیَ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ »الشرکاء هم الذین کانوا یعبدونهم فی الدنیا و کونهم شرکاء عندهم لکونهم یعطونهم أو ینسبون إلیهم بعض ما هو من شئونه تعالی کالعباده و التدبیر،و فی قوله:« یُنٰادِیهِمْ »إشاره إلی بعدهم و خذلانهم یومئذ.

قوله تعالی:« قٰالَ الَّذِینَ حَقَّ عَلَیْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ الَّذِینَ أَغْوَیْنٰا أَغْوَیْنٰاهُمْ کَمٰا غَوَیْنٰا »آلهتهم الذین یرونهم شرکاء لله سبحانه صنفان صنف منهم عباد لله مکرمون کالملائکه المقربین و عیسی بن مریم(ع)،و صنف منهم کعتاه الجن و مدعی الألوهیه من الإنس کفرعون و نمرود و غیرهما و قد ألحق الله سبحانه بهم کل مطاع فی باطل

كإبليس و قرناء الشياطين و أئمه الضلال كما قال: أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لاٰ تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ -Xإلى أن قالX- وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً» :يس:۶۲،و قال:

«أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ:» الجاثيه:۲۳،و قال: «اتَّخَذُوا أَحْبٰارَهُمْ وَ رُهْبٰانَهُمْ أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اللّٰهِ» :التوبه:۳۱.

و الذين يشير إليهم قوله:« قٰالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ »هم من الصنف الثانى بدليل ذكرهم إغواءهم و تبريهم من عبادتهم و هؤلاء المشركون و إن كانوا أنفسهم أيضا ممن حق عليهم القول كما يشير إليه قوله: «حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِينَ» :الم السجده:۱۳،و لكن المراد بهم فى الآيه المبحوث عنها المتبوعون منهم الذين ينتهى إليهم الشرك و الضلال.

و إيراد قول هؤلاء الشركاء مع عدم ذكر أن المسئولين أشاروا إليهم لعله للإشاره إلى أنهم ضلوا عنهم فى هذا الموقف كما فى قوله تعالى: «وَ يَوْمَ يُنٰادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكٰائِي قٰالُوا آذَنّٰاكَ مٰا مِنّٰا مِنْ شَهِيدٍ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ» حم السجده:۴۸.

و قوله:« رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنٰا »أى هؤلاء-يشيرون إلى المشركين-هم الذين أغويناهم و الجمله توطئه للجمله التاليه.

و قوله:« أَغْوَيْنٰاهُمْ كَمٰا غَوَيْنٰا »أى كانت غوايتهم بإغوائنا لغوايتنا أنفسنا فكما كنا غوينا باختيارنا من غير إلجاء كذلك هم غووا باختيار منهم من غير إلجاء،و الدليل على هذا المعنى ما حكاه الله عن إبليس يومئذ إذ قال: «وَ مٰا كٰانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ

إِلاّٰ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاٰ تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ» ، :إبراهيم:۲۲ و قال حاكيا لتساؤل الظالمين و قرنائهم: «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسٰاءَلُونَ قٰالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنٰا عَنِ الْيَمِينِ قٰالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَ مٰا كٰانَ لَنٰا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طٰاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنٰا قَوْلُ رَبِّنٰا إِنّٰا لَذٰائِقُونَ فَأَغْوَيْنٰاكُمْ إِنّٰا كُنّٰا غٰاوِينَ» ، :الصافات:۳۲ أى ما كان ليصل إليكم منا و نحن غاوون غير الغوايه.

و من هنا يظهر أن لقولهم:« أَغْوَيْنٰاهُمْ كَمٰا غَوَيْنٰا »معنى آخر،و هو أنهم اكتسبوا نظير الوصف الذى كان فينا غير أنا نتبرأ منهم حيث لم نلجئهم إلى الغوايه ما كانوا يعبدوننا بإلجاء.

و قوله:« تَبَرَّأْنا إِلَيْکَ »تبر منهم مطلقا حيث لم يكن لهم أن يلجئوهم و يسلبوا منهم الاختيار، و قوله« ما کانُوا إِيّانا يَعْبُدُونَ »أى بإلجاء منا،أو لتبرينا من أعمالهم فإن من تبرأ من عمل لم ينتسب إليه و إلى هذا المعنى يئول قوله تعالى فى مواضع من كلامه فى وصف هذا الموقف: «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا يَفْتَرُونَ» :الأنعام:۲۴ «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ» :حم السجده:۴۸ «وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَکُوا مَکانَکُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَکاؤُکُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَ قالَ شُرَکاؤُهُمْ ما کُنْتُمْ إِيّانا تَعْبُدُونَ» ، :يونس:۲۸ إلى غير ذلك من الآيات فافهم.

و قيل:المعنى تبرأنا إليك من أعمالهم ما كانوا إيانا يعبدون بل كانوا يعبدون أهواءهم أو كانوا يعبدون الشياطين.و لا يخلو من سخافه.

و لكون كل من قوليه:« تَبَرَّأْنا إِلَيْکَ »« ما کانُوا إِيّانا يَعْبُدُونَ »فى معنى قوله:

« أَغْوَيْناهُمْ کَما غَوَيْنا »جىء بالفصل من غير عطف.

قوله تعالى:« وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَکاءَکُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ کانُوا يَهْتَدُونَ »المراد بشركائهم الآلهه التى كانوا شركاء لله بزعمهم و لذا أضافهم إليهم.و المراد بدعوتهم دعوتهم إياهم لينصروهم و يدفعوا عنهم العذاب و لذا قال:

« وَ رَأَوُا الْعَذابَ »بعد قوله:« فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ».

و قوله:« لَوْ أَنَّهُمْ کانُوا يَهْتَدُونَ »قيل:جواب لو محذوف لدلاله الكلام عليه و التقدير لو أنهم كانوا يهتدون لرأوا العذاب أى اعتقدوا أن العذاب حق،و يمكن أن يكون لو للتمنى أى ليتهم كانوا يهتدون.

قوله تعالى:« وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ »معطوف على قوله السابق:« وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ »إلخ،سئلوا أولا:عن شركائهم و أمروا أن يستنصروهم، و ثانيا:عن جوابهم للمرسلين إليهم من عند الله.

و المعنى:ما ذا قلتم فى جواب من أرسل إليكم من رسل الله فدعوكم إلى الإيمان و العمل الصالح؟.

قوله تعالى:« فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ »العمى استعاره عن

جعل الإنسان بحيث لا يهتدى إلى خبر،و كان مقتضى الظاهر أن ينسب العمى إليهم لا إلى الأنباء لكن عكس الأمر فقيل:« فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبٰاءُ »للدلاله على أخذهم من كل جانب و سد جميع الطرق و تقطع الأسباب بهم كما قال: «وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ» ، :البقره:۱۶۶ فلسقوط الأسباب عن التأثير يومئذ لا تهتدى إليهم الأخبار و لا يجدون شيئا يعتذرون به للتخلص من العذاب.

و قوله:« فَهُمْ لاٰ يَتَسٰاءَلُونَ »تفريع على عمى الأنباء من قبيل تفرع بعض أفراد العام عليه أى لا يسأل بعضهم بعضا ليعدوا به عذرا يعتذرون به عن تكذيبهم الرسل و ردهم الدعوه.

و قد فسر صدر الآيه و ذيلها بتفاسير كثيره مختلفه لا جدوى فى التعرض لها فرأينا الصفح عنها أولى.

قوله تعالى:« فَأَمّٰا مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَعَسىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ » أى هذه حال من كفر و لم يرجع إلى الله سبحانه فأما من رجع و آمن و عمل صالحا فمن المرجو أن يكون من المفلحين،و عسى-كما قيل-للتحقيق على عاده الكرام أو للترجى من قبل التائب،و المعنى:فليتوقع الفلاح.

قوله تعالى:« وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ وَ يَخْتٰارُ مٰا كٰانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحٰانَ اللّٰهِ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يُشْرِكُونَ » الخيره بمعنى التخير كالطيره بمعنى التطير.

و الآيه جواب رابع عن قولهم:« إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا » و الذى يتضمنه حجه قاطعه.

بيان ذلك:أن الخلق و هو الصنع و الإيجاد ينتهى إليه تعالى كما قال: «اللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» :الزمر:۶۲ فلا مؤثر فى الوجود بحقيقه معنى التأثير غيره تعالى فلا شىء هناك يلجئه تعالى على فعل من الأفعال فإن هذا الشىء المفروض إما مخلوق له منته فى وجوده إليه فوجوده و آثار وجوده ينتهى إليه تعالى و لا معنى لتأثير الشىء و لا لتأثير أثره فى نفسه و إما غير مخلوق له و لا منته فى وجوده إليه يؤثر فيه بالإلجاء و القهر و لا مؤثر فى الوجود غيره و لا أن هناك شيئا لا ينتهى فى وجوده إليه تعالى فلا يعطيه شىء أثرا و لا يمنعه شىء من أثر كما قال: «وَ اللّٰهُ يَحْكُمُ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ» ، :الرعد:۴۱ و قال:

وَ اللّٰهُ غٰالِبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ» :يوسف:۲۱.

و إذ لا قاهر يقهره على فعل و لا مانع يمنعه عن فعل فهو مختار بحقيقه معنى الاختيار هذا بحسب التكوين و التشريع يتبعه فإن حقيقه التشريع هى أنه فطر الناس على فطره لا تستقيم إلا بإتيان أمور هى الواجبات و ما فى حكمها و ترک أمور هى المحرمات و ما فى حكمها فما ينتفع به الإنسان فى كماله و سعادته هو الذى أمر به و ندب إليه و ما يتضرر به هو الذى نهى عنه و حذر منه.

فله تعالى أن يختار فى مرحله التشريع من الأحكام و القوانين ما يشاء كما أن له أن يختار فى مرحله التكوين من الخلق و التدبير ما يشاء،و هذا معنى قوله:« وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ وَ يَخْتٰارُ »و قد أطلق إطلاقا.

و الظاهر أن قوله:« يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ »إشاره إلى اختياره التكوينى فإن معنى إطلاقه أنه لا تقصر قدرته عن خلق شىء و لا يمنعه شىء عما يشاؤه و بعباره أخرى لا يمتنع عن مشيته شىء لا بنفسه و لا بمانع يمنع و هذا هو الاختيار بحقيقه معناه،و قوله:

« وَ يَخْتٰارُ »إشاره إلى اختياره التشريعى الاعتبارى و يكون عطفه على قوله:« يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ »من عطف المسبب على سببه لكون التشريع و الاعتبار متفرعا على التكوين و الحقيقه.

و يمكن حمل قوله:« يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ »على الاختيار التكوينى و قوله:« وَ يَخْتٰارُ » على الأعم من الحقيقه و الاعتبار لكن الوجه السابق أوجه،و من الدليل عليه كون المنفى فى قوله الآتى:« مٰا كٰانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ »هو الاختيار التشريعى الاعتبارى، و الاختيار المثبت فى قوله« وَ يَخْتٰارُ »يقابله فالمراد إثبات الاختيار التشريعى الاعتبارى.

ثم لا ريب فى أن الإنسان له اختيار تكوينى بالنسبه إلى الأفعال الصادره عنه بالعلم و الإراده و إن لم يكن اختيارا مطلقا فإن للأسباب و العلل الخارجيه دخلا فى أفعاله إذ أكله لقمه من الطعام مثلا متوقف على تحقق ماده الطعام خارجا و قابليته و ملائمته و قربه منه و مساعده أدوات الأخذ و القبض و الالتقام و المضغ و البلع و غير ذلک مما لا يحصى.فصدور الفعل الاختيارى عنه مشروط بموافقه الأسباب الخارجيه الداخليه فى تحقق فعله،و الله سبحانه فى رأس تلک الأسباب جميعا و إليه ينتهى الكل و هو الذى خلق الإنسان منعوتا بنعت الاختيار و أعطاه خيرته كما أعطاه خلقه.

ثم إن الإنسان یری بالطبع لنفسه اختیارا تشریعیا اعتباریا فیما یشاؤه من فعل أو ترک بحذاء اختیاره التکوینی فله أن یفعل ما یشاء و یترک ما یشاء من غیر أن یکون لأحد من بنی نوعه أن یحمله علی شیء أو یمنعه عن شیء لکونهم أمثالا له لا یزیدون علیه بشیء فی معنی الإنسانیه و لا یملکون منه شیئا،و هذا هو المراد بکون الإنسان حرا بالطبع.

فالإنسان مختار فی نفسه حر بالطبع إلا أن یملک غیره من نفسه شیئا فیسلب بنفسه عن نفسه الحریه کما أن الإنسان الاجتماعی یسلب عن نفسه الحریه بالنسبه إلی موارد السنن و القوانین الجاریه فی مجتمعه بدخوله فی المجتمع و إمضائه ما یجری فیه من سنن و قوانین سواء کانت دینیه أو اجتماعیه،و کما أن المتقاتلین یملک کل منهما الآخر من نفسه ما یغلب علیه فللغالب منهما أن یفعل بأسیره ما یشاء،و کما أن الأجیر إذا ابتاع عمله و آجر نفسه فلیس بحر فی عمله إذ المملوکیه لا تجامع الحریه.

فالإنسان بالنسبه إلی سائر بنی نوعه حر فی عمله مختار فی فعله إلا أن یسلب باختیار منه شیئا من اختیاره فیملک غیره،و الله سبحانه یملک الإنسان فی نفسه و فی فعله الصادر منه ملکا مطلقا بالملک التکوینی و بالملک الوضعی الاعتباری فلا خیره له و لا حریه بالنسبه إلی ما یریده منه تشریعا بأمر أو نهی تشریعیین کما لا خیره و لا حریه له بالنسبه إلی ما یشاؤه بمشیته التکوینیه.

و هذا هو المراد بقوله:« مٰا کٰانَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ »أی لا اختیار لهم إذا اختار الله سبحانه لهم شیئا من فعل أو ترک حتی یختاروا لأنفسهم ما یشاءون و إن خالف ما اختاره الله و الآیه قریبه المعنی من قوله تعالی: «وَ مٰا کٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَهٍ إِذٰا قَضَی اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ یَکُونَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ» ، :الأحزاب:۳۶ و للقوم فی تفسیر الآیه أقاویل مختلفه غیر مجدیه أغمضنا عنها من أراد الوقوف علیها فعلیه بالرجوع إلی المطولات.

و قوله:« سُبْحٰانَ اللّٰهِ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ »أی عن شرکهم باختیارهم أصناما آلهه یعبدونها من دون الله.

و هاهنا معنی آخر أدق أی تنزه و تعالی عن شرکهم بادعاء أن لهم خیره بالنسبه إلی ما یختاره تعالی بقبوله أو رده فإن الخیره بهذا المعنی لا تتم إلا بدعوی الاستقلال فی

الوجود و الاستغناء عنه تعالى و لا تتم إلا مع الاشتراک معه تعالى فى صفه الألوهيه.

و فى قوله:« وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ »التفات من التکلم بالغير إلى الغيبه و النکته فيه تأييد النبى ص و تقويته و تطييب نفسه بإضافه صفه الرب إليه فإن معناه أن ما أرسله به من الحکم ماض غير مردود فلا خيره لهم فى قبوله و رده،و لأنهم لا يقبلون ربوبيته.

و فى قوله:« سُبْحانَ اللّهِ »وضع الظاهر موضع المضمر و النکته فيه إرجاع الأمر إلى الذات المتعاليه التى هى المبدأ للتنزه و التعالى عن کل ما لا يليق بساحه قدسه فإنه تعالى يتصف بکل کمال و يتنزه عن کل نقص لأنه هو الله عز اسمه.

قوله تعالى:« وَ رَبُّکَ يَعْلَمُ ما تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ » الإکنان الإخفاء و الإعلان الإظهار،و لکون الصدر يعد مخزنا للأسرار نسب الإکنان إلى الصدور و الإعلان إليهم أنفسهم.

و لعل تعقيب الآيه السابقه بهذه الآيه للإشاره إلى أنه تعالى إنما اختار لهم ما اختار لعلمه بما فى ظاهرهم و باطنهم من أوساخ الشرک و المعصيه فطهرهم بذلک بحکمته.

قوله تعالى:« وَ هُوَ اللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولى وَ الْآخِرَهِ وَ لَهُ الْحُکْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »ظاهر السياق أن الضمير فى صدر الآيه راجع إلى« رَبُّکَ »فى الآيه السابقه، و الظاهر على هذا أن اللام فى اسم الجلاله للتلميح إلى معنى الوصف،و قوله:« لا إِلهَ إِلاّ هُوَ »تأکيد للحصر المستفاد من قوله:« هُوَ اللّهُ »کأنه قيل:و هو الإله-المتصف وحده بالألوهيه-لا إله إلا هو.

و على ذلک فالآيه کالمتمم لبيان الآيه السابقه کأنه قيل:هو سبحانه مختار له أن يختار عليهم أن يعبدوه وحده،و هو يعلم ظاهرهم و باطنهم فله أن يقضى عليهم أن يعبدوه وحده و هو الإله المستحق للعباده وحده فيجب عليهم أن يعبدوه وحده.

و يکون ما فى ذيل الآيه من قوله:« لَهُ الْحَمْدُ »إلخ،وجوها ثلاثه توجه کونه تعالى معبودا مستحقا للعباده وحده.

أما قوله:« لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولى وَ الْآخِرَهِ »فلأن کل کمال موجود فى الدنيا و الآخره نعمه نازله منه تعالى يستحق بها جميل الثناء،و کل جميل من هذه النعم

الموهوبه مترشحه من كمال ذاتی من صفاته الذاتیه یستحق بها الثناء فله کل الثناء و لا یستقل شیء غیره بشیء من الثناء یثنی علیه به إلا و ینتهی إلیه و العباده ثناء بقول أو فعل فهو المعبود المستحق للعباده وحده.

و أما قوله:« وَ لَهُ الْحُکْمُ »فلأنه سبحانه هو المالک علی الإطلاق لا یملک غیره إلا ما ملکه إیاه و هو المالک لما ملکه و هو سبحانه مالک فی مرحله التشریع و الاعتبار کما أنه مالک فی مرحله التکوین و الحقیقه،و من آثار ملکه أن یقضی علی عبیده و مملوکیه أن لا یعبدوا إلا إیاه.

و أما قوله:« وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ »فلأن الرجوع للحساب و الجزاء و إذ کان هو المرجع فهو المحاسب المجازی و إذ کان هو المحاسب المجازی وحده فهو الذی یجب أن یعبد وحده و له دین یجب أن یتعبد به وحده.

قوله تعالی:« قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَیْکُمُ اللَّیْلَ سَرْمَداً إِلیٰ یَوْمِ الْقِیٰامَهِ »إلی آخر الآیه،السرمد علی فعلل بمعنی الدائم،و قیل:هو من السرد و المیم زائده و معناه المتتابع المطرد،و تقییده بیوم القیامه إذ لا لیل بعد یوم القیامه.

و قوله:« مَنْ إِلٰهٌ غَیْرُ اللّٰهِ یَأْتِیکُمْ بِضِیٰاءٍ »أی من الإله الذی ینقض حکمه تعالی و یأتیکم بضیاء تستضیئون به و تسعون فی طلب المعاش،هذا ما یشهد به السیاق،و یجری نظیره فی قوله الآتی:« مَنْ إِلٰهٌ غَیْرُ اللّٰهِ یَأْتِیکُمْ بِلَیْلٍ »إلخ.

و بذلک یندفع ما استشکل علی الآیتین من أنه لو فرض تحقق جعل اللیل سرمدا إلی یوم القیامه لم یتصور معه الإتیان بضیاء أصلا لأن الذی یأتی به إما هو الله تعالی و إما هو غیره أما غیره فعجزه عن ذلک ظاهر،و أما الله تعالی فإتیانه به یستلزم اجتماع اللیل و النهار و هو محال و المحال لا یتعلق به القدره و لا الإراده،و کذا الکلام فی جانب النهار.

و ربما أجیب عنه بأن المراد بقوله:« إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَیْکُمُ »إن أراد الله أن یجعل علیکم.و هو کما تری.

و کان مقتضی الظاهر أن یقال:من إله غیر الله یأتیکم بنهار،علی ما یقتضیه سیاق المقابله بین اللیل و النهار فی الکلام لکن العدول إلی ذکر الضیاء بدل النهار من قبیل

الإلزام فى الحجه بأهون ما يفرض و أيسره ليظهر بطلان مدعى الخصم أتم الظهور كأنه قيل:لو كان غيره تعالى إله يدبر أمر العالم فإن جعل الله الليل سرمدا فليقدر أن يأتى بالنهار،تنزلنا عن ذلك فليقدر أن يأتى بضياء ما تستضيئون به لكن لا قدره لشىء على ذلك إن القدره كلها لله سبحانه.

و لا يجرى نظير هذا الوجه فى الآيه التاليه فى الليل حتى يصح أن يقال مثلا:من إله غير الله يأتيكم بظلمه لأن المأتى به إن كان ظلمه ما لم تكف للسكن و إن كان ظلمه ممتده كانت هى الليل.

و تنكير« بِضِيٰاءٍ »يؤيد ما ذكر من الوجه،و قد أوردوا وجوها أخرى فى ذلك لا تخلو من تعسف.

و قوله:« أَ فَلاٰ تَسْمَعُونَ »أى سمع تفهم و تفكر حتى تتفكروا فتفهموا أن لا إله غيره تعالى.

قوله تعالى:« قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَيْكُمُ النَّهٰارَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ »أى تستريحون فيه مما أصابكم من تعب السعى للمعاش.

و قوله:« أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ »أى إبصار تفهم و تذكر و إذ لم يبصروا و لم يسمعوا فهم عمى صم،و من اللطيف تذييل الآيتين بقوله:« أَ فَلاٰ تَسْمَعُونَ »« أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ » و لعل آيه النهار خص بالإبصار لمناسبه ضوء النهار الإبصار و بقى السمع لآيه الليل و هو لا يخلو من مناسبه معه.

قوله تعالى:« وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »الآيه بمنزله نتيجه الحجه المذكوره فى الآيتين السابقتين سيقت بعد إبطال دعوى الخصم فى صوره الإخبار الابتدائى لثبوته من غير معارض.

و قوله:« لِتَسْكُنُوا فِيهِ »اللام للتعليل و الضمير لليل،أى جعل لكم الليل لتستريحوا فيه،و قوله:« لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ »أى و جعل لكم النهار لتطلبوا من رزقه الذى هو عطيته فرجوع« لِتَسْكُنُوا »و« لِتَبْتَغُوا »إلى الليل و النهار بطريق اللف و النشر المرتب، و قوله:« وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »راجع إليهما جميعا.

و قوله:« وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكَمُ »فى معنى قولنا:جعل لكم و ذلك رحمه منه و فيه إشاره إلى أن التكوين كالسكون و الابتغاء و التشريع و هو هدايتهم إلى الشكر من آثار صفه رحمته تعالى فافهم ذلك.

قوله تعالى:« وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ »تقدم تفسيره و قد كررت الآيه لحاجه مضمون الآيه التاليه إليها.

قوله تعالى:« وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ »إلى آخر الآيه، إشاره إلى ظهور بطلان مزعمتهم لهم يوم القيامه،و المراد بالشهيد شهيد الأعمال-كما تقدمت الإشاره إليه مرارا-و لا ظهور للآيه فى كونه هو النبى المبعوث إلى الأمه نظرا إلى إفراد الشهيد و ذكر الأمه إذ الأمه هى الجماعه من الناس و لا ظهور و لا نصوصيه له فى الجماعه الذين أرسل إليهم نبى و إن كانت من مصاديقها.

و قوله:« فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ »أى طالبناهم بالحجه القاطعه على ما زعموا أن لله شركاء.

و قوله:« فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلّٰهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ »أى غاب عنهم زعمهم الباطل أن لله سبحانه شركاء فعلموا عند ذلك أن الحق فى الألوهيه لله وحده فالمراد بالضلال الغيبه على طريق الاستعاره.كذا فسروه،ففى الكلام تقديم و تأخير و الأصل فضل عنهم ما كانوا يفترون فعلموا أن الحق لله.

و على هذا فقوله:« أَنَّ الْحَقَّ لِلّٰهِ »نظير ما يقال فى القضاء بين المتخاصمين إذا تداعيا فى حق يدعيه كل لنفسه:أن الحق لفلان لا لفلان كأنه تعالى يخاصم المشركين حيث يدعون أن الألوهيه بمعنى المعبوديه حق لشركائهم فيدعى تعالى أنه حقه فيطالبهم البرهان على دعواهم فيضل عنهم البرهان فيعلمون عندئذ أن هذا الحق لله فالألوهيه حق ثابت لا ريب فيه فإذا لم يكن حقا لغيره تعالى فهو حق له.

و هذا وجه بظاهره وجيه لا بأس به لكن الحقيقه التى يعطيها كلامه تعالى أن من خاصه يوم القيامه أن الحق يتمحض فيه للظهور ظهورا مشهودا لا ستر عليه فليرتفع به كل باطل يلتبس به الأمر و يتشبه بالحق،و لازمه أن يظهر أمر الألوهيه ظهورا لا ستر عليه فيرتفع به افتراء الشركاء ارتفاعا مترتبا عليه لا أن يفتقد الدليل على الشركاء

فيستنتج منه توحده تعالى بالألوهيه على سبيل الاحتجاجات الفكريه فافهم ذلك.

و بذلك يندفع أولا- ما يرد على الوجه السابق أن المستفاد من كلامه تعالى أنهم لا حجه عقليه لهم على مدعاهم و لا موجب على هذا لتأخر علمهم أن الحق لله إلى يوم القيامه، و يرتفع ثانيا حديث التقديم و التأخير المذكور الذى لا نكته له ظاهرا إلا رعايه السجع.

و من الممكن أن يكون« اَلْحَقَّ »فى قوله:« فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلّٰهِ »مصدرا فيرجع معنى الجمله إلى معنى قوله: «وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» ، :النور:۲۵ فكون الحق لله هو كونه تعالى حقا إن أريد به الحق فى ذاته أو كونه منتهيا إليه قائما به إن أريد به غيره،كما قال تعالى: «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» ، :آل عمران:۶۰ و لم يقل:

الحق مع ربك.

(بحث روائى)

فى تفسير القمى،": فى قوله تعالى:« وَ قٰالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا »الآيه،قال:نزلت فى قريش-حين دعاهم رسول الله ص إلى الإسلام و الهجره-و قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا-فقال الله عز و جل:« أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً-يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَرٰاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنّٰا-وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ ».

أقول:و روى هذا المعنى فى كشف المحجه،و روضه الواعظين،للمفيد و رواه فى الدر المنثور،عن ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس.

و فى الدر المنثور،أخرج النسائى و ابن المنذر عن ابن عباس": أن الحارث بن عامر بن نوفل الذى قال:« إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا ».

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مٰا يَشٰاءُ وَ يَخْتٰارُ مٰا كٰانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ »الآيه،قال:يختار الله عز و جل الإمام و ليس لهم أن يختاروا.

أقول:و هو من الجرى مبنيا على وجوب نصب الإمام المعصوم من قبل الله تعالى كالنبى،و قد مر تفصيل الكلام فيه.

و فيه،في روايه أبى الجارود عن أبى جعفر(ع): فى قوله تعالى:« وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً »يقول:من هذه الأمه إمامها.

أقول:و هو من الجرى.

[سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨۴]

اشاره

إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْناهُ مِنَ اَلْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي اَلْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اَللّهَ لا يُحِبُّ اَلْفَرِحِينَ (٧۶) وَ اِبْتَغِ فِيما آتاكَ اَللّهُ اَلدّارَ اَلْآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ اَلدُّنْيا وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اَللّهُ إِلَيْكَ وَ لا تَبْغِ اَلْفَسادَ فِي اَلْأَرْضِ إِنَّ اَللّهَ لا يُحِبُّ اَلْمُفْسِدِينَ (٧٧) قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اَللّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ اَلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ اَلْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ اَلَّذِينَ يُرِيدُونَ اَلْحَياةَ اَلدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَ قالَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اَللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقّاها إِلاَّ اَلصّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ اَلْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اَللّهِ وَ ما كانَ مِنَ اَلْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَ أَصْبَحَ اَلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اَللّهَ يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اَللّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ اَلْكافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ اَلدّارُ اَلْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي اَلْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ اَلْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى اَلَّذِينَ عَمِلُوا اَلسَّيِّئاتِ إِلاّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (٨۴)

(بیان)

قصه قارون من بنی إسرائیل ذکرها الله سبحانه بعد ما حکی قول المشرکین:

« إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدیٰ مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا »و أجاب عنه بما مر من الأجوبه لیعتبروا بها فقد کانت حاله تمثل حالهم ثم أداه الکفر بالله إلی ما أدی من سوء العاقبه فلیحذروا أن یصیبهم مثل ما أصابه،فقد آتاه الله من الکنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبه أولی القوه فظن أنه هو الذی جمعه بعلمه و جوده فکره و حسن تدبیره فآمن العذاب الإلهی و آثر الحیاه الدنیا علی الآخره و بغی الفساد فی الأرض فخسف الله به و بداره الأرض فلما کان له من فئه ینصرونه من دون الله و ما کان من المنتصرین.

قوله تعالی:« إِنَّ قٰارُونَ کٰانَ مِنْ قَوْمِ مُوسیٰ فَبَغیٰ عَلَیْهِمْ وَ آتَیْنٰاهُ مِنَ الْکُنُوزِ مٰا إِنَّ مَفٰاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَهِ أُولِی الْقُوَّهِ »قال فی المجمع:،البغی طلب العتو بغیر حق.

قال:و المفاتح جمع مفتح و المفاتیح جمع مفتاح و معناهما واحد و هو عباره عما یفتح به الأغلاق.قال:و ناء بحمله ینوء نوءا إذا نهض به مع ثقله علیه.انتهی.و قال غیره:

ناء به الحمل إذا أثقله حتی أماله و هو الأوفق للآیه.

و قال فی المجمع،أیضا: العصبه الجماعه الملتف بعضها ببعض.و قال:و اختلف فی معنی العصبه فقیل:ما بین عشره إلی خمسه عشر عن مجاهد،و قیل:ما بین عشره

ص: ۷۵

إلی أربعین عن قتاده،و قیل أربعون رجلا عن أبی صالح (۱)،و قیل:ما بین الثلاثه إلی العشره عن ابن عباس،و قیل:إنهم الجماعه یتعصب بعضهم لبعض.انتهی.و یزیف غیر القولین الأخیرین قول إخوه یوسف: «وَ نَحْنُ عُصْبَهٌ» ، :یوسف:۸ و هم تسعه نفر.

و المعنی:أن قارون کان من بنی إسرائیل فطلب العتو علیهم بغیر حق و أعطیناه من الکنوز ما إن مفاتیحه لتثقل الجماعه ذوی القوه،و ذکر جمع من المفسرین أن المراد بالمفاتح الخزائن،و لیس بذاک.

قوله تعالی:« إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللّهَ لا یُحِبُّ الْفَرِحِینَ »فسر الفرح بالبطر و هو لازم الفرح و السرور المفرط بمتاع الدنیا فإنه لا یخلو من تعلق شدید بالدنیا ینسی الآخره و یورث البطر و الأشر،و لذا قال تعالی: «وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاکُمْ وَ اللّهُ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ» :الحدید:۲۳.

و لذا أیضا علل النهی بقوله:« إِنَّ اللّهَ لا یُحِبُّ الْفَرِحِینَ ».

قوله تعالی:« وَ ابْتَغِ فِیما آتاکَ اللّهُ الدّارَ الْآخِرَهَ »إلی آخر الآیه أی و اطلب فیما أعطاک الله من مال الدنیا تعمیر الدار الآخره بإنفاقه فی سبیل الله و وضعه فیما فیه مرضاته تعالی.

و قوله:« وَ لا تَنْسَ نَصِیبَکَ مِنَ الدُّنْیا »أی لا تترک ما قسم الله لک و رزقک من الدنیا ترک المنسی و اعمل فیه لآخرتک لأن حقیقه نصیب الإنسان من الدنیا هو ما یعمل به لآخرته فهو الذی یبقی له.

و قیل:معناه لا تنس أن نصیبک من الدنیا-و قد أقبلت علیک-شیء قلیل مما أوتیت و هو ما تأکله و تشربه و تلبسه مثلا و الباقی فضل ستترکه لغیرک فخذ منها ما یکفیک و أحسن بالفضل و هذا وجه جید.و هناک وجوه أخر غیر ملائمه للسیاق.

و قوله:« وَ أَحْسِنْ کَما أَحْسَنَ اللّهُ إِلَیْکَ »أی أنفقه لغیرک إحسانا کما آتاکه الله إحسانا من غیر أن تستحقه و تستوجبه،و هذه الجمله من قبیل عطف التفسیر لقوله:

« وَ لا تَنْسَ نَصِیبَکَ مِنَ الدُّنْیا »علی أول الوجهین السابقین و متممه له علی الوجه الثانی.

۱- ۱) و روی فی الدر المنثور عن أبی صالح سبعین.

و قوله:« وَ لاٰ تَبْغِ الْفَسٰادَ فِی الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ الْمُفْسِدِینَ »أی لا تطلب الفساد فی الأرض بالاستعانه بما آتاک الله من مال و ما اکتسبت به من جاه و حشمه إن الله لا یحب المفسدین لبناء الخلقه علی الصلاح و الإصلاح.

قوله تعالی:« قٰالَ إِنَّمٰا أُوتِیتُهُ عَلیٰ عِلْمٍ عِنْدِی »إلی آخر الآیه.لا شک أن قوله « إِنَّمٰا أُوتِیتُهُ عَلیٰ عِلْمٍ عِنْدِی »جواب عن جمیع ما قاله المؤمنون من قومه و نصحوه به و کان کلامهم مبنیا علی أن ما له من الثروه إنما آتاه الله إحسانا إلیه و فضلا منه من غیر استیجاب و استحقاق فیجب علیه أن یبتغی فیه الدار الآخره و یحسن به إلی الناس و لا یفسد فی الأرض بالاستعلاء و الاستکبار و البطر.

فأجاب بنفی کونه إنما أوتیه إحسانا من غیر استحقاق و دعوی أنه إنما أوتیه علی استحقاق بما عنده من العلم بطرق اقتناء المال و تدبیره و لیس عند غیره ذلک،و إذا کان ذلک باستحقاق فقد استقل بملکه و له أن یفعل فیما اقتناه من المال بما شاء و یستدره فی أنواع التنعم و بسط السلطه و العلو و البلوغ إلی الآمال و الأمانی.

و هذه المزعمه التی ابتلی بها قارون فأهلکته-أعنی زعمه أن الذی حصل له الکنوز و ساق إلیه القوه و الجمع هو نبوغه العلمی فی اکتساب العزه و قدرته النفسانیه لا غیر-مزعمه عامه بین أبناء الدنیا لا یری الواحد منهم فیما ساقه إلیه التقدیر و وافقته الأسباب الظاهره من عزه عاجله و قوه مستعاره إلا أن نفسه هی الفاعله له و علمه هو السائق له إلیه و خبرته هی الماسکه له لأجله.

و إلی عموم هذه المزعمه و رکون الإنسان إلیها بالطبع یشیر قوله تعالی: «فَإِذٰا مَسَّ الْإِنْسٰانَ ضُرٌّ دَعٰانٰا ثُمَّ إِذٰا خَوَّلْنٰاهُ نِعْمَةً مِنّٰا قٰالَ إِنَّمٰا أُوتِیتُهُ عَلیٰ عِلْمٍ بَلْ هِیَ فِتْنَةٌ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ قَدْ قٰالَهَا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمٰا أَغْنیٰ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ فَأَصٰابَهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا کَسَبُوا وَ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلاٰءِ سَیُصِیبُهُمْ سَیِّئٰاتُ مٰا کَسَبُوا وَ مٰا هُمْ بِمُعْجِزِینَ أَ وَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یَقْدِرُ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ» :الزمر:۵۲،و قال: «أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کٰانُوا أَکْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَشَدَّ قُوَّةً وَ آثٰاراً فِی الْأَرْضِ فَمٰا أَغْنیٰ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ فَلَمّٰا جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ فَرِحُوا بِمٰا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا کٰانُوا

بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» :المؤمن:۸۳ و عرض الآيات على قصه قارون لا يبقى شكا فى أن المراد بالعلم فى كلام ما قدمناه.

و فى قوله:« إِنَّما أُوتِيتُهُ »من غير إسناد الإيتاء إلى الله سبحانه كما فى قول الناصحين له:« فِيما آتاكَ اللّهُ »نوع إعراض عن ذكره تعالى و إزراء بساحه كبريائه.

و قوله:« أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً »استفهام توبيخى و جواب عن قوله:« إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي »بأيسر ما يمكن أن يتنبه به لفساد قوله فإنه كان يرى أن الذى اقتنى به المال و هو يبقيه له و يمتعه منه هو علمه الذى عنده و هو يعلم أنه كان فيمن قبله من القرون من هو أشد منه قوه و أكثر جمعا،و كان ما له من القوه و الجمع عن علم عنده على زعمه،و قد أهلكه الله بجرمه،فلو كان العلم الذى يغتر و يتبجح به هو السبب الجامع للمال الحافظ له الممتع منه و لم يكن بإيتاء الله فضلا و إحسانا لنجاهم من الهلاك و متعهم من أموالهم و دافعوا بقوتهم و انتصروا بجمعهم.

و قوله:« وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ »ظاهر السياق أن المراد به بيان السنه الإلهيه فى تعذيب المجرمين و إهلاكهم بذنوبهم فيكون كنايه عن عدم إمهالهم و الإصغاء إلى ما لفقوه من المعاذير أو هيئوه من التذلل و الإنابه ليرجو بذلك النجاه كما أن أولى الطول و القوه من البشر إذا أرادوا تعذيب من يتحكمون عليه سألوه عن ذنبه ليقضوا عليه بالجرم ثم العذاب،و ربما صرف المجرم بما لفقه من المعاذير عذابهم عن نفسه لكن الله سبحانه لعلمه بحقيقه الحال لا يسأل المجرمين عن ذنوبهم و إنما يقضى عليهم قضاء فيأتيهم عذاب غير مردود.

و الظاهر على هذا أن تكون الجمله من تتمه التوبيخ السابق و يكون جوابا عن إسناده ثروته إلى علمه،و محصله أن المؤاخذه الإلهيه ليست كمؤاخذه الناس حتى إذا لاموه أو نصحوه صرف عن نفسه ذلك بما لفقه من الجواب حتى ينتفع فى ذلك بعلمه، بل هو سبحانه عليم شهيد لا يسأل المجرم عن ذنبه و إنما يؤاخذه بذنبه،و أيضا يؤاخذه بغته و هو لا يشعر.

هذا ما يعطيه السياق فى معنى الآيه و لهم فيها أقاويل أخرى:

فقيل:المراد بالعلم فى قوله:« إِنَّمٰا أُوتِيتُهُ عَلىٰ عِلْمٍ عِنْدِي »علم التوراه فإنه كان أعلم بنى إسرائيل بها.

و قيل:المراد علم الكيمياء و كان قد تعلمه من موسى و يوشع بن نون و كالب بن يوقنا و المراد بكون العلم عنده اختصاصه به دون سائر الناس و قد صنع به مقدارا كثيرا من الذهب.

و قيل:المراد بالعلم علم استخراج الكنوز و الدفائن و قد استخرج به كنوزا و دفائن كثيره.

و قيل:المراد بالعلم علم الله تعالى و المعنى:أوتيته على علم من الله و تخصيص منه قصدنى به،و معنى قوله:« عِنْدِي »هو كذلك فى ظنى و رأيى.

و قيل:العلم علم الله لكنه بمعنى المعلوم،و المعنى أوتيته على خير علمه الله تعالى عندى،و« عَلىٰ »على جميع هذه الأقوال للاستعلاء و جوز أن تكون للتعليل.

و قيل:المراد بالسؤال فى قوله:« وَ لاٰ يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ »سؤال يوم القيامه و المنفى سؤال الاستعلام لأن الله أعلم بذنوبهم لا حاجه له إلى السؤال و الملائكه يعلمونها من صحائف أعمالهم و يعرفونهم بسيماهم و أما قوله تعالى: «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» :الصافات:۲۴ فهو سؤال تقريع و توبيخ لا سؤال استعلام،و يمكن أن يكون السؤال فى الآيتين بمعنى واحد و النفى و الإثبات باعتبار اختلاف المواقف يوم القيامه فيسألون فى موقف و لا يسألون فى آخر فلا تناقض بين الآيتين.

و قيل:الضمير فى قوله:« عَنْ ذُنُوبِهِمُ »لمن هو أشد و المراد بالمجرمين غيرهم و المعنى:لا يسأل عن ذنوب من أهلكه الله من أهل القرون السابقه غيرهم من المجرمين.

و هذه كلها وجوه من التفسير لا يلائمها السياق.

قوله تعالى:« فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قٰالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا يٰا لَيْتَ لَنٰا مِثْلَ مٰا أُوتِيَ قٰارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » الحظ هو النصيب من السعاده و البخت.

و قوله:« يُرِيدُونَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا »أى يجعلونها الغايه المطلوبه فى مساعيهم ليس لهم وراءها غايه فهم على جهل من الآخره و ما أعد الله لعباده فيها من الثواب قال تعالى: «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنٰا وَ لَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ»

:النجم:۳۰ و لذلک عدوا ما أوتیه قارون من المال سعاده عظیمه له من دون قید و شرط.

قوله تعالی:« وَ قٰالَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ وَیْلَکُمْ ثَوٰابُ اَللّٰهِ خَیْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً » إلخ، الویل الهلاک و یستعمل للدعاء بالهلاک و زجرا عما لا یرتضی،و هو فی المقام زجرا عن التمنی.

و القائلون بهذا القول هم المؤمنون أهل العلم بالله یخاطبون به أولئک الجهله الذین تمنوا أن یؤتوا مثل ما أوتی قارون و عدوه سعاده عظیمه علی الإطلاق،و مرادهم أن ثواب الله خیر لمن آمن و عمل صالحا مما أوتی قارون فإن کانوا مؤمنین صالحین فلیتمنوه.

و قوله:« وَ لاٰ یُلَقّٰاهٰا إِلاَّ اَلصّٰابِرُونَ » التلقیه التفهیم و التلقی التفهم و الأخذ، و الضمیر-علی ما قالوا-للکلمه المفهومه من السیاق،و المعنی:و ما یفهم هذه الکلمه -و هی قولهم: ثَوٰابُ اَللّٰهِ خَیْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً -إلا الصابرون.

و قیل:الضمیر للسیره أو الطریقه و معنی تلقیها فهمها أو التوفیق للعمل بها.

و الصابرون هم المتلبسون بالصبر عند الشدائد و علی الطاعات و عن المعاصی، و وجه کونهم هم المتلقین لهذه الکلمه أو السیره أو الطریقه أن التصدیق بکون ثواب الآخره خیرا من الحظ الدنیوی-و هو لا ینفک عن الإیمان و العمل الصالح الملازمین لترک کثیر من الأهواء و الحرمان عن کثیر من المشتهیات-لا یتحقق إلا ممن له صفه الصبر علی مراره مخالفه الطبع و عصیان النفس الأماره.

قوله تعالی:« فَخَسَفْنٰا بِهِ وَ بِدٰارِهِ اَلْأَرْضَ »إلی آخر الآیه،الضمیران لقارون و الجمله متفرعه علی بغیه.

و قوله:« فَمٰا کٰانَ لَهُ مِنْ فِئَهٍ یَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ مٰا کٰانَ مِنَ اَلْمُنْتَصِرِینَ » الفئه الجماعه یمیل بعضهم إلی بعض،و فی النصر و الانتصار معنی المنع و الامتناع،و محصل المعنی:فما کان له جماعه یمنعونه العذاب و ما کان من الممتنعین علی خلاف ما کان یظن أن الذی یجلب إلیه الخیر و یدفع عنه الشر هو قوته و جمعه اللذان اکتسبهما بعلمه فلم یقه جمعه و لم تفده قوته من دون الله و بان أن الله سبحانه هو الذی آتاه ما آتاه.

فالفاء فی قوله:« فَمٰا کٰانَ »لتفریع الجمله علی قوله:« فَخَسَفْنٰا بِهِ »إلخ،أی فظهر بخسفنا به و بداره الأرض بطلان ما کان یدعیه لنفسه من الاستحقاق و الاستغناء

عن الله سبحانه و أن الذى يجلب إليه الخير و يدفع عنه الشر هو قوته و جمعه و قد اكتسبهما بنبوغه العلمى.

قوله تعالى:« وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ »إلخ،ذكروا أن«وى»كلمه تندم و ربما تستعمل للتعجب و كلا المعنيين يقبلان الانطباق على المورد و إن كان التندم أسبق إلى الذهن.

و قوله:« وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ »اعتراف منهم ببطلان ما كان يزعمه قارون و هم يصدقونه أن القوه و الجمع فى الدنيا بنبوغ الإنسان فى علمه و جوده تدبيره لا بفضل من الله سبحانه بل سعه الرزق و ضيقه بمشيه من الله.

و المقام مقام التحقيق دون التشبيه المناسب للشك و التردد لكنهم إنما استعملوا فى كلامهم« وَيْكَأَنَّ »للدلاله على ابتداء ترددهم فى قول قارون و قد قبلوه و صدقوه من قبل و هذه صنعه شائعه فى الاستعمال.

و الدليل على ذلك قولهم بعده:« لَوْ لاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا »على طريق الجزم و التحقيق.

و قوله:« وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ »تندم منهم ثانيا و انتزاع مما كان لازم تمنيتهم مكان قارون.

قوله تعالى:« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لاَ فَسَاداً وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »الآيه و ما بعدها بمنزله النتيجه المستخرجه من القصه.

و قوله:« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ »الإشاره إليها بلفظ البعيد للدلاله على شرفها و بهائها و علو مكانتها و هو الشاهد على أن المراد بها الدار الآخره السعيده و لذا فسروها بالجنه.

و قوله:« نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لاَ فَسَاداً »أى نختصها بهم و إراده العلو هو الاستعلاء و الاستكبار على عباد الله و إراده الفساد فيها ابتغاء معاصى الله تعالى فإن الله بنى شرائعه التى هى تكاليف للإنسان على مقتضيات فطرته و خلقته و لا تقتضى فطرته إلا ما يوافق النظام الأحسن الجارى فى الحياه الإنسانيه الأرضيه فكل معصيه تقضى إلى فساد فى الأرض بلا واسطه أو بواسطه،قال تعالى: «ظَهَرَ

الْفَسَادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا کَسَبَتْ أَیْدِی النَّاسِ» :الروم:۴۱.

و من هنا ظهر أن إراده العلو من مصادیق إراده الفساد و إنما أفردت و خصت بالذکر اعتناء بأمرها،و محصل المعنی:تلک الدار الآخره السعیده تخصها بالذین لا یریدون فسادا فی الأرض بالعلو علی عباد الله و لا بأی معصیه أخری.

و الآیه عامه یخصصها قوله تعالی: «إِنْ تَجْتَنِبُوا کَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئَاتِکُمْ وَ نُدْخِلْکُمْ مُدْخَلاً کَرِیماً» :النساء:۳۱.

و قوله:« وَ الْعَاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ »أی العاقبه المحموده الجمیله و هی الدار الآخره السعیده أو العاقبه السعیده فی الدنیا و الآخره لکن سیاق الآیتین یؤید الأول.

قوله تعالی:« مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْهَا »أی لأنها تتضاعف له بفضل من الله،قال تعالی: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» :الأنعام:۱۶۰.

قوله تعالی:« وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَلاَ یُجْزَی الَّذِینَ عَمِلُوا السَّیِّئَاتِ إِلاَّ مَا کَانُوا یَعْمَلُونَ »أی لا یزیدون علی ما عملوا شیئا و فیه کمال العدل،کما أن فی جزاء الحسنه بخیر منها کمال الفضل.

و کان مقتضی الظاهر فی قوله:« فَلاَ یُجْزَی الَّذِینَ عَمِلُوا »إلخ،الإضمار و لعل فی وضع الموصول موضع الضمیر إشاره إلی أن هذا الجزاء إنما هو لمن أکثر من اقتراف المعصیه و أحاطت به الخطیئه کما یفیده جمع السیئات،و قوله:« کَانُوا یَعْمَلُونَ »الدال علی الإصرار و الاستمرار،و أما من جاء بالسیئه و الحسنه فمن المرجو أن یغفر الله له کما قال: «وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً عَسَی اللَّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ» :التوبه:۱۰۲.

و لیعلم أن الملاک فی الحسنه و السیئه علی الأثر الحاصل منها عند الإنسان و بها تسمی الأعمال حسنه أو سیئه و علیها-لا علی متن العمل الخارجی الذی هو نوع من الحرکه-یثاب الإنسان أو یعاقب،قال تعالی: «وَ إِنْ تُبْدُوا مَا فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحَاسِبْکُمْ بِهِ اللَّهُ» :البقره:۲۸۴.

و به یظهر الجواب عما استشکل علی إطلاق الآیه بأن التوحید حسنه و لا یعقل خیر منه و أفضل،فالآیه إما خاصه بغیر الاعتقادات الحقه أو مخصصه بالتوحید.

و ذلک أن الأثر الحاصل من التوحید یمکن أن یفرض ما هو خیر منه و إن لم یقبله التوحید بحسب الاعتبار.

علی أن التوحید أیا ما فرض یقبل الشده و الضعف و الزیاده و النقیصه و إذا ضوعف عند الجزاء کما تقدم کان مضاعفه خیرا من غیره.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی شیبه فی المصنف و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و الحاکم و صححه و ابن مردویه عن ابن عباس": أن قارون کان من قوم موسی،قال:کان ابن عمه و کان یبتغی العلم حتی جمع علما-فلم یزل فی أمره ذلک حتی بغی علی موسی و حسده.

فقال له موسی(ع):إن الله أمرنی أن آخذ الزکاه فأبی-فقال:إن موسی یرید أن یأکل أموالکم-جاءکم بالصلاه و جاءکم بأشیاء-فاحتملتموها فتحتملوه أن تعطوه أموالکم؟قالوا:لا نحتمل فما تری؟فقال لهم:أری أن أرسل إلی بغی من بغایا بنی إسرائیل-فنرسلها إلیه فترمیه بأنه أرادها علی نفسها فأرسلوا إلیها-فقالوا لها:نعطیک حکمک-علی أن تشهدی علی موسی أنه فجر بک.قالت نعم-.

فجاء قارون إلی موسی(ع)قال:اجمع بنی إسرائیل فأخبرهم بما أمرک ربک قال:نعم،فجمعهم فقالوا له:بم أمرک ربک؟قال:أمرنی أن تعبدوا الله و لا تشرکوا به شیئا-و أن تصلوا الرحم و کذا و کذا-و قد أمرنی فی الزانی إذا زنی و قد أحصن أن یرجم.قالوا:و إن کنت أنت؟قال:نعم.قالوا:فإنک قد زنیت، قال:أنا؟.

فأرسلوا إلی المرأه فجاءت فقالوا:ما تشهدین علی موسی؟فقال لها موسی (ع):أنشدتک بالله إلا ما صدقت.قالت:أما إذا نشدتنی فإنهم دعونی-و جعلوا لی جعلا علی أن أقذفک بنفسی-و أنا أشهد أنک بریء و أنک رسول الله-.

فخر موسی(ع)ساجدا یبکی-فأوحی الله إلیه:ما یبکیک؟قد سلطناک علی الأرض فمرها فتطیعک،فرفع رأسه فقال:خذیهم فأخذتهم إلی أعقابهم-فجعلوا یقولون:یا موسی یا موسی-فقال:خذیهم فأخذتهم إلی أعناقهم-فجعلوا یقولون:یا

موسى يا موسى-فقال:خذيهم فغيبتهم فأوحى الله:يا موسى-سألك عبادى و تضرعوا إليك فلم تجبهم-فوعزتى لو أنهم دعونى لأجبتهم.

قال ابن عباس:و ذلك قوله تعالى:« فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ »خسف به إلى الأرض السفلى.

أقول:

و روى فيه،أيضا عن عبد الرزاق و ابن أبى حاتم عن ابن نوفل الهاشمى القصه": لكن فيها أن المرأه أحضرت إلى مجلس قارون-لتشهد عند الملإ من بنى إسرائيل على موسى(ع)بالفجور-و تشكوه إلى قارون فجاءت إليه و اعترفت عند الملإ بالحق فبلغ ذلك موسى(ع)فشكاه إلى ربه فسلطه الله عليه.

و روى القمى فى تفسيره،": فى القصه أن موسى(ع)جاء إلى قارون-و بلغه حكم الزكاه-فاستهزأ به و أخرجه من داره فشكاه إلى ربه- فسلطه الله عليه فخسف به و بداره الأرض ،و الروايه موقوفه مشتمله على أمور منكره و لذلك تركنا نقلها كما أن روايتى ابن عباس و ابن نوفل أيضا موقوفتان.

على أن روايه ابن عباس تقصص بغيه على موسى(ع)و الذى تقصه الآيات بغيه على بنى إسرائيل،و تشير إلى أن العلم الذى عنده هو ما حصله بالتعلم و ظاهر الآيه كما مر أنه العلم بطرق تحصيل الثروه و نحوها.

و قد سيقت القصه فى التوراه الحاضره على نحو آخر

ففى الإصحاح السادس عشر من سفر العدد": و أخذ قورح بن بصهار بن نهات بن لاوى-و داثان و أبيرام ابنا ألياب و أون بن فالت بنو رأوبين-يقاومون موسى مع أناس من بنى إسرائيل-مائتين و خمسين رؤساء الجماعه مدعوين للاجتماع ذوى اسم.فاجتمعوا على موسى و هارون و قالوا لهما كفاكما.إن كل الجماعه بأسرها مقدسه و فى وسطها الرب-فما بالكما ترتفعان على جماعه الرب؟.

فلما سمع موسى سقط على وجهه-ثم كلم قورح و جميع قومه قائلا:غدا يعلن الرب من هو له؟و من المقدس؟حتى يقربه إليه فالذى يختاره يقربه إليه.افعلوا هذا:

خذوا لكم محابر قورح و كل جماعته-و اجعلوا فيها نارا و ضعوا عليها بخورا أمام الرب غدا-فالرجل الذى يختاره الرب هو المقدس.كفاكم يا بنى لاوى.

ثم سیقت القصه و ذکر فیها حضورهم غدا-و مجیؤهم بالمجامر و فیها النار و البخور و اجتماعهم علی باب خیمه الاجتماع-ثم قیل:انشقت الأرض التی تحتهم-و فتحت الأرض فاها و ابتلعتهم و بیوتهم-و کل من کان لقورح مع کل الأموال-فنزلوا هم و کل ما کان لهم أحیاء إلی الهاویه- فانطبقت علیهم الأرض فبادوا من بین الجماعه،و کل إسرائیل الذین حولهم هربوا من صوتهم،لأنهم قالوا:لعل الأرض تبتلعنا،و خرجت نار من عند الرب-و أکلت المائتین و الخمسین رجلا الذین قربوا البخور. انتهی موضع الحاجه.

و فی المجمع،: فی قوله تعالی:« إِنَّ قٰارُونَ کٰانَ مِنْ قَوْمِ مُوسیٰ »:و هو ابن خالته:

عن عطاء عن ابن عباس و هو المروی عن أبی عبد الله(ع) .

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« مٰا إِنَّ مَفٰاتِحَهُ لَتَنُوأُ »الآیه،قال:کان یحمل مفاتیح خزائنه العصبه أولوا القوه.

و فی المعانی،بإسناده عن موسی بن إسماعیل بن موسی بن جعفر(ع)عن أبیه عن جده عن آبائه عن علی(ع): فی قول الله عز و جل:« وَ لاٰ تَنْسَ نَصِیبَکَ مِنَ الدُّنْیٰا » قال:لا تنس صحتک و قوتک و فراغک-و شبابک و نشاطک أن تطلب بها الآخره.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« فَخَرَجَ عَلیٰ قَوْمِهِ فِی زِینَتِهِ »قال:فی الثیاب المصبغات یجرها بالأرض.

و فی المجمع،و روی زاذان عن أمیر المؤمنین(ع): أنه کان یمشی فی الأسواق و هو وال یرشد الضال-و یعین الضعیف و یمر بالبیاع و البقال-فیفتح علیه القرآن و یقرأ:

« تِلْکَ الدّٰارُ الْآخِرَهُ-نَجْعَلُهٰا لِلَّذِینَ لاٰ یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ فَسٰاداً »و یقول:

نزلت هذه الآیه فی أهل العدل و التواضع-من الولاه و أهل القدره من سائر الناس.

و فیه،روی سلام الأعرج عن أمیر المؤمنین(ع)قال: الرجل لیعجبه شراک نعله فیدخل فی هذه الآیه « تِلْکَ الدّٰارُ الْآخِرَهُ »الآیه.

أقول:

و عن السید ابن طاووس فی سعد السعود،أنه رواه عن الطبرسی هکذا:

إن الرجل لیعجبه أن یکون شراک نعله أجود-من شراک نعل صاحبه فیدخل تحتها.

و فی الدر المنثور،أخرج المحاملی و الدیلمی عن أبی هریره عن النبی ص: فی الآیه قال:التجبر فی الأرض و الأخذ بغیر الحق.

ص :85

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۸۵ الی ۸۸]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ مَنْ جٰاءَ بِالْهُدیٰ وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۸۵) وَ مٰا کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقیٰ إِلَیْکَ اَلْکِتٰابُ إِلاّٰ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُونَنَّ ظَهِیراً لِلْکٰافِرِینَ (۸۶) وَ لاٰ یَصُدُّنَّکَ عَنْ آیٰاتِ اَللّٰهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَیْکَ وَ اُدْعُ إِلیٰ رَبِّکَ وَ لاٰ تَکُونَنَّ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (۸۷) وَ لاٰ تَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ کُلُّ شَیْءٍ هٰالِکٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لَهُ اَلْحُکْمُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۸۸)

(بیان)

الآیات خاتمه السوره و فیها وعد جمیل للنبی ص أن الله سبحانه سیمن علیه برفع قدره و نفوذ کلمته و تقدم دینه و انبساط الأمن و السلام علیه و علی المؤمنین به کما فعل ذلک بموسی و بنی إسرائیل،و قد کانت قصه موسی و بنی إسرائیل مسوقه فی السوره لبیان ذلک.

قوله تعالی:« إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ »إلی آخر الآیه الفرض -علی ما ذکره-بمعنی الإیجاب فمعنی« فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ »أی أوجب علیک العمل به أی بما فیه من الأحکام ففیه مجاز فی النسبه.

و أحسن منه قول بعضهم:إن المعنی أوجب علیک تلاوته و تبلیغه و العمل به و ذلک لکونه أوفق لقوله:« لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ »بما سیجیء من معناه.

و قوله:« لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ » المعاد اسم مکان أو زمان من العود و قد اختلفت کلماتهم فی تفسیر هذا المعاد فقیل:هو مکه فالآیه وعد له أن الله سیرده بعد هجرته

إلى مكه ثانيا،و قيل:هو الموت،و قيل:هو القيامه،و قيل:هو المحشر،و قيل هو المقام المحمود و هو موقف الشفاعه الكبرى،و قيل:هو الجنه،و قيل:هو بيت المقدس،و هو فى الحقيقه وعد بمعراج ثان يعود فيه إلى بيت المقدس بعد ما كان دخله فى المعراج الأول:و قيل:هو الأمر المحبوب فيقبل الانطباق على جل الأقوال السابقه أو كلها.

و الذى يعطيه التدبر فى سياق آيات السوره هو أن تكون الآيه تصريحا بما كانت القصه المسروده فى أول السوره تلوح إليه ثم الآيات التاليه لها تؤيده.

فإنه تعالى أورد قصه بنى إسرائيل و موسى(ع)فى أول السوره ففصل القول فى أنه كيف من عليهم بالأمن و السلام و العزه و التمكن بعد ما كانوا أذلاء مستضعفين بأيدى آل فرعون يذبحون أبناءهم يستحيون نساءهم،و قد كانت القصه تدل بالالتزام-و مطلع السوره يؤيده-على وعد جميل للمؤمنين أن الله سبحانه سينجيهم مما هم عليه من الفتنه و الشده و العسره و يظهر دينهم على الدين كله و يمكنهم فى الأرض بعد ما كانوا لا سماء تظلهم و لا أرض تقلهم.

ثم ذكر بعد الفراغ من القصه أن من الواجب فى الحكمه أن ينزل كتابا يهدى الناس إلى الحق تذكره و إتماما للحجه ليتقوا بذلك من عذاب الله كما نزله على موسى بعد ما أهلك القرون الأولى و كما نزل على النبى ص و إن كذبوا به عنادا للحق و إيثارا للدنيا على الآخره.

و هذا السياق يرجى السامع أنه تعالى سيتعرض صريحا لما أشار إليه فى سرد القصه تلويحا فإذا سمع قوله:« إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ »لم يلبث دون أن يفهم أنه هو الوعد الجميل الذى كان يترقبه و خاصه مع الابتداء بقوله:« إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ »و قد قدم تنظير التوراه بالقرآن و قد كان ما قصه فى إنجاء بنى إسرائيل مقدمه لنزول التوراه حتى يكونوا بالأخذ بها و العمل بها أئمه و يكونوا هم الوارثين.

فمعنى الآيه:إن الذى فرض عليك القرآن لتقرأه على الناس و تبلغه و تعملوا به سيردك و يصيرك إلى محل تكون هذه الصيروره منك إليه عودا و يكون هو معادا لك

كما فرض التوراه على موسى و رفع به قدره و قدر قومه،و من المعلوم أنه(ص)كان بمكه على ما فيها من الشده و الفتنه ثم هاجر منها ثم عاد إليها فاتحا مظفرا و ثبتت قواعد دينه و استحكمت أركان ملته و كسرت الأصنام و انهدم بنيان الشرك و المؤمنون هم الوارثون للأرض بعد ما كانوا أذلاء معذبين.

و فى تنكير قوله:« مَعٰادٍ »إشاره إلى عظمه قدر هذا العود و أنه لا يقاس إلى ما قبله من القطون بها و التاريخ يصدقه.

و قوله:« قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ مَنْ جٰاءَ بِالْهُدیٰ وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ »يؤيد ما قدمنا من المعنى فإنه يحاذي قول موسى(ع)-لما كذبوه و رموا آياته البينات بأنها سحر مفترى-:« رَبِّی أَعْلَمُ بِمَنْ جٰاءَ بِالْهُدیٰ مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عٰاقِبَةُ الدّٰارِ »فأمر النبى ص أن يقول للفراعنه من مشركى قومه لما كذبوه و رموه بالسحر ما قال موسى لآل فرعون لما كذبوه و رموه بالسحر للتشابه التام بين مبعثيهما و سير دعوتهما كما يظهر من القصه و يظهر ذلك تمام الظهور بالتأمل فى قوله تعالى: «إِنّٰا أَرْسَلْنٰا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شٰاهِداً عَلَيْكُمْ كَمٰا أَرْسَلْنٰا إِلیٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً» :المزمل:۱۵.

و لعل الاكتفاء بالشطر الأول من قول موسى(ع)و السكوت عن الشطر الثانى أعنى قوله:« وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عٰاقِبَةُ الدّٰارِ »لبناء الكلام بحسب سياقه على أن لا يتعدى حد الإشاره و الإيماء كما يستشم من سياق قوله:« لَرٰادُّكَ إِلیٰ مَعٰادٍ »أيضا حيث خص الخطاب بالنبى ص و نكر معادا.

و كيف كان فالمراد بقوله:« مَنْ جٰاءَ بِالْهُدیٰ »النبى ص نفسه و بقوله:

« وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ »المشركون من قومه،و اختلاف سياق الجملتين-حيث قيل فى جانبه(ص):« مَنْ جٰاءَ بِالْهُدیٰ »و فى جانبهم:« مَنْ هُوَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ » فقوبل بين ضلالهم و بين مجيئه بالهدى لا بين ضلالهم و اهتدائه-لكون تكذيبهم متوجها بالطبع إلى ما جاء به لا إلى نفسه.

و قد ذكروا فى قوله:« أَعْلَمُ مَنْ جٰاءَ بِالْهُدیٰ »أن« مَنْ »منصوب بفعل مقدر يدل عليه« أَعْلَمُ »و التقدير يعلم من جاء به بناء على ما هو المشهور أن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به،و ذكر بعضهم أنه منصوب بأعلم و هو بمعنى عالم و لا دليل عليه،

و ما أذكر قائلاـ بأنه منصوب بنزع الخافض و إن لم يظهر فيه النصب لبنائه و التقدير ربی أعلم بمن جاء بالهدی،و لا دليل على منعه.

قوله تعالی:« وَ مٰا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقىٰ إِلَيْكَ الْكِتٰابُ إِلاّٰ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلاٰ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكٰافِرِينَ »صدر الآيه تقرير للوعد الذی فی قوله:« إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرٰادُّكَ إِلىٰ مَعٰادٍ »أی أنه سيردک إلی معاد-و ما كنت ترجوه كما ألقی إليک الكتاب و ما كنت ترجوه-.

و قيل:تذكره استينافيه لنعمته تعالی عليه(ص)و هذا وجه وجيه و تقريره أنه تعالی لما وعده بالرد إلی معاد و فيه ارتفاع ذكره و تقدم دعوته و انبساط دينه خط له السبيل التی يجب عليه سلوكها بجهد و مراقبه فبين له أن إلقاء الكتاب إليه لم يكن على نهج الحوادث العاديه التی من شأنها أن ترتجی و تترقب بل كانت رحمه خاصه من ربه و قد وعده فی فرضه عليه ما وعده فمن الواجب عليه قبال هذه النعمه و فی تقدم دعوته و بلوغها الغايه التی وعدها أن لا ينصر الكافرين و لا يطيعهم و يدعو إلی ربه و لا يكون من المشركين و لا يدعو معه إلها آخر.

و قوله:« إِلاّٰ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ »استثناء منقطع أی لكنه ألقی إليک رحمه من ربک و ليس بإلقاء عادی يرجی مثله.

و قوله:« فَلاٰ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكٰافِرِينَ »تفريع على قوله:« إِلاّٰ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ » أی فإذا كان إلقاؤه إليک رحمه من ربک خصک بها و هو فوق رجائک فتبرء من الكافرين و لا تكن معينا و ناصرا لهم.

و من المحتمل قريبا أن يكون فی الجمله نوع محاذاه لقول موسی(ع)-لما قتل القبطی:« رَبِّ بِمٰا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ »و على هذا يكون فی النهی عن إعانتهم إشاره إلی أن إلقاء الكتاب إليه(ص) نعمه أنعمها الله عليه يهدی به إلی الحق و يدعو إلی التوحيد فعليه أن لا يعين الكافرين على كفرهم و لا يميل إلی صدهم إياه عن آيات الله بعد نزولها عليه كما عاهد موسی(ع)ربه بما أنعم عليه من الحكم و العلم أن لا يكون ظهيرا للمجرمين أبدا،و سيأتی أن قوله:« وَ لاٰ يَصُدُّنَّكَ » إلخ،بمنزله الشارح لهذه الجمله.

قوله تعالى:« وَ لاٰ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيٰاتِ اللّٰهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ »إلى آخر الآيه، نهى له(ص)على الانصراف عن آيات الله بلسان نهى الكفار عن الصد و الصرف و وجهه كون انصرافه مسببا لصدهم و هو كقوله لآدم و زوجه:« فَلاٰ يُخْرِجَنَّكُمٰا مِنَ الْجَنَّهِ » أى لا تخرجا منها بإخراجه لكما بالوسوسه.

و الظاهر أن الآيه و ما بعدها فى مقام الشرح لقوله:« فَلاٰ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكٰافِرِينَ » و فائدته تأكيد النهى بعد موارده واحدا بعد واحد فنهاه أولا عن الانصراف عن القرآن النازل عليه برميهم كتاب الله بأنه سحر أو شعر أو كهانه أو أساطير الأولين اكتتبها،و أمره ثانيا أن يدعو إلى ربه،و نهاه ثالثا أن يكون من المشركين و فسره بأن يدعو مع الله إلها آخر.

و قد كرر صفه الرب مضافا إليه(ص)للدلاله على اختصاصه بالرحمه و النعمه و أنه(ص)متفرد فى عبادته لا يشاركه المشركون فيها.

قوله تعالى:« وَ لاٰ تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ »قد تقدم أنه كالتفسير لقوله:« وَ لاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ».

قوله تعالى:« لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » كلمه الإخلاص فى مقام التعليل لقوله قبله:« وَ لاٰ تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ »أى لأنه لا إله غيره و ما بعدها فى مقام التعليل بالنسبه إليها كما سيتضح.

و قوله:« كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ » الشىء مساو للموجود و يطلق على كل أمر موجود حتى عليه تعالى كما يدل عليه قوله: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهٰادَةً قُلِ اللّٰهُ» :الأنعام:۱۹،و الهلاك البطلان و الانعدام.

و الوجه و الجهه واحد كالوعد و العده،و وجه الشىء فى العرف العام ما يستقبل به غيره و يرتبط به إليه كما أن وجه الجسم السطح الظاهر منه و وجه الإنسان النصف المقدم من رأسه و وجهه تعالى ما يستقبل به غيره من خلقه و يتوجه إليه خلقه به و هو صفاته الكريمه من حياه و علم و قدره و سمع و بصر و ما ينتهى إليها من صفات الفعل كالخلق و الرزق و الإحياء و الإماته و المغفره و الرحمه و كذا آياته الداله عليه بما هى آياته.

فكل شىء هالك فى نفسه باطل فى ذاته لا حقيقه له إلا ما كان عنده مما أفاضه

الله علیه و أما ما لا ینسب إلیه تعالی فلیس إلا ما اختلقه وهم المتوهم أو سرابا صوره الخیال و ذلک کالأصنام لیس لها من الحقیقه إلا أنها حجاره أو خشبه أو شیء من الفلزات و أما أنها أرباب أو آلهه أو نافعه أو ضاره أو غیر ذلک فلیست إلا أسماء سماها عبدتهم و کالإنسان لیس له من الحقیقه إلا ما أودعه فیه الخلقه من الروح و الجسم و ما اکتسبه من صفات الکمال و الجمیع منسوبه إلی الله سبحانه و أما ما یضیفه إلیه العقل الاجتماعی من قوه و سلطه و رئاسه و وجاهه و ثروه و عزه و أولاد و أعضاد فلیس إلا سرابا هالکا و أمنیه کاذبه و علی هذا السبیل سائر الموجودات.

فلیس عندها من الحقیقه إلا ما أفاض الله علیها بفضله و هی آیاته الداله علی صفاته الکریمه من رحمه و رزق و فضل و إحسان و غیر ذلک.

فالحقیقه الثابته فی الواقع التی لیست هالکه باطله من الأشیاء هی صفاته الکریمه و آیاته الداله علیها و الجمیع ثابته بثبوت الذات المقدسه.

هذا علی تقدیر کون المراد بالهالک فی الآیه الهالک بالفعل و علی هذا یکون محصل تعلیل کلمه الإخلاص بقوله:« کُلُّ شَیْءٍ هالِکٌ إِلاّ وَجْهَهُ »أن الإله و هو المعبود بالحق إنما یکون إلها معبودا إذا کان أمرا ذا حقیقه واقعیه غیر هالک و لا باطل له تدبیر فی العالم بهذا النعت و کل شیء غیره تعالی هالک باطل فی نفسه إلا ما کان وجها له منتسبا إلیه فلیس فی الوجود إله غیره سبحانه.

و الوثنیون و إن کانوا یرون وجود آلهتهم منسوبا إلیه تعالی و من جهته إلا أنهم یجعلونها مستقله فی التدبیر مقطوعه النسبه فی ذلک عنه من دون أن یکون حکمها حکمه،و لذلک یعبدونها من دون الله،و لا استقلال لشیء فی شیء عنه تعالی فلا یستحق العباده إلا هو.

و هاهنا وجه آخر أدق منه بناء علی أن المراد بالوجه ذات الشیء فقد ذکر بعضهم ذلک من معانی الوجه کما یقال:وجه النهار و وجه الطریق لنفسهما و إن أمکنت المناقشه فیه،و ذکر بعض آخر:أن المراد به الذات الشریفه کما یقال:وجوه الناس أی أشرافهم و هو من المجاز المرسل أو الاستعاره و علی کلا التقدیرین فالمراد أن غیره تعالی من الموجودات ممکنه و الممکن و إن کان موجودا بإیجاده تعالی فهو معدوم بالنظر

إلى حد ذاته هالک فی نفسه و الذی لا سبیل للبطلان و الهلاک إلیه هو ذاته الواجبه بذاتها.

و محصل التعلیل علی هذا المعنی:أن الإله المعبود بالحق یجب أن یکون ذاتا بیده شیء من تدبیر العالم،و التدبیر الکونی لا ینفک عن الخلق و الإیجاد فلا معنی لأن یوجد الحوادث شیء و یدبر أمرها شیء آخر-و قد أوضحناه مرارا فی هذا الکتاب- و لا یکون الخالق الموجد إلا واجب الوجود و لا واجب إلا هو تعالی فلا إله إلا هو.

و قولهم:إنه تعالی أجل من أن یحیط به عقل أو وهم فلا یمکن التوجه العبادی إلیه فلا بد أن یتوجه بالعباده إلی بعض مقربی حضرته من الملائکه الکرام و غیرهم لیکونوا شفعاء عنده.

مدفوع بمنع توقف التوجه بالعباده علی العلم الإحاطی بل یکفی فیه المعرفه بوجه و هو حاصل بالضروره.

و أما علی تقدیر کون المراد بالهالک ما یستقبله الهلاک و الفناء بناء علی ما قیل:

إن اسم الفاعل ظاهر فی الاستقبال فظاهر الآیه أن کل شیء سیستقبله الهلاک بعد وجوده إلا وجهه.نعم استقبال الهلاک یختلف باختلاف الأشیاء فاستقباله فی الزمانیات انتهاء أمد وجودها و بطلانها بعده و فی غیرها کون وجودها محاطا بالفناء من کل جانب.

و هلاک الأشیاء علی هذا بطلان وجودها الابتدائی و خلو النشأه الأولی عنها بانتقالها إلی النشأه الأخری و رجوعها إلی الله و استقرارها عنده،و أما البطلان المطلق بعد الوجود فصریح کتاب الله ینفیه فالآیات متتابعه فی أن کل شیء مرجعه إلی الله و أنه المنتهی و إلیه الرجعی و هو الذی یبدئ الخلق ثم یعیده.

فمحصل معنی الآیه-لو أرید بالوجه صفاته الکریمه-أن کل شیء سیخلی مکانه و یرجع إلیه إلا صفاته الکریمه التی هی مبادئ فیضه فهی تفیض ثم تفیض إلی ما لا نهایه له و الإله یجب أن یکون کذلک لا بطلان لذاته و لا انقطاع لصفاته الفیاضه و لیس شیء غیره تعالی بهذه الصفه فلا إله إلا هو.

و لو أرید بوجهه الذات المقدسه فالمحصل أن کل شیء سیستقبله الهلاک و الفناء بالرجوع إلی الله سبحانه إلا ذاته الحقه الثابته التی لا سبیل للبطلان إلیها-و الصفات علی هذا محسوبه من صقع الذات-و الإله یجب أن یکون بحیث لا یتطرق الفناء إلیه

و ليس شیء غیره بهذه الصفه فلا إله إلا هو.

و بما تقدم من التقریر یندفع الاعتراض علی عموم الآیه بمثل الجنه و النار و العرش فإن الجنه و النار لا تنعدمان بعد الوجود و تبقیان إلی غیر النهایه،و العرش أیضا کذلک بناء علی ما ورد فی بعض الروایات أن سقف الجنه هو العرش.

وجه الاندفاع أن المراد بالهلاک هو تبدل نشأه الوجود و الرجوع إلی الله المعبر عنه بالانتقال من الدنیا إلی الآخره و التلبس بالعود بعد البدء،و هذا إنما یکون فیما هو موجود بوجود بدئی دنیوی،و أما الدار الآخره و ما هو موجود بوجود أخروی کالجنه و النار فلا یتصف شیء من هذا القبیل بالهلاک بهذا المعنی.

قال تعالی: «مٰا عِنْدَکُمْ یَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ» :النحل:۹۶،و قال: «وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَیْرٌ لِلْأَبْرٰارِ» ، :آل عمران:۱۹۸ و قال: «سَیُصِیبُ الَّذِینَ أَجْرَمُوا صَغٰارٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَ عَذٰابٌ شَدِیدٌ» ، :الأنعام:۱۲۴ و نظیرتهما خزائن الرحمه کما قال: «وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ» ، :الحجر:۲۱ و کذا اللوح المحفوظ کما قال: «وَ عِنْدَنٰا کِتٰابٌ حَفِیظٌ» :ق:۴.

و أما ما ذکروه من العرش فقد تقدم الکلام فیه فی تفسیر قوله تعالی: «إِنَّ رَبَّکُمُ اللّٰهُ»، XالآیهX:الأعراف:۵۴.

و یمکن أن یراد بالوجه جهته تعالی التی تنسب إلیه و هی الناحیه التی یقصد منها و یتوجه إلیه بها،و تؤیده کثره استعمال الوجه فی کلامه تعالی بهذا المعنی کقوله:

«یُرِیدُونَ وَجْهَهُ» ، :الأنعام:۵۲ و قوله: «إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلیٰ» ، :اللیل:۲۰ إلی غیر ذلک من الآیات الکثیره جدا.

و علیه فتکون عباره عن کل ما ینسب إلیه وحده فإن کان الکلام علی ظاهر عمومه انطبق علی الوجه الأول الذی أوردناه و یکون من مصادیقه أسماؤه و صفاته و أنبیاؤه و خلفاؤه و دینه الذی یؤتی منه.

و إن خص الوجه بالدین فحسب-کما وقع فی بعض الروایات إن لم یکن من باب التطبیق-کان المراد بالهلاک الفساد و عدم الأثر،و کانت الجمله تعلیلا لقوله:« وَ لاٰ تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ »و کان ما قبلها قرینه علی أن المراد بالشیء الدین و الأعمال المتعلقه

به و كان محصل المعنى: و لا تتدين بغير دين التوحيد لأن كل دين باطل لا أثر له إلا دينه.

و الأنسب على هذا أن يكون الحكم فى ذيل الآيه بمعنى الحكم التشريعى أو الأعم منه و من التكوينى و المعنى:كل دين هالك إلا دينه لأن تشريع الدين إليه و إليه ترجعون لا إلى مشرعى الأديان الأخر.

هذا ما يعطيه التدبر فى الآيه الكريمه و للمفسرين فيها أقوال أخر مختلفه.

فقيل:المراد بالوجه ذاته تعالى المقدسه و بالهلاك الانعدام،و المعنى:كل شىء فى نفسه عرضه للعدم لكون وجوده عن غيره إلا ذاته الواجبه الوجود،و الكلام على هذا مبنى على التشبيه أى كل شىء غيره كالهالك لاستناد وجوده إلى غيره.

و قيل:الوجه بمعنى الذات و المراد به ذات الشىء و الضمير لله باعتبار أن وجه الشىء مملوك له،و المعنى:كل شىء هالك إلا وجه الله الذى هو ذات ذلك الشىء و وجوده.

و قيل:المراد بالوجه الجهه المقصوده و الضمير لله،و المعنى:كل شىء هالك بجميع ما يتعلق به إلا الجهه المنسوبه إليه تعالى و هو الوجود الذى أفاضه الله تعالى عليه.

و قيل:الوجهه هو الجهه المقصوده و المراد به الله سبحانه الذى يتوجه إليه كل شىء و الضمير للشىء،و المعنى:كل شىء هالك إلا الله الذى هو الجهه المطلوبه له.

و قيل:المراد بالهلاك هلاك الموت و العموم مخصوص بذوى الحياه و المعنى:

كل ذى حياه فإنه سيموت إلا وجهه.

و قيل:المراد بالوجه العمل الصالح و المعنى أن العمل كان فى حيز العدم،فلما فعله العبد ممتثلا لأمره تعالى أبقاه الله من غير إحباط حتى يثيبه أو أنه بالقبول صار غير قابل للهلاك لأن الجزاء قائم مقامه و هو باق.

و قيل:المراد بالوجه جاهه تعالى الذى أثبته فى الناس.

و قيل:الهلاك عام لجميع ما سواه تعالى دائما لكون الوجود المفاض عليها متجددا فى كل آن فهى متغيره هالكه دائما فى الدنيا و الآخره و المعنى كل شىء متغير الذات دائما إلا وجهه.

و هذه الوجوه بين ما لا ينطبق على سياق الآيه و بين ما لا ينجح به حجتها و بين ما هو بعيد عن الفهم،و بالتأمل فيما قدمناه يظهر ما فى كل منها فلا نطيل.

ص :۹۴

و قوله:« لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » الحكم هو قضاؤه النافذ فی الأشیاء و علیه یدور التدبیر فی نظام الکون،و أما کونه بمعنی فصل القضاء یوم القیامه فیبعده تقدیم الحکم فی الذکر علی الرجوع إلیه الذی هو یوم القیامه فإن فصل القضاء متفرع علیه.

و کلتا الجملتین مسوقتان للتعلیل و کل واحده منهما وحدها حجه تامه علی توحده.

تعالی بالألوهیه صالحه للتعلیل کلمه الإخلاص،و قد تقدم إمکان أخذ الحکم علی بعض الوجوه بمعنی الحکم التشریعی.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی شیبه و عبد بن حمید و البخاری و النسائی و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه و البیهقی فی الدلائل من طرق عن ابن عباس": فی قوله تعالی:« لَرَادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ »قال:إلی مکه.زاد ابن مردویه کما أخرجک منها.

أقول:

و روی عنه و عن أبی سعید الخدری": أن المراد به الموت ،

و أیضا عن علی عن النبی ص: أن المراد به الجنه و انطباقهما علی الآیه لا یخلو من خفاء.

و روی القمی فی تفسیره،عن حریز عن أبی جعفر(ع)و عن أبی خالد الکابلی عن علی بن الحسین(ع): أن المراد به الرجعه و لعله من البطن دون التفسیر.

و فی الإحتجاج،عن أمیر المؤمنین(ع)فی حدیث طویل: و أما قوله« کُلُّ شَیْءٍ هٰالِکٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ »فالمراد کل شیء هالک إلا دینه،لأن من المحال أن یهلک منه کل شیء و یبقی الوجه.هو أجل و أعظم من ذلک و إنما یهلک من لیس منه-أ لا تری أنه قال:

« کُلُّ مَنْ عَلَیْهٰا فٰانٍ وَ یَبْقیٰ وَجْهُ رَبِّکَ »ففصل بین خلقه و وجهه؟.

و فی الکافی،بإسناده عن سیف عمن ذکره عن الحارث بن المغیره النصری قال:

سئل أبو عبد الله(ع)عن قول الله تبارک و تعالی:« کُلُّ شَیْءٍ هٰالِکٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ »فقال:

ما یقولون فیه؟قلت:یقولون:یهلک کل شیء إلا وجه الله-فقال:سبحان الله لقد قالوا عظیما إنما عنی به وجه الله الذی یؤتی منه.

أقول:

و روی مثله فی التوحید،بإسناده عن الحارث بن المغیره النصری عنه

(ع)و لفظه: سألت أبا عبد الله(ع)عن قول الله عز و جل:« كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ »قال:كل شىء هالك إلا من أخذ طريق الحق.

و فى محاسن البرقى،:مثله إلا أن آخره «من أخذ الطريق الذى أنتم عليه».

و التشويش الذى يتراءى فى الروايات تطرق إليها من جهه النقل بالمعنى،فإن كان المراد بالوجه الذى يؤتى منه مطلق ما ينسب إليه و كان من صقعه تعالى و من جانبه كان منطبقا على المعنى الأول الذى قدمناه فى معنى الآيه.

و إن كان الوجه بمعنى الدين الذى يتوجه إليه تعالى بقصده كان المراد بالهلاك البطلان و عدم التأثير و كان المعنى:لا إله إلا هو كل دين باطل إلا دينه الحق الذى يؤتى منه فإنه سينفع و يثاب عليه،و قد تقدمت الإشاره إلى الوجهين فى تفسير الآيه.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« فَلاٰ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكٰافِرِينَ »قال:المخاطبه للنبى ص و المعنى للناس،و قوله:« وَ لاٰ تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ »المخاطبه للنبى ص و المعنى للناس،و هو

قول الصادق(ع)- إن الله بعث نبيه ص:بإياك أعنى، و اسمعى يا جاره.

(۲۹)(سوره العنکبوت مکیه، و هی تسع و ستون آیه)(۶۹)

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱ الی ۱۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

الم (۱) أَ حَسِبَ اَلنّٰاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ یُفْتَنُونَ (۲) وَ لَقَدْ فَتَنَّا اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ صَدَقُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ اَلْکٰاذِبِینَ (۳) أَمْ حَسِبَ اَلَّذِینَ یَعْمَلُونَ اَلسَّیِّئٰاتِ أَنْ یَسْبِقُونٰا سٰاءَ مٰا یَحْکُمُونَ (۴) مَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ اَللّٰهِ فَإِنَّ أَجَلَ اَللّٰهِ لَآتٍ وَ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۵) وَ مَنْ جٰاهَدَ فَإِنَّمٰا یُجٰاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اَللّٰهَ لَغَنِیٌّ عَنِ اَلْعٰالَمِینَ (۶) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَنُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئٰاتِهِمْ وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَحْسَنَ اَلَّذِی کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۷) وَ وَصَّیْنَا اَلْإِنْسٰانَ بِوٰالِدَیْهِ حُسْناً وَ إِنْ جٰاهَدٰاکَ لِتُشْرِکَ بِی مٰا لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلاٰ تُطِعْهُمٰا إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِی اَلصّٰالِحِینَ (۹) وَ مِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ فَإِذٰا أُوذِیَ فِی اَللّٰهِ جَعَلَ فِتْنَةَ اَلنّٰاسِ کَعَذٰابِ اَللّٰهِ وَ لَئِنْ جٰاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ إِنّٰا کُنّٰا مَعَکُمْ أَ وَ لَیْسَ اَللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِمٰا فِی صُدُورِ اَلْعٰالَمِینَ (۱۰) وَ لَیَعْلَمَنَّ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ اَلْمُنٰافِقِینَ (۱۱) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّبِعُوا سَبِیلَنٰا وَ لْنَحْمِلْ خَطٰایٰاکُمْ وَ مٰا هُمْ بِحٰامِلِینَ مِنْ خَطٰایٰاهُمْ مِنْ شَیْءٍ إِنَّهُمْ لَکٰاذِبُونَ (۱۲) وَ لَیَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ وَ لَیُسْئَلُنَّ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ عَمّٰا کٰانُوا یَفْتَرُونَ (۱۳)

ص: ۹۷

(بيان)

يلوح من سياق آيات السوره و خاصه ما في صدرها من الآيات أن بعضا ممن آمن بالنبى ص بمكه قبل الهجره رجع عنه خوفا من فتنه كانت تهدده من قبل المشركين فإن المشركين كانوا يدعونهم إلى العود إلى ملتهم و يضمنون لهم أن يحملوا خطاياهم إن اتبعوا سبيلهم فإن أبوا فتنوهم و عذبوهم ليعيدوهم إلى ملتهم.

يشير إلى ذلك قوله تعالى:« وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ »الآيه،و قوله:« وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَهَ النّاسِ كَعَذابِ اللّهِ »الآيه.

و كان في هؤلاء الراجعين عن إيمانهم من كان رجوعه بمجاهده من والديه على أن يرجع و إلحاح منهما عليه في الارتداد كبعض أبناء المشركين على ما يستشم من قوله تعالى:

« وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما »الآيه،و قد نزلت السوره في شأن هؤلاء.

فغرض السوره على ما يستفاد من بدئها و ختامها و السياق الجاري فيها أن الذي يريده الله سبحانه من الإيمان ليس هو مجرد قولهم: آمَنّا بِاللّهِ بل هو حقيقه الإيمان التي لا تحركها عواصف الفتن و لا تغيرها غير الزمن و هي إنما تتثبت و تستقر بتوارد الفتن و تراكم المحن،فالناس غير متروكين بمجرد أن يقولوا: آمَنّا بِاللّهِ دون أن يفتنوا و يمتحنوا فيظهر ما في نفوسهم من حقيقه الإيمان أو وصمه الكفر فليعلمن الله الذين صدقوا و يعلم الكاذبين.

فالفتنه و المحنه سنه إلهيه لا معدل عنها تجرى فى الناس الحاضرين كما جرت فى الأمم الماضين كقوم نوح و عاد ثمود و قوم إبراهيم و لوط و شعيب و موسى فاستقام منهم من استقام و هلك منهم من هلك و ما ظلمهم الله و لكن كانوا أنفسهم يظلمون.

فعلى من يقول:آمنت بالله أن يصبر على إيمانه و يعبد الله وحده فإن تعذر عليه القيام بوظائف الدين فليهاجر إلى أرض يستطيع فيها ذلك فأرض الله واسعه و لا يخف عسر المعاش فإن الرزق على الله و كأين من دابه لا تحمل رزقها الله يرزقها و إياه.

و أما المشركون الذين يفتنون المؤمنين من غير جرم أجرموه إلا أن يقولوا ربنا الله فلا يحسبوا أنهم يعجزون الله و يسبقونه فأما فتنتهم للمؤمنين و إيذاؤهم و تعذيبهم فإنما هى فتنه لهم و للمؤمنين غير خارجه عن علم الله و تقديره،فهى فتنه و هى محفوظه عليهم إن شاء أخذهم بوبالها فى الدنيا و إن شاء أخرهم إلى يوم يرجعون فيه إليه و ما لهم من محيص.

و أما ما لفقوه من الحجه و ركنوا إليه من باطل القول فهو داحض مردود إليهم و الحجه قائمه تامه عليهم.

فهذا محصل غرض السوره و مقتضى ذلك كون السوره كلها مكيه،و قول القائل:إنها مدنيه كلها أو معظمها أو بعضها-و سيجىء فى البحث الروائى التالى- غير سديد،فمضامين آيات السوره لا تلائم إلا زمن العسره و الشده قبل الهجره.

قوله تعالى:« الم أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ » الحسبان هو الظن،و جمله« أَنْ يُتْرَكُوا »قائمه مقام مفعوليه،و قوله:« أَنْ يَقُولُوا » بتقدير باء السببيه،و الفتنه الامتحان و ربما تطلق على المصيبه و العذاب،و الأوفق للسياق هو المعنى الأول،و الاستفهام للإنكار.

و المعنى:أ ظن الناس أن يتركوا فلا يتعرض لحالهم و لا يمتحنوا بما يظهر به صدقهم أو كذبهم فى دعوى الإيمان بمجرد قولهم:آمنا؟ و قيل:المعنى:أ ظن الناس أن يتركوا فلا يبتلوا ببليه و لا تصيبهم مصيبه لقولهم:آمنا بأن تكون لهم على الله كرامه بسبب الإيمان يسلموا بها من كل مكروه يصيب الإنسان مدى حياته؟و لا يخلو من بعد بالنظر إلى سياق الآيات.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ »اللامان للقسم،و قوله:« وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »حال من الناس فى قوله:« أَ حَسِبَ النّاسُ »أو من ضمير الجمع فى قوله« لا يُفْتَنُونَ »و على الأول فالإنكار و التوبيخ متوجه إلى ظنهم أنهم لا يفتنون مع جريان السنه الإلهيه على الفتنه و الامتحان و على الثانى إلى ظنهم الاختلاف فى فعله تعالى حيث يفتن قوما و لا يفتن آخرين،و لعل الوجه الأول أوفق للسياق.

فالظاهر أن المراد بقوله:« وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »أن الفتنه و الامتحان سنه جاريه لنا و قد جرت فى الذين من قبلهم و هى جاريه فيهم و لن تجد لسنه الله تبديلا.

و قوله:« فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا »إلخ تعليل لما قبله،و المراد بعلمه تعالى بالذين صدقوا بالكاذبين ظهور آثار صدقهم و كذبهم فى مقام العمل بسبب الفتنه و الامتحان الملازم لثبوت الإيمان فى قلوبهم حقيقه و عدم ثبوته فيها حقيقه فإن السعاده التى تترتب على الإيمان المدعو إليه و كذا الثواب إنما تترتب على حقيقه الإيمان الذى له آثار ظاهره من الصبر عند المكاره و الصبر على طاعه الله و الصبر عن معصيه الله لا على دعوى الإيمان المجرده.

و يمكن أن يكون المراد بالعلم علمه تعالى الفعلى الذى هو نفس الأمر الخارجى فإن الأمور الخارجيه بنفسها من مراتب علمه تعالى،و أما علمه تعالى الذاتى فلا يتوقف على الامتحان البته.

و المعنى:أ حسبوا أن يتركوا و لا يفتنوا بمجرد دعوى الإيمان و إظهاره و الحال أن الفتنه سنتنا و قد جرت فى الذين من قبلهم فمن الواجب أن يتميز الصادقون من الكاذبين بظهور آثار صدق هؤلاء و آثار كذب أولئك الملازم لاستقرار الإيمان فى قلوب هؤلاء و زوال صورته الكاذبه عن قلوب أولئك.

و الالتفات فى قوله:« فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ »إلى اسم الجلاله قيل:للتهويل و تربيه المهابه و الظاهر أنه فى أمثال المقام لإفاده نوع من التعليل و ذلك أن الدعوه إلى الإيمان و الهدايه إليه و الثواب عليه لما كانت راجعه إلى المسمى بالله الذى منه يبدأ كل شىء و به يقوم كل شىء و إليه ينتهى كل شىء بحقيقته فمن الواجب أن يتميز عنده حقيقه الإيمان من

دعواه الخاليه و يخرج عن حال الإبهام إلى حال الصراحه و لذلک عدل عن مثل قولنا:

فلنعلمن إلى قوله:« فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ ».

قوله تعالى:« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »أم منقطعه،و المراد بقوله:« اَلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ »المشركون الذين كانوا يفتنون المؤمنين و يصدونهم عن سبيل الله كما أن المراد بالناس فى قوله:« أَ حَسِبَ النّٰاسُ »هم الذين قالوا:آمنا و هم فى معرض الرجوع عن الإيمان خوفا من الفتنه و التعذيب.

و المراد بقوله:« أَنْ يَسْبِقُونَا »الغلبه و التعجيز بسبب فتنه المؤمنين و صدهم عن سبيل الله-على ما يعطيه السياق.

و قوله:« سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »تخطئه لظنهم أنهم يسبقون الله بما يمكرون من فتنه و صد فإن ذلک بعينه فتنه من الله لهم أنفسهم و صد لهم عن سبيل السعاده و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

و قيل:مفاد الآيه توبيخ العصاه من المؤمنين و هم المراد بقوله:« اَلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ »و المراد بالسيئات المعاصى التى يقترفونها غير الشرک،و أنت خبير بأن السياق لا يساعد عليه.

و قيل:المراد بعمل السيئات أعم من الشرک و اقتراف سائر المعاصى فالآيه عامه لا موجب لتخصيصها بخصوص الشرک أو بخصوص سائر المعاصى دون الشرک.

و فيه أن اعتبار الآيه من حيث وقوعها فى سياق خاص من السياقات أمر و اعتبارها مستقله فى نفسها أمر آخر و الذى يقتضيه الاعتبار الأول و هو العمده بالنظر إلى غرض السوره هو ما قدمناه من المعنى،و أما الاعتبار الثانى:فمقتضاه العموم و لا ضير فيه على ذلک التقدير.

قوله تعالى:« مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللّٰهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّٰهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » إلى تمام ثلاث آيات.لما وبخ سبحانه الناس على استهانتهم بأمر الإيمان و رجوعهم عنه بأى فتنه و إيذاء من المشركين و وبخ المشركين على فتنتهم و إيذائهم المؤمنين و صدهم عن سبيل الله إراده لإطفاء نور الله و تعجيزا له فيما شاء و خطأ الفريقين فيما ظنوا.

رجع إلى بيان الحق الذى لا معدل عنه و الواجب الذى لا مخلص منه،فبين فى

هـذه الآيـات الثلاث أن من يؤمن بـالله لتوقع الرجوع إليه و لقـائه فليعلم أنه آت لا- محـاله و أن الله سـميع لأقواله عليم بأحواله و أعماله فليأخـذ حذره و ليؤمن حق الإيمان الذى لا يصـرفه عنه فتنه و لا إيذاء و ليجاهد فى الله حق جهاده،و ليعلم أن الذى ينتفع بجهـاده هو نفسه و لا- حـاجه لله سـبحانه إلى إيمانه و لا إلى غيره من العالمين و ليعلم أنه إن آمن و عمل صالحا فإن الله سـيكفر عنه سيئاته و يجزيه بأحسن أعماله،و العلمان الأخيران يؤكدان العلم الأول و يستوجبان لزومه الإيمان و صبره على الفتن و المحن فى جنب الله.

فقوله:« مَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ اللّٰهِ »رجوع إلى بيان حال من يقول:آمنت فإنه إنما يؤمن لو صـدق بعض الصـدق لتوقعه الرجوع إلى الله سبحانه يوم القيامه إذ لو لا المعاد لغا الدين من أصله،فالمراد بقوله: « مَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ اللّٰهِ »من كان يؤمن بالله أو من كان يقول:آمنت بالله،فالجمله من قبيل وضع السبب موضع المسبب.

و المراد بلقاء الله وقوف العبد موقفا لا حجاب بينه و بين ربه كما هو الشأن يوم القيامه الذى هو ظرف ظهور الحقائق،قال تعالى:« وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ».

و قيـل:المراد بلقاء الله هو البعث،و قيل:الوصول إلى العاقبه من لقاء ملك الموت و الحساب و الجزاء،و قيل:المراد ملاقاه جزاء الله من ثواب أو عقاب و قيل:

ملاقاه حكمه يوم القيامه،و الرجاء على بعض هذه الوجوه بمعنى الخوف.

و هذه وجوه مجازيه بعيده لا موجب لها إلا أن يكون من التفسير بلازم المعنى.

و قوله:« فَإِنَّ أَجَلَ اللّٰهِ لَآتٍ » الأجل هو الغايه التى ينتهى إليها زمان الـدين و نحوه و قد يطلق على مجموع ذلك الزمان و الغالب فى استعماله هو المعنى الأول.

و« أَجَلَ اللّٰهِ »هو الغايه التى عينها الله تعالى للقائه،و هو آت لا ريب فيه و قد أكد القول تأكيدا بالغا،و لازم تحتم إتيان هذا الأجل و هو يوم القيامه أن لا يسامـح فى أمره و لا يسـتهان بأمر الإيمان بالله حق الإيمان و الصبر عليه عند الفتن و المحن من غير رجوع و ارتـداد،و قـد زاد فى تأكيـد القول بتـذييله بقوله:« وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »إذ هو تعالى لما كان سـميعا لأقوالهم عليما بأحوالهم فلا ينبغى أن يقول القائل:آمنت بالله إلا عن ظهر القلب و مع الصبر على كل فتنه و محنه.

و من هنا يظهر أن ذيل الآيه:« فَإِنَّ أَجَلَ اللّٰهِ لَآتٍ »إلخ،من قبيل وضع

السبب موضع المسبب كما كان صدرها:« مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ »أيضا كذلك، و الأصل من قال:آمنت بالله.فليقله مستقيما صابرا عليه مجاهدا فى ربه.

و قوله:« وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ » المجاهده و الجهاد مبالغه من الجهد بمعنى بذل الطاقه،و فيه تنبيه لهم أن مجاهدتهم فى الله بلزوم الإيمان و الصبر على المكاره دونه ليست مما يعود نفعه إلى الله سبحانه حتى لا يهمهم و يلغو بالنسبه إليهم أنفسهم بل إنما يعود نفعه إليهم أنفسهم لغناه تعالى عن العالمين فعليهم أن يلزموا الإيمان و يصبروا على المكاره دونه.

فقوله:« وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ »تأكيد لحجه الآيه السابقه،و قوله:

« إِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ »تعليل لما قبله.

و الالتفات من سياق التكلم بالغير إلى اسم الجلاله فى الآيتين نظير ما مر من الالتفات فى قوله:« فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا »الآيه.

و قوله:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ »بيان لعاقبه إيمانهم حق الإيمان المقارن للجهاد و يتبين به أن نفع إيمانهم يعود إليهم لا إلى الله سبحانه و أنه عطيه من الله و فضل.

و على هذا فالآيه لا تخلو من دلاله ما على أن الجهاد فى الله هو الإيمان و العمل الصالح فإنها فى معنى تبديل قوله فى الآيه السابقه:« وَ مَنْ جاهَدَ »من قوله فى هذه الآيه:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ».

و تكفير السيئات هو العفو عنها و الأصل فى معنى الكفر هو الستر،و قيل:

تكفير السيئات هو تبديل كفرهم السابق إيمانا و معاصيهم السابقه طاعات،و ليس بذاك.

و جزاؤهم بأحسن الذى كانوا يعملون هو رفع درجتهم إلى ما يناسب أحسن أعمالهم أو عدم المناقشه فى أعمالهم عند الحساب إذا كانت فيها جهات رداءه و خسه فيعاملون فى كل واحد من أعمالهم معامله من أتى بأحسن عمل من نوعه فتحتسب صلاتهم أحسن الصلاه و إن اشتملت على بعض جهات الرداءه و هكذا.

قوله تعالى:« وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِى ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما »إلخ، التوصيه العهد و هو هاهنا الأمر،و قوله:« حُسْناً »

مصدر فی معنی الوصف قائم مقام مفعول مطلق محذوف و التقدیر:و وصینا الإنسان بوالدیه توصیه حسنه أو ذات حسن أی أمرناه أن یحسن إلیهما و هذا مثل قوله:« وَ قُولُوا لِلنّٰاسِ حُسْناً »أی قولا حسنا أو ذا حسن،و یمکن أن یکون وضع المصدر موضع الوصف للمبالغه نحو زید عدل،و ربما وجه بتوجیهات أخر.

و قوله:« وَ إِنْ جٰاهَدٰاکَ لِتُشْرِکَ بِی »إلخ،تتمیم للتوصیه بخطاب شفاهی للإنسان بنهیه عن إطاعه والدیه إن دعواه إلی الشرک و الوجه فی ذلک أن التوصیه فی معنی الأمر فکأنه قیل:و قلنا للإنسان أحسن إلی والدیک و إن جاهداک علی أن تشرک بی ما لیس لک به علم فلا تطعهما.

و لم یقل:و أن لا یطیعهما إن جاهداه علی أن یشرک إلخ،لما فی الخطاب من الصراحه و ارتفاع الإبهام و لذلک قال أیضا:« لِتُشْرِکَ بِی »بضمیر المتکلم وحده فافهمه و یئول معنی الجمله إلی أنا نهیناه عن الشرک طاعه لهما و رفعنا عنه کل إبهام.

و فی قوله:« مٰا لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ »إشاره إلی عله النهی عن الطاعه فإن دعوتهما إلی الشرک بعباده إله من دون الله دعوه إلی الجهل و عباده ما لیس له به علم افتراء علی الله و قد نهی الله عن اتباع غیر العلم قال: «وَ لاٰ تَقْفُ مٰا لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ» :إسراء:

۳۸ و بهذه المناسبه ذیلها بقوله:« إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »أی سأعلمکم ما معنی أعمالکم و منها عبادتکم الأصنام و شرککم بالله سبحانه.

و معنی الآیه:و عهدنا إلی الإنسان فی والدیه عهدا حسنا-و أمرناه أن أحسن إلی والدیک-و إن بذلا جهدهما أن تشرک بی فلا تطعهما لأنه اتباع ما لیس لک به علم.

و فی الآیه-کما تقدمت الإشاره إلیه-توبیخ تعریضی لبعض من کان قد آمن ثم رجع عن إیمانه بمجاهده من والدیه.

قوله تعالی:« وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِی الصّٰالِحِینَ »معنی الآیه ظاهر،و فی وقوعها بعد الآیه السابقه و فی سیاقها،دلاله علی وعد جمیل منه تعالی و تطییب نفس لمن ابتلی من المؤمنین بوالدین مشرکین یجاهدانه علی الشرک فعصاهما و فارقهما،یقول سبحانه:إن جاهداه علی الشرک فعصاهما و هجرهما ففاتاه لم یکن بذلک بأس فإنا سنرزقه خیرا منهما و ندخله بإیمانه و عمله الصالح فی الصالحین و هم العباد

المنعمون فى الجنه،قال تعالى: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي» :الفجر:٣٠.

و أما إراده المجتمع الصالح فى الدنيا فبعيد من السياق.

قوله تعالى:« وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ »إلى آخر الآيه،لما كان إيمان هؤلاء مقيدا بالعافيه و السلامه مغيى بالإيذاء و الابتلاء لم يعده إيمانا بقول مطلق و لم يقل:و من الناس من يؤمن بالله بل قال:« وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ »فالآيه بوجه نظيره قوله: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ» :الحج:١١.

و قوله:« فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ »أى أوذى لأجل الإيمان بالله بناء على أن فى للسببيه كما قيل و فيه عنايه كلاميه لطيفه بجعله تعالى-أى جعل الإيمان بالله-ظرفا للإيذاء و لمن يقع عليه الإيذاء ليفيد أن الإيذاء منتسب إليه تعالى انتساب المظروف إلى ظرفه و ينطبق على معنى السببيه و الغرضيه و نظيره قوله: «يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» ، :الزمر:٥٦ و قوله: «وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا» :العنكبوت:٦٩.

و قيل:معنى الإيذاء فى الله هو الإيذاء فى سبيل الله و كأنه مبنى على تقدير مضاف محذوف.

و فيه أن العنايه الكلاميه مختلفه فالإيذاء فى الله ما كان السبب فيه محض الإيمان بالله و هو قولهم:ربنا الله،و الإيذاء فى سبيل الله ما كان سببه سلوك السبيل التى هى الدين قال تعالى: «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي» :آل عمران:١٩٥ و من الشاهد على تغاير الاعتبارين قوله فى آخر السوره:« وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا »حيث جعل الجهاد فى الله طريقا إلى الاهتداء إلى سبله و لو كانا بمعنى واحد لم يصح ذلك.

و قوله:« جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ »أى نزل العذاب و الإيذاء الذى يصيبه من الناس فى وجوب التحرز منه منزله عذاب الله الذى يجب أن يتحرز منه فرجع عن الإيمان إلى الشرك خوفا و جزعا من فتنتهم مع أن عذابهم يسير منقطع الآخر بنجاه أو موت و لا يقاس ذلك بعذاب الله العظيم المؤبد الذى يستتبع الهلاك الدائم.

و قوله:« وَ لَئِنْ جٰاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّٰا كُنّٰا مَعَكُمْ »أی لئن أتاكم من قبله تعالی ما فيه فرج و يسر لكم من بعد ما أنتم فيه من الشده و العسره من قبل أعداء الله ليقولن هؤلاء إنا كنا معكم فلنا منه نصيب.

و« لَيَقُولُنَّ »بضم اللام صيغه جمع،و الضمير راجع إلی« مَنْ »باعتبار المعنی كما أن ضمائر الإفراد الأخر راجعه إليها باعتبار اللفظ.

و قوله:« أَ وَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِمٰا فِي صُدُورِ الْعٰالَمِينَ »استفهام إنكاری فيه رد دعواهم أنهم مؤمنون بأن الله أعلم بما فی الصدور و لا تنطوی قلوب هؤلاء علی إيمان.

و المراد بالعالمين الجماعات من الإنسان أو الجماعات المختلفه من أولی العقل إنسانا كان أو غيره كالجن و الملك،و لو كان المراد به جميع المخلوقات من ذوی الشعور و غيرهم كان المراد بالصدور البواطن و هو بعيد.

قوله تعالی:« وَ لَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنٰافِقِينَ »من تتمه الكلام فی الآيه السابقه و المحصل أن الله مع ذلك يميز بين المؤمنين و المنافقين بالفتنه و الامتحان.

و فی الآيه إشاره إلی كون هؤلاء منافقين و ذلك لكون إيمانهم مقيدا بعدم الفتنه و هم يظهرونه مطلقا غير مقيد و الفتنه سنه إلهيه جاريه لا معدل عنها.

و قد استدل بالآيتين علی أن السوره أو خصوص هذه الآيات مدنيه و ذلك أن الآيه تحدث عن النفاق و النفاق إنما ظهر بالمدينه بعد الهجره و أما مكه قبل الهجره فلم يكن للإسلام فيها شوكه و لا للمسلمين فيها إلا الذله و الإهانه و الشده و الفتنه و لا للنبی ص فی المجتمع العربی يومئذ و خاصه عند قريش عزه و لا منزله فلم يكن لأحد منهم داع يدعوه إلی أن يتظاهر بالإيمان و هو ينوی الكفر.

علی أن قوله فی الآيه:« وَ لَئِنْ جٰاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّٰا كُنّٰا مَعَكُمْ »يخبر عن النصر و هو الفتح و الغنيمه و قد كان ذلك بالمدينه دون مكه.

و نظير الآيتين قوله السابق:« وَ مَنْ جٰاهَدَ فَإِنَّمٰا يُجٰاهِدُ لِنَفْسِهِ »ضروره إن الجهاد و القتال إنما كان بالمدينه بعد الهجره.

و هو سخيف:أما حديث النفاق فالذی جعل فی الآيه ملاكا للنفاق و هو قولهم:

آمَنّٰا بِاللّٰهِ

حتی إذا أوذوا فی الله راجعوا عن قولهم كان جائز التحقق فی مكه كما فی

غيرها و هو ظاهر بل الذى ذكر من الإيذاء و الفتنه إنما كان بمكه فلم تكن فى المدينه بعد الهجره فتنه.

و أما حديث النصر فالنصر غير منحصر في الفتح و الغنيمه فله مصاديق أخر يفرج الله بها عن عباده.على أن الآيه لا تخبر عنه بما يدل على التحقق فقوله:« فَإِذا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَهَ النّاسِ كَعَذابِ اللّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّا كُنّا مَعَكُمْ » يدل على تحقق الإيذاء و الفتنه حيث عبر بإذا الداله على تحقق الوقوع بخلاف مجيء النصر حيث عبر عنه بأن الشرطيه الداله على إمكان الوقوع دون تحققه.

و أما قوله تعالى:« وَ مَنْ جاهَدَ »إلخ فقد اتضح مما تقدم أن المراد به جهاد النفس دون مقاتله الكفار فالحق أن لا دلاله فى شيء من الآيات على كون السوره أو بعضها مدنيه.

قوله تعالى:« وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ »المراد بالذين كفروا مشركو مكه الذين أبدوا الكفر أول مره بالدعوه الحقه،و بالذين آمنوا المؤمنون بها أول مره و قولهم لهم:« اِتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ »نوع استماله لهم و تطييب لنفوسهم أن لو رجعوا إلى الشرك و اتبعوا سبيلهم لم تكن عليهم تبعه على أى حال:إذ لو لم تكن فى ذلك خطيئه فهو،و إن كانت فهم حاملون لها عنهم،و لذلك لم يقولوا:و لنحمل خطاياكم لو كانت بل أطلقوا القول من غير تقييد.

فكأنهم قالوا:لنفرض أن اتباعكم لسبيلنا خطيئه فإنا نحملها عنكم و نحمل كل ما يتفرع عليه من الخطايا أو أنا نحمل عنكم خطاياكم عامه و من جملتها هذه الخطيئه.

و قوله:« وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ »رد لقولهم:« وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ » و هو رد محفوف بحجه إذ لو كان اتباعهم لسبيلهم و رجوعهم عن الإيمان بالله خطيئه كان خطيئه عند الله لاحقه بالراجعين و انتقالها عن عهدتهم إلى غيرهم يحتاج إلى إذن من الله و رضى فهو الذى يؤاخذهم به و يجازيهم و هو سبحانه يصرح و يقول:« ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ »و قد عمم النفى لكل شيء من خطاياهم.

و قوله:« إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ »تكذيب لهم لما أن قولهم:« وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ » يشتمل على دعوى ضمنى أن خطاياهم تنتقل إليهم لو احتملوها و أن الله يجيز لهم ذلك.

ص :۱۰۷

قوله تعـالی:« وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ عَمّٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ »من تمام القول السابق فی ردهم و هو فی محـل الاسـتدراک أی إنهم لاـ یحملون خطایـاهم بعینهـا فهی لاـزمه لفاعلیهـا لکنهم حاملون أثقالا و أحمالا من الأوزار مثل أوزار فاعلیها من غیر أن ینقص من فاعلیها فیحملونها مضافا إلی أثقال أنفسهم و أحمالها لما أنهم ضالون مضلون.

فالآیه فی معنی قوله تعالی: «لِيَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ كٰامِلَةً يَوْمَ الْقِيٰامَةِ وَ مِنْ أَوْزٰارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ» :النحل:۲۵.

و قوله:« وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ عَمّٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ »فشرکهم افتراء علی الله سبحانه و کذا دعواهم القدره علی إنجاز ما وعدوه و أن الله یجیز لهم ذلک.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن الضـریس و النحاس و ابن مردویه و البیهقی فی الدلائل عن ابن عباس و أیضا ابن مردویه عن عبد الله بن الزبیر قالا":نزلت سوره العنکبوت بمکه.

أقول:و قد نقل فی روح المعانی،عن البحر عن ابن عباس أن السوره مدنیه.

و فی المجمع،":قیـل نزلت الآـیه یعنی قوله تعـالی:« أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا »فی عمـار بن یاسـر-و کان یعـذب فی الله.عن ابن جریج.

و فی الـدر المنثور،أخرج عبـد بن حمید و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم عن الشـعبی": فی قوله:« الم أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا »الآیه،قال:أنزلت فی أناس بمکه قد أقروا بالإسـلام-فکتب إلیهم أصحاب رسول الله ص من المدینه-لما نزلت آیه الهجره أنه لا یقبل منکم إقرار و لا إسـلام حتی تهاجروا.قال:فخرجوا عامـدین إلی المدینه فأتبعهم المشـرکون-فردوهم فنزلت فیهم هذه الآیه-فکتبوا إلیهم أنه نزل فیکم آیه کذا و کذا-فقالوا:نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه-فخرجوا فأتبعهم المشـرکون فقاتلوهم-فمنهم من قتـل و منهم من نجـا فـأنزل الله فیهم:« ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هٰاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مٰا فُتِنُوا ثُمَّ جٰاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهٰا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ »

و فیه،أخرج ابن جریر عن قتاده": « وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ -إلی قوله- وَ لَیَعْلَمَنَّ الْمُنٰافِقِینَ »قال هذه الآیات نزلت فی القوم الذین ردهم المشرکون إلی مکه، و هذه الآیات العشر مدنیه.

و فیه،أخرج ابن جریر عن الضحاك": فی قوله:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ » قال:ناس من المنافقین بمکه کانوا یؤمنون-فإذا أوذوا و أصابهم بلاء من المشرکین-رجعوا إلی الکفر و الشرک مخافه من یؤذیهم-و جعلوا أذی الناس فی الدنیا کعذاب الله.

و فیه،أخرج ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه عن سعد بن أبی وقاص قال": قالت أمی:لا آکل طعاما و لا أشرب شرابا-حتی تکفر بمحمد فامتنعت من الطعام و الشراب-حتی جعلوا یسجرون فاها بالعصا فنزلت هذه الآیه« وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسٰانَ بِوٰالِدَیْهِ حُسْناً »الآیه.

و فی المجمع،قال الکلبی": نزل قوله:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَقُولُ »الآیه-فی عیاش بن أبی ربیعه المخزومی-و ذلک أنه أسلم فخاف أهل بیته-فهاجر إلی المدینه قبل أن یهاجر النبی ص-فحلفت أمه أسماء بنت مخرمه بن أبی جندل التمیمی-أن لا تأکل و لا تشرب و لا تغسل رأسها-و لا تدخل کنا حتی یرجع إلیها-فلما رأی ابناها أبو جهل و الحارث ابنا هشام-و هما أخوا عیاش لأمه-جزعها رکبا فی طلبه-حتی أتیا المدینه فلقیاه و ذکرا له القصه-فلم یزالا به حتی أخذ علیهما المواثیق-أن لا یصرفاه عن دینه و تبعهما-و قد کانت أمه صبرت ثلاثه أیام ثم أکلت و شربت-.

فلما خرجوا من المدینه أخذاه و أوثقاه کتافا-و جلده کل واحد منهما مائه جلده- حتی بریء من دین محمد جزعا من الضرب-و قال ما لا ینبغی فنزلت الآیه-و کان الحارث أشدهما علیه-فحلف عیاش لئن قدر علیه خارجا من الحرم لیضربن عنقه-.

فلما رجعوا إلی مکه مکثوا حینا-ثم هاجر النبی ص و المؤمنون إلی المدینه- و هاجر عیاش و حسن إسلامه-و أسلم الحارث بن هشام و هاجر إلی المدینه-و بایع النبی ص علی الإسلام و لم یحضر عیاش-فلقیه عیاش یوما بظهر قبا و لم یشعر بإسلامه-فضرب عنقه فقیل له:إن الرجل قد أسلم فاسترجع عیاش و بکی-ثم أتی النبی ص فأخبره بذلک فنزل:« وَ مٰا کٰانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ یَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاّٰ خَطَأً »الآیه.

أقول:و أنت ترى اختلاف الروايات فى سبب نزول الآيات و قد تقدم أن الذى يعطيه سياق آيات السوره أنها مكيه محضه.

و فى الكافى،عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن معمر بن خلاد قال:سمعت أبا الحسن(ع)يقول: « الم أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا-وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ ».

ثم قال لى:ما الفتنه؟قلت:جعلت فداك الفتنه فى الدين-فقال:«يفتنون كما يفتن الذهب.ثم قال:يخلصون كما يخلص الذهب.

و فى المجمع،:قيل: إن معنى يفتنون يبتلون فى أنفسهم و أموالهم: و هو المروى عن أبى عبد الله(ع) .

و فيه،: فى قوله تعالى:« أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً »:و فى تفسير الكلبى،:أنه لما نزلت هذه الآيه-قام النبى ص فتوضأ و أسبغ وضوءه-ثم قام و صلى فأحسن صلاته-ثم سأل الله سبحانه أن لا يبعث عذابا من فوقهم-أو من تحت أرجلهم أو يلبسهم شيعا-و لا يذيق بعضهم بأس بعض.

فنزل جبرئيل و لم يجرهم من الخصلتين الأخيرتين-فقال(ص):يا جبرئيل ما بقاء أمتى مع قتل بعضهم بعضا؟فقام و عاد إلى الدعاء فنزل:« الم أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا »الآيتان-فقال:لا بد من فتنه يبتلى بها الأمه-بعد نبيها ليتعين الصادق من الكاذب-لأن الوحى انقطع و بقى السيف-و افتراق الكلمه إلى يوم القيامه.

و فى نهج البلاغه،: و قام إليه رجل فقال أخبرنا عن الفتنه-و هل سألت رسول الله ص عنها؟فقال(ع):لما أنزل الله سبحانه قوله:« الم أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ »علمت أن الفتنه لا تنزل بنا و رسول الله ص بين أظهرنا-فقلت:يا رسول الله ما هذه الفتنه التى أخبرك الله بها؟فقال:يا على إن أمتى سيفتنون من بعدى.

و فى التوحيد،عن على(ع)-فى حديث طويل: و قد سأله رجل عن آيات من القرآن-و قوله:« مَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ اللّٰهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّٰهِ لَآتٍ »يعنى بقوله:من كان يؤمن بأنه مبعوث-فإن وعد الله لآت من الثواب و العقاب-فاللقاء هاهنا ليس بالرؤيه و اللقاء هو البعث-فافهم جميع ما فى كتاب الله من لقائه فإنه يعنى بذلك البعث.

أقول:مراده(ع)نفى الرؤيه الحسيه و التفسير بلازم المعنى.

و فى تفسير القمى،":فى قوله تعالى:« مَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ اللّٰهِ »الآيه قال:من أحب لقاء الله جاءه الأجل« وَ مَنْ جٰاهَدَ »نفسه عن اللذات و الشهوات و المعاصى« فَإِنَّمٰا يُجٰاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللّٰهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعٰالَمِينَ ».« وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسٰانَ بِوٰالِدَيْهِ حُسْناً »قال:

هما اللذان ولداه.

و فيه،": فى قوله تعالى:« وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّبِعُوا سَبِيلَنٰا وَ لْنَحْمِلْ خَطٰايٰاكُمْ »قال:كان الكفار يقولون للمؤمنين:كونوا معنا-فإن الذى تخافون أنتم ليس بشىء-فإن كان حقا نتحمل عنكم ذنوبكم،فيعذبهم الله عز و جل مرتين: مره بذنوبهم و مره بذنوب غيرهم.

و فى الدر المنثور،أخرج ابن أبى شيبه فى المصنف و ابن المنذر عن ابن الحنفيه قال": كان أبو جهل و صناديد قريش يتلقون الناس-إذا جاءوا إلى النبى ص يسلمون يقولون:إنه يحرم الخمر و يحرم الزنا و يحرم ما كانت تصنع العرب-فارجعوا فنحن نحمل أوزاركم فنزلت هذه الآيه:« وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ »

و فيه،أخرج أحمد عن حذيفه قال: سأل رجل على عهد رسول الله ص فأمسك القوم-ثم إن رجلا أعطاه فأعطى القوم-فقال النبى ص:من سن خيرا فاستن به-كان له أجره و من أجور من تبعه-غير منتقص من أجورهم شيئا،و من سن شرا فاستن به كان عليه وزره و من أوزار من تبعه-غير منتقص من أوزارهم شيئا.

أقول:و فى هذا المعنى روايات أخر و فى بعضها تفسير قوله:« وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ »بذلك.

[سوره العنكبوت (۲۹): الآيات ۱۴ الى ۴۰]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّٰ خَمْسِينَ عٰاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفٰانُ وَ هُمْ ظٰالِمُونَ (۱۴) فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ أَصْحٰابَ اَلسَّفِينَةِ وَ جَعَلْنٰاهٰا آيَةً لِلْعٰالَمِينَ (۱۵) وَ إِبْرٰاهِيمَ إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ وَ اِتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۶) إِنَّمٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَوْثٰاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ اَلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ لاٰ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اَللّٰهِ اَلرِّزْقَ وَ اُعْبُدُوهُ وَ اُشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۱۷) وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مٰا عَلَى اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِينُ (۱۸) أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اَللّٰهُ اَلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ يَسِيرٌ (۱۹) قُلْ سِيرُوا فِي اَلْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اَلْخَلْقَ ثُمَّ اَللّٰهُ يُنْشِئُ اَلنَّشْأَةَ اَلْآخِرَةَ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۰) يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشٰاءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (۲۱) وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ (۲۲) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِ اَللّٰهِ وَ لِقٰائِهِ أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۲۳) فَمٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا اُقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجٰاهُ اَللّٰهُ مِنَ اَلنّٰارِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۲۴) وَ قٰالَ إِنَّمَا اِتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَوْثٰاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا ثُمَّ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ مَأْوٰاكُمُ اَلنّٰارُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ (۲۵) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قٰالَ إِنِّي مُهٰاجِرٌ إِلىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۲۶) وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ

يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ اَلنُّبُوَّةَ وَ اَلْكِتَابَ وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِى اَلدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِى اَلْآخِرَهِ لَمِنَ اَلصَّالِحِينَ (۲۷) وَ لُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلْفَاحِشَهَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ اَلْعَالَمِينَ (۲۸) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ اَلسَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ اَلْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اِئْتِنَا بِعَذَابِ اَللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصَّادِقِينَ (۲۹) قَالَ رَبِّ اُنْصُرْنِى عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْمُفْسِدِينَ (۳۰) وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ اَلْقَرْيَهِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (۳۱) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ اِمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ اَلْغَابِرِينَ (۳۲) وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قَالُوا لاَ تَخَفْ وَ لاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ اِمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ اَلْغَابِرِينَ (۳۳) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ اَلْقَرْيَهِ رِجْزاً مِنَ اَلسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (۳۴) وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَهً بَيِّنَهً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۳۵) وَ إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللَّهَ وَ اُرْجُوا اَلْيَوْمَ اَلْآخِرَ وَ لاَ تَعْثَوْا فِى اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۳۶) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ اَلرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (۳۷) وَ عَاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ اَلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ اَلسَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (۳۸) وَ قَارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِى اَلْأَرْضِ وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ (۳۹) فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ اَلصَّيْحَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ اَلْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَ مَا كَانَ اَللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴۰)

(بيان)

لما ذكر سبحانه في صدر السوره أن الفتنه سنه إلهيه لا معدل عنها و قد جرت في الأمم السابقه عقب ذلك بالإشاره إلى قصص سبعه من الأنبياء الماضين و أممهم و هم:

نوح و إبراهيم و لوط و شعيب و هود و صالح و موسى(ع)فتنهم الله و امتحنهم فنجا منهم من نجا و هلك،منهم من هلك و قد ذكر سبحانه في الثلاثه الأول النجاه و الهلاك معا و في الأربعه الأخيره الهلاك فحسب.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّٰ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ »،في المجمع:، الطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرته في نواحي الأرض،انتهى.و قيل:هو كل ما يطوف بالشيء على كثره و شده من السيل و الريح و الظلام و الغالب استعماله في طوفان الماء.

و التعبير بألف سنه إلا خمسين عاما دون أن يقال:تسعمائه و خمسين سنه للتكثير و الآيه ظاهره في أن الألف إلا خمسين مده دعوه نوح(ع)ما بين بعثته إلى أخذ الطوفان فيغاير ما في التوراه الحاضره أنها مده عمره(ع)و قد تقدمت الإشاره إلى ذلك في قصصه(ع)في تفسير سوره هود،و الباقي ظاهر.

قوله تعالى:« فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ أَصْحٰابَ السَّفِينَهِ وَ جَعَلْنٰاهٰا آيَهً لِلْعٰالَمِينَ »أي فأنجينا

نوحا و أصحاب السفينه الراكبين معه فيها و هم أهله و عده قليله من المؤمنين به و لم يكونوا ظالمين.

و قوله:« وَ جَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ »الظاهر أن الضمير للواقعه أو للنجاه و أما رجوعه إلى السفينه فلا يخلو من بعد،و العالمين الجماعات الكثيره المختلفه من الأجيال اللاحقه بهم.

قوله تعالى:« وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »معطوف على قوله:« نُوحاً »أى و أرسلنا إبراهيم إلى قومه.

و قوله لقومه:« اُعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ »دعوه إلى التوحيد و إنذار بقرينه الآيات التاليه فتفيد الجمله فائده الحصر.

على أن الوثنيه لا يعبدون الله سبحانه و إنما يعبدون غيره زعما منهم أنه تعالى لا يمكن أن يعبد إلا من طريق الأسباب الفعاله في العالم المقربه عنده كالملائكه و الجن و لو عبد لكان معبودا وحده من غير شريك فدعوتهم إلى عباده الله بقوله:« اُعْبُدُوا اللّهَ »تفيد الدعوه إليه وحده و إن لم تقيد بأداه الحصر.

قوله تعالى:« إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً »إلى آخر الآيه، الأوثان جمع وثن بفتحتين و هو الصنم،و الإفك الأمر المصروف عن وجهه قولا أو فعلا.

و قوله:« إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً »بيان لبطلان عباده الأوثان و يظهر به كون عباده الله هى العباده الحقه و بالجمله انحصار العباده الحقه فيه تعالى« أَوْثاناً » منكر للدلاله على وهن أمرها و كون ألوهيتها دعوى مجرده لا حقيقه وراءها،أى لا تعبدون من دون الله إلا أوثانا من أمرها كذا و كذا.

و لذا عقب الجمله بقوله:« وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً »أى و تفتعلون كذبا بتسميتها آلهه و عبادتها بعد ذلك فهناك إله تجب عبادته لكنه هو الله الواحد دون الأوثان.

و قوله:« إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً »تعليل لما ذكر من افتعالهم الكذب بتسميه الأوثان آلهه و عبادتها و محصله أن هؤلاء الذين تعبدون من دون الله و هم الأوثان بما هم تماثيل المقربين من الملائكه و الجن إنما تعبدونهم لجلب النفع و هو أن يرضوا عنكم فيرزقوكم و يدروا عليكم الرزق لكنهم ليسوا يملكون لكم رزقا

فإن الله هو الـذی یملک رزقکم الـذی هو السـبب الممد لبقائکم لأنه الذی خلقکم و خلق رزقکم فجعله ممدا لبقائکم و الملک تابع للخلق و الإیجاد.

و لـذلک عقبه بقـوله:« فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْکُرُوا لَهُ »أی فـاطلبوا الرزق من عنـد الله لأنه هـو الـذی یملکه فلا تعبدوهم بل اعبدوا الله و اشکروا له علی ما رزقکم و أنعم علیکم بألوان النعم فمن الواجب شکر المنعم علی ما أنعم.

و قـوله:« إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ »فی مقـام التعلیـل لقـوله:« وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْکُرُوا لَهُ » و لـذا جیء بالفصـل من غیر عطف،و فی هـذا التعلیل صرفهم عن عبـاده الإله ابتغاء للرزق إلی عبادته للرجوع و الحساب إذ لو لا المعاد لم یکن لعباده الإله سـبب محصل لأن الرزق و مـا یجری مجراه له أسـباب خـاصه کونیه غیر العبـادات و القربات و لا یزیـد و لا ینقص بإیمان أو کفر لکن سـعاده یوم الحساب تختلف بالإیمان و الکفر و العباده و الشکر و خلافهما فلیکن الرجوع إلی الله هو الباعث إلی العباده و الشکر دون ابتغاء الرزق.

قوله تعـالی:« وَ إِنْ تُکَذِّبُوا فَقَدْ کَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مٰا عَلَی الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاٰغُ الْمُبِینُ »الظاهر أنه من تمام کلام إبراهیم(ع)،و ذکر بعضهم أنه خطاب منه تعالی لمشرکی قریش و لا یخلو من بعد.

و معنی الشـرط و الجزاء فی صـدر الآیه أن التکـذیب هو المتوقع منکم لأنه کالسـنه الجاریه فی الأمم المشـرکه و قـد کـذب من قبلکم و أنتم منهم و فی آخرهم و لیس علی بما أنا رسول إلا البلاغ المبین.

و یمکن أن یکـون المراد أن حـالکم فی تکـذیبکم کحـال الأـمم من قبلکم لم ینفعهم تکـذیبهم شـیئا حـل بهم عـذاب الله و لم یکونـوا بمعجزین فی الأـرض و لاـ فی السـماء و لم یکن لهم من دون الله من ولی و لاـ نصـیر،فکـذلکم أنتم،و قـوله:« وَ مٰا عَلَی الرَّسُولِ »یناسب الوجهین جمیعا.

قوله تعـالی:« أَ وَ لَمْ یَرَوْا کَیْفَ یُبْدِئُ اللّٰهُ الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ إِنَّ ذٰلِکَ عَلَی اللّٰهِ یَسِیرٌ » هـذه الآیه إلی تمام خمس آیات من کلامه تعـالی واقعه فی خلاـل القصه تقیم الحجه علی المعـاد و ترفع اسـتبعادهم له متعلقه بمـا تقـدم من حیث إن العمـده فی تکـذیبهم الرسل إنکارهم للمعاد کما یشیر إلیه قول إبراهیم:« إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ وَ إِنْ تُکَذِّبُوا فَقَدْ کَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِکُمْ ».

فقوله:« أَ وَ لَمْ يَرَوْا »إلخ الضمير فيه للمكذبين من جميع الأمم من سابق و لاحق و المراد بالرؤيه النظر العلمى دون الرؤيه البصريه،و قوله:« كَيْفَ يُبْدِئُ اللّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ »فى موضع المفعول لقوله:« يَرَوْا »بعطف« يُعِيدُهُ »على موضع« يُبْدِئُ » خلافا لمن يرى عطفه على« أَ وَ لَمْ يَرَوْا »و الاستفهام للتوبيخ.

و المعنى:أ و لم يعلموا كيفيه الإبداء ثم الإعاده أى إنهما من سنخ واحد هو إنشاء ما لم يكن،و قوله:« إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ »الإشاره فيه إلى الإعاده بعد الإبداء و فيه رفع الاستبعاد لأنه إنشاء بعد إنشاء و إذ كانت القدره المطلقه تتعلق بالإيجاد فهى جائزه التعلق بالإنشاء بعد الإنشاء و هى فى الحقيقه نقل للخلق من دار إلى دار و إنزال للسائرين إليه فى دار القرار.

و قول بعضهم:إن المراد بالإبداء ثم الإعاده إنشاء الخلق ثم إعاده أمثالهم بعد إفنائهم غير سديد لعدم ملائمه الاحتجاج على المعاد الذى هو إعاده عين ما فنى دون مثله.

قوله تعالى:« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللّهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »الآيه إلى تمام ثلاث آيات أمر للنبى ص أن يخاطبهم بما يتم به الحجه عليهم فيرشدهم إلى السير فى الأرض لينظروا إلى كيفيه بدء الخلق و إنشائهم على اختلاف طبائعهم و تفاوت ألوانهم و أشكالهم من غير مثال سابق و حصر أو تحديد فى عدتهم و عدتهم ففيه دلاله على عدم التحديد فى القدره الإلهيه فهو ينشئ النشأه الآخره كما أنشأ النشأه الأولى فالآيه فى معنى قوله: «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولىٰ فَلَوْ لاٰ تَذَكَّرُونَ» :الواقعه:۶۲.

قوله تعالى:« يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ »من مقول القول،و الظاهر أنه بيان لقوله:« يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ »و قلب الشىء تحويله عن وجهه أو حاله كجعل أسفله أعلاه و جعل باطنه ظاهره و هذا المعنى الأخير يناسب قوله تعالى: «يَوْمَ تُبْلَى السَّرٰائِرُ» :الطارق:۹.

و فسروا القلب بالرد قال فى المجمع:،و القلب هو الرجوع و الرد فمعناه أنكم تردون إلى حال الحياه فى الآخره حيث لا يملك فيه النفع و الضر إلا الله.انتهى و هذا

معنى لطيف يفسر به معنى الرجوع إلى الله و الرد إليه و هو وقوفهم موقفا تنقطع فيه عنهم الأسباب و لا يحكم فيه إلا الله سبحانه فالآيه فى معنى قوله: «وَ رُدُّوا إِلَى اللّٰهِ مَوْلاٰهُمُ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ» :يونس:٣٠.

و محصل المعنى:أن النشأه الآخره هى نشأه يعذب الله فيها من يشاء و هم المجرمون و يرحم من يشاء و هم غيرهم و إليه تردون فلا يحكم فيكم غيره.

قوله تعالى:« وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّمٰاءِ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ »من مقول القول و توصيف لشأنهم يوم القيامه كما أن الآيه السابقه توصيف لشأنه تعالى يومئذ.

فقوله:« وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فِي السَّمٰاءِ أى أنكم لا تقدرون أن تعجزوه تعالى يومئذ بالفوت منه و الخروج من حكمه و سلطانه بالفرار و الخروج من ملكه و النفوذ من أقطار الأرض و السماء،فالآيه تجرى مجرى قوله: «يٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطٰارِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا» :الرحمن:٣٣.

و قيل:الكلام فى معنى«من فى السماء»فحذف من لدلاله الكلام عليه و التقدير و ما أنتم بمعجزين فى الأرض و لا من فى السماء بمعجزين فى السماء.

و هو بعيد و دلاله الكلام عليه غير مسلمه و لو بنى عليه لكفى فيه أن الخطاب للأعم من البشر بتغليب جانب البشر المخاطبين على غيرهم من الجن و الملك و المعنى:و ما أنتم معاشر الخلق بمعجزين فى الأرض و لا فى السماء.

و قوله:« وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ »أى ليس لكم اليوم ولى من دون الله يتولى أمركم فيغنيكم من الله و لا نصير ينصركم فيقوى جانبكم و يتمم ناقص قوتكم فيظهركم عليه سبحانه.

فالآيه-كما ترى-تنفى ظهورهم على الله و تعجيزهم له بالخروج و الامتناع عن حكمه بأقسامه فلا هم يستقلون بذلك و هو قوله:« وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ »إلخ و لا غيرهم يستقل بذلك و هو قوله:« وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ »و لا المجموع منهم و من غيرهم يعجزه تعالى و هو قوله:« وَ لاٰ نَصِيرٍ ».

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ لِقٰائِهِ أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولٰئِكَ

لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ

»خطاب مصروف إلى النبى ص خارج من مقول القول السابق« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ »إلخ و المطلوب فيه أن ينبئه(ص)صريح الحق فيمن يشقى و يهلك يوم القيامه فإنه أبهم ذلك فى قوله أولا:« يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشٰاءُ ».

و من الدليل عليه الخطاب فى« أُولٰئِكَ »مرتين و لو كان من كلام النبى ص لقيل:أولئكم».

و يؤيد ذلك أيضا قوله:« مِنْ رَحْمَتِي »فإن الانتقال من مثل قولنا:أولئك يئسوا من رحمه الله أو من رحمته بسياق الغيبه على ما يقتضيه المقام إلى قوله:« أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي »يفيد التصديق و الاعتراف مضافا إلى أصل الإخبار فيفيد صريح التعيين لأهل العذاب،و يؤيد ذلك أيضا تكرار الإشاره و ما فى السياق من التأكيد.

و كان فى تخصيص النبى ص بهذا الإخبار تقويه لنفسه الشريفه و عزلا لهم عن صلاحيه السمع لمثله و هم لا يؤمنون.

و المراد بآيات الله-على ما يفيده إطلاق اللفظ-جميع الأدله الداله على الوحدانيه و النبوه و المعاد من الآيات الكونيه و المعجزات النبويه و منها القرآن فالكفر بآيات الله يشمل بعمومه الكفر بالمعاد فذكر الكفر باللقاء و هو المعاد بعد الكفر بالآيات من ذكر الخاص بعد العام و الوجه فيه الإشاره إلى أهميه الإيمان بالمعاد إذ مع إنكار المعاد يلغو أمر الدين الحق من أصله و هو ظاهر.

و المراد بالرحمه ما يقابل العذاب و يلازم الجنه و قد تكرر فى كلامه تعالى إطلاق الرحمه عليها بالملازمه كقوله: «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ» ، :الجاثيه:٣٠ و قوله: «يُدْخِلُ مَنْ يَشٰاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظّٰالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً» :الإنسان:٣١.

و المراد بإسناد اليأس إليهم إما تلبسهم به حقيقه فإنهم لجحدهم الحياه الآخره آيسون من السعاده المؤبده و الجنه الخالده و إما أنه كنايه عن قضائه تعالى المحتوم أن الجنه لا يدخلها كافر.

و المعنى:و الذين جحدوا آيات الله الداله على الدين الحق و خاصه المعاد أولئك يئسوا من الرحمه و الجنه و أولئك لهم عذاب أليم.

قوله تعالی:« فَلَمّا کانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللّهُ مِنَ النّارِ »إلخ،تفریع علی قوله فی صدر القصه:« وَ إِبْراهِیمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ .

و ظاهر قوله:« قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ »أن کلا من طرفی التردید قول طائفه منهم و المراد بالقتل القتل بالسیف و نحوه فهو قولهم أول ما ائتمروا لیجازوه و إن اتفقوا بعد ذلک علی إحراقه کما قال «قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَکُمْ» ، :الأنبیاء:۶۸ و یمکن أن یکون التردید من الجمیع لترددهم فی أمره أولا ثم اتفاقهم علی إحراقه.

و قوله:« فَأَنْجاهُ اللّهُ مِنَ النّارِ »فیه حذف و إیجاز و تقدیره ثم اتفقوا علی إحراقه فأضرموا نارا فألقوه فیها فأنجاه الله منها،و قد فصلت القصه فی مواضع من کلامه تعالی.

قوله تعالی:« وَ قالَ إِنَّما اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً مَوَدَّهَ بَیْنِکُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا »إلی آخر الآیه إذ کان لا حجه عقلیه لهم علی اتخاذ الأوثان لم یبق لهم مما یستنون به إلا الاستنان بسنه من یعظمونه و یحترمون جانبه کالآباء للأبناء و الرؤساء المعظمین لأتباعهم و الأصدقاء لأصدقائهم و بالأخره الأمه لأفرادها فهذا السبب الرابط هو عمده ما یحفظ السنن القومیه معمولا بها قائمه علی ساقها.

فالاستنان بسنه الوثنیه بالحقیقه من آثار الموت الاجتماعیه یری العامه ذلک بعضهم من بعض فتبعثه الموده القومیه علی تقلیده و الاستنان به مثله ثم هذا الاستنان نفسه یحفظ الموده القومیه و یقیم الاتحاد و الاتفاق علی ساقه.

هذه حال العامه منهم و أما الخاصه فربما رکنوا فی ذلک إلی ما یحسبونه حجه و ما هو بحجه کقولهم إن الله سبحانه أجل من أن یحیط به حس أو وهم أو عقل فلا یتعلق به توجهنا العبادی فمن الواجب أن نتقرب إلی بعض من له به عنایه کالملائکه و الجن لیقربونا إلیه زلفی و یشفعوا لنا عنده.

فقوله:« إِنَّما اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً مَوَدَّهَ بَیْنِکُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا »خطاب منه(ع)لعامه قومه فی أمر اتخاذهم الأوثان للموده القومیه لیصلحوا به شأن حیاتهم الدنیا الاجتماعیه،و قد أجابوه بذلک حیث سألهم عن شأنهم «إِذْ قالَ لِأَبِیهِ وَ قَوْمِهِ

مٰا هٰذِهِ التَّمٰاثِيلُ الَّتِی أَنْتُمْ لَهٰا عٰاكِفُونَ، قٰالُوا وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا لَهٰا عٰابِدِينَ» ، :الأنبياء:۵۳ «قٰالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قٰالُوا بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ» :الشعراء:۷۴.

و من هنا يظهر أن قوله:« مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ »صالح لأن يكون منصوبا بنزع الخافض بتقدير لام التعليل و الموده على هذا سبب مؤد إلى اتخاذ الأوثان،و أن يكون مفعولا له،و الموده غايه مقصوده من اتخاذ الأوثان،لكن ذيل الآيه إنما تلائم الوجه الثانى على ما سيظهر.

ثم عقب(ع)بقوله:« إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ »إلخ،بقوله:« ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً »يبين لهم عاقبه اتخاذهم الأوثان للموده و هو باطن هذه الموده المقصوده الذى سيظهر يوم تبلى السرائر فإنهم توسلوا إلى هذا المتاع القليل بالشرك الذى هو أعظم الظلم و أكبر الكبائر الموبقه و اجتمعوا عليه و توافقوا لكنهم سيبدو لهم حقيقه عملهم و يلحق بهم وباله فيتبرأ بعضهم من بعض و ينكره بعضهم على بعض.

و المراد بكفر بعضهم ببعض كفر آلهتهم بهم و تبريهم منهم،كما قال تعالى:

«سَيَكْفُرُونَ بِعِبٰادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» ، :مريم:۸۲ و قال: «وَ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ» ، :فاطر:۱۴ و فى معناه:تبرى المتبوعين من تابعيهم،كما قال تعالى: «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذٰابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ» ، :البقره:۱۶۶ و المراد بلعن بعضهم بعضا لعن كل بعض صاحبه،قال تعالى: «كُلَّمٰا دَخَلَتْ أُمَّهٌ لَعَنَتْ أُخْتَهٰا» :الأعراف:۳۸.

ثم عقب ذلك بقوله:« وَ مَأْوٰاكُمُ النّٰارُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ »إشاره إلى لحوق الوبال و وقوع الجزاء و هو النار التى فيها الهلاك المؤبد و لا ناصر ينصرهم و يدفع عنهم العذاب فهم إنما توسلوا إلى الموده ليتناصروا و يتعاونوا و يتعاضدوا فى الحياه لكنها عادت يوم القيامه معاداه و مضاده و أورثت تبريا و خذلانا.

قوله تعالى:« فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قٰالَ إِنِّی مُهٰاجِرٌ إِلىٰ رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » أى آمن به لوط و الإيمان يتعدى باللام كما يتعدى بالباء و المعنى واحد.

و قوله:« وَ قٰالَ إِنِّی مُهٰاجِرٌ إِلیٰ رَبِّی »قیل الضمیر راجع إلی لوط،و قیل:

راجع إلی إبراهیم و یؤیده قوله تعالی حکایه عن إبراهیم «وَ قٰالَ إِنِّی ذٰاهِبٌ إِلیٰ رَبِّی سَیَهْدِینِ» :الصافات:۹۹.

و کأن المراد بالمهاجره إلی الله هجره وطنه و خروجه من بین قومه المشرکین إلی أرض لا یعترضه فیها المشرکون و لا یمنعونه من عباده ربه فعد المهاجره مهاجره إلی الله من المجاز العقلی.

و قوله:« إِنَّهُ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »أی عزیز لا یذل من نصره حکیم لا یضیع من حفظه.

قوله تعالی:« وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ جَعَلْنٰا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّهَ وَ الْکِتٰابَ » معناه ظاهر.

قوله تعالی:« وَ آتَیْنٰاهُ أَجْرَهُ فِی الدُّنْیٰا وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّٰالِحِینَ » الأجر هو الجزاء الذی یقابل العمل و یعود إلی عامله و الفرق بینه و بین الأجره أن الأجره تختص بالجزاء الدنیوی و الأجر یعم الدنیا و الآخره،و الفرق بینه و بین الجزاء أن الأجر لا یقال إلا فی الخیر و النافع،و الجزاء یعم الخیر و الشر و النافع و الضار.

و الغالب فی کلامه تعالی استعمال لفظ الأجر فی جزاء العمل العبودی الذی أعده الله سبحانه لعباده المؤمنین فی الآخره من مقامات القرب و درجات الولایه و منها الجنه، نعم وقع فی قوله تعالی حکایه عن یوسف(ع): «إِنَّهُ مَنْ یَتَّقِ وَ یَصْبِرْ فَإِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ» :یوسف:۹۰ و قوله: «وَ کَذٰلِکَ مَکَّنّٰا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ یَتَبَوَّأُ مِنْهٰا حَیْثُ یَشٰاءُ نُصِیبُ بِرَحْمَتِنٰا مَنْ نَشٰاءُ وَ لاٰ نُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ» :یوسف:۵۶ إطلاق الأجر علی الجزاء الدنیوی الحسن.

فقوله:« وَ آتَیْنٰاهُ أَجْرَهُ فِی الدُّنْیٰا »یمکن أن یکون المراد به إیتاء الأجر الدنیوی الحسن و الأنسب علی هذا أن یکون« فِی الدُّنْیٰا »متعلقا بالأجر لا بالإیتاء و ربما تأید هذا المعنی بقوله تعالی فیه(ع)فی موضع آخر: «وَ آتَیْنٰاهُ فِی الدُّنْیٰا حَسَنَهً وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّٰالِحِینَ» ، :النحل:۱۲۲ فإن الظاهر أن المراد بالحسنه الحیاه الحسنه أو العیشه الحسنه و إیتاؤها فعلیه إعطائها دون تقدیرها و کتابتها.

و یمکن أن یکون المراد به تقدیم ما أعد لعامه المؤمنین فی الآخره من مقامات

القرب فی حقه(ع)و إیتاؤه ذلک فی الدنیا و قد تقدم إحصاء ما یذکره القرآن الکریم من مقاماته(ع)فی قصصه من تفسیر سوره الأنعام.

و قوله:« وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّالِحِینَ »تقدم الکلام فیه فی تفسیر قوله تعالی:

«وَ لَقَدِ اصْطَفَیْناهُ فِی الدُّنْیا وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّالِحِینَ» :البقره:۱۳۰ فی الجزء الأول من الکتاب.

قوله تعالی:« وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَهَ ما سَبَقَکُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِینَ »أی و أرسلنا لوطا أو و اذکر لوطا إذ قال لقومه،و قوله:« إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَهَ »إخبار بداعی الاستعجاب و الإنکار،و المراد بالفاحشه إتیان الذکران.

و قوله:« ما سَبَقَکُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِینَ »استئناف یوضح معنی الفاحشه و یؤکده،و کأن المراد أن هذا العمل لم یشع فی قوم قبلهم هذا الشیوع أو الجمله حال من فاعل« لَتَأْتُونَ ».

قوله تعالی:« أَ إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِیلَ وَ تَأْتُونَ فِی نادِیکُمُ الْمُنْکَرَ » إلی آخر الآیه،استفهام من أمر من الحری أن لا یصدقه سامع و لا یقبله ذو لب و لذا أکد بالنون و اللام،و هذا السیاق یشهد أن المراد بإتیان الرجل اللواط و بقطع السبیل إهمال طریق التناسل و إلغاؤها و هی إتیان النساء،فقطع السبیل کنایه عن الإعراض عن النساء و ترک نکاحهن،و بإتیانهم المنکر فی نادیهم-و النادی هو المجلس الذی یجتمعون فیه و لا یسمی نادیه إلا إذا کان فیه أهله- الإتیان بالفحشاء أو بمقدماتها الشنیعه بمرأی من الجماعه.

و قیل:المراد بقطع السبیل قطع سبیل الماره بدیارهم فإنهم کانوا یفعلون هذا الفعل بالمجتازین من دیارهم و کانوا یرمون ابن السبیل بالحجاره بالخذف فأیهم أصابه کان أولی به فیأخذون ماله و ینکحونه و یغرمونه ثلاثه دراهم و کان لهم قاض یقضی بذلک و قیل:بل کانوا یقطعون الطرق،و قد عرفت أن السیاق یقضی بخلاف ذلک.

و قیل:المراد بإتیان المنکر فی النادی أن مجالسهم کانت تشتمل علی أنواع المنکرات و القبائح مثل الشتم و السخف و القمار و خذف الأحجار علی من مر بهم و ضرب المعازف و المزامیر و کشف العورات و اللواط و نحو ذلک و قد عرفت ما یقتضیه السیاق.

و قوله:« فَمٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا ائْتِنٰا بِعَذٰابِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ » استهزاء و سخريه منهم،و يظهر من جوابهم أنه كان ينذرهم بعذاب الله و قد قال الله فى قصته فى موضع آخر: «وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنٰا فَتَمٰارَوْا بِالنُّذُرِ» :القمر:۳۶.

قوله تعالى:« قٰالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ »سؤال للفتح و دعاء منه عليهم،و قد عدهم مفسدين لعملهم الذى يفسد الأرض و يقطع النسل و يهدد الإنسانيه بالفناء.

قوله تعالى:« وَ لَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا إِبْرٰاهِيمَ بِالْبُشْرىٰ قٰالُوا إِنّٰا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهٰا كٰانُوا ظٰالِمِينَ »إجمال قصه هلاك قوم لوط،و قد كان ذلك برسل من الملائكه أرسلهم الله أولا إلى إبراهيم(ع)فبشروه و بشروا امرأته بإسحاق و يعقوب ثم أخبروه بأنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط،و القصه مفصله فى سوره هود و غيرها.

و قوله:« قٰالُوا إِنّٰا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ »أى قالوا لإبراهيم،و فى الإتيان بلفظ الإشاره القريبه-هذه القريه-دلاله على قربها من الأرض التى كان إبراهيم (ع)نازلا بها،و هى الأرض المقدسه.

و قوله:« إِنَّ أَهْلَهٰا كٰانُوا ظٰالِمِينَ »تعليل لإهلاكهم بأنهم ظالمون قد استقرت فيهم رذيله الظلم،و قد كان مقتضى الظاهر أن يقال:إنهم كانوا ظالمين فوضع المظهر موضع المضمر للإشاره إلى أن ظلمهم ظلم خاص بهم يستوجب الهلاك و ليس من مطلق الظلم الذى كان الناس مبتلين به يومئذ كأنه قيل:إن أهلها بما أنهم أهلها ظالمون.

قوله تعالى:« قٰالَ إِنَّ فِيهٰا لُوطاً قٰالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهٰا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كٰانَتْ مِنَ الْغٰابِرِينَ »ظاهر السياق أنه(ع)كان يريد بقوله:« إِنَّ فِيهٰا لُوطاً »أن يصرف العذاب بأن فيها لوطا و إهلاك أهلها يشمله فأجابوه بأنهم لا يخفى عليهم ذلك بل معه غيره ممن لا يشمله العذاب و هم أهله إلا امرأته.

لكنه(ع)لم يكن ليجهل أن الله سبحانه لا يعذب لوطا و هو نبى مرسل، و إن شمل العذاب جميع من سواه من أهل قريته و لا أنه يخوفه و يزعره و يفزعه بقهره عليهم بل كان(ع)يريد بقوله:« إِنَّ فِيهٰا لُوطاً »أن يصرف العذاب عن أهل القريه كرامه للوط لا أن يدفعه عن لوط،فأجيب بأنهم مأمورون بإنجائه و إخراجه من بين أهل القريه و معه أهله إلا امرأته كانت من الغابرين.

و الدليل على هذا الذى ذكرنا قوله تعالى فى سوره هود فى هذا الموضع من القصه:

«فَلَمّٰا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جٰاءَتْهُ الْبُشْرىٰ يُجٰادِلُنٰا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوّٰاهٌ مُنِيبٌ، يٰا إِبْرٰاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا إِنَّهُ قَدْ جٰاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذٰابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ» :هود:۷۶ فالآيات أظهر ما يكون فى أن إبراهيم(ع)كان يدافع عن قوم لوط لا عن لوط نفسه.

فظاهر كلامه(ع)فى الآيه التى نحن فيها الدفاع عن لوط و على ذلك جاراه الرسل فأبقوا كلامه على ظاهره و أجابوا بأنهم ما كانوا ليجهلوا ذلك فهم أعلم بمن فيها و عالمون بأن فيها لوطا و معه أهله ممن لا ينبغى أن يعذب لكنهم سينجونه و أهله إلا امرأته،لكن الذى أراده إبراهيم(ع)بكلامه دفع العذاب عن أهل القريه فأجيب بأنه من الأمر المحتوم على ما تشير إليه آيات سوره هود.

و للقوم فى قوله:« إِنَّ أَهْلَهٰا كٰانُوا ظٰالِمِينَ »،و قوله:« قٰالَ إِنَّ فِيهٰا لُوطاً » مشاجرات طويله أعرضنا عن التعرض لها لعدم الجدوى،من أراد الوقوف عليها فليراجع المطولات.

قوله تعالى:« وَ لَمّٰا أَنْ جٰاءَتْ رُسُلُنٰا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضٰاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قٰالُوا لاٰ تَخَفْ وَ لاٰ تَحْزَنْ »إلى آخر الآيه،ضميرا الجمع فى« سِيءَ بِهِمْ وَ ضٰاقَ بِهِمْ »للرسل و الباء للسببيه أى أخذته المساءه و هى سوء الحال بسببهم و ضاقت طاقته بسببهم لكونهم فى صور شبان حسان مرد يخاف عليهم من القوم ثم قصد القوم إياهم بالسوء و ضعف لوط من أن يدفعهم عنهم و هم ضيف له نازلون بداره.

و قوله:« وَ قٰالُوا لاٰ تَخَفْ وَ لاٰ تَحْزَنْ »أى لا خطر محتملا يهددك و لا مقطوعا يقع عليك فإن الخوف إنما هو فى المكروه الممكن و الحزن فى المكروه الواقع.

و قوله:« إِنّٰا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كٰانَتْ مِنَ الْغٰابِرِينَ »أى الباقين فى العذاب تعليل لنفى الخوف و الحزن.

قوله تعالى:« إِنّٰا مُنْزِلُونَ عَلىٰ أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَهِ رِجْزاً مِنَ السَّمٰاءِ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ » بيان لما يشير إليه قوله:« إِنّٰا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ »من العذاب،و الرجز العذاب.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ تَرَكْنٰا مِنْهٰا آيَهً بَيِّنَهً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »ضمير التأنيث للقريه

و الترک الإبقاء أی أبقینا من القریه علامه واضحه لقوم یعقلون لیعتبروا بها فیتقوا الله و هی الآثار الباقیه منها بعد خرابها بنزول العذاب.

و هی الیوم مجهوله المحل لا أثر منها و ربما یقال:إن الماء غمرها بعد و هی بحر لوط،لکن الآیه ظاهره-کما تری-أنها کانت ظاهره معروفه فی زمن نزول القرآن و أوضح منها قوله تعالی: «وَ إِنَّهٰا لَبِسَبِیلٍ مُقِیمٍ» ، :الحجر:۷۶ و قوله: «وَ إِنَّکُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَیْهِمْ مُصْبِحِینَ وَ بِاللَّیْلِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ» :الصافات:۱۳۸.

قوله تعالی:« وَ إِلیٰ مَدْیَنَ أَخٰاهُمْ شُعَیْباً فَقٰالَ یٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ ارْجُوا الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ »یدعوهم إلی عباده الله و هو التوحید و إلی رجاء الیوم الآخر و هو الاعتقاد بالمعاد و أن لا یفسدوا فی الأرض و کانت عمده إفسادهم فیها -علی ما ذکر فی قصتهم فی مواضع أخر-نقص المیزان و المکیال.

قوله تعالی:« فَکَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دٰارِهِمْ جٰاثِمِینَ » الرجفه الاضطراب الشدید علی ما ذکره الراغب،و الجثم و الجثوم فی المکان القعود فیه أو البروک علی الأرض و هو کنایه عن الموت و المعنی:فکذبوا شعیبا فأخذهم الاضطراب الشدید أو الزلزله الشدیده فأصبحوا فی دارهم میتین لا حراک بهم.

و قال فی قصتهم فی موضع آخر: «وَ أَخَذَتِ الَّذِینَ ظَلَمُوا الصَّیْحَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دِیٰارِهِمْ جٰاثِمِینَ» ، :هود:۹۴ و یستظهر من ذلک أنهم أهلکوا بالصیحه و الرجفه.

قوله تعالی:« وَ عٰاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَیَّنَ لَکُمْ مِنْ مَسٰاکِنِهِمْ »إلی آخر الآیه غیر السیاق تفننا فبدأ بذکر عاد و ثمود و کذا فی الآیه التالیه بدأ بذکر قارون و فرعون و هامان بخلاف قصص الأمم المذکورین سابقا حیث بدأ بذکر أنبیائهم کنوح و إبراهیم و لوط و شعیب.و قوله:« وَ عٰاداً وَ ثَمُودَ »منصوبان بفعل مقدر تقدیره و اذکر عادا و ثمود.

و قوله:« وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطٰانُ أَعْمٰالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِیلِ وَ کٰانُوا مُسْتَبْصِرِینَ » تزیین الشیطان لهم أعمالهم کنایه استعاریه عن تحبیب أعمالهم السیئه إلیهم و تأکید تعلقهم بها و صده إیاهم عن السبیل صرفهم عن سبیل الله التی هی سبیل الفطره،و لذا قال بعضهم:إن المراد بکونهم مستبصرین أنهم کانوا قبل ذلک علی الفطره الساذجه.

لكن الظاهر كما تقدم فی تفسیر قوله: «کَانَ النّاسُ أُمَّةً وٰاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيِّينَ» :البقره:۲۱۳ أن عهد الفطره الساذجه کان قبل بعثه نوح(ع)و عاد و ثمود کانوا بعد نوح فکونهم مستبصرین قبل انصدادهم عن السبیل هو کونهم یعیشون علی عباده الله و دین التوحید و هو دین الفطره.

قوله تعالی:« وَ قٰارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ لَقَدْ جٰاءَهُمْ مُوسیٰ بِالْبَيِّنٰاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ مٰا كٰانُوا سٰابِقِينَ »السبق استعاره کنائیه من الغلبه،و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« فَكُلاًّ أَخَذْنٰا بِذَنْبِهِ »إلی آخر الآیه أی کل واحده من الأمم المذکورین أخذناها بذنبها ثم أخذ فی التفصیل فقال:« فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنٰا عَلَيْهِ حٰاصِباً » و الحاصب الحجاره و قیل:الریح التی ترمی بالحصی و علی الأول فهم قوم لوط،و علی الثانی قوم عاد« وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ »و هم قوم ثمود و قوم شعیب« وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنٰا بِهِ الْأَرْضَ »و هو قارون« وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنٰا »و هم قوم نوح و فرعون و هامان و قومهما.

ثم عاد سبحانه إلی کافه القصص المذکوره و ما انتهی إلیه أمر تلک الأمم من الأخذ و العذاب فبین ببیان عام أن الذی أوقعهم فیما وقعوا لم یکن بظلم منه سبحانه بل بظلم منهم لأنفسهم فقال:« وَ مٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ »أی فیجازیهم الله علی ظلمهم لأن الدار دار الفتنه و الامتحان و هی السنه الإلهیه التی لا معدل عنها فمن اهتدی فقد اهتدی لنفسه و من ضل فعلیها.

(بحث روائی)

فی الکافی،بإسناده عن أبی عمرو الزبیری عن أبی عبد الله(ع):فی حدیث یذکر فیه معانی الکفر قال: و الوجه الخامس من الکفر کفر البراءه قال تعالی:« وَ قٰالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْثٰاناً-مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ-يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً »یعنی یتبرأ بعضکم من بعض الحدیث.

أقول:و روی هذا المعنی فی التوحید،عن علی(ع)*:فی حدیث طویل یجیب فیه عما سئل عنه-من تهافت الآیات و فیه: و الکفر فی هذه الآیه البراءه-یقول:یتبرأ

بعضـهم من بعض،و نظيرهـا فی سوره إبراهيم قول الشـيطان:« إِنِّی كَفَرْتُ بِمٰا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ »و قول إبراهيم خليل الرحمن:« كَفَرْنٰا بِكُمْ »أی تبرأنا».

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردويه عن جابر*: أن النبی ص نهی عن الخذف (١)و هو قول الله:« وَ تَأْتُونَ فِی نٰادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ».

أقول:و روی هذا المعنی أيضا عن عده من أصـحاب الجوامع عن أم هانی بنت أبی طالب و لفظ الحديث: قالت:سألت رسول الله ص عن قول الله:« وَ تَأْتُونَ فِی نٰادِيكُمُ الْمُنْكَرَ »قال:كانوا يجلسون بالطريق-فيخذفون ابن السبيل و يسخرون منهم.

و فی الكـافی،بإسـناده عن أبی زيـد الحماد عن أبی عبـد الله(ع): فی حـديث نزول الملائكه علی إبراهيم بالبشـری قال:فقال لهم إبراهيم:لما ذا جئتم؟قالوا:فی إهلاك قوم لوط.فقال لهم:إن كان فيها مائه من المؤمنين أ تهلكونهم؟فقال جبرئيل:لا.

قال:فإن كان فيها خمسون؟قال:لا.قال:فإن كان فيها ثلاثون؟قال:لا.قال:

فـإن كـان فيهـا عشـرون؟قـال:لا.قـال:فـإن كـان فيهـا عشـره؟قـال:لا.قـال:فـإن كـان فيهـا خمسه؟قـال:لا.قـال:فـإن كـان فيها واحد؟قال:لا.قال:فإن فيها لوطا؟قالوا:نحن أعلم بمن فيها لننجينه و أهله-إلا امرأته كانت من الغابرين.

قال الحسن بن علی(ع): لا أعلم هذا القول إلا و هو يستبقيهم-و هو قول الله عز و جل:« يُجٰادِلُنٰا فِی قَوْمِ لُوطٍ ».

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الی ٥٥]

اشاره

مَثَلُ اَلَّذِينَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَوْلِيٰاءَ كَمَثَلِ اَلْعَنْكَبُوتِ اِتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ اَلْبُيُوتِ لَبَيْتُ اَلْعَنْكَبُوتِ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (۴۱) إِنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۴۲) وَ تِلْكَ اَلْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ وَ مٰا يَعْقِلُهٰا إِلاَّ اَلْعٰالِمُونَ (۴۳) خَلَقَ اَللّٰهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (۴۴) اُتْلُ مٰا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ اَلْكِتٰابِ وَ أَقِمِ اَلصَّلاٰةَ إِنَّ اَلصَّلاٰةَ تَنْهىٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اَللّٰهِ أَكْبَرُ وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَصْنَعُونَ (۴۵) وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ اَلْكِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنّٰا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنٰا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلٰهُنٰا وَ إِلٰهُكُمْ وٰاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۴۶) وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ اَلْكِتٰابَ فَالَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ اَلْكِتٰابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هٰؤُلاٰءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مٰا يَجْحَدُ بِآيٰاتِنٰا إِلاَّ اَلْكٰافِرُونَ (۴۷) وَ مٰا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتٰابَ اَلْمُبْطِلُونَ (۴۸) بَلْ هُوَ آيٰاتٌ بَيِّنٰاتٌ فِي صُدُورِ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ وَ مٰا يَجْحَدُ بِآيٰاتِنٰا إِلاَّ اَلظّٰالِمُونَ (۴۹) وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيٰاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا اَلْآيٰاتُ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ إِنَّمٰا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (۵۰) أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ اَلْكِتٰابَ يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۵۱) قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْبٰاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللّٰهِ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۵۲) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَ لَوْ لاٰ أَجَلٌ مُسَمًّى لَجٰاءَهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۵۳) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰافِرِينَ (۵۴) يَوْمَ يَغْشٰاهُمُ اَلْعَذٰابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۵۵)

١- ١) الخذف بالحصاه و النواه الرمی بها من بین السبابتین.

(بیان)

تتضمن الآيات تذييلا لقصص أولئك الأمم الماضيه الهالكه بمثل ضربه الله سبحانه لاتخاذهم أولياء من دون الله فبين فيه أن بناءهم ذلك أوهن البناء ينادى ببطلانه و فساده خلق السماوات و الأرض و أنهم ليس لهم من دونه من ولى كما يذكره هذا الكتاب.

و من هنا ينتقل إلى أمر النبى ص بتلاوه هذا الكتاب الذى أوحى إليه و إقامه الصلاه و دعوه أهل الكتاب بقول لين و مجادله حسناء و يجيب عن اقتراح المشركين على النبى ص أن يأتيهم بآيات غير القرآن و أن يعجلهم بالعذاب الذى ينذرهم به.

قوله تعالى:« مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْلِيٰاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً » إلى آخر الآيه،العنكبوت معروف و يطلق على الواحد و الجمع و يذكر و يؤنث.

العنايه فى قوله:« مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا »إلخ،باتخاذ الأولياء من دون الله و لذا جيء بالموصول و الصله كما أن العنايه فى قوله:« كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً »إلى اتخاذها البيت فيئول المعنى إلى أن صفه المشركين فى اتخاذهم من دون الله أولياء كصفه العنكبوت فى اتخاذها بيتا له نبأ،و هو الوصف الذى يدل عليه تنكير« بَيْتاً ».

و يكون قوله:« إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ »بيانا لصفه البيت الذى أخذته العنكبوت و لم يقل:إن أوهن البيوت لبيتها كما هو مقتضى الظاهر أخذا للجمله بمنزله المثل السائر الذى لا يتغير.

و المعنى:أن اتخاذهم من دون الله أولياء و هم آلهتهم الذين يتولونهم و يركنون

إليهم كاتخاذ العنكبوت بيتا هو أوهن البيوت إذ ليس له من آثار البيت إلا اسمه لا يدفع حرا و لا بردا و لا يكن شخصا و لا يقى من مكروه كذلك ليس لولايه أوليائهم إلا الاسم فقط لا ينفعون و لا يضرون و لا يملكون موتا و لا حياه و لا نشورا.

و مورد المثل هو اتخاذ المشركين آلهه من دون الله،فتبديل الآلهه من الأولياء لكون السبب الداعى لهم إلى اتخاذ الآلهه زعمهم أن لهم ولايه لأمرهم و تدبيرا لشأنهم من جلب الخير إليهم و دفع الشر عنهم و الشفاعه فى حقهم.

و الآيه-مضافا إلى إيفاء هذه النكته-تشمل بإطلاقها كل من اتخذ فى أمر من الأمور و شأن من الشئون وليا من دون الله يركن إليه و يراه مستقلا فى أثره الذى يرجوه منه و إن لم يعد من الأصنام إلا أن يرجع ولايته إلى ولايه الله كولايه الرسول و الأئمه و المؤمنين كما قال تعالى: «وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ» :يوسف:١٠۶.

و قوله:« لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ »أى لو كانوا يعلمون أن مثلهم كمثل العنكبوت ما اتخذوهم أولياء.كذا قيل.

قوله تعالى:« إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » يمكن أن يكون« مٰا »فى« مٰا يَدْعُونَ »موصوله أو نافيه أو استفهاميه أو مصدريه و« مِنْ »فى« مِنْ شَيْءٍ »على الاحتمال الثانى زائده للتأكيد و على الباقى للتبيين و أرجح الاحتمالات الأولان و أرجحهما أولهما.

و المعنى:على الثانى أن الله يعلم أنهم ليسوا يدعون من دونه شيئا أى إن الذى يعبدونه من الآلهه لا حقيقه له فيكون كما قال صاحب الكشاف توكيدا للمثل و زياده عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا.

و المعنى:على الأول أن الله يعلم الشيء الذى يدعون من دونه و لا يجهل ذلك فيكون كنايه عن أن المثل الذى ضربه فى محله،و ليس لأوليائهم من الولايه إلا اسمها.

و يؤكد هذا المعنى الاسمان الكريمان:العزيز الحكيم فى آخر الآيه فهو تعالى العزيز الذى لا يغلبه شيء فلا يشاركه فى تدبير ملكه أحد كما لا يشاركه فى الخلق و الإيجاد أحد،الحكيم الذى يأتى بالمتقن من الفعل و التدبير فلا يفوض تدبير خلقه إلى أحد،و هذا كالتمهيد لما سيبين فى قوله:« خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ ».

ص :١٣١

قوله تعالی:« وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما یَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ »یشیر إلی أن الأمثال المضروبه فی القرآن علی أنها عامه تقرع أسماع عامه الناس،لکن الإشراف علی حقیقه معانیها و لب مقاصدها خاصه لأهل العلم ممن یعقل حقائق الأمور و لا ینجمد علی ظواهرها.

و الدلیل علی هذا المعنی قوله:« وَ ما یَعْقِلُها »دون أن یقول:و ما یؤمن بها أو ما فی معناه.

فالأمثال المضروبه فی کلامه تعالی یختلف الناس فی تلقیها باختلاف أفهامهم فمن سامع لا حظ له منها إلا تلقی ألفاظها و تصور مفاهیمها الساذجه من غیر تعمق فیها و سبر لأغوارها،و من سامع یتلقی بسمعه ما یسمعه هؤلاء ثم یغور فی مقاصدها العمیقه و یعقل حقائقها الأنیقه.

و فیه تنبیه علی أن تمثیل اتخاذهم أولیاء من دون الله باتخاذ العنکبوت بیتا هو أوهن البیوت لیس مجرد تمثیل شعری و دعوی خالیه من البینه بل متک علی حجه برهانیه و حقیقه حقه ثابته و هی التی تشیر إلیه الآیه التالیه.

قوله تعالی:« خَلَقَ اللّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ » المراد بکون خلق السماوات و الأرض بالحق نفی اللعب فی خلقها،کما قال تعالی: «وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما لاعِبِینَ ما خَلَقْناهُما إِلاّ بِالْحَقِّ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ» :الدخان:۳۹.

فخلق السماوات و الأرض علی نظام ثابت لا یتغیر و سنه إلهیه جاریه لا تختلف و لا تتخلف،و الخلق و التدبیر لا یختلفان حقیقه و لا ینفک أحدهما عن الآخر (۱)،و إذ کان الخلق و الصنع ینتهی إلیه تعالی انتهاء ضروریا و لا محیص فالتدبیر أیضا له و لا محیص و ما من شیء غیره تعالی إلا و هو مخلوقه القائم به المملوک له لا یملک لنفسه نفعا و لا ضرا،و من المحال قیامه بشیء من تدبیر أمر نفسه أو غیره بحیث یستقل به مستغنیا

۱- ۱) و ذلک أن موطن التدبیر الحوادث الجاریه فی الکون و معناه تعقیب حادث بحادث آخر علی نظم و ترتیب یؤدی إلی غایات حقه و حقیقته خلق حادث بعد حادث فالتدبیر هو الخلق و الإیجاد باعتبار قیاس الشیء إلی آخر مثله و انضمامه إلیه فلیس وراء الخلق و الإیجاد شیء منه.

فی أمره عنه تعالی هذا هو الحق الذی لا لعب فیه و الجد الذی لا هزل فیه.

فلما تولی بعض خلقه أمر بعض لم یکن ذلک منه ولایه حق لکونه لا یملک شیئا بحقیقه معنی الملک بل کان ذلک منه جاریا علی اللعب و تفویضه تعالی أمر التدبیر إلیه لعبا منه تعالی و تقدس إذ لیس إلا فرضا لا حقیقه له و وهما لا واقع له و هو معنی اللعب.

و منه یظهر أن ولایه من یدعون ولایته لیس لها إلا اسم الولایه من غیر مسمی کما أن بیت العنکبوت کذلک.

و قوله:« إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَةً لِلْمُؤْمِنِینَ »تخصیص المؤمنین بالذکر مع عموم الآیه لهم و لغیرهم لکون المنتفعین بها هم المؤمنون دون غیرهم.

قوله تعالی:« اُتْلُ مٰا أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنَ الْکِتٰابِ وَ أَقِمِ الصَّلاٰةَ إِنَّ الصَّلاٰةَ تَنْهیٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ لَذِکْرُ اللّٰهِ أَکْبَرُ »إلخ،لما ذکر إجمال قصص الأمم و ما انتهی إلیه شرکهم و ارتکابهم الفحشاء و المنکر من الشقاء اللازم و الخسران الدائم انتقل من ذلک-مستأنفا للکلام-إلی أمره(ص)بتلاوه ما أوحی إلیه من الکتاب لکونه خیر رادع عن الشرک و ارتکاب الفحشاء و المنکر بما فیه من الآیات البینات التی تتضمن حججا نیره علی الحق و تشتمل علی القصص و العبر و المواعظ و التبشیر و الإنذار و الوعد و الوعید یرتدع بتلاوه آیاته تالیه و من سمعه.

و شفعه بالأمر بإقامه الصلاه التی هی خیر العمل و علل ذلک بقوله:« إِنَّ الصَّلاٰةَ تَنْهیٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْکَرِ »و السیاق یشهد أن المراد بهذا النهی ردع طبیعه العمل عن الفحشاء و المنکر بنحو الاقتضاء دون العلیه التامه.

فلطبیعه هذا التوجه العبادی-إذ أتی به العبد و هو یکرره کل یوم خمس مرات و یداوم علیه و خاصه إذا زاول علیه فی مجتمع صالح یؤتی فیه بمثل ما أتی به و یهتم فیه بما اهتم-به أن یردعه عن کل معصیه کبیره یستشنعه الذوق الدینی کقتل النفس عدوانا و أکل مال الیتیم ظلما و الزنا و اللواط،و عن کل ما ینکره الطبع السلیم و الفطره المستقیمه ردعا جامعا بین التلقین و العمل.

و ذلک أنه یلقنه أولا بما فیه من الذکر الإیمان بوحدانیته تعالی و الرساله و جزاء یوم الجزاء و أن یخاطب ربه بإخلاص العباده و الاستعانه به و سؤال الهدایه إلی صراطه

المستقیم متعوذا من غضبه و من الضلال،و یحمله ثانیا علی أن یتوجه بروحه و بدنه إلی ساحه العظمه و الکبریاء و یذکر ربه بحمده و الثناء علیه و تسبیحه و تکبیره ثم السلام علی نفسه و أترابه و جمیع الصالحین من عباد الله.

مضافا إلی حمله إیاه علی التطهر من الحدث و الخبث فی بدنه و الطهاره فی لباسه و التحرز عن الغصب فی لباسه و مکانه و استقبال بیت ربه فالإنسان لو داوم علی صلاته مده یسیره و استعمل فی إقامتها بعض الصدق أثبت ذلک فی نفسه ملکه الارتداع عن الفحشاء و المنکر البته،و لو أنک وکلت علی نفسک من یربیها تربیه صالحه تصلح بها لهذا الشأن و تتحلی بأدب العبودیه لم یأمرک بأزید مما تأمرک به الصلاه و لا روضک بأزید مما تروضک به.

و قد استشکل علی الآیه بأنا کثیرا ما نجد من المصلین من لا یبالی ارتکاب الکبائر و لا یرتدع عن المنکرات فلا تنهاه صلاته عن الفحشاء و المنکر.

و لذلک ذکر بعضهم أن الصلاه فی الآیه بمعنی الدعاء و المراد الدعوه إلی أمر الله و المعنی:أقم الدعوه إلی أمر الله فإن ذلک یردع الناس عن الفحشاء و المنکر.و فیه أنه صرف الکلام عن ظاهره.

و ذکر آخرون أن الصلاه فی الآیه فی معنی النکره و المعنی أن بعض أنواع الصلاه أو أفرادها یوجب الانتهاء عن الفحشاء و المنکر و هو کذلک و لیس المراد الاستغراق حتی یرد الإشکال.

و ذکر قوم أن المراد نهیها عن الفحشاء و المنکر ما دامت قائمه و المصلی فی صلاته کأنه قیل:إن المصلی ما دام مصلیا فی شغل من معصیه الله بإتیان الفحشاء و المنکر.

و قال بعضهم:إن الآیه علی ظاهرها و الصلاه بمنزله من ینهی و یقول:لا تفعل کذا و لا تقترف کذا لکن النهی لا یستوجب الانتهاء فلیس نهی الصلاه بأعظم من نهیه تعالی کما فی قوله: «إِنَّ اللّٰهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسٰانِ وَ إِیتٰاءِ ذِی الْقُرْبیٰ وَ یَنْهیٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْکَرِ» ، :النحل:۹۰ و نهیه تعالی لا یستوجب الانتهاء و لیس الإشکال إلا مبنیا علی توهم استلزام النهی للانتهاء و هو توهم باطل.

و عن بعضهم فی دفع الإشکال أن الصلاه تقام لذکر الله کما قال تعالی:« أَقِمِ

الصَّلاٰةَ لِذِكْرِي »و من كان ذاكرا لله تعالى منعه ذلک عن الإتيان بما يكرهه و كل من تراه يصلى و يأتى بالفحشاء و المنكر فهو بحيث لو لم يصل لكان أشد إتيانا فقد أثرت الصلاه فى تقليل فحشائه و منكره.

و أنت خبير بأن شيئا من هذه الأجوبه لا يلائم سياق الحكم و التعليل فى الآيه فإن الذى يعطيه السياق أن الأمر بإقامه الصلاه إنما علل بقوله:« إِنَّ الصَّلاٰةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْكَرِ »ليفيد أن الصلاه عمل عبادى يورث إقامته صفه روحيه فى الإنسان تكون رادعه له عن الفحشاء و المنكر فتتنزه النفس عن الفحشاء و المنكر و تتطهر عن قذاره الذنوب و الآثام.

فالمراد به التوسل إلى ملكه الارتداع التى هى من آثار طبيعه الصلاه بنحو الاقتضاء لا أنها أثر بعض أفراد طبيعه الصلاه كما فى الجواب الثانى،و لا أنها أثر الاشتغال بالصلاه ما دام مشتغلا بها كما فى الجواب الثالث،و لا أن المراد هو التوسل إلى تلقى نهى الصلاه فحسب من غير نظر إلى الانتهاء عن نهيها كأنه قيل أقم الصلاه لتسمع نهيها كما فى الجواب الرابع،و لا أن المراد أقم الصلاه لينهاک الذكر الذى تشتمل عليه عن الفحشاء و المنكر كما فى الجواب الخامس.

فالحق فى الجواب أن الردع أثر طبيعه الصلاه التى هى توجه خاص عبادى إلى الله سبحانه و هو بنحو الاقتضاء دون الاستيجاب و العليه التامه فربما تخلف عن أثرها لمقارنه بعض الموانع التى تضعف الذكر و تقربه من الغفله و الانصراف عن حاق الذكر فكلما قوى الذكر و كمل الحضور و الخشوع و تمحض الإخلاص زاد أثر الردع عن الفحشاء و المنكر و كلما ضعف ضعف الأثر.

و أنت إذا تأملت حال بعض من تسمى بالإسلام من الناس و هو تارک الصلاه وجدته يضيع بإضاعه الصلاه فريضه الصوم و الحج و الزكاه و الخمس و عامه الواجبات الدينيه و لا يفرق بين طاهر و نجس و حلال و حرام فيذهب لوجهه لا يلوى على شىء ثم إذا قست إليه حال من يأتى بأدنى مراتب الصلاه مما يسقط به التكليف،وجدته مرتدعا عن كثير مما يقترفه تارک الصلاه غير مكترث به ثم إذا قست إليه من هو فوقه فى الاهتمام بأمر الصلاه وجدته أكثر ارتداعا منه و على هذا القياس.

و قوله:« وَ لَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ »قال الراغب فی المفردات:، الذكر تاره يقال و يراد به هيئه للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفه و هو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه و الذكر يقال اعتبارا باستحضاره.و تاره يقال لحضور الشیء القلب أو القول و لذلك قيل:الذكر ذكران ذكر عن نسيان و ذكر لا ـ عن نسيان بل عن إدامه الحفظ،و كل قول يقال له ذكر.انتهی.

و الظاهر أن الأصل فی معناه هو المعنی الأول و تسميه اللفظ ذكرا إنما هو لاشتماله علی المعنی القلبی و الذكر القلبی بالنسبه إلی اللفظی كالأثر المترتب علی سببه و الغايه المقصوده من الفعل.

و الصلاه تسمی ذكرا لاشتمالها علی الأذكار القوليه من تهليل و تحميد و تنزيه و هی باعتبار آخر مصداق من مصاديق الذكر لأنها بمجموعها ممثل لعبوديه العبد لله سبحانه كما قال: «إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَهِ فَاسْعَوْا إِلی ذِكْرِ اللّهِ» ، :الجمعه:۹ و هی باعتبار آخر أمر يترتب عليه الذكر ترتب الغايه علی ذی الغايه يشير إليه قوله تعالی:

«وَ أَقِمِ الصَّلاهَ لِذِكْرِی» :طه:۱۴.

و الذكر الذی هو غايه مترتبه علی الصلاه أعنی الذكر القلبی بمعنی استحضار المذكور فی ظرف الإدراك بعد غيبته نسيانا أو إدامه استحضاره،أفضل عمل يتصور صدوره عن الإنسان و أعلاه كعبا و أعظمه قدرا و أثرا فإنه السعاده الأخيره التی هيئت للإنسان و مفتاح كل خير.

ثم إن الظاهر من سياق قوله:« وَ أَقِمِ الصَّلاهَ إِنَّ الصَّلاهَ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ » إن قوله:« وَ لَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ »متصل به مبين لأثر آخر للصلاه و هو أكبر مما بين قبله، فيقع قوله:« وَ لَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ »موقع الإضراب و الترقی و يكون المراد الذكر القلبی الذی يترتب علی الصلاه ترتب الغايه علی ذی الغايه فكأنه قيل:أقم الصلاه لتردعك عن الفحشاء و المنكر بل الذی تفيده من ذكر الله الحاصل بها أكبر من ذلك أی من النهی عن الفحشاء و المنكر لأنه أعظم ما يناله الإنسان من الخير و هو مفتاح كل خير و النهی عن الفحشاء و المنكر بعض الخير.

و من المحتمل أن يراد بالذكر ما تشتمل عليه الصلاه من الذكر أو نفس الصلاه.

و الجمله أيضا واقعه موقع الإضـراب،و المعنى:بل الـذى تشـتمل عليه الصـلاه من ذكر الله أو نفس الصـلاه التى هى ذكر الله أكبر من هـذا الأـثر الـذى هو النهى عن الفحشـاء و المنكر لأـن النهى أثر من آثارها الحسـنه و« لَـذِكْرُ اللّٰهِ »على الاحتمالين جميعا من المصدر المضاف إلى مفعوله و المفضل عليه لقوله:« أَكْبَرُ »هو النهى عن الفحشاء و المنكر.

و لهم فى معنى الذكر و كون المضاف إليه فاعلا أو مفعولا للمصدر و كون المفضل عليه خاصا أو عاما أقوال أخر.

فقيـل:معنى الآيه:ذكر الله العبـد أكبر من ذكر العبـد لله تعالى و ذلك أن الله تعالى يـذكر من ذكره لقوله: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» ، :البقره:۱۵۲ و قيل:المعنى:

ذكر الله تعالى العبد أكبر من الصلاه،و قيل:المعنى:لذكر الله العبد أكبر من كل شىء.

و قيل:المعنى:لذكر العبد لله فى الصلاه أكبر من سائر أركان الصلاه،و قيل:

المعنى:لـذكر العبـد لله فى الصـلاه أكبر مـن ذكره خـارج الصـلاه،و قيـل:المعنى:لـذكر العبـد لله أكـبر مـن سـائر أعمـاله،و قيـل:المعنى:للصـلاه أكبر من سائر الطاعات و قيل:المعنى:لـذكر العبـد لله عنـد الفحشاء و المنكر و ذكر نهيه عنهما أكبر من زجر الصلاه و ردعها،و قيل:إن قوله:« أَكْبَرُ »معرى من معنى التفضيل لا يحتاج إلى مفضل عليه كقوله:« مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ ».

فهـذه أقوال لهم متفرقه أغمضـنا عن البحث عمـا فيهـا إيثارا للاختصار،و التـدبر فى الآيه يكفى مئونه البحث على أن التحكم فى بعضها ظاهر لا يخفى.

و قوله:« وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تَصْنَعُونَ »أى ما تفعلونه من خير أو شر فعليكم أن تراقبوه و لا تغفلوا عنه ففيه حث و تحريض على المراقبه و خاصه على القول الأول.

قوله تعـالى:« وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ الْكِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ »لما أمر فى قوله:« اُتْلُ مٰا أُوحِيَ إِلَيْكَ »إلـخ، بـالتبليغ و الـدعوه من طريق تلاـوه الكتاب عقبه ببيان كيفيه الـدعوه فنهى عن مجادله أهل الكتاب و هم على ما يقتضـيه الإطلاق اليهود و النصارى و يلحق بهم المجوس و الصابئون-إلا بالمجادله-التى هى أحسن المجادله.

و المجادله إنما تحسن إذا لم تتضمن إغلاظا و طعنا و إهانه،فمن حسنها أن تقارن

رفقا و لينا فى القول لا يتأذى به الخصم و أن يقترب المجادل من خصمه و يدنو منه حتى يتفقا و يتعاضدا لإظهار الحق من غير لجاج و عناد فإذا اجتمع فيها لين الكلام و الاقتراب بوجه زادت حسنا على حسن فكانت أحسن.

و لهذا لما نهى عن مجادلتهم إلا بالتى هى أحسن استثنى منه الذين ظلموا منهم، فإن المراد بالظلم بقرينه السياق كون الخصم بحيث لا ينفعه الرفق و اللين و الاقتراب فى المطلوب بل يتلقى حسن الجدال نوع مذله و هوان للمجادل و يعتبره تمويها و احتيالا لصرفه عن معتقده فهؤلاء الظالمون لا ينجح معهم المجادله بالأحسن.

و لهذا أيضا عقب الكلام ببيان كيفيه الاقتراب معهم و بناء المجادله على كلمه يجتمع فيها الخصمان فيتقاربان معه و يتعاضدان على ظهور الحق فقال:« وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلٰهُنَا وَ إِلٰهُكُمْ وٰاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الْكِتٰابَ فَالَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هٰؤُلاٰءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مٰا يَجْحَدُ بِآيٰاتِنٰا إِلاَّ الْكٰافِرُونَ »أى على تلك الصفه و هى الإسلام لله و تصديق كتبه و رسله أنزلنا إليك القرآن.

و قيل:المعنى:مثل ما أنزلنا إلى موسى و عيسى الكتاب أنزلنا إليك الكتاب و هو القرآن.

فقوله:« فَالَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ »إلخ،تفريع على نحو نزول الكتاب أى لما كان القرآن نازلا فى الإسلام لله و تصديق كتبه و رسله فأهل الكتاب يؤمنون به بحسب الطبع لما عندهم من الإيمان بالله و تصديق كتبه و رسله،و من هؤلاء و هم المشركون من عبده الأوثان من يؤمن به و ما يجحد بآياتنا و لا ينكرها من أهل الكتاب و هؤلاء المشركين إلا الكافرون و هم الساترون للحق بالباطل.

و قد احتمل أن يكون المراد بالذين آتيناهم الكتاب المسلمين و المشار إليه بهؤلاء أهل الكتاب و هو بعيد،و مثله فى البعد إرجاع الضمير فى«يؤمن به»إلى النبى ص.

و فى قوله:« وَ مِنْ هٰؤُلاٰءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ »نوع استقلال لمن آمن به من المشركين.

قوله تعالى:« وَ مٰا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتٰابَ الْمُبْطِلُونَ » التلاوه هى القراءه سواء كانت عن حفظ أو عن كتاب مخطوط و المراد به

فی الآیه الثانی بقرینه المقام،و الخط الکتابه،و المبطلون جمع مبطل و هو الـذی یأتی بالباطل من القول،و یقال أیضا للـذی یبطل الحق أی یدعی بطلانه،و الأنسب فی الآیه المعنی الثانی و إن جاز أن یراد المعنی الأول.

و ظاهر التعبیر فی قوله:« وَ مٰا کُنْتَ تَتْلُوا »إلـخ،نفی العاده أی لم یکن من عادتک أن تتلو و تخط کما یـدل علیه قوله فی موضع آخر: «فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ» :یونس:۱۶.

و قیل المراد به نفی القـدره أی ما کنت تقدر أن تتلو و تخط من قبله و الوجه الأول أنسب بالنسـبه إلی سیاق الحجه و قد أقامها لتثبیت حقیه القرآن و نزوله من عنده.

و تقیید قوله:« وَ لاٰ تَخُطُّهُ »بقوله:« بِیَمِینِکَ »نوع من التمثیل یفید التأکید کقول القائل:رأیته بعینی و سمعته بأذنی.

و المعنی:و مـا کان من عادتک قبل نزول القرآن أن تقرأ کتابا و لا کان من عادتک أن تخط کتابا و تکتبه-أی ما کنت تحسـن القراءه و الکتابه لکونک أمیا-و لو کان کذلک لارتاب هؤلاء المبطلون الذین یبطلون الحق بدعوی أنه باطل لکن لما لم تحسن القراءه و الکتابه و اسـتمرت علی ذلک و عرفوک علی هذه الحال لمخالطتک لهم و معاشرتک معهم لم یبق محل ریب لهم فی أمر القرآن النـازل إلیـک أنه کلاـم الله تعالی و لیس تلفیقا لفقته من کتب السابقین و نقلته من أقاصیصـهم و غیرهم حتی یرتاب المبطلون و یعتذروا به.

قوله تعالی:« بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاَّ الظّٰالِمُونَ »إضـراب عن مقدر یسـتفاد من الآیه السـابقه کـأنه لمـا نفی عنه(ص)التلاوه و الخط معا تحصل من ذلک أن القرآن لیس بکتاب مؤلف مخطوط فأضـرب عن هـذا المقدر بقوله:« بَلْ هُوَ -أی القرآن- آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ ».

و قوله:« وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاَّ الظّٰالِمُونَ »المراد بالظلم بقرینه المقام الظلم لآیات الله بتکذیبها و الاستکبار عن قبولها عنادا و تعنتا.

قوله تعـالی:« وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیٰاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآیٰاتُ عِنْدَ اللّٰهِ وَ إِنَّمٰا أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ »لما ذکر الکتاب و أمر النبی ص أن یتلوه و یدعوهم إلیه به و أن منهم

من يؤمن به و منهم من لا يؤمن به و هم الكافرون الظالمون أشار فى هـذه الآيه و الآيتين بعـدها إلى عدم اعتنائهم بالقرآن الذى هو آيه النبوه و اقتراحهم على النبى ص أن يأتيهم بآيات غيره و الجواب عنه.

فقوله:« وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ »اقتراح منهم أن يأتيهم بآيات غير القرآن تعريضا منهم أنه ليس بآيه و زعما منهم أن النبى يجب أن يكون ذا قوه إلهيه غيبيه يقوى على كـل ما يريـد،و فى قولهم:لو لا أنزل عليه،دون أن يقولوا:لو لا يأتينا بآيات نوع سخريه كقولهم: «يا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ ما تَأْتِينا بِالْمَلائِكَهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ» :الحجر:٧.

و قوله:« قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللّهِ »جواب عن زعمهم أن من يـدعى الرساله يدعى قوه غيبيه يقدر بها على كل ما أراد بأن الآيات عند الله ينزلها متى ما أراد و كيفما شاء لا يشاركه فى القدره عليها غيره فليس إلى النبى شـىء إلا أن يشاء الله ثم زاده بيانا بقصـر شأن النبى ص فى الإنذار فحسب بقوله:« إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ».

قوله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ »إلى آخر الآيه توطئه و تمهيد للجواب عن تعريضـهم بالقرآن أنه ليس بآيه،و الاستفهام للإنكار و الخطاب للنبى ص أى يكفيهم آيه هذا الكتاب الذى أنزلناه عليك و هو يتلى عليهم فيسمعونه و يعرفون مكانته من الإعجاز و هو مملو رحمه و تذكره للمؤمنين.

قوله تعـالى:« قُلْ كَفى بِاللّهِ بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً »إلقاء جواب إلى النبى ص ليجيبهم به و هو أن الله سـبحانه شـهيد بينى و بينكم فيمـا نتخـاصم فيه و هو أمر الرسـاله فـإنه سـبحانه يشـهد فى كلامه الـذى أنزله على برسالتى و هو تعالى يعلم ما فى السـماوات و الأرض من غير أن يجهل شيئا و كفى بشهادته لى دليلا على دعواى.

و ليس لهم أن يقولوا إنه ليس بكلام الله لمكان تحـديه مره بعـد مره فى خلال الآيات و منه يعلم أن قوله:« قُلْ كَفى بِاللّهِ بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً »ليس دعوى مجرده أو كلاما خطابيا بل هو بيان استدلالى و حجه قاطعه على ما عرفت.

و قوله:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ »قصر الخسران فيهم لعدم إيمانهم بالله بالكفر بكتابه الذى فيه شهادته على الرساله و هم بكفرهم بالله

الحق یؤمنون بالباطل و لذلک خسروا فی إیمانهم.

قوله تعالی:« وَ یَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذٰابِ وَ لَوْ لاٰ أَجَلٌ مُسَمًّی لَجٰاءَهُمُ الْعَذٰابُ وَ لَیَأْتِیَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ یَشْعُرُونَ »إشاره إلی قولهم کقول متقدمیهم:ائتنا بعذاب الله إن کنت من الصادقین،و قد حکی الله عنهم استعجالهم فی قوله: «وَ لَئِنْ أَخَّرْنٰا عَنْهُمُ الْعَذٰابَ إِلیٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَیَقُولُنَّ مٰا یَحْبِسُهُ» :هود:۸.

و المراد بالأجل المسمی هو الذی قضاه لبنی آدم حین أهبط آدم إلی الأرض فقال:

«وَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتٰاعٌ إِلیٰ حِینٍ» ، :البقره:۳۶ و قال: «وَ لِکُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ لاٰ یَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ یَسْتَقْدِمُونَ» :الأعراف:۳۴.

و هذا العذاب الذی یحول بینه و بینهم الأجل المسمی هو الذی یستحقونه لمطلق أعمالهم السیئه کما قال عز من قائل: «وَ رَبُّکَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ یُؤٰاخِذُهُمْ بِمٰا کَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذٰابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ یَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً» ، :الکهف:۵۸ و لا ینافی ذلک تعجیل العذاب بنزول الآیات المقترحه علی الرسول من غیر إمهال و إنظار، قال تعالی: «وَ مٰا مَنَعَنٰا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآیٰاتِ إِلاّٰ أَنْ کَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» :إسراء:۵۹.

قوله تعالی:« یَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذٰابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکٰافِرِینَ، یَوْمَ یَغْشٰاهُمُ الْعَذٰابُ »إلی آخر الآیه،تکرار« یَسْتَعْجِلُونَکَ »للدلاله علی کمال جهلهم و فساد فهمهم و أن استعجالهم استعجال لأمر مؤجل لا معجل أولا و استعجال لعذاب واقع لا صارف له عنهم لأنهم مجزیون بأعمالهم التی لا تفارقهم ثانیا.

و الغشاوه و الغشایه التغطیه بنحو الإحاطه،و قوله:« یَوْمَ یَغْشٰاهُمُ »ظرف لقوله:

« لَمُحِیطَةٌ »و الباقی ظاهر.

(بحث روائی)

فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ مٰا یَعْقِلُهٰا إِلاَّ الْعٰالِمُونَ »:

روی الواحدی بالإسناد عن جابر قال: تلا النبی ص هذه الآیه-و قال:العالم الذی یعقل عن الله-فعمل بطاعته و اجتنب سخطه.

و فیه،:فی قوله تعالی:« إِنَّ الصَّلاٰهَ تَنْهیٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْکَرِ »:

روی أنس بن مالک عن النبی ص: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنکر لم یزدد من الله إلا بعدا:

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن عمران بن الحصین و ابن مسعود و ابن عباس و ابن عمر عنه(ص)و رواه القمی فی تفسیره مضمرا مرسلا .

و فیه،و أیضا عن النبی ص: لا صلاه لمن لم تطع الصلاه و طاعه الصلاه أن تنتهی عن الفحشاء و المنکر:

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن ابن مسعود و غیره .

و فیه،و روی أنس: أن فتی من الأنصار کان یصلی الصلوات مع رسول الله ص- و یرتکب الفواحش فوصف ذلک لرسول الله ص-فقال:إن صلاته تنهاه یوما ما.

و فیه،روی أصحابنا عن أبی عبد الله(ع)قال*: من أحب أن یعلم قبلت صلاته أم لم تقبل،فلینظر هل منعته صلاته عن الفحشاء و المنکر-فبقدر ما منعته قبلت صلاته.

و فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« وَ لَذِکْرُ اللّٰهِ أَکْبَرُ »:

فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله:« وَ لَذِکْرُ اللّٰهِ أَکْبَرُ »یقول:ذکر الله لأهل الصلاه أکبر من ذکرهم إیاه-أ لا تری أنه یقول:« فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ ».

أقول:و هذا أحد المعانی التی تقدم نقلها.

و فی نور الثقلین،عن مجمع البیان،و روی أصحابنا عن أبی عبد الله(ع)قال:

ذکر الله عند ما أحل و حرم.

و فیه،عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ص:أی الأعمال أحب إلی الله؟قال:أن تموت و لسانک رطب من ذکر الله عز و جل.

و فیه،و قال(ص): یا معاذ إن السابقین الذین یسهرون بذکر الله عز و جل-و من أحب أن یرتع فی ریاض الجنه-فلیکثر من ذکر الله عز و جل.

و فی الکافی،بإسناده عن العبدی عن أبی عبد الله(ع): فی قول الله عز و جل:« بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ »قال:هم الأئمه.

أقول:و هذا المعنی مروی فی الکافی،و فی بصائر الدرجات،بعده طرق:و هو من الجری بمعنی انطباق الآیه علی أکمل المصادیق

بدلیل الروایه الآتیه.

ص :۱۴۲

و فی البصائر،بإسناده عن برید بن معاویه عن أبی جعفر(ع)قال: قلت له:

«بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ

»فقال:أنتم هم من عسی أن یکونوا؟.

و فی الـدر المنثـور،أخرج الإسـماعیلی فی معجمه و ابن مردویه من طریـق یحیی بن جعـده عن أبی هریره قـال*: کـان نـاس من أصـحاب رسول الله ص یکتبون من التوراه فـذکروا ذلـک لرسول الله ص فقال:إن أحمق الحمق و أضل الضـلاله قوم رغبوا-عما جاء به نبیهم إلی نبی غیر نبیهم-و إلی أمه غیر أمتهم ثم أنزل الله:« أَ وَ لَمْ یَکْفِهِمْ أَنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ الْکِتٰابَ یُتْلیٰ عَلَیْهِمْ »الآیه.

و فیه،أخرج ابن عسـاکر عن ابن أبی ملیکه قال": أهـدی عبـد الله بن عامر بن کریز إلی عائشه هـدیه-فظنت أنه عبـد الله بن عمر فردتهـا-و قـالت:یتتبع الکتب و قـد قـال الله:« أَ وَ لَمْ یَکْفِهِمْ أَنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ الْکِتٰابَ یُتْلیٰ عَلَیْهِمْ » فقیل لها:إنه عبـد الله بن عامر فقبلها.

أقول:ظاهر الروایتین و خاصه الأولی الآیه فی بعض الصحابه و سیاق الآیات یأبی ذلک.

[سوره العنکبوت (٢٩): الآیات ۵۶ الی ۶٠]

اشاره

یٰا عِبٰادِیَ اَلَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِی وٰاسِعَهٌ فَإِیّٰایَ فَاعْبُدُونِ (۵۶) کُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَهُ اَلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَیْنٰا تُرْجَعُونَ (۵٧) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ اَلْجَنَّهِ غُرَفاً تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِینَ فِیهٰا نِعْمَ أَجْرُ اَلْعٰامِلِینَ (۵٨) اَلَّذِینَ صَبَرُوا وَ عَلیٰ رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ (۵٩) وَ کَأَیِّنْ مِنْ دَابَّهٍ لاٰ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اَللّٰهُ یَرْزُقُهٰا وَ إِیّٰاکُمْ وَ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۶٠)

ص:١۴٣

(بیان)

لما استفرغ الکلام فی توبیخ من ارتد عن دینه من المؤمنین خوف الفتنه عطف الکلام علی بقیه المؤمنین ممن استضعفه المشرکون بمکه و کانوا یهددونهم بالفتنه و العذاب فأمرهم أن یصبروا و یتوکلوا علی ربهم و أن یهاجروا منها إن أشکل علیهم أمر الدین و إقامه فرائضه،و أن لا یخافوا أمر الرزق فإن الرزق علی الله سبحانه و هو یرزقهم إن ارتحلوا و هاجروا کما کان یرزقهم فی مقامهم.

قوله تعالی:« یَا عِبَادِیَ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِی وَاسِعَهٌ فَإِیَّایَ فَاعْبُدُونِ »توجیه للخطاب إلی المؤمنین الذین وقعوا فی أرض الکفر لا یقدرون علی التظاهر بالدین الحق و الاستنان بسنته و یدل علی ذلک ذیل الآیه.

و قوله:« إِنَّ أَرْضِی وَاسِعَهٌ »الذی یظهر من السیاق أن المراد بالأرض هذه الأرض التی نعیش علیها و إضافتها إلی ضمیر التکلم للإشاره إلی أن جمیع الأرض لا فرق عنده فی أن یعبد فی أی قطعه منها کانت،و وسعه الأرض کنایه عن أنه إن امتنع فی ناحیه من نواحیها أخذ الدین الحق و العمل به فهناک نواح غیرها لا یمتنع فیها ذلک فعبادته تعالی وحده لیست بممتنعه علی أی حال.

و قوله:« فَإِیَّایَ فَاعْبُدُونِ »الفاء الأولی للتفریع علی سعه الأرض أی إذا کان کذلک فاعبدونی وحدی و الفاء الثانیه فاء الجزاء للشرط المحذوف المدلول علیه بالکلام و الظاهر أن تقدیم«إیای»لإفاده الحصر فیکون قصر قلب و المعنی:لا تعبدوا غیری بل اعبدونی،و قوله:« فَاعْبُدُونِ »قائم مقام الجزاء.

و محصل المعنی:أن أرضی واسعه إن امتنع علیکم عبادتی فی ناحیه منها تسعکم لعبادتی أخری منها فإذا کان کذلک فاعبدونی وحدی و لا تعبدوا غیری فإن لم یمکنکم عبادتی فی قطعه منها فهاجروا إلی غیرها و اعبدونی وحدی فیها.

قوله تعالی:« کُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَهُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَیْنَا تُرْجَعُونَ »الآیه تأکید للأمر السابق فی قوله:« فَإِیَّایَ فَاعْبُدُونِ »و کالتوطئه لقوله الآتی:« اَلَّذِینَ صَبَرُوا »إلخ.

و قوله:« کُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَهُ الْمَوْتِ »من الاستعاره بالکنایه و المراد أن کل نفس

ستموت لا محاله،و الالتفات فی قوله:« ثُمَّ إِلَيْنٰا تُرْجَعُونَ »من سیاق التکلم وحده إلی سیاق التکلم مع الغیر للدلاله علی العظمه.

و محصل المعنی:أن الحیاه الـدنیا لیست إلا أیاما قلائل و الموت وراءه ثم الرجوع إلینا للحساب فلا یصدنکم زینه الحیاه الدنیا-و هی زینه فانیه-عن التهیؤ للقاء الله بالإیمان و العمل ففیه السعاده الباقیه و فی الحرمان منه هلاک مؤبد مخلد.

قوله تعـالی:« وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّهِ غُرَفاً »إلـخ، بیـان لأجر الإیمان و العمل الصالـح بعـد الموت و الرجـوع إلی الله و فیه حث و ترغیب للمـؤمنین علی الصـبر فی الله و التوکـل علی الله،و التبوئه الإـنزال علی وجه الإقـامه،و الغرف جمع غرفه و هی فی الدار، العلیه العالیه.

و قد بین تعالی أولا ثواب الذین آمنوا و عملوا الصالحات ثم سماهم عاملین إذ قال:

« نِعْمَ أَجْرُ الْعٰامِلِينَ »ثم فسـر العـاملین بقـوله:« اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » فعـاد بـذلک الصـبر و التوکـل سـمه خاصـه للمؤمنین فـدل بذلک کله أن المؤمن إنما یرضـی عن إیمانه إذا صبر فی الله و توکل علیه،فعلی المؤمن أن یصبر فی الله علی کل أذی و جفوه ما یجد إلی العیشه الدینیه سبیلا فإذا تعذرت علیه إقامه مراسم الدین فی أرضه فلیخرج و لیهاجر إلی أرض غیرها و لیصبر علی ما یصیبه من التعب و العناء فی الله.

قوله تعـالی:« اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »وصف للعـالمین،و الصـبر أعم من الصبر عنـد المصـیبه و الصبر علی الطـاعه و الصبر علی المعصیه،و إن کان المورد مورد الصبر عند المصیبه فهو المناسب لحال المؤمنین بمکه المأمورین بالهجره.

قوله تعـالی:« وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّهٍ لاٰ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّٰهُ يَرْزُقُهٰا وَ إِيّٰاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »کأین للتکثیر،و حمل الرزق هو ادخاره کما یفعله الإنسان و النمل و الفأر و النحل من سائر الحیوان.

و فی الآـیه تطییب لنفس المؤمنین و تقویه لقلوبهم أنهم لو هـاجروا فی الله أتـاهم رزقهم أینمـا کـانوا و لا یموتون جوعا فرازقهم ربهم دون أوطانهم،یقول:و کثیر من

الدواب لا رزق مدخر لها يرزقها الله و يرزقكم معاشر الآدميين الذين يدخرون الأرزاق و هو السميع العليم.

و فی تذییل الآیه بالاسمین الکریمین السمیع العلیم إشاره إلی الحجه علی مضمونها و هو أن الإنسان و سائر الدواب محتاجون إلی الرزق یسألون الله ذلک بلسان حاجتهم إلیه و الله سبحانه سمیع للدعاء علیم بحوائج خلقه و مقتضی الاسمین الکریمین أن یرزقهم.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:

« یٰا عِبٰادِیَ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِی وٰاسِعَهٌ »یقول:لا تطیعوا أهل الفسق من الملوک فإن خفتموهم أن یفتنوکم عن دینکم فإن أرضی واسعه،و هو یقول:« فِیمَ کُنْتُمْ قٰالُوا کُنّٰا مُسْتَضْعَفِینَ فِی الْأَرْضِ »فقال:« أَ لَمْ تَکُنْ أَرْضُ اللّٰهِ وٰاسِعَهً فَتُهٰاجِرُوا فِیهٰا ».

و فی المجمع:،و قال أبو عبد الله(ع): معناه إذا عصی الله فی أرض أنت بها فاخرج منها إلی غیرها.

و فی العیون،بإسناده إلی الرضا(ع)قال:قال رسول الله ص: لما نزلت « إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ »قلت:یا رب أ یموت الخلائق کلهم و یبقی الأنبیاء؟فنزلت « کُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَهُ الْمَوْتِ »:

أقول:و رواه أیضا فی الدر المنثور،عن ابن مردویه عن علی

،و لا یخلو متنه عن شیء فإن قوله:« إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ »یخبر عن موته(ص)و موت سائر الناس، و کان(ص)یعلم أن الأنبیاء المتقدمین علیه ماتوا فلا معنی لقوله:أ یموت الخلائق کلهم و یبقی الأنبیاء.

و فی الجمع،عن عطاء عن ابن عمر قال: خرجنا مع رسول الله ص حتی دخلنا بعض حیطان الأنصار- فجعل یلتقط من التمر و یأکل فقال لی:یا ابن عمر ما لک لا تأکل؟فقلت:لا أشتهیه یا رسول الله.قال:أنا أشتهیه و هذه صبح رابعه منذ لم أذق طعاما-و لو شئت لدعوت ربی فأعطانی مثل ملک کسری و قیصر-فکیف بک یا ابن عمر

إذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين-فوالله ما برحنا حتى نزلت« وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاٰ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّٰهُ يَرْزُقُهٰا وَ إِيّٰاكُمْ-وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » أقول:و قد روى الروايه فى الدر المنثور،و ضعف سندها و هى مع ذلك لا تلائم وقوع الآيه فى سياق ما تقدمها.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٩]

اشاره

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ سَخَّرَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ (٦١) اَللّٰهُ يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اَللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَحْيٰا بِهِ اَلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهٰا لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ (٦٣) وَ مٰا هٰذِهِ اَلْحَيٰاةُ اَلدُّنْيٰا إِلاّٰ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ اَلدّٰارَ اَلْآخِرَةَ لَهِيَ اَلْحَيَوٰانُ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذٰا رَكِبُوا فِي اَلْفُلْكِ دَعَوُا اَللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ فَلَمّٰا نَجّٰاهُمْ إِلَى اَلْبَرِّ إِذٰا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنٰا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ اَلنّٰاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْبٰاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اَللّٰهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرىٰ عَلَى اَللّٰهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكٰافِرِينَ (٦٨) وَ اَلَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَمَعَ اَلْمُحْسِنِينَ (٦٩)

(بیان)

الآیات تصرف الخطاب عن المؤمنین إلی النبی ص و هو فی المعنی خطاب عام یشمل الجمیع و إن کان فی اللفظ خاصا به(ص)لأن الحجج المذکوره فیها مما یناله الجمیع.

و الآیات تذکر مناقضات فی آراء المشرکین فیما ألقی فی الفصل السابق علی المؤمنین فآمنوا به فإنهم یعترفون أن خالق السماوات و الأرض و مدبر الشمس و القمر-و علیهما مدار الأرزاق-هو الله و أن منزل الماء من السماء و محیی الأرض بعد موتها هو الله سبحانه ثم یدعون غیره لیرزقهم و هم یعبدونه تعالی إذا رکبوا البحر ثم إذا أنجاهم عبدوا غیره و یقیمون فی حرم آمن و هو نعمه لهم فیؤمنون بالباطل و یجحدون الحق و یکفرون بنعمه الله.

و ما ختمت به السوره من قوله:« وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا »یلائم ما فی مفتتح السوره« أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ یُفْتَنُونَ -إلی أن قال- وَ مَنْ جٰاهَدَ فَإِنَّمٰا یُجٰاهِدُ لِنَفْسِهِ »إلخ.

قوله تعالی:« وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَیَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنّٰی یُؤْفَکُونَ ».

خلق السماوات و الأرض من الإیجاد و تسخیر الشمس و القمر-و ذلک بتحویل حالاتهما بالطلوع و الغروب و القرب و البعد من الأرض-من التدبیر الذی یتفرع علیه کینونه أرزاق الإنسان و سائر الحیوان و هذا الخلق و التدبیر لا ینفک أحدهما عن الآخر فمن اعترف بأحدهما فلیعترف بالآخر.

و إذا کان الله هو الخالق و بیده تدبیر السماوات و یتبعه تدبیر الأرض و کینونه الأرزاق کان هو الذی یجب أن یدعی للرزق و سائر التدبیر فمن العجب حینئذ أن یصرف عنه الإنسان إلی غیره ممن لا یملک شیئا و هو قوله:« فَأَنّٰی یُؤْفَکُونَ »أی فإذا کان الخلق و تدبیر الشمس و القمر إلیه تعالی فکیف یصرف هؤلاء إلی دعوه غیره من الأصنام و عبادته.

قوله تعالی:« اَللّٰهُ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ یَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللّٰهَ بِکُلِّ شَیْءٍ

عَلِيمٌ

»فی الآیه تصریح بما تلوح إلیه الآیه السابقه،و القدر التضییق و یقابله البسط و المراد به لازم معناه و هو التوسعه،و وضع الظاهر موضع المضمر فی قوله:« إِنَّ اللّٰهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ »للدلاله علی تعلیل الحکم،و المعنی:و هو بکل شیء علیم لأنه الله.

و المعنی:الله یوسع الرزق علی من یشاء من عباده و یضیقه علی من یشاء-و لا یشاء إلا علی طبق المصلحه-لأنه بکل شیء علیم لأنه الله الذی هو الذات المستجمع لجمیع صفات الکمال.

قوله تعالی:« وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَحْیٰا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهٰا » -إلی قوله- لاٰ یَعْقِلُونَ »المراد بإحیاء الأرض بعد موتها إنبات النبات فی الربیع.

و قوله:« قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ »أی احمد الله علی تمام الحجه علیهم باعترافهم بأن الله هو المدبر لأمر خلقه فلزمهم أن یعبدوه دون غیره من الأصنام و أرباب الأصنام.

و قوله:« بَلْ أَکْثَرُهُمْ لاٰ یَعْقِلُونَ »أی لا یتدبرون الآیات و لا یحکمون العقول حتی یعرفوا الله و یمیزوا الحق من الباطل فهم لا یعقلون حق التعقل.

قوله تعالی:« وَ مٰا هٰذِهِ الْحَیٰاهُ الدُّنْیٰا إِلاّٰ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَهَ لَهِیَ الْحَیَوٰانُ لَوْ کٰانُوا یَعْلَمُونَ » اللهو ما یلهیک و یشغلک عما یهمک فالحیاه الدنیا من اللهو لأنها تلهی الإنسان و تشغله بزینتها المزوقه الفانیه عن الحیاه الخالده الباقیه.

و اللعب فعل أو أفعال منتظمه انتظاما خیالیا لغایه خیالیه کملاعب الصبیان و الحیاه الدنیا لعب لأنها فانیه سریعه البطلان کلعب الصبیان یجتمعون علیه و یتولعون به ساعه ثم یتفرقون و سرعان ما یتفرقون.

علی أن عامه المقاصد التی یتنافس فیها المتنافسون و یتکالب علیه الظالمون أمور وهمیه سرابیه کالأموال و الأزواج و البنین و أنواع التقدم و التصدر و الرئاسه و المولویه و الخدم و الأنصار و غیرها فالإنسان لا یملک شیئا منها إلا فی ظرف الوهم و الخیال.

و أما الحیاه الآخره التی یعیش فیها الإنسان بکماله الواقعی الذی اکتسبه بإیمانه و عمله الصالح فهی المهمه التی لا لهو فی الاشتغال بها و الجد الذی لا لعب فیها و لا لغو و لا تأثیم،و البقاء الذی لا فناء معه،و اللذه التی لا ألم،عندها و السعاده التی لا شقاء دونها،فهی الحیاه بحقیقه معنی الکلمه.

و هذا معنى قوله سبحانه:« وَ مَا هٰذِهِ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا إِلاّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوٰانُ ».

و فى الآيه-كما ترى-قصر الحياه الدنيا فى اللهو و اللعب و الإشاره إليها بهذه المفيده للتحقير و قصر الحياه الآخره فى الحيوان و هو الحياه و تأكيده بأدوات التأكيد كان و اللام و ضمير الفصل و الجمله الاسميه.

و قوله:« لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ »أى لو كانوا يعلمون لعلموا أن الأمر كما وصفنا.

قوله تعالى:« فَإِذٰا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمّٰا نَجّٰاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذٰا هُمْ يُشْرِكُونَ »تفريع على ما تحصل من الآيات السابقه من شأنهم و هو أنهم يؤفكون و أن كثيرا منهم لا يعقلون أى لما كانوا يؤفكون و يصرفون عن عبادته إلى عباده غيره و أكثرهم لا يعقلون و يناقضون أنفسهم بالاعتراف و الجحد فَإِذٰا رَكِبُوا «إلخ».

و الركوب الاستعلاء بالجلوس على الشىء المتحرك و هو متعد بنفسه و تعديته فى الآيه بفى لتضمنه معنى الاستقرار أو ما يشبهه،و المعنى:فإذا ركبوا مستقرين فى الفلك أو استقروا فى الفلك راكبين،و معنى الآيه ظاهر و هى تحكى عنهم تناقضا آخر و كفرانا للنعمه.

قوله تعالى:« لِيَكْفُرُوا بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ »اللام فى « لِيَكْفُرُوا »و« لِيَتَمَتَّعُوا »لام الأمر و أمر الآمر بما لا يرتضيه تهديد و إنذار كقولك لمن تهدده:«افعل ما شئت»،قال تعالى: «اعْمَلُوا مٰا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» :حم السجده:۴۰.

و احتمل كون اللام للغايه،و المعنى:أنهم يأتون بهذه الأعمال لتنتهى بهم إلى كفران النعمه التى آتيناهم و إلى التمتع،و أول الوجهين أوفق لقوله فى ذيل الآيه:

« فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ »،و يؤيده قوله فى موضع آخر: «لِيَكْفُرُوا بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» ، :الروم:۳۴ و لذا قرأه من قرأ« وَ لِيَتَمَتَّعُوا »بسكون اللام إذ لا يسكن غير لام الأمر.

قوله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنٰا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النّٰاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ » الحرم الأمن هو مكه و ما حولها و قد جعله الله مأمنا بدعاء إبراهيم(ع)و التخطف

كالخطف استلاب الشىء بسرعه و اختلاسه و قد كانت العرب يومئذ تعيش فى التغاور و التناهب و لا يزالون يغير بعضهم على بعض بالقتل و السبى و النهب لكنهم يحترمون الحرم و لا يتعرضون لمن أقام بها فيها.

و المعنى:أ و لم ينظروا أنا جعلنا حرما آمنا لا يتعرض لمن فيه بقتل أو سبى أو نهب و الحال أن الناس يختلسون من حولهم خارج الحرم.

و قوله:« أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَهِ اللّهِ يَكْفُرُونَ »توبيخ آخر لهم حيث يقابلون هذه النعمه و هى نعمه عظيمه بالكفران لكنهم يؤمنون بالأصنام و هى باطله ليس لها إلا الاسم.

قوله تعالى:« وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمّا جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ »تهديد لهم بالنار بتوسيمهم بأشد الظلم و أعظمه و هو افتراء الكذب على الله بالقول بالآلهه و أن الله اتخذهم شركاء لنفسه،و تكذيب الإنسان بالحق لما جاءه و الوصفان جميعا موجودان فيهم فقد عبدوا الأصنام و كذبوا بالقرآن لما جاءهم فهم كافرون و مثوى الكافرين و محل إقامتهم فى الآخره جهنم.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » الجهد الوسع و الطاقه و المجاهده استفراغ الوسع فى مدافعه العدو و الجهاد ثلاثه أضرب:

مجاهده العدو الظاهر،و مجاهده الشيطان،و مجاهده النفس كذا ذكره الراغب.

و قوله:« جاهَدُوا فِينا »أى استقر جهادهم فينا و هو استعاره كنائيه عن كون جهده مبذولا فيما يتعلق به تعالى من اعتقاد عمل،فلا ينصرف عن الإيمان به و الائتمار بأوامره و الانتهاء عن نواهيه بصارف يصرفه.

و قوله:« لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا »أثبت لنفسه سبلا و هى أيا ما كانت تنتهى إليه تعالى فإنما السبيل سبيل لتأديته إلى ذى السبيل و هو غايتها فسبله هى الطرق المقربه منه و الهاديه إليه تعالى،و إذ كانت نفس المجاهده من الهدايه كانت الهدايه إلى السبل هدايه على هدايه فتنطبق على مثل قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» :محمد:۱۷.

و مما تقدم يظهر أن لا حاجه فى قوله:« فِينا »إلى تقدير مضاف كشأن و التقدير فى شأننا.

ص :۱۵۱

و قوله:« وَ إِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »قيل أی معيه النصره و المعونه و تقدم الجهاد المحتاج إليهما قرينه قويه على إراده ذلک.انتهى.و هو وجه حسن و أحسن منه أن يفسر بمعيه الرحمه و العنايه فيشمل معيه النصره و المعونه و غيرهما من أقسام العنايات التی له سبحانه بالمحسنين من عباده لكمال عنايته بهم و شمول رحمته لهم،و هذه المعيه أخص من معيه الوجود الذی ينبئ عنه قوله تعالى: «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ» :الحديد:۴.

و قد تقدمت الإشاره إلى أن الآيه خاتمه للسوره منعطفه على فاتحتها.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی الدنيا و البيهقی فی شعب الإيمان عن أبی جعفر قال:قال رسول الله ص: يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الحيوان-و هو يسعى لدار الغرور.

و فيه،أخرج جويبر عن الضحاک عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد ما يمنعنا أن ندخل فی دينک-إلا مخافه أن يتخطفنا الناس لقلتنا و العرب أكثر منا-فمتى بلغهم أنا قد دخلنا فی دينک اختطفنا-فكنا أكله رأس فأنزل الله:« أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنٰا حَرَماً آمِناً »الآيه.

و فی تفسير القمی،:فی قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا-لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »:

فی روايه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع)قال: هذه الآيه لآل محمد (ع)و لأشياعهم.

(۳۰) (سوره الروم مکیه، و هی ستون آیه)(۶۰)

[سوره الروم (۳۰): الآیات ۱ الی ۱۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ

الم (۱) غُلِبَتِ اَلرُّومُ (۲) فِی أَدْنَی اَلْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ (۳) فِی بِضْعِ سِنِینَ لِلّهِ اَلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ اَلْمُؤْمِنُونَ (۴) بِنَصْرِ اَللّهِ یَنْصُرُ مَنْ یَشاءُ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلرَّحِیمُ (۵) وَعْدَ اَللّهِ لا یُخْلِفُ اَللّهُ وَعْدَهُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ اَلنّاسِ لا یَعْلَمُونَ (۶) یَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ اَلْحَیاهِ اَلدُّنْیا وَ هُمْ عَنِ اَلْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ (۷) أَ وَ لَمْ یَتَفَکَّرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اَللّهُ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما إِلاّ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّی وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ اَلنّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَکافِرُونَ (۸) أَ وَ لَمْ یَسِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ کانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَ أَثارُوا اَلْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَکْثَرَ مِمّا عَمَرُوها وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَما کانَ اَللّهُ لِیَظْلِمَهُمْ وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (۹) ثُمَّ کانَ عاقِبَهَ اَلَّذِینَ أَساؤُا اَلسُّوای أَنْ کَذَّبُوا بِآیاتِ اَللّهِ وَ کانُوا بِها یَسْتَهْزِؤُنَ (۱۰) اَللّهُ یَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ ثُمَّ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۱۱) وَ یَوْمَ تَقُومُ اَلسّاعَهُ یُبْلِسُ اَلْمُجْرِمُونَ (۱۲) وَ لَمْ یَکُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَکائِهِمْ شُفَعاءُ وَ کانُوا بِشُرَکائِهِمْ کافِرِینَ (۱۳) وَ یَوْمَ تَقُومُ اَلسّاعَهُ یَوْمَئِذٍ یَتَفَرَّقُونَ (۱۴) فَأَمَّا اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ فَهُمْ فِی رَوْضَهٍ یُحْبَرُونَ (۱۵) وَ أَمَّا اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ لِقاءِ اَلْآخِرَهِ فَأُولئِکَ فِی اَلْعَذابِ مُحْضَرُونَ (۱۶) فَسُبْحانَ اَللّهِ حِینَ تُمْسُونَ وَ حِینَ تُصْبِحُونَ (۱۷) وَ لَهُ اَلْحَمْدُ فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ عَشِیًّا وَ حِینَ تُظْهِرُونَ (۱۸) یُخْرِجُ اَلْحَیَّ مِنَ اَلْمَیِّتِ وَ یُخْرِجُ اَلْمَیِّتَ مِنَ اَلْحَیِّ وَ یُحْیِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ کَذلِکَ تُخْرَجُونَ (۱۹)

(بیان)

تفتتح السوره بوعد من الله و هو أن الروم ستغلب الفرس فی بضع سنین بعد انهزامهم أیام نزول السوره عن الفرس ثم تنتقل منه إلی ذکر میعاد أکبر و هو الوعد بیوم یرجع الکل فیه إلی الله و تقیم الحجه علی المعاد ثم تنعطف إلی ذکر آیات الربوبیه و تصف صفاته تعالی الخاصه به ثم تختتم السوره بوعد النصر للنبی ص و تؤکد القول فیه إذ تقول:« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَ لاٰ یَسْتَخِفَّنَّکَ الَّذِینَ لاٰ یُوقِنُونَ »و قد قیل قبیل ذلک:« وَ کٰانَ حَقًّا عَلَیْنٰا نَصْرُ الْمُؤْمِنِینَ ».

فغرض السوره هو الوعد القطعی منه تعالی بنصره دینه و قد قدم علیه نصر الروم علی الفرس فی بضع سنین من حین النزول لیستدل بإنجاز هذا الوعد علی إنجاز ذلک الوعد،و کذا یحتج به و من طریق العقل علی أنه سینجز وعده بیوم القیامه لا ریب فیه.

قوله تعالى:« غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ » الروم جیل من الناس علی ساحل البحر الأبیض بالمغرب کانت لهم إمبراطوریه وسیعه منبسطه إلی الشامات وقعت بینهم و بین الفرس حرب عوان فی بعض نواحی الشام قریبا من الحجاز فغلبت الفرس و انهزمت الروم،و الظاهر أن المراد بالأرض أرض الحجاز و اللام للعهد.

قوله تعالی:« وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ فِی بِضْعِ سِنِینَ »ضمیر الجمع الأول للروم و کذا الثالث و أما الثانی فقد قیل إنه للفرس و المعنی:و الروم من بعد غلبه الفرس سیغلبون،و یمکن أن یکون الغلب من المصدر المبنی للمفعول و الضمیر للروم کالضمیرین قبلها و بعدها فلا تختلف الضمائر و المعنی:و الروم من بعد مغلوبیتهم سیغلبون.و البضع من العدد من ثلاثه إلی تسعه.

قوله تعالی:« لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ » قبل و بعد مبنیان علی الضم فهناک مضاف إلیه مقدر و التقدیر لله الأمر من قبل أن غلبت الروم و من بعد أن غلبت یأمر بما یشاء فینصر من یشاء و یخذل من یشاء.

و قیل:المعنی لله الأمر من قبل کونهم غالبین و هو وقت کونهم مغلوبین و من بعد کونهم مغلوبین و هو وقت کونهم غالبین أی وقت کونهم مغلوبین و وقت کونهم غالبین و المعنی الأول أرجح إن لم یکن راجحا متعینا.

قوله تعالی:« وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّٰهِ یَنْصُرُ مَنْ یَشٰاءُ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ » الظرف متعلق بیفرح و کذا قوله« یَنْصُرُ »و المعنی:و یوم إذ یغلب الروم یفرح المؤمنون بنصر الله الروم،ثم استأنف و قال:« یَنْصُرُ مَنْ یَشٰاءُ »تقریرا لقوله:« لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ ».

و قوله:« وَ هُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ »أی عزیز یعز بنصره من یشاء رحیم یخص برحمته من یشاء.

و فی الآیه وجوه أخر ضعیفه ذکروها:

منها:أن قوله« وَ یَوْمَئِذٍ »عطف علی قوله:« مِنْ قَبْلُ »و المراد به شمول سلطنته تعالی لجمیع الأزمنه الثلاثه:الماضی و المستقبل و الحال کأنه قیل:لله الأمر من قبل و من بعد و یومئذ ثم ابتداء و قیل:یفرح المؤمنون بنصر الله.و فیه أنه یبطل

انسجام الآیه و ینقطع به آخرها عن أولها.

و منها:أن قوله:« بِنَصْرِ »متعلق بقوله:« اَلْمُؤْمِنُونَ »دون« یَفْرَحُ »و یدل بالملازمه المقامیه أن غلبه الروم بنصر من الله.

و فیه أن لازمه أن یفرح المؤمنون یوم غلبه الفرس و یوم غلبه الروم جمیعا فإن فی الغلبه نصرا و کل نصر من الله قال تعالی: «وَ مَا النَّصْرُ إِلاّٰ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ» :آل عمران:۱۲۶ فقصر فرح المؤمنین بالنصر بیوم غلبه الروم ترجیح بلا مرجح فافهمه.

و منها:أن المراد بنصر الله نصر المؤمنین علی المشرکین یوم بدر دون نصر الروم علی الفرس و إن توافق النصران زمانا فکأنه قیل:إن الروم سیغلبون فی بضع سنین و یوم یغلبون یغلب المؤمنون المشرکین فیفرحون بنصر الله إیاهم.

و فیه أن هذا المعنی لا یلائم قوله بعد:« یَنْصُرُ مَنْ یَشٰاءُ ».

و منها:أن المراد بالنصر نصر المؤمنین بصدق إخبارهم بغلبه الروم،و قیل:النصر هو استیلاء بعض الکفار علی بعض و تفرق کلمتهم و انکسار شوکتهم.و هذان و ما یشبههما وجوه لا یعبأ بها.

قوله تعالی:« وَعْدَ اللّٰهِ لاٰ یُخْلِفُ اللّٰهُ وَعْدَهُ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّٰاسِ لاٰ یَعْلَمُونَ »« وَعْدَ اللّٰهِ »مفعول مطلق محذوف العامل و التقدیر وعد الله وعدا و إخلاف الوعد خلاف إنجازه و قوله:« وَعْدَ اللّٰهِ »تأکید و تقریر للوعد السابق فی قوله:« سَیَغْلِبُونَ » و« یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ »کما أن قوله:« لاٰ یُخْلِفُ اللّٰهُ وَعْدَهُ »تأکید و تقریر لقوله:« وَعْدَ اللّٰهِ ».

و قوله:« لاٰ یُخْلِفُ اللّٰهُ وَعْدَهُ »کقوله: «إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُخْلِفُ الْمِیعٰادَ» :الرعد:۳۱ و خلف الوعد و إن لم یکن قبیحا بالذات لأنه ربما یحسن عند الاضطرار لکنه سبحانه لا یضطره ضروره فلا یحسن منه خلف الوعد فی حال.

علی أن خلف الوعد یلازم النقص دائما و یستحیل النقص علیه تعالی.

علی أنه تعالی أخبر فی کلامه بأنه لا یخلف المیعاد و هو أصدق الصادقین و هو القائل عز من قائل: «وَ الْحَقَّ أَقُولُ» -ص:۸۴.

و قوله:« وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّٰاسِ لاٰ یَعْلَمُونَ »أی هم جهلاء بشئونه تعالی لا یثقون بوعده و یقیسونه إلی أمثالهم ممن یصدق و یکذب و ینجز و یخلف.

قوله تعالی:« یَعْلَمُونَ ظٰاهِراً مِنَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غٰافِلُونَ » جمله« یَعْلَمُونَ »علی ما ذکره فی الکشاف،بدل من قوله:« لاٰ یَعْلَمُونَ »و فی هذا الإبدال من النکته أنه أبدله منه و جعله بحیث یقوم مقامه و یسد مسده لیعلمک أنه لا فرق بین عدم العلم الذی هو الجهل و بین وجود العلم الذی لا یتجاوز الدنیا انتهی.

و قیل:الجمله استثنائیه لبیان موجب جهلهم بأن وعد الله حق و أن لله الأمر من قبل و من بعد و أنه ینصر المؤمنین علی الکافرین.انتهی و هذا أظهر.

و تنکیر« ظٰاهِراً »للتحقیر و ظاهر الحیاه الدنیا ما یقابل باطنها و هو الذی یناله حواسهم الظاهره من زینه الحیاه فیرشدهم إلی اقتنائها و العکوف علیها و الإخلاد إلیها و نسیان ما وراءها من الحیاه الآخره و المعارف المتعلقه بها و الغفله عما فیه خیرهم و نفعهم بحقیقه معنی الکلمه.

و قیل:الظهور فی الآیه بمعنی الزوال و استشهد بقوله:

و عیرها الواشون أنی أحبها

و تلک شکاه ظاهر عنک عارها

و المعنی:یعلمون أمرا زائلا لا بقاء له لکنه معنی شاذ الاستعمال.

قوله تعالی:« أَ وَ لَمْ یَتَفَکَّرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّی »إلخ المراد من خلق السماوات و الأرض و ما بینهما- و ذلک جمله العالم المشهود-بالحق أنها لم تخلق عبثا لا غایه لها وراءها بأن یوجد و یعدم ثم یوجد ثم یعدم من غیر غرض و غایه فهو تعالی إنما خلقها لغایه تترتب علیها.

ثم إن العالم بأجزائها لیس بدائم الوجود غیر منقطع الآخر حتی یحتمل کون کل جزء لاحق غایه للجزء السابق و کل آت خلفا لماضیه بل هو بأجزائه فان بائد فهناک غایه مقصوده من خلق العالم ستظهر بعد فناء العالم و هذا المعنی هو المراد بتقیید قوله:« مٰا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا »بقوله:« وَ أَجَلٍ مُسَمًّی »بعد تقییده بقوله:« إِلاّٰ بِالْحَقِّ ».

فقوله:« أَ وَ لَمْ یَتَفَکَّرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ »الاستفهام للتعجیب،و کونهم فی أنفسهم استعاره کنائیه عن فراغ البال و حضور الذهن کأنهم عند اشتغالهم بأمور الدنیا و سعیهم للمعیشه و تشوش البال یغیبون عن أنفسهم فیکونون عند حضور الذهن حاضرین مستقرین

فى أنفسهم فيكون تفكرهم حينئذ مجتمعا غير متفرق فيهديهم إلى الحق و يرشدهم إلى الواقع.

و قيل:المراد بتفكرهم فى أنفسهم أن يتفكروا فى خلق أنفسهم و أن الواحد منهم محدث و المحدث-بالفتح-يحتاج إلى محدث-بالكسر-قديم حى قادر عليم حكيم فلا يخلق ما يخلق عبثا بل لغايه مطلوبه و ليست تعود إليه نفسه لغناء المطلق بل إلى الخلق و هو الثواب و لا يكون إلا لصالح العمل فلا بد من دين مشرع يميز العمل الصالح من السيئ فلا بد من دار يمتحنون فيها و هى الدنيا و دار يثابون فيها و هى الآخره.

و فيه أن الجمله أعنى قوله:« أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ »صالح فى نفسه لأن يراد منها هذا المعنى لكن اتصال قوله:« مٰا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ »إلخ،بها يأباه لاستلزامه بطلان الاتصال لعدم الارتباط بين صدر الآيه و ذيلها على هذا التقدير.

و قوله:« مٰا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى » هو الفكر الذى يجب عليهم أن يمعنوا فيه النظر فى أنفسهم و تقريره على ما تقدم أن الله سبحانه ما خلق هذا العالم كلا و لا بعضا إلا خلقا ملابسا للحق أو مصاحبا للحق أى لغايه حقيقيه لا-عبثا لا غايه له و لا إلى أجل معين فلا يبقى شىء منها إلى ما لا نهايه له بل يفنى و ينقطع و إذا كان كل من أجزائه و المجموع مخلوقا ذا غايه تترتب عليها و ليس شىء منها دائم الوجود كانت غايته مترتبه عليه بعد انقطاع وجوده و فنائه،و هذا هو الآخره التى ستظهر بعد انقضاء الدنيا و فنائها.

و قوله:« وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النّٰاسِ بِلِقٰاءِ رَبِّهِمْ لَكٰافِرُونَ »مسوق سوق التعجيب كما بدأت الآيه باستفهام التعجيب،و المراد بلقاء الله هو الرجوع إليه فى المعاد،و قد عبر عنه باللقاء ليزداد كفرهم به عجبا فكيف يمكن أن يبتدءوا منه ثم لا ينتهوا إليه، و لذلك أكده بإن إشاره إلى أن الكفر بالمعاد من شأنه فى نفسه أن لا يصدق به.

قوله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »إلى آخر الآيه،لما ذكر كفر كثير من الناس بالمعاد و ذلك أمر يلغو معه الدين الحق ذكرهم حال الأمم الكافره و ما انتهت إليه من سوء العذاب لعلهم يعتبرون بها فيرجعوا عما هم عليه من الكفر.و إثاره الأرض قلبها ظهر البطن للحرث و التعمير و نحو ذلك.

و قوله:« وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ »أى بالكفر و المعاصى.

قوله تعالى:« ثُمَّ كٰانَ عٰاقِبَةَ الَّذِينَ أَسٰاؤُا السُّوایٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ كٰانُوا بِهٰا يَسْتَهْزِؤُنَ »بيان لما انتهى إليه أمر أولئك الظالمين و لـذا عبر بثم،و« عٰاقِبَةَ » بـالنصب خبر كان و اسـمه« اَلسُّوایٰ »قـدم الخبر عليه لإفاده الحصـر و« أَسٰاؤُا »مقطوع عن المتعلق بمعنى عملوا السوء،و السوآى الخله التى يسوء صاحبها و المراد بها سوء العـذاب و« أَنْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اللّٰهِ »بحـذف لام التعليل و التقدير لتكذيبهم بآيات الله و استهزائهم بها.

و المعنى:ثم كان سوء العـذاب هو الذى انتهى إليه أمر أولئك الذين عملوا السوء لم تكن لهم عاقبه غيرها لتكذيبهم بآيات الله و استهزائهم بها.

و قيل:إن« اَلسُّوایٰ »مفعول لقوله:« أَسٰاؤُا »و خبر كان هو قوله:« أَنْ كَذَّبُوا »إلخ،و المراد أن المعاصـى ساقتهم إلى الكفر بتكذيب آيات الله و الاستهزاء بها.

و فيه:أنه فى نفسه معنى صـحيح لكن المناسب للمقام هو المعنى الأول لأن المقام مقام الاعتبار و الإنذار و المناسب له بيان انتهاء معاصيهم إلى سوء العذاب لا انتهاء معاصيهم المتفرقه إلى التكذيب و الاستهزاء الذى هو أعظمها.

قوله تعالى:« اَللّٰهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »بعـد ما ذكر الحجه و تكذيب كثير من الناس لخص القول فى نتيجتها و هو أن البدء و العود بيده سبحانه و سيرجع إليه الجميع،و المراد بالخلق المخلوقون،و لذا أرجع إليه ضمير الجمع فى ترجعون.

قوله تعـالى:« وَ يَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ »ذكر حال المجرمين بعـد قيام الساعه و هى ساعه الرجوع إليه تعالى للحساب و الجزاء،و الإبلاس اليأس من الله و فيه كل الشقاء.

قوله تعالى:« وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكٰائِهِمْ شُفَعٰاءُ وَ كٰانُوا بِشُرَكٰائِهِمْ كٰافِرِينَ »يريد أنهم على يأسهم من الرحمه من ناحيه أعمالهم أنفسـهم آيسون من آلهتهم الذين اتخذوهم شـركاء لله فعبدوهم ليشـفعوا لهم عند الله كما كانوا يقولون فى الدنيا:هؤلاء شفعاؤنا عند الله و كانوا بعباده شركائهم كافرين ساترين.

قوله تعالى:« وَ يَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ -إلى قوله- مُحْضَرُونَ »قال

فی المجمع: الروضه البستان المتناهی منظرا و طیبا.انتهی.و قال فی المفردات: الحبر الأثر المستحسن-إلی أن قال-و قوله عز و جل:« فِی رَوْضَهٍ یُحْبَرُونَ »أی یفرحون حتی یظهر علیهم حبار نعیمهم.انتهی.

و المراد بتفرق الخلق یومئذ تمیز المؤمنین الصالحین من المجرمین و دخول هؤلاء النار و دخول أولئک الجنه علی ما یشیر إلیه الآیتان التالیتان.

و لزوم هذا التمیز و التفرق فی الوجود هو الذی أخذه الله سبحانه حجه علی ثبوت المعاد حیث قال: «أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ اجْتَرَحُوا السَّیِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ کَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْیاهُمْ وَ مَماتُهُمْ ساءَ ما یَحْکُمُونَ :الجاثیه:۲۱.

قوله تعالی:« فَسُبْحانَ اللّهِ حِینَ تُمْسُونَ وَ حِینَ تُصْبِحُونَ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِیًّا وَ حِینَ تُظْهِرُونَ »لما ذکر أنه یبدأ الخلق ثم یعیدهم و یرجعهم للقائه فیفرقهم طائفتین:أهل الجنه و النعمه و أهل النار و العذاب،أما أهل الجنه فهم المؤمنون العاملون للصالحات و أما أهل النار فهم الکفار المکذبون لآیات الله و قد ذکر أنهم کانوا فی الدنیا أهل قوه و نعمه لکنهم نسوا الآخره و کذبوا بآیات الله و استهزءوا بها حتی انتهی بهم الأمر إلی سوء العذاب عذاب الاستئصال جزاء لظلمهم أنفسهم و ما ظلمهم الله و لکن کانوا أنفسهم یظلمون.

فتحصل من ذلک أن فی دار الخلقه تدبیرا إلهیا متقنا صالحا جمیلا علی أجمل ما یکون و أن للإنسان علی توالی الأزمنه و الدهور آثاما و خطیئات من العقیده السیئه فی حق ربه و اتخاذ شرکاء له و إنکار لقائه إلی سائر المعاصی.

ذیل الکلام بتسبیحه کلما تجدد حین بعد حین و تحمیده علی صنعه و تدبیره فی السماوات و الأرض و هو مجموع العالم المشهود فهو سبحانه منزه عن هذه الاعتقادات الباطله و الأعمال الردیه و محمود فی جمیع ما خلقه و دبره فی السماوات و الأرض.

و من هناک یظهر:

أولا:أن التسبیح و التحمید فی الآیتین إنشاء تنزیه و ثناء منه تعالی لا من غیره حتی یکون المعنی:قولوا سبحان الله و قولوا الحمد لله فقد تکرر فی کلامه تعالی تسبیحه و تحمیده لنفسه کقوله: «سُبْحانَ رَبِّکَ رَبِّ الْعِزَّهِ» :الصافات:۱۸۰ و قوله:

«تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ» :الفرقان:۱.

و ثانيا:أن المراد بالتسبيح و التحميد معناهما المطلق دون الصلوات اليوميه المفروضه كما يقول به أكثر القائلين بكون القول مقدرا.و المعنى:قولوا سبحان الله و قولوا الحمد لله.

و ثالثا:أن قوله:« وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »معترضه واقعه بين المعطوف و المعطوف عليه،و قوله:« وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ »معطوفان على محل « حِينَ تُمْسُونَ »لا على قوله:« فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »حتى يختص المساء و الصباح بالتسبيح و السماوات و الأرض و العشى و الظهيره بالتحميد بل الأوقات و ما فيها للتسبيح و الأمكنه و ما فيها للتحميد.

فالسياق يشير إلى أن ما فى السماوات و الأرض من خلق و أمر هو لله يستدعى بحسنه حمدا و ثناء لله سبحانه و أن للإنسان على مر الدهور و تغير الأزمنه و الأوقات من الشرك و المعصيه ما يتنزه عنه ساحه قدسه تعالى و تقدس.

نعم هاهنا اعتبار آخر يتداخل فيه التحميد و التسبيح و هو أن الأزمنه و الأوقات على تغيرها و تصرمها من جمله ما فى السماوات و الأرض فهى بوجودها يثنى على الله تعالى،ثم كل ما فى السماوات و الأرض بفقرها إليه تعالى و ذلتها دونه و نقصها بالنسبه إلى كماله تعالى تسبحه كما قال: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» ، :إسراء:۴۴ لكن هذا الاعتبار غير منظور إليه فى الآيتين اللتين نحن فيهما.

و للمفسرين فى الآيتين أقوال أخر متفرقه أشرنا إلى المهم منها فى الوجوه التى قدمناها.

و تغيير السياق فى قوله:« وَ عَشِيًّا »لكون العشى لم يبن منه فعل من باب الإفعال بخلاف المساء و الصباح و الظهيره حيث بنى منها الإمساء و الإصباح و الإظهار بمعنى الدخول فى المساء و الصباح و الظهيره كذا قيل.

و الخطاب الذى فى الآيتين فى قوله:« تُمْسُونَ و تُصْبِحُونَ و تُظْهِرُونَ »ليس من الالتفات فى شىء بل تعميم للخطاب الذى للنبى ص منذ شرعت السوره،و المعنى:

فإذا كان الأمر على هذه السبيل فالله منزه حينما دخلتم أنتم معاشر البشر فی مساء و حينما دخلتم فی صباح و فی العشی و حينما دخلتم فی ظهيره و له الثناء الجميل فی السماوات و الأرض.

و نظير هذا التعميم ما فی قوله سابقا:« ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »و لاحقا فی قوله:

« وَ كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ ».

قوله تعالی:« يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا وَ كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ »ظاهر إخراج الحی من الميت و بالعكس خلق ذوی الحياه من الأرض الميته ثم تبديل ذوی الحياه أرضا ميته،و قد فسر بخلق المؤمن من الكافر و خلق الكافر من المؤمن فإنه يعد المؤمن حيا و الكافر ميتا،قال تعالی: «أَ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً» :الأنعام:۱۲۲.

و أما إحياء الأرض بعد موتها فهو انتعاش الأرض و ابتهاجها بالنبات فی الربيع و الصيف بعد خمودها فی الخريف و الشتاء،و قوله:« وَ كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ »أی تبعثون و تخرجون من قبوركم بإحياء جديد كإحياء الأرض بعد موتها،و قد تقدم تفسير نظير صدر الآيه و ذيلها مرارا.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج أحمد و الترمذی و حسنه و النسائی و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و الطبرانی فی الكبير و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقی فی الدلائل و الضياء عن ابن عباس": فی قوله:« الم غُلِبَتِ الرُّومُ »قال:غلبت و غلبت.

قال:كان المشركون يحبون أن يظهر فارس على الروم،لأنهم أصحاب أوثان، و كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس-لأنهم أصحاب كتاب،فذكروه لأبی بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ص-فقال له رسول الله ص:أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم-فقالوا:اجعل بيننا و بينک أجلا-فإن ظهرنا كان لنا كذا و كذا و إن ظهرتم كان لكم كذا و كذا-فجعل لهم خمس سنين فلم يظهروا-فذكر ذلک أبو بكر لرسول الله ص-فقال:أ لا جعلته-أراه-قال:دون العشر،فظهرت الروم بعد ذلک-فذلک قوله: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فغلبت ثم غلبت بعد.

يقول الله:« لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ-وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّٰهِ »قال سفيان:سمعت أنهم قد ظهروا يوم بدر.

أقول: و فى هذا المعنى روايات أخر مختلفه المضامين فى الجمله ففى بعضها أن المقامره كانت بين أبى بكر و أبى بن خلف و فى بعضها أنها كانت بين المسلمين و المشركين و كان أبو بكر من قبل المسلمين و أبى من قبل المشركين،و فى بعضها أنها كانت بين الطائفتين، و فى بعضها بين أبى بكر و بين المشركين كما فى هذه الروايه.

ثم الأجل المضروب فى بعضها ثلاث سنين،و فى بعضها خمس،و فى بعضها ست، و فى بعضها سبع سنين.

و فى بعضها أن الأجل المضروب أولا انقضى بمكه و هو سبع سنين فمادهم أبو بكر سنتين بأمر من النبى ص فغلبت الروم،و فى بعضها خلافه.

ثم فى بعضها أن الأجل الثانى انقضى بمكه و فى بعضها أنه انقضى بعد الهجره و كانت غلبه الروم يوم بدر،و فى بعضها يوم الحديبيه.

و فى بعضها أن أبا بكر لما قمرهم بغلبه الروم أخذ منهم الخطر و هو مائه قلوص و جاء به إلى النبى ص فقال:إنه سحت تصدق به.

و الذى تتفق فيه الروايات أنه قامرهم فقمرهم و كان القمار بإشاره من النبى ص و وجه ذلك بأنه كان قبل تحريم القمار فإنه حرم مع الخمر فى سوره المائده و قد نزلت فى آخر عهد النبى ص.

و قد تحقق بما قدمناه فى تفسير آيه الخمر و الميسر أن الخمر كانت محرمه من أول البعثه و كان من المعروف من الدين أنه يحرم الخمر و الزنا.

على أن الخمر و الميسر من الإثم بنص آيه البقره: «يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمٰا إِثْمٌ كَبِيرٌ» . XالآيهX:البقره:۲۱۹ و الإثم محرم بنص آيه الأعراف: «قُلْ إِنَّمٰا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوٰاحِشَ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا وَ مٰا بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ» ، XالآيهX:الأعراف:۳۳ و الأعراف من العتائق النازله بمكه فمن الممتنع أن يشير النبى ص بالمقامره.

و على تقدير تأخر الحرمه إلى آخر عهد النبى ص يشكل قوله(ص)لأبى بكر لما أتى بالخطر إليه أنه سحت ثم قوله:تصدق به.فلا سبيل إلى تصحيح شىء من ذلک

بالموازين الفقهيه و قد تكلفوا فى توجيه ذلك بما لا يزيد إلا إشكالا.

ثم إن ما فى الروايه أن الفرس كانوا عبده الأوثان لا يوافق ما كان عليه القوم فإنهم و إن كانوا مشركين لكنهم كانوا لا يتخذون أوثانا.

و فى تفسير القمى،":فى قوله:« يَعْلَمُونَ ظٰاهِراً مِنَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا-وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غٰافِلُونَ »قال:يرون حاضر الدنيا و يتغافلون عن الآخره.

و فى الخصال،: و سئل الصادق(ع)عن قول الله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ » فقال:أ و لم ينظروا فى القرآن.

و فى تفسير القمى،":و قوله عز و جل:« وَ يَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَهُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ »قال:

إلى الجنه و النار.

[سوره الروم (۳۰): الآيات ۲۰ الى ۲۶]

اشاره

وَ مِنْ آيٰاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ إِذٰا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (۲۰) وَ مِنْ آيٰاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوٰاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهٰا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّهً وَ رَحْمَهً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲۱) وَ مِنْ آيٰاتِهِ خَلْقُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوٰانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِلْعٰالِمِينَ (۲۲) وَ مِنْ آيٰاتِهِ مَنٰامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ اَلنَّهٰارِ وَ اِبْتِغٰاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (۲۳) وَ مِنْ آيٰاتِهِ يُرِيكُمُ اَلْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَيُحْيِي بِهِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۲۴) وَ مِنْ آيٰاتِهِ أَنْ تَقُومَ اَلسَّمٰاءُ وَ اَلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذٰا دَعٰاكُمْ دَعْوَهً مِنَ اَلْأَرْضِ إِذٰا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (۲۵) وَ لَهُ مَنْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قٰانِتُونَ (۲۶)

(بیان)

یـذکر فی هـذا الفصل عده من الآیات الداله علی وحدانیته تعالی فی الربوبیه و الألوهیه،و یشار فیها إلی امتزاج الخلق و التدبیر و تداخلهما لیتضح بذلک أن الربوبیه بمعنی ملک التدبیر و الألوهیه بمعنی المعبودیه بالحق لا یستحقهما إلا الله الذی خلق الأشیاء و أوجدها،لا کما یزعم الوثنی أن الخلق لله وحده و التدبیر و العباده لأرباب الأصنام لیکونوا شفعاء لهم عند الله،و لیس له سبحانه إلا أنه رب الأرباب و إله الآلهه.

قوله تعـالی:« وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ »المراد بالخلق من تراب انتهاء خلقه الإنسان إلی الأرض فإن مراتب تکون الإنسان من مضغه أو علقه أو نطفه أو غیرها مرکبات أرضیه تنتهی إلی العناصر الأرضیه.

و قوله:« ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ »إذا فجـائیه أی یفاجئکم أنکم أناسـی تنتشـرون فی الأرض أی یخلقکم من ترکیبات أرضـیه المترقب منها کینونه أرضـیه میته أخری مثلها لکن یفاجئکم دفعه أنه یصیر بشرا ذوی حیاه و شعور عقلی ینتشرون فی الأرض فی سبیل تدمیر أمر الحیاه فقوله:« ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ »فی معنی قوله: «ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ» :المؤمنون:۱۴.

فخلق الإنسـان أی جمع أجزائه من الأـرض و تألیفهـا آیه و کینونه هـذا المجموع إنسانا ذا حیاه و شـعور عقلی آیه أو آیات أخر تدل علی صانع حی علیم یدبر الأمر و یجری هذا النظام العجیب.

و قد ظهر بهذا المعنی أن« ثُمَّ »للتراخی الرتبی و الجمله معطوفه علی قوله:

« خَلَقَکُمْ »لا علی قوله:« أَنْ خَلَقَکُمْ ».

قوله تعالی:« وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها »

إلى آخر الآيه،قال الراغب:يقال لكل واحد من القرينين من الذكر و الأنثى من الحيوانات المتزاوجه: زوج و لكل قرينين فيها و فى غيرها:زوج،قال تعالى:« فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ »و قال:« وَ زَوْجُكَ الْجَنَّهَ »و زوجه لغه رديئه و جمعها زوجات- إلى أن قال-و جمع الزوج أزواج.انتهى.

فقوله:« أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوٰاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهٰا »أى خلق لأجلكم- أو لينفعكم-من جنسكم قرائن و ذلك أن كل واحد من الرجل و المرأه مجهز بجهاز التناسل تجهيزا يتم فعله بمقارنه الآخر و يتم بمجموعهما أمر التوالد و التناسل فكل واحد منهما ناقص فى نفسه مفتقر إلى الآخر و يحصل من المجموع واحد تام له أن يلد و ينسل، و لهذا النقص و الافتقار يتحرك الواحد منهما إلى الآخر حتى إذا اتصل به سكن إليه لأن كل ناقص مشتاق إلى كماله و كل مفتقر مائل إلى ما يزيل فقره و هذا هو الشبق المودع فى كل من هذين القرينين.

و قوله:« وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً » الموده كأنها الحب الظاهر أثره فى مقام العمل فنسبه الموده إلى الحب كنسبه الخضوع الظاهر أثره فى مقام العمل إلى الخشوع الذى هو نوع تأثر نفسانى عن العظمه و الكبرياء.

و الرحمه نوع تأثر نفسانى عن مشاهده حرمان المحروم عن الكمال و حاجته إلى رفع نقيصته يدعو الراحم إلى إنجائه من الحرمان و رفع نقصه.

و من أجل موارد الموده و الرحمه المجتمع المنزلى فإن الزوجين يتلازمان بالموده و المحبه و هما معا و خاصه الزوجه يرحمان الصغار من الأولاد لما يريان ضعفهم و عجزهم عن القيام بواجب العمل لرفع الحوائج الحيويه فيقومان بواجب العمل فى حفظهم و حراستهم و تغذيتهم و كسوتهم و إيوائهم و تربيتهم و لو لا هذه الرحمه لانقطع النسل و لم يعش النوع قط.

و نظير هذه الموده و الرحمه مشهود فى المجتمع الكبير المدنى بين أفراد المجتمع فالواحد منهم يأنس بغيره بالموده و يرحم المساكين و العجزه و الضعفاء الذين لا يستطيعون القيام بواجبات الحياه.

و المراد بالموده و الرحمه فى الآيه الأوليان على ما يعطيه مناسبه السياق أو الأخيرتان على ما يعطيه إطلاق الآيه.

ص :۱۶۶

و قوله:« لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »لأنهم إذا تفكروا فی الأصول التكوينيه التی يبعث الإنسان إلی عقد المجتمع من الذكوره و الأنوثه الداعيتين إلی الاجتماع المنزلی و الموده و الرحمه الباعثين علی الاجتماع المدنی ثم ما يترتب علی هذا الاجتماع من بقاء النوع و استكمال الإنسان فی حياتيه الدنيا و الأخری عثروا من عجائب الآيات الإلهيه فی تدبير أمر هذا النوع علی ما يبهر به عقولهم و تدهش به أحلامهم.

قوله تعالی:« وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ » إلی آخر الآيه.الظاهر أن يكون المراد باختلاف الألسن اختلاف اللغات من العربيه و الفارسيه و الأردويه و غيرها و باختلاف الألوان اختلاف الأمم فی ألوانهم كالبياض و السواد و الصفره و الحمره.

و يمكن أن يستفاد اختلاف الألسنه من جهه النغم و الأصوات و نحو التكلم و النطق و باختلاف الألوان اختلاف كل فردين من أفراد الإنسان بحسب اللون لو دقق فيه النظر علی ما يقول به علماء هذا الشأن.

فالباحثون عن العالم الكبير يعثرون فی نظام الخلقه علی آيات دقيقه داله علی أن الصنع و الإيجاد مع النظام الجاری فيه لا يقوم إلا بالله و لا ينتهی إلا إليه.

قوله تعالی:« وَ مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ »إلی آخر الآيه، الفضل الزياده علی مقدار الحاجه و يطلق علی العطيه لأن المعطی إنما يعطی ما فضل من مقدار حاجته،و المراد به فی الآيه الكريمه الرزق فابتغاء الفضل طلب الرزق.

و فی خلق الإنسان ذا قوی فعاله تبعثه إلی طلب الرزق و رفع حوائج الحياه للبقاء بالحركه و السعی ثم هدايته إلی الاستراحه و السكون لرفع متاعب السعی و تجديد تجهيز القوی و تخصيص الليل و النهار المتعاقبين للسعی و السكون و التسبيب إلی وجود الليل و النهار بأوضاع سماويه قائمه بالأرض و الشمس لآيات نافعه لمن له سمع واع يعقل ما يسمع فإذا وجده حقا اتبعه.

قال فی الكشاف،فی الآيه:هذا من باب اللف و ترتيبه:و من آياته منامكم و ابتغاؤكم من فضله بالليل و النهار إلا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لأنهما زمانان و الزمان و الواقع فيه كشیء واحد مع إعانه اللف علی الاتحاد و يجوز أن

یراد منامکم فی الزمانین و ابتغاؤکم فیهما،و الظاهر هو الأول لتکرره فی القرآن و أسد المعانی ما دل علیه القرآن.انتهی.

و قد ظهر مما تقدم معنی تذییل الآیه بقوله:« إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَسْمَعُونَ ».

قوله تعالی:« وَ مِنْ آیٰاتِهِ یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَیُحْیِی بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا »الظاهر أن الفعل نزل منزله المصدر و لذلک لم یصدر بأن المصدریه کما صدر به قوله:« أَنْ خَلَقَکُمْ »و قوله:« أَنْ خَلَقَ لَکُمْ »و تنزیل الفعل منزله المصدر لغه عربیه جیده و علیه یحمل المثل السائر:«و تسمع بالمعیدی خیر من أن تراه»و لا ضیر فی حمل کلامه تعالی علیه فهو تعالی یأتی فی مفتتح هذه الآیات بفنون التعبیر کقوله:

« مَنٰامُکُمْ »« یُرِیکُمُ »« أَنْ تَقُومَ ».

و احتمل فی قوله:« یُرِیکُمُ »أن یکون بحذف أن المصدریه و التقدیر أن یریکم البرق و أید بقراءه النصب فی یریکم.

و احتمل أن یکون من حذف المضاف،و التقدیر:و من آیاته آیه أن یریکم البرق،و احتمل أن یکون التقدیر و من آیاته آیه البرق ثم استونف فقیل:یریکم البرق إلخ،و احتمل أن یکون« مِنْ آیٰاتِهِ »متعلقا بقوله:« یُرِیکُمُ »،و التقدیر:

و یریکم من آیاته البرق،و احتمل أن یکون« مِنْ آیٰاتِهِ »حالا من البرق،و التقدیر:

و یریکم البرق حال کون البرق من آیاته.

و هذه وجوه متفرقه لا یخفی علیک بعدها علی أن بعضها یخرج الکلام فی الآیه عن موافقه السیاق فی الآیات السابقه النظیره له کالوجهین الأخیرین.

و قوله:« خَوْفاً وَ طَمَعاً »أی خوفا من الصاعقه و طمعا فی المطر،و قوله:

« وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَیُحْیِی بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا »تقدم تفسیره کرارا،و قوله:

« إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ »أی إن أهل التعقل یفقهون أن هناک عنایه متعلقه بهذه المصالح فلیس مجرد اتفاق و صدفه.

قوله تعالی:« وَ مِنْ آیٰاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمٰاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذٰا دَعٰاکُمْ دَعْوَهً مِنَ الْأَرْضِ إِذٰا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ » القیام مقابل القعود و لما کان أعدل حالات الإنسان حیث یقوی به علی عامه أعماله أستعیر لثبوت الشیء و استقراره علی أعدل حالاته کما یستعار

لتدبير الأمر،قال تعالى: «أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ» :الرعد:۳۳.

و المراد بقيام السماء و الأرض بأمر من الله ثبوتهما على حالهما من حركه و سكون و تغير و ثبات بأمره تعالى و قد عرف أمره بقوله: «إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» :يس:۸۲.

و قوله:« ثُمَّ إِذٰا دَعٰاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذٰا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ »« إِذٰا »الأولى شرطيه و« إِذٰا »الثانيه فجائيه قائمه مقام فاء الجزاء و« مِنَ الْأَرْضِ »متعلق بقوله:

« دَعْوَةً »و الجمله معطوفه على محل الجمله الأولى لأن المراد بالجمله أعنى قوله:« ثُمَّ إِذٰا دَعٰاكُمْ »إلخ البعث و الرجوع إلى الله و ليس فى عداد الآيات بل الجمله إخبار بأمر احتج عليه سابقا و سيحتج عليه لاحقا.

و أما قول القائل:إن الجمله على تأويل المفرد و هى معطوفه على« أَنْ تَقُومَ » و التقدير و من آياته قيام السماء و الأرض بأمره ثم خروجكم إذا دعاكم دعوه من الأرض.

فلازمه كون البعث معدودا من الآيات و ليس منها على أن البعث أحد الأصول الثلاثه التى يحتج بالآيات عليه،و لا يحتج به على التوحيد مثلا بل لو احتج فبالتوحيد عليه فافهم ذلك.

و لما كانت الآيات المذكوره من خلق البشر من تراب و خلقهم أزواجا و اختلاف ألسنتهم و ألوانهم و منامهم و ابتغائهم من فضله و إراءه البرق و تنزيل الماء من السماء كلها آيات راجعه إلى تدبير أمر الإنسان كان المراد بقوله:« أَنْ تَقُومَ السَّمٰاءُ وَ الْأَرْضُ » بمعونه السياق ثبات السماء و الأرض على وضعهما الطبيعى و حالهما العاديه ملائمتين لحياه النوع الإنسانى المرتبطه بهما و كان قوله:« ثُمَّ إِذٰا دَعٰاكُمْ »إلخ مترتبا على ذلك ترتب التأخير أى إن خروجهم من الأرض متأخر عن هذا القيام مقارن لخرابهما كما ينبئ به آيات كثيره فى مواضع مختلفه من كلامه تعالى.

و يظهر بذلك أيضا أن المراد من قوله السابق« وَ مِنْ آيٰاتِهِ خَلْقُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »خلقهما من جهه ما يرتبطان بالحياه البشريه و ينفعانها.

و قد رتبت الآيات المذكوره آخذه من بدء خلق الإنسان و تكونه ثم تصنفه صنفين:الذكر و الأنثى ثم ارتباط وجوده بالسماء و الأرض و اختلاف ألسنتهم و ألوانهم

ثم السعى فى طلب الرزق و سكون المنام ثم إراءه البرق و تنزيل الأمطار حتى تنتهى إلى قيام السماء و الأرض إلى أجل مسمى ليتم لهذا النوم الإنسانى ما قدر له من أمد الحياه و يعقب ذلك البعث فهذا بعض ما فى ترتيب ذكر هذه الآيات من النكات.

و قد رتبت الفواصل أعنى قوله« يَتَفَكَّرُونَ »« لِلْعالِمِينَ »« يَسْمَعُونَ »« يَعْقِلُونَ » على هذا الترتيب لأن الإنسان يتفكر فيصير عالما ثم إذا سمع شيئا من الحقائق وعاه ثم عقله و الله أعلم.

قوله تعالى:« وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ »كانت الآيات المذكوره مسوقه لإثبات ربوبيته تعالى و ألوهيته كما تقدمت الإشاره إليه و لما انتهى الكلام إلى ذكر البعث و الرجوع إلى الله عقب ذلك بالبرهان على إمكانه و الحجه مأخوذه من الخلق و التدبير المذكورين فى الآيات السابقه.

فقوله:« وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ »إشاره إلى إحاطه ملكه الحقيقى لجميع من فى السماوات و الأرض و هم المحشورون إليه و ذلك لأن وجودهم من جميع الجهات قائم به تعالى قيام فقر و حاجه لا استقلال و لا استغناء لهم عنه بوجه من الوجوه و هذا هو الملك الحقيقى الذى أثره جواز تصرف المالك فى ملكه كيف شاء فله تعالى أن يتصرف فى مملوكيه بنقلهم من النشأه الدنيا إلى النشأه الآخره.

و قد أكد ذلك بقوله:« كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ »و القنوت لزوم الطاعه مع الخضوع -على ما ذكره الراغب فى المفردات-،و المراد بالطاعه مع الخضوع الطاعه التكوينيه- على ما يعطيه السياق-دون التشريعيه التى ربما تخلفت.

و ذلك أنهم الملائكه و الجن و الإنس فأما الملائكه فليس عندهم إلا خضوع الطاعه،و أما الجن و الإنس فهم مطيعون منقادون للعلل و الأسباب الكونيه و كلما احتالوا فى إلغاء أثر عله من العلل أو سبب من الأسباب الكونيه توسلوا إلى عله أخرى و سبب آخر كونى ثم علمهم و إرادتهم كاختيارهم جميعا من الأسباب الكونيه فلا يكون إلا ما شاء الله أى الذى تمت علله فى الخارج و لا يتحقق مما شاءوا إلا ما أذن فيه و شاءه فهو المالك لهم و لما يملكونه.

[سوره الروم (۳۰): الآيات ۲۷ الى ۳۹]

اشاره

وَ هُوَ اَلَّذِی يَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ اَلْمَثَلُ اَلْأَعْلىٰ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۲۷) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ مِنْ شُرَكٰاءَ فِی مٰا رَزَقْنٰاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوٰاءٌ تَخٰافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ اَلْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۲۸) بَلِ اِتَّبَعَ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوٰاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِی مَنْ أَضَلَّ اَللّٰهُ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ (۲۹) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اَللّٰهِ اَلَّتِی فَطَرَ اَلنّٰاسَ عَلَيْهٰا لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اَللّٰهِ ذٰلِكَ اَلدِّينُ اَلْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ (۳۰) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اِتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ لاٰ تَكُونُوا مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۳۱) مِنَ اَلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كٰانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (۳۲) وَ إِذٰا مَسَّ اَلنّٰاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذٰا أَذٰاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذٰا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (۳۳) لِيَكْفُرُوا بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳۴) أَمْ أَنْزَلْنٰا عَلَيْهِمْ سُلْطٰاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمٰا كٰانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (۳۵) وَ إِذٰا أَذَقْنٰا اَلنّٰاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهٰا وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذٰا هُمْ يَقْنَطُونَ (۳۶) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اَللّٰهَ يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۳۷) فَآتِ ذَا اَلْقُرْبىٰ حَقَّهُ وَ اَلْمِسْكِينَ وَ اِبْنَ اَلسَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اَللّٰهِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۳۸) وَ مٰا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِی أَمْوٰالِ اَلنّٰاسِ فَلاٰ يَرْبُوا عِنْدَ اَللّٰهِ وَ مٰا آتَيْتُمْ مِنْ زَكٰاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اَللّٰهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُضْعِفُونَ (۳۹)

(بيان)

لما انساق الاحتجاج على الوحدانيه و المعاد من طريق عد الآيات الداله على ذلك بقوله:« وَ مِنْ آيَاتِهِ »إلى قوله:« وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ »الآيه،و هو من صفات الفعل غير سياق الاحتجاج بالآيات إلى سياق الاحتجاج بصفاته الفعليه و أوردها إلى آخر السوره فى أربعه فصول يورد فى كل فصل شيئا من صفات الفعل المستوجبه للوحدانيه و المعاد و هى قوله:« وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ »إلخ،و قوله:« اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ »إلخ،و قوله:« اَللّٰهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ »إلخ،و قوله:« اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ »إلخ.

و إنما لم يبدأ الفصل الأول باسم الجلاله كما بدأ به فى الفصول الأخر لسبق ذكره فى الآيه السابقه عليه المتصله به أعنى قوله:« وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ »الذى هو كالبرزخ المتوسط بين السياقين،فقوله:« وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ »فصل فى صوره الوصل.

قوله تعالى:« وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »إلى آخر الآيه، بدء الخلق إنشاؤه ابتداء من غير مثال سابق و الإعاده إنشاء بعد إنشاء.

و قوله:« وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »الضمير الأول للإعاده المفهوم من قوله:« يُعِيدُهُ » و الضمير الثانى راجع إليه تعالى على ما يتبادر من السياق.

و قد استشكل قوله:« وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »الدال ظاهرا على كون الإعاده أسهل و أهون عليه من البدء و هو ينافى كون قدرته مطلقه غير محدوده فإن القدره

اللامتناهيه لا تختلف حالها فى تعلقها بشىء دون شىء فتعلقها بالصعب و السهل على السواء فلا معنى لاسم التفضيل هاهنا.

و قد أجيب عنه بوجوه:

منها:أن ضمير« عَلَيْهِ »راجع إلى الخلق دونه تعالى و الإعاده أهون على الخلق لأنه مسبوق بالابتداء الذى يسهل الفعل على الفاعل بتحققه منه مره أو أزيد بخلاف الابتداء الذى لا يسبقه فعل،فالابتداء أصعب بالطبع بالنسبه إلى الإعاده و الإعاده بالعكس،فالمعنى:أن الإعاده أهون من البدء بالنسبه إلى الخلق و إذا كان كذلك بالنسبه إلى الخلق فما ظنك بالخالق.

و فيه أن رجوع الضمير إلى الخلق خلاف ظاهر الآيه.

و منها:أن أفعل هاهنا منسلخ عن معنى التفضيل فأهون عليه بمعنى هين عليه نظير قوله:« مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ ».

و فيه أنه تحكم ظاهر لا دليل عليه.

و منها:أن التفضيل إنما هو للإعاده فى نفسها بالقياس إلى الإنشاء الابتدائى لا بالنسبه إليه تعالى و وقوع التفضيل بين فعل منه و فعل لا بأس به كما فى قوله تعالى:

«لَخَلْقُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّٰاسِ» :المؤمن:۵۷.

و هذا هو الذى يستفاد من كلام الزمخشرى إذ يقول:فإن قلت:ما بال الإعاده استعظمت فى قوله:« ثُمَّ إِذٰا دَعٰاكُمْ »حتى كأنها فضلت على قيام السماوات و الأرض بأمره ثم هونت بعد ذلك؟قلت:الإعاده فى نفسها عظيمه لكنها هونت بالقياس إلى الإنشاء.انتهى.

و فيه أن تقييد الوصف بقوله:« عَلَيْهِ »أصدق شاهد على أن القياس الواقع بين الإعاده و الإنشاء إنما هو بالنسبه إليه تعالى لا بين نفس الإعاده و الإنشاء فالإشكال على ما كان.

و منها:أن التفضيل إنما هو بالنظر إلى الأصول الدائره بين الناس و الموازين المتبعه عندهم لا بالنظر إلى الأمر فى نفسه،لما يرون أن تكرر الوقوع حتى لمره واحده يوجب سهولته على الفاعل بالنسبه إلى الفعل غير المسبوق بمثله فكأنه قيل:و الإعاده

أهون علیه بالنظر إلی أصولکم العلمیه المتبعه عندکم و إلا فالإنشاء و الإعاده بالنسبه إلیه تعالی علی السواء.

و فیه أنه معنی صحیح فی نفسه لکن الشأن فی استفادته من اللفظ و لا شاهد علیه من جهه لفظ الآیه.

و منها:ما ذکره أیضا فی الکشاف،قال:و وجه آخر و هو أن الإنشاء من قبیل التفضل الذی یتخیر فیه الفاعل بین أن یفعله و أن لا یفعله و الإعاده من قبیل الواجب الذی لا بد له من فعله لأنها لجزاء الأعمال و جزاؤها واجب و الأفعال إما محال و المحال ممتنع أصلا خارج عن المقدور و أما ما یصرف الحکیم عن فعله صارف و هو القبیح و هو ردیف المحال لأن الصارف یمنع وجود الفعل کما تمنعه الإحاله،و إما تفضل و التفضل حاله بین بین للفاعل أن یفعله و أن لا یفعله،و إما واجب لا بد من فعله و لا سبیل إلی الإخلال به.

فکان الواجب أبعد الأفعال من الامتناع و أقربها من الحصول فلما کانت الإعاده من قبیل الواجب کانت أبعد الأفعال من الامتناع و إذا کانت أبعدها من الامتناع کانت أدخلها فی التأتی و التسهل فکانت أهون منها و إذا کانت أهون منها کانت أهون من الإنشاء انتهی.

و فیه أولا:أنه مبنی علی تحقق الأشیاء بالأولویه دون الوجوب و قد تحقق فی محله بطلانه.

و ثانیا:أن القرب و البعد اللذین ذکرهما تصویر عقلی محض و السهوله و الصعوبه وصفان وجودیان یتصف بهما وجود الشیء من حیث صدوره عن فاعله الموجد له و لا یبتنی الوصف الوجودی علی الاعتبار العقلی.

و ثالثا:أن الإنشاء أیضا کالإعاده فی الابتناء علی المصلحه و هی الغایه فما لم یکن الإنشاء ذا مصلحه موجبه لم یتحقق کما أن الإعاده کذلک فهما فی القرب و البعد من الامتناع علی السواء کما قیل.

و رابعا:أن مقتضی هذا الوجه کون الإعاده أهون من الإنشاء بالنظر إلی أنفسهما فیعود فی الحقیقه إلی الوجه الثالث و یتوجه إلیه ما توجه إلیه.

و الذی ینبغی أن یقال أن الجمله أعنی قوله:« وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »معلل بقوله بعده:« وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »فهو الحجه المثبته لقوله:« وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ».

و المستفاد من قوله:« وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ »إلخ،إن کل وصف کمالی یمثل به شیء فی السماوات و الأرض کالحیاه و القدره و العلم و الملک و الجود و الکرم و العظمه و الکبریاء و غیرها فلله سبحانه أعلی ذلک الوصف و أرفعها من مرتبه تلک الموجودات المحدوده کما قال: «وَ لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ» :الأعراف:۱۸۰.

و ذلک أن کل وصف من أوصاف الکمال اتصف به شیء مما فی السماوات و الأرض فله فی حد نفسه ما یقابله فإنه مما أفاضه الله علیه و هو فی نفسه خال عنه فالحی منها میت فی ذاته و القادر منها عاجز فی ذاته و لذلک کان الوصف فیها محدودا مقیدا بشیء دون شیء و حال دون حال،و هکذا فالعلم فیها مثلا لیس مطلقا غیر محدود بل محدود مخلوط بالجهل بما وراءه و کذلک الحیاه و القدره و الملک و العظمه و غیرها.

و الله سبحانه هو المفیض لهذه الصفات من فضله و الذی له من معنی هذه الصفات مطلق غیر محدود و صرف غیر مخلوط فلا جهل فی مقابل علمه و لا ممات یقابل حیاته و هکذا فله سبحانه من کل صفه یتصف به الموجودات السماویه و الأرضیه-و هی صفات غیر ممحضه و لا مطلقه-ما هو أعلاها أی مطلقها و محضها.

فکل صفه توجد فیه تعالی و فی غیره من المخلوقات،فالذی فیه أعلاها و أفضلها و الذی فی غیره مفضول بالنسبه إلی ما عنده.

و لما کانت الإعاده متصفه بالهون إذا قیس إلی الإنشاء فیما عند الخلق فهو عنده تعالی أهون أی هون محض غیر مخلوط بصعوبه و مشقه بخلاف ما عندنا معاشر الخلق و لا یلزم منه أن یکون فی الإنشاء صعوبه و مشقه علیه تعالی لأن المشقه و الصعوبه فی الفعل تتبع قدره الفاعل بالتعاکس فکلما قلت القدره کثرت المشقه و کلما کثرت قلت حتی إذا کانت القدره غیر متناهیه انعدمت المشقه من رأس،و قدرته تعالی غیر متناهیه فلا یشق علیه فعل أصلا و هو المستفاد من قوله:« إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » فإن القدره إذا جاز تعلقها بکل شیء لم تکن إلا غیر متناهیه فافهم ذلک.

ص :۱۷۵

و قوله:« وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »تقدم أنه فى مقام الحجه بالنسبه إلى قوله:« وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »و محصله أن كل صفه كماليه يتصف به شىء مما فى السماوات و الأرض من جمال أو جلال فإن لله سبحانه أعلاها أى مطلقها من غير تقييد و محضها من غير شوب و صرفها من غير خلط.

و قوله:« وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »فى مقام التعليل بالنسبه إلى قوله:« وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ »إلخ،أى إنه تعالى عزيز واجد لكل ما يفقده غيره ممتنع من أن يمتنع عليه شىء حكيم لا يعرض فعله فتور،و لو لم تكن صفه من صفاته مثلا أعلى مما عند غيره من الممكنات كانت محدوده غير مطلقه و مخلوطه غير صرفه غير خاليه من النقص و القصور فاستذله ذاك القصور فلم يكن عزيزا على الإطلاق و أحدث ذاك النقص فى فعله ثلمه و فتورا فلم يكن حكيما على الإطلاق.

قوله تعالى:« ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ مِنْ شُرَكٰاءَ فِي مٰا رَزَقْنٰاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوٰاءٌ تَخٰافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ »إلخ،« مِنْ »فى قوله:« مِنْ أَنْفُسِكُمْ »لابتداء الغايه أى ضرب لكم مثلا متخذا من أنفسكم منتزعا من الحالات التى لديكم،و قوله:« هَلْ لَكُمْ »شروع فى المثل المضروب و الاستفهام للإنكار،و« مٰا » فى« مِنْ مٰا مَلَكَتْ »للنوع أى من نوع ما ملكت أيمانكم من العبيد و الإماء،و« مِنْ » فى« مِنْ شُرَكٰاءَ »زائده و هو مبتدأ،و قوله:« فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوٰاءٌ »تفريع على الشركه، و« فَأَنْتُمْ »خطاب شامل للمالكين و المملوكين على طريق التغليب،و قوله:« تَخٰافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ »أى تخافون المماليك الشركاء أن تستبدوا فى تصرف المال المشترك من غير إذن منهم و رضى كما تخافون أنفسكم من الشركاء الأحرار.

و هذا مثل ضربه الله لبيان بطلان ما يزعمون أن الله سبحانه مما خلق شركاء فى الألوهيه و الربوبيه و قد ألقى المثل فى صوره الاستفهام الإنكارى:هل يوجد بين مماليككم من العبيد و الإماء من يكونون شركاء لكم فى الأموال التى رزقناكم-و الحال أنهم مماليك لكم تملكونهم و ما فى أيديهم-بحيث تخافونهم من التصرف فى أموالكم بغير إذن منهم و رضى كما تخافون الشركاء الأحرار من نوع أنفسكم؟!.

لا يكون ذلك أبدا و لا يجوز أن يكون المملوك شريكا لمولاه فى ماله و إذا لم

يجز فكيف يجوز أن يكون بعض من خلقه الله كالملائكه و الجن و هم عبيده المملوكون شركاء له فيما يملك من مخلوقيه و آلهه و أربابا من دونه؟.

ثم تمم الكلام بقوله:« كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »و فيه تمهيد لما يتلوه من الكلام.

قوله تعالى:« بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوٰاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ »إضراب عما يستفاد من ذيل الآيه السابقه و التقدير و هؤلاء المشركون لم يبنوا شركهم على التعقل بل اتبعوا فى ذلك أهواءهم بغير علم.

و كان مقتضى الظاهر أن يقال:بل اتبع الذين أشركوا و إنما بدله من قوله:

« بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا »فوصفهم بالظلم ليتعلل به ما سيصفهم بالضلال فى قوله:« فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ »فالظلم يستتبع الإضلال الإلهى،قال تعالى: «يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّٰابِتِ فِى الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا وَ فِى الْآخِرَهِ وَ يُضِلُّ اللّٰهُ الظّٰالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللّٰهُ مٰا يَشٰاءُ» :إبراهيم:٢٧.

فقوله:« فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ »استفهام إنكارى مدلوله الإيئاس من نعمه الهدايه للمشركين المتبعين لأهوائهم مع ظهور الحق لهم لمكان ظلمهم الموجب لإضلالهم و قد تكرر فى كلامه تعالى:« إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ ».

و قوله:« وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ »نفى لنجاتهم بنصره الناصرين لهم من غيرهم بعد ما لم ينالوا النجاه من الضلال و تبعاته من عند أنفسهم لإضلال الله لهم و نفى الجمع دليل على أن لغيرهم ناصرين كالشفعاء.

و قول القائل إن معنى نفى الناصرين لهم أنه ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو المشهور من مقابله الجمع بالجمع غير مطرد.

و معنى الآيه:بل اتبع الذين ظلموا بشركهم أهواءهم بغير علم و تعقل فأضلهم الله بظلمهم و لا هادى يهديهم و ليس لهم ناصرون ينصرونهم.

قوله تعالى:« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِى فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْهٰا لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ »الكلام متفرع على ما تحصل

من الآیات السابقه المثبته للمبدإ و المعاد أی إذا ثبت أن الخلق و التدبیر لله وحده لا شریک له و هو سیبعث و یحاسب و لا نجاه لمن أعرض عنه و أقبل علی غیره فأقم وجهک للدین و الزمه فإنه الدین الذی تدعو إلیه الخلقه الإلهیه.

و قیل:الکلام متفرع علی معنی التسلیه المفهوم من سیاق البیان السابق الدال علی ما هو الحق و أن المشرکین لظلمهم اتبعوا الأهواء و أعرضوا عن التعقل الصحیح فأضلهم الله و لم یأذن لناصر ینصرهم بالهدایه و لا لمنقذ ینقذهم من الضلال لا أنت و لا غیرک فاستیئس منهم و اهتم بخاصه نفسک و من تبعک من المؤمنین و أقم وجهک و من تبعک للدین.

فقوله:« فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ »المراد بإقامه الوجه للدین الإقبال علیه بالتوجه من غیر غفله منه کالمقبل علی الشیء بقصر النظر فیه بحیث لا یلتفت عنه یمینا و شمالا و الظاهر أن اللام فی الدین للعهد و المراد به الإسلام.

و قوله:« حَنِیفاً »حال من فاعل أقم و جوز أن یکون حالا من الدین أو حالا من الوجه و الأول أظهر و أنسب للسیاق،و الحنف میل القدمین إلی الوسط و المراد به الاعتدال.

و قوله:« فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِی فَطَرَ النّٰاسَ عَلَیْهٰا » الفطره بناء نوع من الفطر بمعنی الإیجاد و الإبداع و« فِطْرَتَ اللّٰهِ »منصوب علی الإغراء أی الزم الفطره ففیه إشاره إلی أن هذا الدین الذی یجب إقامه الوجه له هو الذی یهتف به الخلقه و یهدی إلیه الفطره الإلهیه التی لا تبدیل لها.

و ذلک أنه لیس الدین إلا سنه الحیاه و السبیل التی یجب علی الإنسان أن یسلکها حتی یسعد فی حیاته فلا غایه للإنسان یتبعها إلا السعاده و قد هدی کل نوع من أنواع الخلیقه إلی سعادته التی هی بغیه حیاته بفطرته و نوع خلقته و جهز فی وجوده بما یناسب غایته من التجهیز،قال تعالی: «رَبُّنَا الَّذِی أَعْطیٰ کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ» ، :طه:۵۰ و قال: «الَّذِی خَلَقَ فَسَوّٰی وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدیٰ» :الأعلی:۳.

فالإنسان کسائر الأنواع المخلوقه مفطور بفطره تهدیه إلی تتمیم نواقصه و رفع حوائجه و تهتف له بما ینفعه و ما یضره فی حیاته،قال تعالی: «وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا

فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها» ، :الشمس:۸ و هو مع ذلک مجهز بما یتم له به ما یجب له أن یقصده من العمل،قال تعالی: «ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ» :عبس:۲۰.

فللإنسان فطره خاصه تهدیه إلی سنه خاصه فی الحیاه و سبیل معینه ذات غایه مشخصه لیس له إلا أن یسلکها خاصه و هو قوله:« فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها » و لیس الإنسان العائش فی هذه النشأه إلا نوعا واحدا لا یختلف ما ینفعه و ما یضره بالنظر إلی هذه البنیه المؤلفه من روح و بدن فما للإنسان من جهه أنه إنسان إلا سعاده واحده و شقاء واحد فمن الضروری حینئذ أن یکون تجاه عمله سنه واحده ثابته یهدیه إلیها هاد واحد ثابت.

و لیکن ذاک الهادی هو الفطره و نوع الخلقه و لذلک عقب قوله« فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها »بقوله:« لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللّهِ ».

فلو اختلفت سعاده الإنسان باختلاف أفراده لم ینعقد مجتمع واحد صالح یضمن سعاده الأفراد المجتمعین،و لو اختلفت السعاده باختلاف الأقطار التی تعیش فیها الأمم المختلفه بمعنی أن یکون الأساس الوحید للسنه الاجتماعیه أعنی الدین هو ما یقتضیه حکم المنطقه کان الإنسان أنواعا مختلفه باختلاف الأقطار،و لو اختلفت السعاده باختلاف الأزمنه بمعنی أن تکون الأعصار و القرون هی الأساس الوحید للسنه الدینیه اختلفت نوعیه کل قرن و جیل مع من ورثوا من آبائهم أو أخلفوا من أبنائهم و لم یسر الاجتماع الإنسانی سیر التکامل و لم تکن الإنسانیه متوجهه من النقص إلی الکمال إذ لا یتحقق النقص و الکمال إلا مع أمر مشترک ثابت محفوظ بینهما.

و لیس المراد بهذا إنکار أن یکون لاختلاف الأفراد أو الأمکنه أو الأزمنه بعض التأثیر فی انتظام السنه الدینیه فی الجمله بل إثبات أن الأساس للسنه الدینیه هو البنیه الإنسانیه التی هی حقیقه واحده ثابته مشترکه بین الأفراد،فللإنسانیه سنه واحده ثابته بثبات أساسها الذی هو الإنسان و هی التی تدیر رحی الإنسانیه مع ما یلحق بها من السنن الجزئیه المختلفه باختلاف الأفراد أو الأمکنه أو الأزمنه.

و هذا هو الذی یشیر إلی قوله بعد:« ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ »و سنزید المقام إیضاحا فی بحث مستقل إن شاء الله تعالی.

و للقوم فی مفردات الآیه و معناها أقوال أخر متفرقه:

منها:أن المراد بإقامه الوجه تسدید العمل فإن الوجه هو ما یتوجه إلیه و هو العمل و إقامته تسدیده.

و فیه:أن وجه العمل هو غایته المقصوده منه و هی غیر العمل و الذی فی الآیه هو« فَأَقِمْ وَجْهَکَ »و لم یقل فأقم وجه عملک.

و منها:أن« فِطْرَتَ اللّٰهِ »منصوب بتقدیر أعنی و الفطره هی المله،و المعنی:

اثبت و أدم الاستقامه للدین أعنی المله التی خلق الله الناس علیها لا تبدیل لخلق الله.

و فیه:أنه مبنی علی اختلاف المراد بالفطره و هی المله و« فَطَرَ النّٰاسَ »و هو الخلقه و التفکیک خلاف ظاهر الآیه و لو أخذ« فَطَرَ النّٰاسَ »بمعنی الإدانه أی الحمل علی الدین و هو التوحید بقی قوله:« لاٰ تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ »لا یلائم ما قبله.

علی أن فیه خلاف ظاهر آخر و هو حمل الدین علی التوحید،و لو أخذ الدین بمعنی الإسلام أو مجموع الدین کله و أبقیت الفطره علی معناه المتبادر منها و هو الخلقه لم یستقم تقدیر«أعنی»فإن الدین بهذا المعنی غیر الفطره بمعنی الخلقه.

و منها:أن« فِطْرَتَ »بدل من« حَنِیفاً »و الفطره بمعنی المله و یرد علیه ما یرد علی سابقه.

و منها:أن« فِطْرَتَ »مفعول مطلق لفعل محذوف مقدر،و التقدیر:فطر الله فطره فطر الناس علیها و فساده غنی عن البیان.

و منها:أن معناه اتبع من الدین ما دلک علیه فطره الله و هو ما دلک علیه ابتداء خلقه للأشیاء لأنه خلقهم و رکبهم و صورهم علی وجه یدل علی أن لهم صانعا قادرا عالما حیا قدیما واحدا لا یشبه شیئا و لا یشبهه شیء.

و فیه أنه مبنی علی کون« فِطْرَتَ »منصوبا بتقدیر اتبع و قد ذکره أبو السعود و قبله أبو مسلم المفسر فیکون المراد من اتباع الفطره اتباع دلاله الفطره بمعنی الخلقه و المراد بعدم تبدیل الخلق عدم تغیره فی الدلاله علی الصانع بما له من الصفات الکریمه، و هذا قریب من المعنی الذی قدمناه للآیه بحمل« فِطْرَتَ »علی الإغراء لکن یبقی علیه أن الآیه عامه لا دلیل علی تخصیصها بالتوحید.

ص :۱۸۰

و منها:أن لا فى قوله:« لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ » تفيد النهى أى لا تبدلوا خلق الله أى دينه الذى أمرتم بالتمسک به،أو لا تبدلوا خلق الله بإنكار دلالته على التوحيد و منه ما نسب إلى ابن عباس أن المراد به النهى عن الخصاء.

و فيه أن لا دليل على أخذ الخلق بمعنى الدين و لا موجب لتسميه الإعراض عن دلاله الخلقه أو إنكارها تبديلا لخلق الله.و أما ما نسب إلى ابن عباس ففساده ظاهر.

و منها:ما ذكره الرازى فى التفسير الكبير،قال:و يحتمل أن يقال:خلق الله الخلق لعبادته و هم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله أى ليس كونهم عبيدا مثل كون المملوک عبدا للإنسان فإنه ينتقل عنه إلى غيره و يخرج عن ملكه بالعتق بل لا-خروج للخلق عن العباده و العبوديه.و هذا لبيان فساد قول من يقول:العباده لتحصيل الكمال و العبد يكمل بالعباده فلا يبقى عليه تكليف،و قول المشركين:إن الناقص لا يصلح لعباده الله و إنما الإنسان عبد الكواكب و الكواكب عبيد الله،و قول النصارى إن عيسى كان يحل الله فيه و صار إلها فقال: لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلک.انتهى.

و فيه أنه مغالطه بين الملک و العباده التكوينيين و الملک و العباده التشريعيين فإن ملكه تعالى الذى لا يقبل الانتقال و البطلان ملک تكوينى بمعنى قيام وجود الأشياء به تعالى و العباده التى بإزائه عباده تكوينيه و هو خضوع ذوات الأشياء له تعالى و لا تقبل التبديل و الترک كما فى قوله: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» ، :إسراء:۴۴ و أما العباده الدينيه التى تقبل التبديل و الترک فهى عباده تشريعيه بإزاء الملک التشريعى المعتبر له تعالى فافهمه.

و لو دل قوله:« لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ »على عدم تبديل الملک و العباده و العبوديه لدل على التكوينى منهما و الذى يبدله القائلون بارتفاع التكليف عن الإنسان الكامل أو بعباده الكواكب أو المسيح فإنما يعنى به التشريعى منهما.

قوله تعالى:« مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ لاٰ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » تعميم للخطاب بعد تخصيصه بالنبى ص نظير قوله: «يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذٰا طَلَّقْتُمُ النِّسٰاءَ» ، :الطلاق:۱ و قوله: «فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ وَ مَنْ تٰابَ مَعَكَ وَ لاٰ تَطْغَوْا» ، :هود:۱۱۲

فیئول المعنی إلی نحو من قولنا:فأقم وجهک للدین حنیفا أنت و من معک منیبین إلی الله،و الإنابه الرجوع بالتوبه.

و قوله:« وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِیمُوا الصَّلاٰهَ »التقوی بحسب دلاله المقام یشمل امتثال أوامره و الانتهاء عن نواهیه تعالی فاختصاص إقامه الصلاه من بین سائر العبادات بالذکر للاعتناء بشأنها فهی عمود الدین.

و قوله:« وَ لاٰ تَکُونُوا مِنَ الْمُشْرِکِینَ »القول فی اختصاصه من بین المحرمات بالذکر نظیر القول فی الصلاه فالشرک بالله أکبر الکبائر الموبقه،و قد قال تعالی:

«إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ» ، :النساء:۴۸ إلی غیر ذلک من الآیات.

قوله تعالی:« مِنَ الَّذِینَ فَرَّقُوا دِینَهُمْ وَ کٰانُوا شِیَعاً کُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَیْهِمْ فَرِحُونَ » «من»للتبیین و« مِنَ الَّذِینَ فَرَّقُوا دِینَهُمْ »إلخ،بیان للمشرکین و فیه تعریفهم بأخص صفاتهم فی دینهم و هو تفرقهم فی دینهم و عودهم شیعه شیعه و حزبا حزبا یفرح و یسر کل شیعه و حزب بما عندهم من الدین و السبب فی ذلک ما ذکره قبیل هذا بقوله:« بَلِ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَهْوٰاءَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ فَمَنْ یَهْدِی مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ وَ مٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِینَ »فبین أنهم بنوا دینهم علی أساس الأهواء و أنه لا یهدیهم و لا هادی غیره.

و من المعلوم أن هوی النفس لا یتفق فی النفوس بل و لا یثبت علی حال واحده دون أن یختلف باختلاف الأحوال و إذا کان هو الأساس للدین لم یلبث دون أن یسیر بسیر الأهواء و ینزل بنزولها،و لا فرق فی ذلک بین الدین الباطل و الدین الحق المبنی علی أساس الهوی.

و من هنا یظهر أن النهی عن تفرق الکلمه فی الدین نهی فی الحقیقه عن بناء الدین علی أساس الهوی دون العقل،و ربما احتمل کون الآیه استئنافا من الکلام و هو لا یلائم السیاق.

و فی الآیه ذم للمشرکین بما عندهم من صفه التفرق فی الکلمه و التحزب فی الدین.

قوله تعالی:« وَ إِذٰا مَسَّ النّٰاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِیبِینَ إِلَیْهِ ثُمَّ إِذٰا أَذٰاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَهً إِذٰا فَرِیقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ یُشْرِکُونَ »التعبیر بالمس للدلاله علی القله و الخفه و تنکیر ضر

و رحمه أيضا لـذلك و المعنى:إذا أصـاب النـاس شـىء من الضـر و لو قليلاـ كمرض ما و فقر ما و شـده ما دعوا ربهم و هو الله سبحـانه حـال كونهم راجعين من غيره ثم إذا أذاقهم الله من عنـده رحمه إذا فريق من هؤلاـء الناس بربهم الـذى كانوا يـدعونه و يعترفون بربوبيته يشركون باتخاذ الأنداد و الشركاء.

أى إنهم كافرون للنعمه طبعا و إن اعترفوا بها عند الضر و قد أخذ لذلك فريقا منهم لأن منهم من ليس كذلك.

قوله تعالى:« لِيَكْفُرُوا بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ »تهديد لأولئك المشـركين عند إذاقه الرحمه و اللام فى« لِيَكْفُرُوا »للأمر الغائب و قوله:« فَتَمَتَّعُوا » متفرع على سابقه و هو أمر آخر و الأمران جميعا للتهديد،و الالتفات من الأمر الغائب إلى الأمر الحاضـر لثوران الوجـد و السـخط من تفريطهم فى جنب الله و اسـتهانتهم بأمره فقـد بلغ منهم ذلك أن يتضـرعوا عنـد الضـر و يكفروا إذا كشف.

قوله تعـالى:« أَمْ أَنْزَلْنٰا عَلَيْهِمْ سُلْطٰاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمٰا كٰانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ »« أَمْ » منقطعه و المراد بالإنزال الاعلام أو التعليم مجازا،و السلطان البرهان،و المراد بالتكلم الدلاله مجازا فالمعنى بل أعلمناهم برهانا فهو يدل على ما كانوا به يشركون أو بشركهم.

و يمكن أن يراد بالسـلطان ذو السـلطان و هو الملك فلا مجاز فى الإنزال و التكلم و المعنى:بل أ أنزلنا عليهم ملكا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو بشركهم.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا أَذَقْنَا النّٰاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهٰا وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذٰا هُمْ يَقْنَطُونَ » الإذاقه كالمس تدل على قليل النيل و يسيره،و القنوط اليأس.

و إذا الأولى شـرطيه و الثانيه فجائيه و المقابله بين« إِذٰا »فى إذاقه الرحمه و« إِنْ »فى إصابه السيئه لأن الرحمه كثيره قطعيه و السيئه قليله احتماليه،و نسـبه الرحمه إليه تعالى دون السـيئه لأن الرحمه وجوديه مفاضه منه تعالى و السيئه عدميه هى عدم الإفاضه و لذا عللها بقوله:« بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ »،و فى تعليل السيئه بذلك و عدم التعليل فى جانب الرحمه بشىء إشاره إلى أن الرحمه تفضل.

و التعبير فى الرحمه بقـوله:« فَرِحُوا »و فى السـيئه بقوله:« إِذٰا هُمْ يَقْنَطُونَ » للـدلاله على حـدوث القنوط و لم يكن بمـترقب فـإن الرحمه و السيئه بيد الله و الرحمه واسعه

و لهذا عبر بالمضارع الدال على الحال لتمثيل حالهم.

و المراد بالآيه بيان أن الناس لا يعدو نظرهم ظاهر ما يشاهدونه من النعمه و النقمه إذا وجدوا فرحوا بها من غير أن يتبصروا و يعقلوا أن الأمر بيد غيرهم و بمشيه من ربهم إذا لم يشأ لم يكن،و إذا فقدوا قنطوا كان ليس ذلك بإذن من ربهم و إذا لم يشأ لم يأذن و فتح باب النعمه فهم ظاهريون سطحيون.

و بهذا يتضح أن لا تدافع بين هذه الآيه و بين قوله السابق:« وَ إِذٰا مَسَّ النّٰاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ »الآيه و ذلك أن مدلول هذه الآيه أن أفهامهم سطحيه إذا وجدوا فرحوا و إذا فقدوا قنطوا و مدلول تلك أنهم إذا وجدوا فرحوا و إذا فقدوا دعوا الله و هم قانطون من الشیء و أسبابه منيبين راجعين إلى الله سبحانه فلا تدافع.

و ربما أجيب بأن المراد بالناس فی هذه الآيه فريق آخر غير الفريق المراد بالناس فی الآيه السابقه و لو فرض اتحادهما كان ما ذكر من دعائهم فی حال و قنوطهم فی حال أخرى.

و أجيب عنه أيضا بأن الدعاء لسانی جار على العاده و لا ينافی القنوط الذی هو أمر قلبی و أنت خبير بما فی كل من الجوابين من الفتور.

و أجيب أيضا أن المراد بقنوطهم فعلهم فعل القانطين كالاهتمام بجمع الذخائر أيام الغلاء.و فيه مضافا إلى عدم الدليل على ذلك أنه لا يلائم معنى المفاجأه فی القنوط.

قوله تعالى:« أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »بيان لخطئهم فی المبادره إلى الفرح و القنوط عند إذاقه الرحمه و إصابه السيئه فإن الرزق فی سعته و ضيقه تابع لمشيه الله فعلى الإنسان أن يعلم أن الرحمه التی ذاقها و السيئه التی أصابته ممكنه الزوال بمشيه الله سبحانه و لا موجب للفرح بما لا يؤمن فقده و لا للقنوط مما يرجى زواله.

و أما أنه أمر ظاهر للإنسان مقطوع به كأنه يراه فلأن الرزق الذی يناله الإنسان أو يكتسبه متوقف الوجود على ألوف و ألوف من الأسباب و الشرائط ليس الإنسان الذی يراه لنفسه إلا أحد تلك الأسباب و لا السبب الذی يركن إليه و يطيب به نفسا إلا بعض تلك الأسباب و عامه الأسباب منتهيه إليه سبحانه فهو الذی يعطی و يمنع و هو

الذی یبسط و یقدر أی یوسع و یضیق،و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« فَآتِ ذَا الْقُرْبیٰ حَقَّهُ وَ الْمِسْکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ »إلخ، ذو القربی صاحب القرابه من الأرحام و المسکین أسوأ حالا من الفقیر و ابن السبیل المسافر ذو الحاجه،و إضافه الحق إلی الضمیر تدل علی أن لذی القربی حقا ثابتا،و الخطاب للنبی ص،فظاهر الآیه بما تحتف به من القرائن أن المراد بها الخمس و التکلیف للنبی ص و یتبعه غیره ممن کلف بالخمس،و القرابه علی أی حال قرابه النبی ص کما فی آیه الخمس،هذا کله علی تقدیر کون الآیه مدنیه و أما علی تقدیر کونها مکیه کسائر آیات السوره فالمراد مطلق الإحسان للقرابه و المسکین و ابن السبیل.

و لعموم الآیه معنی عمم ذکره أثره الجمیل فقال:« ذٰلِکَ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یُرِیدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ».

قوله تعالی:« وَ مٰا آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ یَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ،وَ مٰا آتَیْتُمْ مِنْ زَکٰاهٍ تُرِیدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » الربا نماء المال،و قوله:« لِیَرْبُوَا » إلخ،یشیر إلی وجه التسمیه،فالمراد أن المال الذی تؤتونه الناس لیزید فی أموالهم لا إراده لوجه الله-بقرینه ذکر إراده الوجه فی مقابله-فلیس یزید و ینمو عند الله أی لا تثابون علیه لعدم قصد الوجه.

و قوله:« وَ مٰا آتَیْتُمْ مِنْ زَکٰاهٍ تُرِیدُونَ وَجْهَ اللّٰهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ »المراد بالزکاه مطلق الصدقه أی إعطاء المال لوجه الله من غیر تبذیر،و المضعف ذو الضعف، و المعنی:و ما أعطیتم من المال صدقه تریدون وجه الله فأولئک هم الذین یضاعف لهم مالهم أو ثوابهم.

فالمراد بالربا و الزکاه بقرینه المقابله و ما احتف بهما من الشواهد،الربا الحلال و هو العطیه من غیر قربه،و الصدقه و هی إعطاء المال مع قصد القربه.هذا کله علی تقدیر کون الآیه مکیه و أما علی تقدیر کونها مدنیه فالمراد بالربا الربا المحرم و بالزکاه هی الزکاه المفروضه.

و هذه الآیه و التی قبلها أشبه بالمدنیات منهما بالمکیات و لا اعتبار بما یدعی من الروایه أو الإجماع المنقول.

ص :١٨٥

(بحث روائی)

فی العیون،عن عبید الله بن عباس قال*: قام رسول الله ص فینا خطیبا-فقال فی آخر خطبته:نحن کلمه التقوی و سبیل الهدی و المثل الأعلی-و الحجه العظمی و العروه الوثقی. الحدیث.

و فی تفسیر القمی،:فی قوله تعالی:« ضَرَبَ لَکُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِکُمْ »الآیه-أن سبب نزولها-أن قریشا کانوا یحجون البیت بحج إبراهیم(ع)-و یلبون تلبیته:لبیک اللهم لبیک لبیک لا شریک لک لبیک-إن الحمد و النعمه لک و الملک لا شریک لک.

فجاءهم إبلیس فی صوره شیخ فغیر تلبیتهم-إلی قول:لبیک اللهم لا شریک لک إلا شریکا هو لک تملکه و ما ملک.فکانت قریش تلبی هذه التلبیه حتی بعث رسول الله ص-فأنکر علیهم ذلک و قال:إنه شرک.

فأنزل الله عز و جل:« ضَرَبَ لَکُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِکُمْ-هَلْ لَکُمْ مِنْ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُکُمْ مِنْ شُرَکٰاءَ فِی مٰا رَزَقْنٰاکُمْ-فَأَنْتُمْ فِیهِ سَوٰاءٌ »أی أ ترضون أنتم فیما تملکون أن یکون لکم فیه شریک؟فکیف ترضون أن تجعلوا لی شریکا فیما أملک؟.

و فی الکافی،بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد الله(ع)*: فی قوله تعالی:« فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً »قال:هی الولایه.

و فیه،بإسناده عن هشام بن سالم عن أبی عبد الله(ع)قال*: قلت:« فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِی فَطَرَ النّٰاسَ عَلَیْهٰا » قال:التوحید:

أقول:و رواه أیضا عن الحلبی و زراره عنه(ع)و رواه الصدوق فی التوحید، عن العلاء بن فضیل و زراره و بکیر عنه(ع) .

و فی روضه الکافی،بإسناده عن إسماعیل الجعفی عن أبی جعفر(ع)قال*: کانت شریعه نوح(ع)-أن یعبد الله بالتوحید و الإخلاص و خلع الأنداد،و هو الفطره التی فطر الناس علیها.

و فی تفسیر القمی،بإسناده عن الهیثم الرمانی عن الرضا عن أبیه عن جده عن أبیه محمد بن علی(ع): فی قوله عز و جل:« فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِی فَطَرَ النّٰاسَ عَلَیْهٰا »قال:

هو لا إله إلا الله محمد رسول الله-علی أمیر المؤمنین ولی الله إلی هاهنا التوحید.

أقول:و روی هذا المعنی فی بصائر الدرجات،عن أبی عبد الله(ع)،و رواه فی التوحید،عن عبد الرحمن مولی أبی جعفر عنه(ع).

و معنی کون الفطره هی الشهادات الثلاث أن الإنسان مفطور علی الاعتراف بالله لا شریک له بما یجد من الحاجه إلی الأسباب المحتاجه إلی ما وراءها و هو التوحید و بما یجد من النقص المحوج إلی دین یدین به لیکمله و هو النبوه،و بما یجد من الحاجه إلی الدخول فی ولایه الله بتنظیم العمل بالدین و هو الولایه و الفاتح لها فی الإسلام هو علی(ع)،و لیس معناه أن کل إنسان حتی الإنسان الأولی یدین بفطرته بخصوص الشهادات الثلاث.

و إلی هذا یئول معنی الروایه السابقه أنها الولایه فإنها تستلزم التوحید و النبوه و کذا ما مر من تفسیره الفطره بالتوحید فإن التوحید هو القول بوحدانیه الله تعالی المستجمع لصفات الکمال المستلزمه للمعاد و النبوه و الولایه فالمال فی تفسیرها بالشهادات الثلاث و التوحید و الولایه واحد.

و فی المحاسن،بإسناده عن زراره قال: سألت أبا جعفر(ع)عن قول الله عز و جل« فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِی فَطَرَ النّٰاسَ عَلَیْهٰا »قال:فطرهم علی معرفه أنه ربهم-و لو لا ذلک لم یعلموا إذا سئلوا من ربهم و من رازقهم؟.

و فی الکافی،بإسناده عن الحسین بن نعیم الصحاف عن أبی عبد الله(ع)فی حدیث قال:فقال(ع): إن الله عز و جل خلق الناس کلهم-علی الفطره التی فطرهم علیها-لا یعرفون إیمانا بشریعه و لا کفرا بجحود-ثم بعث الله عز و جل الرسل یدعو العباد إلی الإیمان به فمنهم من هدی الله و منهم من لم یهده.

أقول:و فی هذا المعنی روایات أخر وارده فی تفسیر قوله تعالی: «کٰانَ النّٰاسُ أُمَّةً وٰاحِدَةً» :البقره:۲۱۳ و المراد فیها بالإنسان الفطری الإنسان الساذج الذی یعیش علی الفطره الإنسانیه الذی لم یفسده الأوهام الفکریه و الأهواء النفسانیه فإنه بالقوه القریبه من الفعل بالنسبه إلی أصول العقائد الحقه و کلیات الشرائع الإلهیه فإنه یعیش ببعث و تحریک من فطرته و خصوص خلقته. و أما الاهتداء إلی خصوص العقائد الحقه

و تفاصیل الشرائع الإلهیه فیتوقف علی هدایه خاصه إلهیه من طریق النبوه من الجزء الثانی من الکتاب.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن حماد بن عمرو الصفار قال: سألت قتاده عن قوله تعالی:« فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها »فقال:حدثنی أنس بن مالک قال:قال رسول الله ص:« فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها »قال:دین الله.

و فیه،أخرج البخاری و مسلم و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه عن أبی هریره قال:قال رسول الله ص: ما من مولود إلا یولد علی الفطره-فأبواه یهودانه و ینصرانه و یمجسانه-کما تنتج البهیمه بهیمه جمعاء هل تحسون فیها من جدعاء؟قال أبو هریره:اقرءوا إن شئتم« فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها »الآیه.

أقول:

و رواه أیضا عن مالک و أبی داود و ابن مردویه عن أبی هریره عنه(ص) و لفظه: کل مولود یولد علی الفطره-فأبواه یهودانه و ینصرانه-کما تنتج الإبل من بهیمه جمعاء هل تحس من جدعاء.

و رواه أیضا فی الکافی،بإسناده عن زراره عن أبی جعفر(ع)فی حدیث قال:

قال رسول الله ص: کل مولود یولد علی الفطره یعنی علی المعرفه بأن الله خالقه. الحدیث.

و فی التوحید،بإسناده عن عمر قال:قال رسول الله ص: لا تضربوا أطفالکم علی بکائهم-فإن بکاءهم أربعه أشهر شهاده أن لا إله إلا الله،و أربعه أشهر الصلاه علی النبی و أربعه أشهر الدعاء لوالدیه.

أقول:هو حدیث لطیف و معناه:أن الطفل فی الأربعه أشهر الأولی لا یعرف أحدا و إنما یحس بالحاجه فیطلب بالبکاء رفعها و الرافع لها هو الله سبحانه فهو یتضرع إلیه و یشهد له بالوحدانیه.

و فی الأربعه أشهر الثانیه یعرف من والدیه واسطه ما بینه و بین رافع حاجته من غیر أن یعرفهما بشخصیهما و الواسطه بینه و بین ربه هو النبی فبکاؤه طلب الرحمه من ربه للنبی حتی یصل بتوسطه إلیه.

و فی الأربعه أشهر الثالثه یمیز والدیه بشخصیهما عن غیرهما فبکاؤه دعاء منه لهما و طلب جریان الرحمه من طریقهما إلیه.ففی الحدیث ألطف الإشاره إلی کیفیه جریان

الفیض من مجری الوسائط فافهم ذلک.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ آتِ ذَا الْقُرْبیٰ حَقَّهُ »:

و روی أبو سعید الخدری و غیره: أنه لما نزلت هذه الآیه علی النبی ص-أعطی فاطمه(ع)فدکا و سلمه إلیها- و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع) .

و فی الکافی،بإسناده عن إبراهیم الیمانی عن أبی عبد الله(ع)قال: الربا رباءان:

ربا یؤکل و ربا لا یؤکل،فأما الذی یؤکل فهدیتک إلی الرجل-تطلب منه الثواب أفضل منها فذلک الربا الذی یؤکل،و هو قول الله عز و جل:« وَ مٰا آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوٰالِ النّٰاسِ فَلاٰ یَرْبُوا عِنْدَ اللّٰهِ »و أما الذی لا یؤکل فهو الذی نهی الله عنه و أوعد علیه النار:

أقول:و رواه أیضا فی التهذیب،عن إبراهیم بن عمر عنه(ع)،و فی تفسیر القمی،عن حفص بن غیاث عنه(ع)،و فی المجمع،مرسلا عن أبی جعفر(ع) .

و فی المجمع،: فی قوله تعالی:« فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ »قال أمیر المؤمنین(ع):

فرض الله الصلاه تنزیها عن الکبر،و الزکاه تسبیبا للرزق،و الصیام ابتلاء لإخلاص الخلق،و صله الأرحام منماه للعدد.

و فی الفقیه،:خطبه للزهراء(ع)و فیها: ففرض الله الإیمان تطهیرا من الشرک و الصلاه-تنزیها عن الکبر و الزکاه زیاده فی الرزق.

(کلام فی معنی کون الدین فطریا،فی فصول)

۱-إذا تأملنا هذه الأنواع الموجوده التی تتکون و تتکامل تدریجا سواء کانت ذوات حیاه و شعور کأنواع الحیوان أو ذات حیاه فقط کأنواع النبات أو میته غیر ذی حیاه کسائر الأنواع الطبیعیه-علی ما یظهر لنا-وجدنا کل نوع منها یسیر فی وجوده سیرا تکوینیا معینا ذا مراحل مختلفه بعضها قبل بعض و بعضها بعد بعض یرد النوع فی کل منها بعد المرور بالبعض الذی قبله و قبل الوصول إلی ما بعده و لا یزال یستکمل بطی هذه المنازل حتی ینتهی إلی آخرها و هو نهایه کماله.

نجد هذه المراتب المطویه بحرکه النوع یلازم کل منها مقامه الخاص به لا یستقدم و لا یستأخر من لدن حرکه النوع فی وجوده إلی أن تنتهی إلی کماله فبینها

رابطه تکوینیه یربط بها بعض المراتب ببعض بحیث لا یتجافی و لا ینتقل إلی غیر مکانه و من هنا یستنتج أن للنوع غایه تکوینیه یتوجه إلیها من أول وجوده حتی یبلغها.

فالجوزه الواحده مثلا- إذا استقرت فی الأرض استقرارا یهیئها للنمو علی اجتماع مما یتوقف علیه النمو من العلل و الشرائط کالرطوبه و الحراره و غیرهما أخذ لبها فی النمو و شق القشر و شرع فی ازدیاد من أقطار جسمه و لم یزل یزید و ینمو حتی یصل إلی حد یعود فیه شجره قویه خضراء مثمره و لا یختلف حاله فی مسیره هذا التکوینی و هو فی أول وجوده قاصدا قاصدا تکوینیا إلی غایته التکوینیه التی هی مرتبه الشجره الکامله المثمره.

و کذا الواحد من نوع الحیوان کالواحده من الضأن مثلا لا نشک فی أنها فی أول تکونها جنینا متوجهه إلی غایتها النوعیه التی هی مرتبه الضأنه الکامله التی لها خواصها فلا تضل عن سبیلها التکوینیه الخاصه بها إلی سبیل غیرها و لا تنسی غایتها یوما فتسیر إلی غیر غایتها کغایه الفیله مثلا أو غایه شجره الجوز مثلا فکل نوع من الأنواع التکوینیه له مسیر خاص فی استکمال الوجود ذو مراتب خاصه مترتبه بعضها علی بعض تنتهی إلی مرتبه هی غایه النوع ذاتا یطلبها طلبا تکوینیا بحرکته التکوینیه و النوع فی وجوده مجهز بما هو وسیله حرکته و بلوغه إلی غایته.

و هذا التوجه التکوینی لاستناده إلی الله یسمی هدایه عامه إلهیه و هی کما عرفت لا تضل و لا تخطئ فی تسییر کل نوع مسیره التکوینی و سوقه إلی غایته الوجودیه بالاستکمال التدریجی و بإعمال قواه و أدواته التی جهز بها لتسهیل مسیره إلی غایته، قال تعالی: «رَبُّنَا الَّذِی أَعْطیٰ کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ» :طه:۵۰ و قال: «الَّذِی خَلَقَ فَسَوّیٰ وَ الَّذِی قَدَّرَ فَهَدیٰ وَ الَّذِی أَخْرَجَ الْمَرْعیٰ فَجَعَلَهُ غُثٰاءً أَحْویٰ» :الأعلی:۵.

۲-نوع الإنسان غیر مستثنی من کلیه الحکم المذکور أعنی شمول الهدایه العامه له فنحن نعلم أن النطفه الإنسانیه من حین تشرع فی التکون متوجهه إلی مرتبه إنسان تام کامل له آثاره و خواصه قد قطع فی مسیره مراحل الجنینیه و الطفولیه و المراهقه و الشباب و الکهوله و الشیب.

غير أن الإنسان يفارق سائر الأنواع الحيوانيه و النباتيه و غيرها فيما نعلم فى أمر (۱)و هو أنه لسعه حاجته التكوينيه و كثره نواقصه الوجوديه لا- يقدر على تتميم نواقصه الوجوديه و رفع حوائجه الحيويه وحده بمعنى أن الواحد من الإنسان لا- تتم له حياته الإنسانيه و هو وحده بل يحتاج إلى اجتماع منزلى ثم اجتماع مدنى يجتمع فيه مع غيره بالازدواج و التعاون و التعاضد فيسعى الكل بجميع قواهم التى جهزوا بها للكل ثم يقسم الحاصل من عملهم بين الكل فيذهب كل بنصيبه على قدر زنته الاجتماعيه.

و قد عرفت فى سابق مباحث هذا الكتاب أن المدنيه ليست بطبيعيه للإنسان بمعنى أن ينبعث إليه من ناحيه طبيعته الإنسانيه ابتداء بل له طبيعه مستخدمه لغيره لنفع نفسه ما وجد إليه سبيلا- فهو يستخدم الأمور الطبيعيه ثم أقسام النبات و الحيوان فى سبيل مقاصده الحيويه فهو باستخدام فرد مثله أو أفراد أمثاله أجرأ لكنه يجد سائر الأفراد أمثاله فى الأميال و المقاصد و فى الجهازات و القوى فيضطر إلى المسالمه و أن يسلم لهم حقوقا مثل ما يراه لنفسه.

و ينتهى هذا التضارب بين المنافع أن يشارك البعض البعض فى العمل التعاونى ثم يقسم الحاصل من الأعمال بين الجميع و يعطى منه لكل ما يستحقه.

و كيف كان فالمجتمع الإنسانى لا يتم انعقاده و لا يعمر إلا بأصول علميه و قوانين اجتماعيه يحترمها الكل و حافظ يحفظها من الضيعه و يجريها فى المجتمع و عند ذلك تطيب لهم العيشه و تشرف عليهم السعاده.

أما الأصول العلميه فهى معرفته إجمالا بما عليه نشأه الوجود من الحقيقه و ما عليه الإنسان من حيث البدايه و النهايه فإن المذاهب المختلفه مؤثره فى خصوص السنن المعمول بها فى المجتمعات فالمعتقدون فى الإنسان أنه مادى محض ليس له من الحياه إلا الحياه المعجله المؤجله بالموت و أن ليس فى دار الوجود إلا- السبب المادى الكائن الفاسده ينظمون سنن اجتماعهم،بحيث تؤديهم إلى اللذائذ المحسوسه و الكمالات الماديه ما وراءها شيء.

۱- ۱) و عامه الحيوان و إن كان لها شيء من الاجتماع الحيوى لكنه يسير فى جنب الاجتماع لا يعبأ به.

و المعتقـدون بصانع وراء الماده كالوثنيه يبنون سـننهم و قوانينهم على إرضاء الآلهه ليسـعدوهم فى حياتهم الدنيويه و المعتقدون بالمبـدإ و المعـاد يبنون حيـاتهم على أسـاس يسـعدهم فى الحيـاه الـدنيويه ثم فى الحيـاه المؤبـده التى بعـد الموت فصور الحيـاه الاجتماعيه تختلف باختلاف الأصول الاعتقاديه فى حقيقه العالم و الإنسان الذى هو جزء من أجزائه.

و أما القوانين و السـنن الاجتماعيه فلو لا وجود قوانين و سنن مشتركه يحترمها المجتمعون جميعهم أو أكثرهم و يتسلمونها تفرق الجمع و انحل المجتمع.

و هـذه السـنن و القوانين قضايا كليه عمليه صورها:يجب أن يفعل كـذا عنـد كـذا أو يحرم أو يجوز و هى أيا ما كانت معتبره فى العمل لغايات مصلحه للاجتماع و المجتمع تترتب عليها تسمى مصالح الأعمال و مفاسدها.

٣-قد عرفت أن الإنسان إنما ينال ما قدر له من كمال و سـعاده بعقد مجتمع صالح يحكم فيه سـنن و قوانين صالحه تضمن بلوغه و نيله سعادته التى تليق به و هذه السعاده أمر أو أمور كماليه تكوينيه تلحق الإنسان الناقص الذى هو أيضا موجود تكوينى فتجعله إنسانا كاملا فى نوعه تاما فى وجوده.

فهـذه السـنن و القوانين-و هى قضايـا عمليه اعتبـاريه-واقعه بين نقص الإنسـان و كماله متوسـطه كالعبره بين المنزلتين و هى كما عرفت تـابعه للمصالـح الـتى هى كمـال أو كمالاـت إنسـانيه،و هـذه الكمالاـت أمور حقيقيه مسـانخه ملاـئمه للنواقص الـتى هى مصاديق حوائج الإنسان الحقيقيه.

فحوائج الإنسان الحقيقيه هى التى وضـعت هذه القضايا العمليه و اعتبرت هذه النواميس الاعتباريه،و المراد بالحوائج هى ما تطلبه النفس الإنسانيه بأميالها و عزائمها و يصدقه العقل الذى هو القوه الوحيده التى تميز بين الخير و النافع و بين الشـر و الضار دون ما تطلبه الأهواء النفسانيه مما لا يصدقه العقل فإنه كمال حيوانى غير إنسانى.

فـأصول هـذه السـنن و القـوانين يجب أن تكـون الحوائـج الحقيقه الـتى هى بحسب الواقع حوائـج لاـ بحسب تشـخيص الأـهواء النفسانيه.

و قد عرفت أن الصنع و الإيجاد قد جهز كل نوع من الأنواع-و منها الإنسان-

من القوی و الأدوات بما یرتفع بفعالیته حوائجه و یسلک به سبیل الکمال و منه یستنتج أن للجهازات التکوینیه التی جهز بها الإنسان اقتضاءات للقضایا العملیه المسماه بالسنین و القوانین التی بالعمل بها یستقر الإنسان فی مقر کماله مثل السنن و القوانین الراجعه إلی التغذی المعتبره بما أن الإنسان مجهز بجهاز التغذی و الراجعه إلی النکاح بما أن الإنسان مجهز بجهاز التوالد و التناسل.

فتبین أن من الواجب أن یتخذ الدین-أی الأصول العلمیه و السنن و القوانین العملیه التی تضمن باتخاذها و العمل بها سعاده الإنسان الحقیقیه-من اقتضاءات الخلقه الإنسانیه و ینطبق التشریع علی الفطره و التکوین،و هذا هو المراد بکون الدین فطریا و هو قوله تعالی:« فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللّهِ ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ ».

۴-قد عرفت معنی کون الدین فطریا فالإسلام یسمی دین الفطره لما أن الفطره الإنسانیه تقتضیه و تهدی إلیه.

و یسمی إسلاما لما أن فیه تسلیم العبد لإراده الله سبحانه منه،و مصداق الإراده و هی صفه الفعل تجمع العلل المؤلفه من خصوص خلقه الإنسان و ما یحتف به من مقتضیات الکون العام علی اقتضاء الفعل أو الترک قال تعالی:« إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ ».

و یسمی دین الله لأنه الذی یریده الله من عباده من فعل أو ترک،بما مر من معنی الإراده.

و یسمی سبیل الله لما أنه السبیل التی أرادها الله أن یسلکها الإنسان لتنتهی به إلی کماله و سعادته،قال تعالی: «الَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ وَ یَبْغُونَها عِوَجاً» :الأعراف:۴۵.

و أما أن الدین الحق یجب أن یؤخذ من طریق الوحی و النبوه و لا یکفی فیه العقل فقد تقدم بیانه فی مباحث النبوه و غیرها من مباحث الکتاب.

ص :۱۹۳

[سوره الروم (۳۰): الآیات ۴۰ الی ۴۷]

اشاره

اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ ثُمَّ رَزَقَکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ هَلْ مِنْ شُرَکٰائِکُمْ مَنْ یَفْعَلُ مِنْ ذٰلِکُمْ مِنْ شَیْءٍ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ (۴۰) ظَهَرَ اَلْفَسٰادُ فِی اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ بِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِی اَلنّٰاسِ لِیُذِیقَهُمْ بَعْضَ اَلَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (۴۱) قُلْ سِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلُ کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُشْرِکِینَ (۴۲) فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ اَلْقَیِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لاٰ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اَللّٰهِ یَوْمَئِذٍ یَصَّدَّعُونَ (۴۳) مَنْ کَفَرَ فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ یَمْهَدُونَ (۴۴) لِیَجْزِیَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لاٰ یُحِبُّ اَلْکٰافِرِینَ (۴۵) وَ مِنْ آیٰاتِهِ أَنْ یُرْسِلَ اَلرِّیٰاحَ مُبَشِّرٰاتٍ وَ لِیُذِیقَکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِیَ اَلْفُلْکُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۴۶) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِکَ رُسُلاً إِلیٰ قَوْمِهِمْ فَجٰاؤُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ فَانْتَقَمْنٰا مِنَ اَلَّذِینَ أَجْرَمُوا وَ کٰانَ حَقًّا عَلَیْنٰا نَصْرُ اَلْمُؤْمِنِینَ (۴۷)

(بیان)

هذا هو الفصل الثانی من الفصول الأربعه التی یحتج فیها بالأفعال الخاصه به و إن شئت فقل:بأسماء الأفعال علی إبطال الشرکاء و نفی ربوبیتهم و ألوهیتهم و علی إثبات المعاد.

ص :۱۹۴

قوله تعالی:« اَللّٰهُ الَّذِی خَلَقَکُمْ ثُمَّ رَزَقَکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ هَلْ مِنْ شُرَکٰائِکُمْ مَنْ یَفْعَلُ مِنْ ذٰلِکُمْ مِنْ شَیْءٍ »إلخ،اسم الجلاله مبتدأ و« اَلَّذِی خَلَقَکُمْ »خبره،و کذا قوله:« مَنْ یَفْعَلُ »إلخ مبتدأ خبره« مِنْ شُرَکٰائِکُمْ »المقدم علیه و الاستفهام إنکاری و قد ذکر فی ترکیب الآیه احتمالات أخر.

و المعنی:أن الله سبحانه هو الذی اتصف بکذا و کذا وصفا من أوصاف الألوهیه و الربوبیه فهل من الآلهه الذین تدعون أنهم آلهه من یفعل شیئا من ذلکم یعنی من الخلق و الرزق و الإماته و الإحیاء و إذ لیس منهم من یفعل شیئا من ذلکم فالله سبحانه هو إلهکم و ربکم لا إله إلا هو.

و لعل الوجه فی ذکر الخلق مع الرزق و الإحیاء و الإماته مع تکرر تقدم ذکره فی سلک الاحتجاجات السابقه الإشاره إلی أن الرزق لا ینفک عن الخلق بمعنی أن بعض الخلق یسمی بالقیاس إلی بعض آخر یدیم بقاءه به رزقا فالرزق فی الحقیقه من الخلق فالذی یخلق الخلق هو الذی یرزق الرزق.

فلیس لهم أن یقولوا:إن الرازق و کذا المحیی و الممیت بعض آلهتنا کما ربما یدعیه بعضهم أن مدبر عالم الإنسان بعض الآلهه و مدبر کل شأن من شئون العالم من الخیرات و الشرور بعضهم لکنهم لا یختلفون أن الخلق و الإیجاد منه تعالی لا یشارکه فی ذلک أحد فإذا سلم ذلک و من المسلم أن الرزق مثلا خلق و کذا سائر الشئون لا تنفک عن الخلق رجع الأمر کالخلق إلیه تعالی و لم یبق لآلهتهم شأن من الشئون.

ثم نزه سبحانه نفسه عن شرکهم فقال:« سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یُشْرِکُونَ ».

قوله تعالی:« ظَهَرَ الْفَسٰادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمٰا کَسَبَتْ أَیْدِی النّٰاسِ لِیُذِیقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ »الآیه بظاهر لفظها عامه لا تختص بزمان دون زمان أو بمکان أو بواقعه خاصه،فالمراد بالبر و البحر معناهما المعروف و یستوعبان سطح الکره الأرضیه.

و المراد بالفساد الظاهر المصائب و البلایا الظاهره فیهما الشامله لمنطقه من مناطق الأرض من الزلازل و قطع الأمطار و السنین و الأمراض الساریه و الحروب و الغارات و ارتفاع الأمن و بالجمله کل ما یفسد النظام الصالح الجاری فی العالم الأرضی سواء کان

مستندا إلى اختيار الناس أو غير مستند إليه.فكل ذلك فساد ظاهر فى البر أو البحر مخل بطيب العيش الإنسانى.

و قوله:« بِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِي النّٰاسِ »أى بسبب أعمالهم التى يعملونها من شرك أو معصيه و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ» ، XالآيهX:الأعراف:٩۶ و أيضا فى مباحث النبوه من الجزء الثانى من الكتاب أن بين أعمال الناس و الحوادث الكونيه رابطه مستقيمه يتأثر إحداهما من صلاح الأخرى و فسادها.

و قوله:« لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا »اللام للغايه،أى ظهر ما ظهر لأجل أن يذيقهم الله وبال بعض أعمالهم السيئه بل ليذيقهم نفس ما عملوا و قد ظهر فى صوره الوبال و إنما كان بعض ما عملوا لأن الله سبحانه برحمته يعفو عن بعض كما قال: «وَ مٰا أَصٰابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» :الشورى:٣٠.

و الآيه ناظره إلى الوبال الدنيوى و إذاقه بعضه لأكله من غير نظر إلى وبال الأعمال الأخروى فما قيل:إن المراد إذاقه الوبال الدنيوى و تأخير الوبال الأخروى إلى يوم القيامه لا دليل عليه و لعله جعل تقدير الكلام:«ليذيقهم بعض جزاء ما عملوا مع أن التقدير«ليذيقهم جزاء بعض ما عملوا»،لأن الذى يحوجنا إلى تقدير المضاف-لو أحوجنا-هو أن الراجع إليهم ثانيا فى صوره الفساد هو جزاء أعمالهم لا نفس أعمالهم فالذى أذيقوا هو جزاء بعض ما عملوا لا بعض جزاء ما عملوا.

و قوله:« لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »أى يذيقهم ما يذيقهم رجاء أن يرجعوا من شركهم و معاصيهم إلى التوحيد و الطاعه.

و وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه لما احتج فى الآيه السابقه على التوحيد و نزهه عن شركهم أشار فى هذه الآيه إلى ما يستتبع الشرك-و هو معصيه-من الفساد فى الأرض و إذاقه وبال السيئات فبين ذلك بيان عام.

و لهم فى الآيه تفاسير مختلفه عجيبه كقول بعضهم المراد بالأرض أرض مكه و قول بعضهم:المراد بالبر القفار التى لا يجرى فيها نهر و بالبحر كل قريه على شاطئ نهر عظيم،و قول بعضهم: البر الفيافى و مواضع القبائل و البحر السواحل و المدن التى عند

البحر و النهر،و قول بعضهم:البر البريه و البحر المواضع المخصبه الخضره،و قول بعضهم:

إن هناك مضافا محذوفا و التقدير فی البر و مدن البحر،و لعل الذی دعاهم إلی هذه الأقاویل ما ورد أن الآیه ناظره إلی القحط الذی وقع بمکه إثر دعاء النبی ص علی قریش لما لجوا فی کفرهم و داموا علی عنادهم فأرادوا تطبیق الآیه علی سبب النزول فوقعوا فیما وقعوا من التکلف.

و قول بعضهم:إن المراد بالفساد فی البر قتل ابن آدم أخاه و فی البحر أخذ کل سفینه غصبا و هو کما تری.

قوله تعالی:« قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلُ کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُشْرِکِینَ »أمر للنبی ص أن یأمرهم أن یسیروا فی الأرض فینظروا إلی آثار الذین کانوا من قبل حیث خربت دیارهم و عفت آثارهم و بادوا عن آخرهم و انقطع دابرهم بأنواع من النوائب و البلایا کان أکثرهم مشرکین فأذاقهم الله بعض ما عملوا لیعتبر به المعتبرون فیرجعوا إلی التوحید،فالآیه فی مقام الاستشهاد لمضمون الآیه السابقه.

قوله تعالی:« فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ الْقَیِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لاٰ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰهِ یَوْمَئِذٍ یَصَّدَّعُونَ »تفریع علی ما تقدمه أی إذا کان الشرک و الکفر بالحق بهذه المثابه و له وبال سیلحق بالمتلبس به فأقم وجهک للدین القیم.

و قوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لاٰ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰهِ »متعلق بقوله:« فَأَقِمْ »و المرد مصدر میمی بمعنی الرد و هو بمعنی الراد و الیوم الذی لا مرد له من الله یوم القیامه.

و قوله:« یَوْمَئِذٍ یَصَّدَّعُونَ »أصله یتصدعون،و التصدع فی الأصل تفرق أجزاء الأوانی ثم استعمل فی مطلق التفرق کما قیل،و المراد به-کما قیل-تفرقهم یومئذ إلی الجنه و النار.

و قیل:المراد تفرق الناس بأشخاصهم کما یشیر إلیه قوله تعالی: «یَوْمَ یَکُونُ النّٰاسُ کَالْفَرٰاشِ الْمَبْثُوثِ» . :القارعه:۴ و لکل وجه،و لعل الأظهر امتیاز الفریقین کما سیأتی.

قوله تعالی:« مَنْ کَفَرَ فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ یَمْهَدُونَ »الظاهر أنه تفسیر لقوله فی الآیه السابقه:« یَتَفَرَّقُونَ »و قوله:« مَنْ کَفَرَ فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ »أی وبال

كفره بتقدير المضاف أو نفس كفره الذى سينقلب عليه نارا يخلد فيها و هذا أحد الفريقين.

و قوله:« وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ » مهد الفراش بسطه و إيطاؤه، و هؤلاء الفريق الآخر الذين آمنوا و عملوا الصالحات،و قد جىء بالجزاء« فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ »جمعا نظرا إلى المعنى،كما أنه جىء به مفردا فى الشرطيه السابقه« فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ »نظرا إلى اللفظ،و اكتفى فى الشرط بذكر العمل الصالح و لم يذكر الإيمان معه لأن العمل إنما يصلح بالإيمان على أنه مذكور فى الآيه التاليه.

و المعنى:و الذين عملوا عملا صالحا-بعد الإيمان-فلأنفسهم يوطئون ما يعيشون به و يستقرون عليه.

قوله تعالى:« لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ »قال الراغب: الجزاء الغناء و الكفايه،قال الله تعالى:« لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً »،و قال:« لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً » و الجزاء ما فيه الكفايه من المقابله إن خيرا فخير و إن شرا فشر،يقال:جزيته كذا و بكذا.انتهى.

و قوله:« لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ »اللام للغايه و لا ينافى عد ما يؤتيهم جزاء-و فيه معنى المقابله-عده من فضله و فيه معنى عدم الاستحقاق و ذلك لأنهم بأعيانهم و ما يصدر عنهم من أعمالهم ملك طلق لله سبحانه فلا يملكون لأنفسهم شيئا حتى يستحقوا به أجرا،و أين العبوديه من الملك و الاستحقاق فما يؤتونه من الجزاء فضل من غير استحقاق.

لكنه سبحانه بفضله و رحمته اعتبر لهم ملكا لأعمالهم فى عين أنه يملكهم و يملك أعمالهم فجعل لهم بذلك حقا يستحقونه،و جعل ما ينالونه من الجنه و الزلفى أجرا مقابلا لأعمالهم و هذا الحق المجعول أيضا فضل آخر منه سبحانه.

و منشأ ذلك حبه تعالى لهم لأنهم لما أحبوا ربهم أقاموا وجوههم للدين القيم و اتبعوا الرسول فيما دعا إليه فأحبهم الله كما قال: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ» :آل عمران:٣١.

و لذا كانت الآيه تعد ما يؤتيهم الله من الثواب جزاء و فيه معنى المقابله و المبادله

و تعـد ذلك من فضـله نظرا إلى أن نفس هذه المقابله و المبادله فضل منه سـبحانه و منشؤه حبه تعالى لهم كما يومئ إليه تذييل الآيه بقوله:« إِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْكٰافِرِينَ ».

و من هنـا يظهر أن قوله:« إِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْكٰافِرِينَ »،يفيـد التعليـل بالنسـبه إلى جـانبى النفى و الإثبـات جميعـا أى أنه تعالى يخص المؤمنين العاملين للصالحات بهذا الفضل و يحرم الكافرين منه لأنه يحب هؤلاء و لا يحب هؤلاء.

قـوله تعـالى:« وَ مِنْ آيٰاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيٰاحَ مُبَشِّرٰاتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »،المراد بكون الرياح مبشرات تبشيرها بالمطر حيث تهب قبيل نزوله.

و قوله:« وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ »عطف على موضع مبشـرات لما فيه من معنى التعليل و التقدير يرسل الرياح لتبشـركم و ليذيقكم من رحمته و المراد بإذاقه الرحمه إصابه أنواع النعم المترتبه على جريان الرياح كتلقيح الأشجار و دفع العفونات و تصفيه الأجواء و غير ذلك مما يشمله إطلاق الجمله.

و قوله:« وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ »أى لجريان الرياح و هبوبها.و قوله:« وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ »أى لتطلبوا من رزقه الذى هو من فضله.

و قوله:« وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »،غايه معنويه كما أن الغايات المذكوره من قبل غايات صوريه،و الشكر هو استعمال النعمه بنحو ينبئ عن إنعـام منعمه أو الثناء اللفظى عليه بـذكر إنعامه،و ينطبق بالأخره على عبادته و لـذلك جىء بلعل المفيـده للرجاء فإن الغايات المعنويه الاعتباريه ربما تخلفت.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلىٰ قَوْمِهِمْ فَجٰاؤُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَانْتَقَمْنٰا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كٰانَ حَقًّا عَلَيْنٰا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ »قـال الراغب:أصل الجرم- بالفتـح فالسـكون-قطع الثمره عن الشـجر-إلى أن قال-و أجرم صار ذا جرم نحو أثمر و أتمر و ألبن و أستعير ذلك لكل اكتساب مكروه،و لا يكاد يقال فى عامه كلامهم للكيس المحمود انتهى.

و الآيه كـالمعترضه و كأنهـا مسوقه لبيـان أن للمـؤمنين حقـا على ربهـم و هـو نصـرهم فى الـدنيا و الآخره و منـه الانتقـام من المجرمين،و هذا الحق مجعول من قبله تعالى لهم على

نفسه فلا یرد علیه محذور لزوم کونه تعالی مغلوبا فی نفسه مقهورا محکوما لغیره.

و قوله:« فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِینَ أَجْرَمُوا »الفاء فصیحه أی فآمن بعضهم و أجرم آخرون فانتقمنا من المجرمین و کان حقا علینا نصر المؤمنین بإنجائهم من العذاب و إهلاک مخالفیهم،و فی الآیه بعض الإشعار بأن الانتقام من المجرمین لأجل المؤمنین فإنه من النصر.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما کَسَبَتْ أَیْدِی النّاسِ »قال:فی البر فساد الحیوان إذا لم یمطر-و کذلک هلاک دواب البحر بذلک.

و قال الصادق(ع): حیاه دواب البحر بالمطر-فإذا کف المطر ظهر الفساد فی البر و البحر،و ذلک إذا کثرت الذنوب و المعاصی.

أقول:و هو من الجری.

و فی روضه الکافی،بإسناده عن أبی الربیع الشامی قال: سألت أبا عبد الله(ع) عن قول الله عز و جل:« قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ- فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلُ »فقال:عنی بذلک أی انظروا فی القرآن-فانظروا کیف کان عاقبه الذین من قبلکم».

و فی المجمع،:فی قوله:« وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ یَمْهَدُونَ »:روی منصور بن حازم عن أبی عبد الله(ع)قال: إن العمل الصالح لیسبق صاحبه إلی الجنه-فیمهد له کما یمهد لأحدهم خادمه فراشه.

و فیه،و جاءت الروایه عن أم الدرداء أنها قالت:سمعت رسول الله ص یقول:

ما من امرئ یرد عن عرض أخیه-إلا کان حقا علی الله أن یرد عنه نار جهنم یوم القیامه ثم قرأ:« وَ کانَ حَقًّا عَلَیْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِینَ »:

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن ابن أبی حاتم و الطبرانی و ابن مردویه عن أبی الدرداء .

[سوره الروم (۳۰): الآیات ۴۸ الی ۵۳]

اشاره

اَللّٰهُ اَلَّذِی یُرْسِلُ اَلرِّیٰاحَ فَتُثِیرُ سَحٰاباً فَیَبْسُطُهُ فِی اَلسَّمٰاءِ کَیْفَ یَشٰاءُ وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی اَلْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلاٰلِهِ فَإِذٰا أَصٰابَ بِهِ مَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ إِذٰا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ (۴۸) وَ إِنْ کٰانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ یُنَزَّلَ عَلَیْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِینَ (۴۹) فَانْظُرْ إِلیٰ آثٰارِ رَحْمَتِ اَللّٰهِ کَیْفَ یُحْیِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا إِنَّ ذٰلِکَ لَمُحْیِ اَلْمَوْتیٰ وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۵۰) وَ لَئِنْ أَرْسَلْنٰا رِیحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ یَکْفُرُونَ (۵۱) فَإِنَّکَ لاٰ تُسْمِعُ اَلْمَوْتیٰ وَ لاٰ تُسْمِعُ اَلصُّمَّ اَلدُّعٰاءَ إِذٰا وَلَّوْا مُدْبِرِینَ (۵۲) وَ مٰا أَنْتَ بِهٰادِ اَلْعُمْیِ عَنْ ضَلاٰلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاّٰ مَنْ یُؤْمِنُ بِآیٰاتِنٰا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (۵۳)

(بیان)

هذا هو الفصل الثالث من الآیات المحتجه من طریق أفعاله تعالی و إن شئت فقل:

أسماء أفعاله و عمده غرضها الاحتجاج علی المعاد،و لما کان عمده إنکارهم و جحودهم متوجها إلی المعاد و بإنکاره یلغو الأحکام و الشرائع فیلغو التوحید عقب الاحتجاج بإیئاس النبی ص و أمره بأن یشتغل بدعوه فی نفسه استعداد الإیمان و صلاحیه الإسلام و التسلیم للحق.

قوله تعالی:« اَللّٰهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیٰاحَ فَتُثِیرُ سَحٰاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّمٰاءِ کَیْفَ یَشٰاءُ » إلی آخر الآیه، الإثاره التحریک و النشر و السحاب الغمام و السماء جهه العلو فکل ما علاک و أظلک فهو سماء و الکسف بالکسر فالفتح جمع کسفه و هی القطعه و الودق

القطر من المطر و الخلال جمع خله و هى الفرجه.

و المعنى:الله الذى يرسل الرياح فتحرك و تنشر سحابا و يبسط ذلك السحاب فى جهه العلو من الجو كيف يشاء سبحانه و يجعله قطعات متراكبه متراكمه فترى قطر المطر يخرج من فرجه فإذا أصاب بذلك المطر من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون لأنه ماده حياتهم و حياه الحيوان و النبات.

قوله تعالى:« وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ » الإبلاس:

اليأس و القنوط.

و ضمير« يُنَزَّلَ »للمطر و كذا ضمير« مِنْ قَبْلِهِ »على ما قيل،و عليه يكون « مِنْ قَبْلِهِ »تأكيدا لقوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ »و فائده التأكيد-على ما قيل- الاعلام بسرعه تقلب قلوب البشر من اليأس إلى الاستبشار،و ذلك أن قوله:« مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ »يحتمل الفسحه فى الزمان فجاء« مِنْ قَبْلِهِ »للدلاله على الاتصال و دفع ذلك الاحتمال.

و فى الكشاف،أن قوله:« مِنْ قَبْلِهِ »من باب التكرير و التوكيد كقوله تعالى:

« فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِی النّارِ خالِدَیْنِ فِیها »و معنى التوكيد فيه الدلاله على أن عهدهم بالمطر قد تطاول و بعد فاستحكم يأسهم و تمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك.انتهى.

و ربما قيل:إن ضمير« مِنْ قَبْلِهِ »لإرسال الرياح،و المعنى:و إن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبل إرسال الرياح لآيسين قانطين.

قوله تعالى:« فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ » الآثار جمع الأثر و هو ما يبقى بعد الشىء فيدل عليه كأثر القدم و أثر البناء و أستعير لكل ما يتفرع على شىء، و المراد برحمه الله المطر النازل من السحاب الذى بسطته الرياح،و آثارها ما يترتب على نزول المطر من النبات و الأشجار و الأثمار و هى بعينها آثار حياه الأرض بعد موتها.

و لذا قال:« فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها »فجعل آثار الرحمه التى هى المطر كيفيه إحياء الأرض بعد موتها،فحياه الأرض بعد موتها

من آثار الرحمه و النبات و الأشجار و الأثمار من آثار حياتها و هی أیضا من آثار الرحمه و التدبیر تدبیر إلهی یتفرع علی خلقه الریاح و السحاب و المطر.

و قوله:« إِنَّ ذٰلِکَ لَمُحْیِ الْمَوْتیٰ »الإشاره بذلک إلیه تعالی بما له من الرحمه التی من آثارها إحیاء الأرض بعد موتها،و فی الإشاره البعیده تعظیم،و المراد بالموتی موتی الإنسان أو الإنسان و غیره من ذوی الحیاه.

و المراد بقوله:« إِنَّ ذٰلِکَ لَمُحْیِ الْمَوْتیٰ »الدلاله علی المماثله بین إحیاء الأرض المیته و إحیاء الموتی إذ فی کل منهما موت هو سقوط آثار الحیاه من شیء محفوظ و حیاه هی تجدد تلک الآثار بعد سقوطها،و قد تحقق الإحیاء فی الأرض و النبات و حیاه الإنسان و غیره من ذوی الحیاه مثلها و حکم الأمثال فیما یجوز و فیما لا یجوز واحد،فإذا جاز الإحیاء فی بعض هذه الأمثال و هو الأرض و النبات فلیجز فی البعض الآخر.

و قوله:« وَ هُوَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ »تقریر للإحیاء المذکور ببیان آخر و هو عموم القدره فإن القدره غیر محدوده و لا متناهیه فیشمل الإحیاء بعد الموت و إلا لزم تقیدها و قد فرضت مطلقه غیر محدوده.

قوله تعالی:« وَ لَئِنْ أَرْسَلْنٰا رِیحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ یَکْفُرُونَ » ضمیر« فَرَأَوْهُ »للنبات المفهوم من السیاق،و قوله« لَظَلُّوا »جواب للقسم قائم مقام الجزاء،و المعنی:و أقسم لئن أرسلنا ریحا بارده فضربت زروعهم و أشجارهم بالصفار و رأوه لظلوا بعده کافرین بنعمه.

ففی الآیه توبیخهم بالتقلب السریع فی النعمه و النقمه،فإذا لاحت لهم النعمه بادروا إلی الاستبشار،و إذا أخذ بعض ما أنعم الله به من فضله لم یلبثوا دون أن یکفروا بالمسلمات من النعم.

و قیل:ضمیر« فَرَأَوْهُ »للسحاب لأن السحاب إذا کان أصفر لم یمطر،و قیل:

للریح فإنه یذکر و یؤنث،و القولان بعیدان.

قوله تعالی:« فَإِنَّکَ لاٰ تُسْمِعُ الْمَوْتیٰ -إلی قوله- فَهُمْ مُسْلِمُونَ »تعلیل لما یفهم من السیاق السابق کأنه قیل:لا تشتغل و لا تحزن بهؤلاء الذین تتبدل بهم الأحوال من إبلاس و استبشار و کفر و من عدم الإیمان بآیاتنا و عدم تعقلها فإنهم موتی و صم و عمی

و أنت لا تقدر على إسماعهم و هدايتهم و إنما تسمع و تهدى من يؤمن بآياتنا أى يعقل هذه الحجج و يصدقها فهم مسلمون.و قد تقدم تفسير الآيتين فى سوره النمل.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ۵۴ الى ۶٠]

اشاره

اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَیْبَةً یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ وَ هُوَ اَلْعَلِیمُ اَلْقَدِیرُ (۵۴) وَ یَوْمَ تَقُومُ اَلسّٰاعَةُ یُقْسِمُ اَلْمُجْرِمُونَ مٰا لَبِثُوا غَیْرَ سٰاعَةٍ کَذٰلِکَ کٰانُوا یُؤْفَکُونَ (۵۵) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ وَ اَلْإِیمٰانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِی کِتٰابِ اَللّٰهِ إِلیٰ یَوْمِ اَلْبَعْثِ فَهٰذٰا یَوْمُ اَلْبَعْثِ وَ لٰکِنَّکُمْ کُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (۵۶) فَیَوْمَئِذٍ لاٰ یَنْفَعُ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لاٰ هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ (۵۷) وَ لَقَدْ ضَرَبْنٰا لِلنّٰاسِ فِی هٰذَا اَلْقُرْآنِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآیَةٍ لَیَقُولَنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ مُبْطِلُونَ (۵۸) کَذٰلِکَ یَطْبَعُ اَللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِ اَلَّذِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ (۵۹) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ وَ لاٰ یَسْتَخِفَّنَّکَ اَلَّذِینَ لاٰ یُوقِنُونَ (۶٠)

(بیان)

هذا هو الفصل الرابع من الآیات و هو کسابقه و فیها ختام السوره.

قوله تعالی:« اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَیْبَةً »إلخ،الضعف و القوه متقابلان،و« مِنْ »فی قوله:« مِنْ

ضَعْفٍ

للابتداء أی ابتداء خلقکم من ضعف أی ابتدأکم ضعفاء،و مصداقه علی ما تفیده المقابله أول الطفولیه و إن أمکن صدقه علی النطفه.

و المراد بالقوه بعد الضعف بلوغ الأشد و بالضعف بعد القوه الشیخوخه و لذا عطف علیه« شَیْبَهً »عطف تفسیر،و تنکیر« ضَعْفٍ »و« قُوَّهً »للدلاله علی الإبهام و عدم تعین المقدار لاختلاف الأفراد فی ذلک.

و قوله:« یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ »أی کما شاء الضعف فخلقه ثم القوه بعده فخلقها ثم الضعف بعدها فخلقه و فی ذلک أتم الإشاره إلی أن تتالی هذه الأحوال من الخلق و إذ کان هذا النقل من حال إلی حال فی عین أنه تدبیر خلقا فهو الله الخالق للأشیاء فلیس لقائل منهم أن یقول:إن ذلک من التدبیر الراجع إلی إله الإنسان،مثلا کما یقوله الوثنیه.

ثم تمم الکلام بالعلم و القدره فقال:« وَ هُوَ الْعَلِیمُ الْقَدِیرُ ».

قوله تعالی:« وَ یَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَهُ یُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مٰا لَبِثُوا غَیْرَ سٰاعَهٍ کَذٰلِکَ کٰانُوا یُؤْفَکُونَ »،هذه الآیات کالذنابه للآیات السابقه العاده للآیات و الحجج علی وحدانیته تعالی و البعث،و کالتمهید و التوطئه للآیه التی تختتم بها السوره فإنه لما عد شیئا من الآیات و الحجج و أشار إلی أنهم لیسوا ممن یترقب منهم الإیمان أو یطمع فی إیمانهم أراد أن یبین أنهم فی جهل من الحق یتلقون الحدیث الحق باطلا و الآیات الصریحه الدلاله منعزله عن دلالتها و کذلک یؤفکون و لا عذر لهم یعتذرون به.

و هذا الإفک و التقلب من الحق إلی الباطل یدوم علیهم و یلازمهم حتی قیام الساعه فیظنون أنهم لم یلبثوا فی قبورهم فیما بین الموت و البعث غیر ساعه من نهار فاشتبه علیهم أمر البعث کما اشتبه علیهم کل حق فظنوه باطلا.

فقوله:« وَ یَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَهُ یُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مٰا لَبِثُوا غَیْرَ سٰاعَهٍ »،یحکی عنهم اشتباه الأمر علیهم فی أمر الفصل بین الدنیا و یوم البعث حتی ظنوه ساعه من ساعات الدنیا.

و قوله:« کَذٰلِکَ کٰانُوا یُؤْفَکُونَ »أی یصرفون من الحق إلی الباطل فیدعون إلی الحق و یقام علیه الحجج و الآیات فیظنونه باطلا من القول و خرافه من الرأی.

قوله تعالى:« وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ »إلخ،رد منهم لقول المجرمين:« مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ »فإن المجرمين لإخلادهم إلى الأرض و توغلهم فى نشأه الدنيا يرون يوم البعث و الفصل بينه و بين الدنيا محكوما بنظام الدنيا فقدروا الفصل بساعه و هو مقدار قليل من الزمان كأنهم ظنوا أنهم بعد فى الدنيا لأنه مبلغ علمهم.

فرد عليهم أهل العلم و الإيمان أن اللبث مقدر بالفصل بين الدنيا و يوم البعث و هو الفصل الذى يشير إليه قوله: «وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» :المؤمنون:١٠٠.

فاستنتجوا منه أن اليوم يوم البعث و لكن المجرمين لما كانوا فى ريب من البعث و لم يكن لهم يقين بغير الدنيا ظنوا أنهم لم يمر بهم إلا ساعه من ساعات الدنيا و هذا معنى قولهم:« لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ »،أى كنتم جاهلين مرتابين لا يقين لكم بهذا اليوم و لذلك اشتبه عليكم أمر اللبث.

و من هنا يظهر أن المراد بقوله:« أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ »،اليقين و الالتزام بمقتضاه و أن العلم بمعنى اليقين بالله و بآياته و الإيمان بمعنى الالتزام بمقتضى اليقين من الموهبه الإلهيه،و من هنا يظهر أيضا أن المراد بكتاب الله الكتب (١)السماويه أو خصوص القرآن لا غيره و قول بعضهم:إن فى الآيه تقديما و تأخيرا و التقدير و قال الذين أوتوا العلم و الإيمان فى كتاب الله لقد لبثتم إلى يوم البعث لا يعتد به.

قوله تعالى:« فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ » الاستعتاب طلب العتبى،و العتبى إزاله العتاب أى لا ينفعهم المعذره عن ظلمهم و لا يطلب منهم أن يزيلوا العتاب عن أنفسهم.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ »إلخ،إشاره

١- ١) و يمكن أن يكون المراد بكتاب الله اللوح المحفوظ فيكون ذلك استدلالا على قولهم بكتاب الله و يكون نظير ما فى قوله:«هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق»،الجاثيه:٢٩ بناء على ما سيأتى من معناه«منه».

إلى كونهم مأفوكين مصروفين عن الحق حيث لا ينفعهم مثل يقرب الحق من قلوبهم لأنها مطبوع عليها،و لذا عقبه بقوله:« وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ مُبْطِلُونَ »أى جاءون بالباطل و هذا القول منهم لأنهم مصروفون عن الحق يرون كل حق باطلا،و وضع الموصول و الصله موضع الضمير للدلاله على سبب القول.

قوله تعالى:« كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ »،أى يجهلون بالله و آياته و منها البعث و هم يصرون على جهلهم و ارتيابهم.

قوله تعالى:« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَ لاٰ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاٰ يُوقِنُونَ »،أى فاصبر على ما يواجهونك به من قولهم:« إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ مُبْطِلُونَ »و سائر تهكماتهم،إن وعد الله أنه ينصرك حق كما أومأ إليه بقوله:« وَ كٰانَ حَقًّا عَلَيْنٰا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ »،و لا يستخفنك الذين لا يوقنون بوعد الله سبحانه.

و قول بعضهم:إن المعنى لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينات بتكذيبهم لها و إيذائهم لك بأباطيلهم،ليس بشيء و قد بدأت السوره بالوعد و ختمت بالوعد و الوعدان جميعا بالنصره.

ص:۲۰۷

(۳۱) (سوره لقمان مکیه، و هی أربع و ثلاثون آیه)(۳۴)

[سوره لقمان (۳۱): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

الم (۱) تِلْکَ آیٰاتُ اَلْکِتٰابِ اَلْحَکِیمِ (۲) هُدیً وَ رَحْمَهً لِلْمُحْسِنِینَ (۳) اَلَّذِینَ یُقِیمُونَ اَلصَّلاٰهَ وَ یُؤْتُونَ اَلزَّکٰاهَ وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ یُوقِنُونَ (۴) أُولٰئِکَ عَلیٰ هُدیً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۵) وَ مِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ اَلْحَدِیثِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اَللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّخِذَهٰا هُزُواً أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِینٌ (۶) وَ إِذٰا تُتْلیٰ عَلَیْهِ آیٰاتُنٰا وَلّٰی مُسْتَکْبِراً کَأَنْ لَمْ یَسْمَعْهٰا کَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذٰابٍ أَلِیمٍ (۷) إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ جَنّٰاتُ اَلنَّعِیمِ (۸) خٰالِدِینَ فِیهٰا وَعْدَ اَللّٰهِ حَقًّا وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۹) خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا وَ أَلْقیٰ فِی اَلْأَرْضِ رَوٰاسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ بَثَّ فِیهٰا مِنْ کُلِّ دٰابَّهٍ وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَنْبَتْنٰا فِیهٰا مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیمٍ (۱۰) هٰذٰا خَلْقُ اَللّٰهِ فَأَرُونِی مٰا ذٰا خَلَقَ اَلَّذِینَ مِنْ دُونِهِ بَلِ اَلظّٰالِمُونَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۱۱)

ص: ۲۰۸

(بيان)

غرض السوره كما يومئ إليه فاتحتها و خاتمتها و يشير إليه سياق عامه آياتها الدعوه إلى التوحيد و الإيقان بالمعاد و الأخذ بكليات شرائع الدين.

و يلوح من صدر السوره أنها نزلت فى بعض المشركين حيث كان يصد الناس عن استماع القرآن بنشر بعض أحاديث مزوقه ملهيه كما ورد فيه الأثر فى سبب نزول قوله:

« وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ »الآيه،و سيوافى حديثه.

فنزلت السوره تبين أصول عقائد الدين و كليات شرائعه الحقه و قصت شيئا من خبر لقمان الحكيم و مواعظه تجاه أحاديثهم الملهيه.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.و من غرر الآيات فيها قوله تعالى:« ذلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ »الآيه.

قوله تعالى:« تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ هُدىً وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ -إلى قوله- يُوقِنُونَ »تقدم تفسير مفردات هذه الآيات فى السور السابقه.

و قد وصف الكتاب بالحكيم إشعارا بأنه ليس من لهو الحديث من شيء بل كتاب لا انثلام فيه ليداخله لهو الحديث و باطل القول،و وصفه أيضا بأنه هدى و رحمه للمحسنين تتميما لصفه حكمته فهو يهدى إلى الواقع الحق و يوصل إليه لا كاللهو الشاغل للإنسان عما يهمه،و هو رحمه لا نقمه صارفه عن النعمه.

و وصف المحسنين بإقامه الصلاه و إيتاء الزكاه اللتين هما العمدتان فى الأعمال و بالإيقان بالآخره و يستلزم التوحيد و الرساله و عامه التقوى،كل ذلك مقابله الكتاب للهو الحديث المصغى إليه لمن يستمع لهو الحديث.

قوله تعالى:« وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَها هُزُواً »إلخ، اللهو ما يشغلك عما يهمك،و لهو الحديث:الحديث الذى يلهى عن الحق بنفسه كالحكايات الخرافيه و القصص الداعيه إلى الفساد و الفجور،أو بما يقارنه كالتغنى بالشعر أو بالملاهى و المزامير و المعازف فكل ذلك يشمله لهو الحديث.

و قوله:« لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ »مقتضى السياق أن يكون المراد بسبيل الله القرآن الكريم بما فيه من المعارف الحقه الاعتقاديه و العلميه و خاصه قصص الأنبياء و أممهم الخاليه فإن لهو الحديث و الأساطير المزوقه المختلقه تعارض أولا هذه القصص ثم تهدم بنيان سائر المعارف الحقه و توهنها فى أنظار الناس.

و يؤيد ذلك قوله بعد:« وَ يَتَّخِذَهٰا هُزُواً »فإن لهو الحديث بما أنه حديث كما سمعت يعارض أولا الحديث و يتخذه سخريا.

فالمراد بسبيل الله القرآن بما فيه من القصص و المعارف و كأن مراد من كان يشترى لهو الحديث أن يضل الناس بصرفهم عن القرآن و أن يتخذ القرآن هزوا بأنه حديث مثله و أساطير كأساطيره.

و قوله:« بِغَيْرِ عِلْمٍ »متعلق بيضل و هو فى الحقيقه وصف ضلال الضالين دون إضلال المضلين و إن كانوا أيضا لا علم لهم ثم هددهم بقوله:« أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ » أى مذل يوهنهم و يذلهم حذاء استكبارهم فى الدنيا.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِ آيٰاتُنٰا وَلّٰى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهٰا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً »إلخ،وصف لذاك الذى يشترى لهو الحديث ليضل الناس عن القرآن و يهزأ به و الوقر الحمل الثقيل و المراد بكون الوقر على أذنيه أن يشد عليهما ما يمنع من السمع و قيل:هو كنايه عن الصمم.

و المعنى:و إذا تتلى على هذا المشترى لهو الحديث آياتنا أى القرآن ولى و أعرض عنها و هو مستكبر كأن لم يسمعها قط كأنه أصم فبشره بعذاب أليم.

و قد أعيد إلى من يشترى ضمير الإفراد أولا كما فى« يَشْتَرِي »و« لِيُضِلَّ » و« يَتَّخِذَهٰا »باعتبار اللفظ و الضمير الجمع،ثانيا باعتبار المعنى ثم ضمير الإفراد باعتبار اللفظ كما فى« عَلَيْهِ »و غيره كذا قيل،و من الممكن أن يكون ضمير« لَهُمْ »فى الآيه السابقه راجعا إلى مجموع المضل و الضالين المدلول عليهم بالسياق فتكون الضمائر الراجعه إلى« مَنْ »مفرده جميعا.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ جَنّٰاتُ النَّعِيمِ -إلى قوله- اَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »رجوع بعد إنذار ذاك المشترى و تهديده بالعذاب المهين ثم العذاب

الأليم إلى تبشير المحسنين و تطييب أنفسهم بجنه النعيم الخالده الموعوده من قبله تعالى و وعده الحق.

و لما كان غرض من اشترى لهو الحديث أن يلتبس الأمر على من يضله بغير علم فيحسب القرآن من الأساطير الباطله كأساطيره و يهين به و كان لا يعتنى بما تتلى عليه من الآيات مستكبرا و ذلك استهانه بالله سبحانه أكد أولا ما وعده للمحسنين بقوله:

« وَعْدَ اللّهِ حَقًّا »ثم وصف ثانيا نفسه بالعزه المطلقه،فلا يطرأ عليه ذله و أهانه و الحكمه المطلقه فلا يداخل كلامه باطل و لا هزل و خرافه.

ثم وصفه ثالثا بأنه الذى يدبر أمر السماء و الأرض و النبات و الحيوان و الإنسان لأنه خالقها فله أن يعد هؤلاء بالجنه و أولئك بالعذاب و هو قوله:« خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا »إلخ.

قوله تعالى:« خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا »إلخ،تقدم فى تفسير قوله تعالى: «اللّٰهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا» :الرعد:٢ أن قوله:« تَرَوْنَهٰا » يحتمل أن يكون قيدا توضيحيا،و المعنى أنكم ترونها و لا أعمده لها،و أن يكون قيدا احترازيا و المعنى خلقها بغير أعمده مرئيه إشعارا بأن هناك أعمده غير مرئيه.

و قوله:« وَ أَلْقىٰ فِى الْأَرْضِ رَوٰاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ »،أى ألقى فيها جبالا شامخه لئلا تضطرب بكم و فيه إشعار بأن بين الجبال و الزلازل رابطه مستقيمه.

و قوله:« وَ بَثَّ فِيهٰا مِنْ كُلِّ دٰابَّهٍ »أى نشر فى الأرض من كل حيوان يدب عليها.

و قوله:« وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَنْبَتْنٰا فِيهٰا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ »أى و أنزلنا من جهه العلو ماء و هو المطر و أنبتنا فيها شيئا من كل زوج نباتى شريف فيه منافع و له فوائد،و فيه إشاره إلى تزوج النبات و قد تقدم الكلام فيه فى نظيره.

و الالتفات فيها من الغيبه إلى التكلم مع الغير للإشاره إلى كمال العنايه بأمره كما قيل.

قوله تعالى:« هٰذٰا خَلْقُ اللّهِ فَأَرُونِى مٰا ذٰا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظّٰالِمُونَ فِى ضَلاٰلٍ مُبِينٍ »،لما أراهم خلقه و تدبيره تعالى للسماوات و الأرض و ما عليها فأثبت به ربوبيته و ألوهيته تعالى كلفهم أن يروه شيئا من خلق آلهتهم إن كانوا آلهه و أربابا فإن

لم یقدروا علی إراءه شیء ثبت بذلک وحدانیته تعالی فی ألوهیته و ربوبیته.

و إنما کلفهم بإراءه شیء من خلق آلهتهم-و هم یعترفون أن الخلق لله وحده و لا یسندون إلی آلهتهم خلقا و إنما ینسبون إلیهم التدبیر فقط،لأنه نسب إلی الله خلقا هو بعینه تدبیر من غیر انفکاک،فلو کان لآلهتهم تدبیر فی العالم کان لهم خلق ما یدبرون أمره و إذ لیس لهم خلق فلیس لهم تدبیر فلا إله إلا الله و لا رب غیره.

و قد سیقت الآیه خطابا من النبی ص لأن نوع هذا الخطاب« فَأَرُونِی مٰا ذٰا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ »لا یستقیم من غیره(ص).

(بحث روائی)

فی المجمع،":نزل قوله تعالی:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ »فی النضر بن الحارث بن علقمه بن کلده-بن عبد الدار بن قصی بن کلاب- کان یتجر فیخرج إلی فارس فیشتری أخبار الأعاجم-و یحدث بها قریشا و یقول لهم:إن محمدا یحدثکم بحدیث عاد و ثمود-و أنا أحدثکم بحدیث رستم و إسفندیار-و أخبار الأکاسره فیستمعون حدیثه و یترکون استماع القرآن":عن الکلبی.

أقول:و روی هذا المعنی فی الدر المنثور،عن البیهقی عن ابن عباس،و لا یبعد أن یکون ذلک سبب نزول تمام السوره کما تقدمت الإشاره إلیه.

و فی المعانی،بإسناده عن یحیی بن عباده عن أبی عبد الله(ع): قلت:قوله عز و جل:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ »قال:منه الغناء.

أقول:و روی هذا المعنی فی الکافی،بإسناده عن مهران عنه(ع)،و بإسناده عن الوشاء عن الرضا عنه(ع)،و بإسناده عن الحسن بن هارون عنه(ع).

و فی الکافی،بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبی جعفر(ع)قال:سمعته یقول:

الغناء مما أوعد الله علیه النار و تلا هذه الآیه:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّخِذَهٰا هُزُواً- أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ مُهِینٌ ».

و فیه،بإسناده عن أبی بصیر قال: سألت أبا جعفر(ع)عن کسب المغنیات

فقال:التی یدخل علیها الرجال حرام-و التی تدعی إلی الأعراس لیس به بأس-و هو قول الله عز و جل:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ ».

و فی المجمع،و روی أبو أمامه عن النبی ص قال: لا یحل تعلیم المغنیات و لا بیعهن و أثمانهن حرام-و قد نزل تصدیق ذلک فی کتاب الله:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ »الآیه:

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن جم غفیر من أصحاب الجوامع عن أبی أمامه عنه(ص) .

و فیه،و روی عن أبی عبد الله(ع)أنه قال: هو الطعن فی الحق و الاستهزاء به و ما کان أبو جهل و أصحابه یجیئون به إذ قال:یا معاشر قریش-أ لا أطعمکم من الزقوم الذی یخوفکم به صاحبکم؟ثم أرسل إلی زبد و تمر فقال:هذا هو الزقوم الذی یخوفکم به.قال:و منه الغناء.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی الدنیا عن علی بن الحسین قال: ما قدست أمه فیها البربط.

و فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله:« وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ-لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ »فهو النضر بن الحارث بن علقمه بن کلده-من بنی عبد الدار بن قصی،و کان النضر ذا روایه لأحادیث الناس و أشعارهم،یقول الله عز و جل:« وَ إِذٰا تُتْلیٰ عَلَیْهِ آیٰاتُنٰا وَلّٰی مُسْتَکْبِراً »الآیه.

و فیه،عن أبیه عن الحسین بن خالد عن أبی الحسن الرضا(ع)قال: قلت له:

أخبرنی عن قول الله تعالی:« وَ السَّمٰاءِ ذٰاتِ الْحُبُکِ »قال:هی محبوکه إلی الأرض و شبک بین أصابعه.فقلت:کیف تکون محبوکه إلی الأرض و الله یقول:« رَفَعَ السَّمٰاوٰاتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا »؟فقال:سبحان الله أ لیس یقول:« بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا »؟ فقلت:بلی.فقال:فثم عمد و لکن لا ترونها.

[سوره لقمان (۳۱): الآیات ۱۲ الی ۱۹]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَیْنا لُقْمانَ اَلْحِکْمَهَ أَنِ اُشْکُرْ لِلّهِ وَ مَنْ یَشْکُرْ فَإِنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اَللّهَ غَنِیٌّ حَمِیدٌ (۱۲) وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لاِبْنِهِ وَ هُوَ یَعِظُهُ یا بُنَیَّ لا تُشْرِکْ بِاللّهِ إِنَّ اَلشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِیمٌ (۱۳) وَ وَصَّیْنَا اَلْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ أَنِ اُشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَیْکَ إِلَیَّ اَلْمَصِیرُ (۱۴) وَ إِنْ جاهَداکَ عَلی أَنْ تُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِی اَلدُّنْیا مَعْرُوفاً وَ اِتَّبِعْ سَبِیلَ مَنْ أَنابَ إِلَیَّ ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۵) یا بُنَیَّ إِنَّها إِنْ تَکُ مِثْقالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَکُنْ فِی صَخْرَهٍ أَوْ فِی اَلسَّماواتِ أَوْ فِی اَلْأَرْضِ یَأْتِ بِهَا اَللّهُ إِنَّ اَللّهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ (۱۶) یا بُنَیَّ أَقِمِ اَلصَّلاهَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اِنْهَ عَنِ اَلْمُنْکَرِ وَ اِصْبِرْ عَلی ما أَصابَکَ إِنَّ ذلِکَ مِنْ عَزْمِ اَلْأُمُورِ (۱۷) وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّکَ لِلنّاسِ وَ لا تَمْشِ فِی اَلْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اَللّهَ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (۱۸) وَ اِقْصِدْ فِی مَشْیِکَ وَ اُغْضُضْ مِنْ صَوْتِکَ إِنَّ أَنْکَرَ اَلْأَصْواتِ لَصَوْتُ اَلْحَمِیرِ (۱۹)

(بیان)

فی الآیات إشاره إلی إیتاء لقمان الحکمه و نبذه من حکمه و مواعظه لابنه و لم یذکر فی القرآن إلا فی هذه السوره و یناسب المورد من حیث مقابله قصته الممتلئه حکمه و موعظه لما قص من حدیث من کان یشتری لهو الحدیث لیضل عن سبیل الله بغیر علم و یتخذها هزوا.

ص: ۲۱۴

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلّهِ »إلخ،الحکمه علی ما یستفاد من موارد استعمالها هی المعرفه العلمیه النافعه و هی وسط الاعتدال بین الجهل و الجربزه.و قوله:« أَنِ اشْكُرْ لِي »قیل:هو بتقدیر القول أی و قلنا: أَنِ اشْكُرْ لِي .

و الظاهر أنه تفسیر إیتائه الحکمه من غیر تقدیر القول،و ذلک أن حقیقه الشکر هی وضع النعم فی موضعها الذی ینبغی له بحیث یشیر إلی إنعام المنعم،و إیقاعه کما هو حقه یتوقف علی معرفه المنعم و معرفه نعمه بما هی نعمه و کیفیه وضعها موضعه بحیث یحکی عن إنعامه فإیتاؤه الحکمه بعث له إلی الشکر فإیتاء الحکمه أمر بالشکر بالملازمه.

و فی قوله:« أَنِ اشْكُرْ لِلّهِ »التفات من التکلم مع الغیر إلی الغیبه و ذلک أن التکلم مع الغیر من المتکلم إظهار للعظمه بالتکلم عن قبل نفسه و خدمه و قول أن اشکر لنا علی هذا لا یناسب التوحید فی الشکر و هو ظاهر.

و قوله:« وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ »استغناء منه تعالی أن نفع الشکر إنما یرجع إلی نفس الشاکر و الکفر لا یتضرر به إلا نفسه دونه سبحانه و من یشکر فإنما یوقع الشکر لنفع نفسه و لا ینتفع به الله سبحانه لغناه المطلق و من کفر فإنما یتضرر به نفسه إن الله غنی لا یؤثر فیه الشکر نفعا و لا ضرا حمید محمود علی ما أنعم سواء شکر أو کفر.

و فی التعبیر عن الشکر بالمضارع الدال علی الاستمرار و فی الکفر بالماضی الدال علی المره إشعار بأن الشکر إنما ینفع مع الاستمرار لکن الکفر یتضرر بالمره منه.

قوله تعالی:« وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لاِبْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »عظمه کل عمل بعظمه أثره و عظمه المعصیه بعظمه المعصی فإن مؤاخذه العظیم عظیمه فأعظم المعاصی معصیه الله لعظمته و کبریائه فوق کل عظمه و کبریاء بأنه الله لا شریک له و أعظم معاصیه معصیته فی أنه الله لا شریک له.

و قوله:« إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »حیث أطلق عظمته من غیر تقیید بقیاسه إلی سائر المعاصی یدل علی أن له من العظمه ما لا یقدر بقدر.

قوله تعالی:« وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ »إلی آخر الآیه،اعتراض واقع بین الکلام المنقول عن لقمان و لیس من کلام لقمان و إنما اطرد هاهنا للدلاله علی وجوب

شکر الوالـدین کوجوب الشـکر لله بـل هو من شـکره تعـالی لانتهائه إلی وصـیته و أمره تعالی،فشـکرهما عباده له تعالی و عبادته شکر.

و قـوله:« حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلیٰ وَهْنٍ وَ فِصٰالُهُ فِی عٰامَیْنِ »ذکر بعض مـا تحملته أمه من المحنه و الأـذی فی حمله و تربیته لیکون داعیا له إلی شکرهما و خاصه الأم.

و الوهن الضـعف و هو حال بمعنی ذات وهن أو مفعول مطلق و التقـدیر تهن وهنا علی وهن،و الفصال الفطم و ترک الإرضاع،و معنی کون الفصـال فی عـامین تحققه بتحقق العامین فیئول إلی کون الإرضاع عامین،و إذا ضم إلی قوله تعالی: «وَ حَمْلُهُ وَ فِصٰالُهُ ثَلاٰثُونَ شَهْراً» ، :الأحقاف:۱۵ بقی لأقل الحمل سته أشهر،و ستکرر الإشاره إلیه فیما سیأتی (۱).

و قوله:« أَنِ اشْـکُرْ لِی وَ لِوٰالِدَیْکَ إِلَیَّ الْمَصِـیرُ »تفسیر لقوله:« وَصَّیْنَا »إلخ، فی أول الآیه أی کانت وصیتنا هو أمرنا بشکرهما کما أمرناه بشکر الله،و قوله:« إِلَیَّ الْمَصِیرُ »إنذار و تأکید للأمر بالشکر.

و القول فی الالتفات الواقع فی الآیه فی قوله:« أَنِ اشْـکُرْ لِی وَ لِوٰالِدَیْکَ إِلَیَّ الْمَصِـیرُ »إلـخ،من سـیاق التکلم مع الغیر إلی سـیاق التکلم وحده کالقول فی الالتفات فی قوله السابق:« أَنِ اشْکُرْ لِلّٰهِ ».

قوله تعالی:« وَ إِنْ جٰاهَدٰاکَ عَلیٰ أَنْ تُشْـرِکَ بِی مٰا لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلاٰ تُطِعْهُمٰا » إلی آخر الآیه.أی إن ألحا علیک بالمجاهـده أن تجعـل مـا لیس لـک علم به أو بحقیقته شـریکا لی فلا تطعهما و لا تشـرک بی،و المراد بکون الشـریک المفروض لا علم به کونه معـدوما مجهولا مطلقا لا یتعلق به علم فیئول المعنی:لا تشـرک بی ما لیس بشـیء،هذا محصل ما ذکره فی الکشاف،و ربما أیده قوله تعالی: «أَ تُنَبِّئُونَ اللّٰهَ بِمٰا لاٰ یَعْلَمُ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی الْأَرْضِ» :یونس:۱۸.

و قیل:« تُشْـرِکَ »بمعنی تکفر و« مٰا »بمعنی الـذی،و المعنی:و إن جاهداک أن تکفر بی کفرا لا حجه لک به فلا تطعهما و یؤیده تکرار نفی السلطان علی الشریک

۱- ۱) فی بحث روائی فی ذیل آیه الأحقاف.

فى کلامه تعالى کقوله: «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْمٰاءً سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُکُمْ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ» ، :يوسف:۴۰ إلى غير ذلک من الآيات.

و قوله:« وَ صٰاحِبْهُمٰا فِی الدُّنْيٰا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنٰابَ إِلَیَّ »الجملتان کالتلخيص و التوضيح لما تقدم فى الآيتين من الوصيه بهما و النهى عن إطاعتهما إن جاهدا على الشرک بالله.

يقول سبحانه:يجب على الإنسان أن يصاحبهما فى الأمور الدنيويه غير الدين الذى هو سبيل الله صحابا معروفا و معاشره متعارفه غير منکره من رعايه حالهما بالرفق و اللين من غير جفاء و خشونه و تحمل المشاق التى تلحقه من جهتهما فليست الدنيا إلا أياما معدوده متصرمه،و أما الوالدين فإن کانا ممن أناب إلى الله فلتتبع سبيلهما و إلا فسبيل غيرهما ممن أناب إلى الله.

و من هنا يظهر أن فى قوله:« وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنٰابَ إِلَیَّ »إيجازا لطيفا فهو يفيد أنهما لو کانا من المنيبين إلى الله فلتتبع سبيلهما و إلا فلا يطاعا و لتتبع سبيل غيرهما ممن أناب إلى الله.

و قوله:« ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »أى هذا الذى ذکر،تکليفکم فى الدنيا ثم ترجعون إلى يوم القيامه فأظهر لکم حقيقه أعمالکم التى عملتموها فى الدنيا فأقضى بينکم على حسب ما تقتضيه أعمالکم من خير أو شر.

و بما مر يظهر أن قوله:« فِی الدُّنْيٰا »يفيد أولا قصر المصاحبه بالمعروف فى الأمور الدنيويه دون الدينيه،و ثانيا:تهوين أمر الصحبه و أنها ليست إلا فى أيام قلائل فلا کثير ضير فى تحمل مشاق خدمتهما،و ثالثا المقابله ليوم الرجوع إلى الله المشار إليه بقوله:« ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ »إلخ.

قوله تعالى:« يٰا بُنَیَّ إِنَّهٰا إِنْ تَکُ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَکُنْ فِی صَخْرَهٍ أَوْ فِی السَّمٰاوٰاتِ أَوْ فِی الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ »إلخ،ذکروا أن الضمير فى« إِنَّهٰا »للخصله من الخير و الشر لدلاله السياق على ذلک و هو أيضا اسم کان و« مِثْقٰالَ حَبَّهٍ »خبره،و المراد بکونها فى صخره اختفاؤها بالاستقرار فى جوف الصخره الصماء أو فى السماوات أو فى الأرض،و المراد بالإتيان بها إحضارها للحساب و الجزاء.

کـان الفصـل السابق من کلامه المنقول راجعا إلی التوحیـد و نفی الشـریک و ما فی هـذه الآیه فصل ثان فی المعاد و فیه حساب الأعمـال،و المعنی:یا بنی إن تکن الخصـله التی عملت من خیر أو شـر أخف الأشـیاء و أدقها کمثقال حبه من خردل فتکن تلک الخصـله الصـغیره مستقره فی جوف صخره أو فی أی مکان من السماوات و الأرض یأت بها الله للحساب و الجزاء لأن الله لطیف ینفذ علمه فی أعماق الأشیاء و یصل إلی کل خفی خبیر یعلم کنه الموجودات.

قوله تعـالی:« یٰا بُنَیَّ أَقِمِ الصَّلاٰهَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ اصْبِرْ عَلیٰ مٰا أَصٰابَکَ إِنَّ ذٰلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ »الآیه و ما بعدها من کلامه راجع إلی نبذه من الأعمال و الأخلاق الفاضله.

فمن الأعمال الصـلاه التی هی عمود الـدین و یتلوها الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و من الأخلاق الصبر علی ما یصـیب من مصیبه.

و قوله:« إِنَّ ذٰلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ »الإشاره إلی الصبر و الإشاره البعیـده للتعظیم و الترفیع و قول بعضـهم:إن الإشاره إلی جمیع ما تقـدم من الصـلاه و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و الصبر لیس فی محله لتکرر عـد الصبر من عزم الأمور فی کلامه تعالی کقوله: «وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذٰلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» :الشوری:۴۳ و قوله:

«إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِکَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» :آل عمران:۱۸۶.

و العزم -علی مـا ذکره الراغب-عقـد القلب علی إمضـاء الأـمر و کون الصبر- و هو حبس النفس فی الأمر-من العزم إنما هو من حیث إن العقد القلبی ما لم ینحل و ینفصم ثبت الإنسان علی الأمر الذی عقد علیه فالصبر لازم الجد فی العقد و المحافظه علیه و هو من قدره النفس و شهامتها.

و قول بعضهم:إن المعنی أن ذلک من عزیمه الله و إیجابه فی الأمور بعید و کذا قول بعضهم:إن العزم هو الجزم و هو لغه هذیل.

قوله تعالی:« وَ لاٰ تُصَعِّرْ خَدَّکَ لِلنّٰاسِ وَ لاٰ تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یُحِبُّ کُلَّ مُخْتٰالٍ فَخُورٍ »قال الراغب: الصـعر میل فی العنق و التصعیر إمالته عن النظر کبرا قال:« وَ لاٰ تُصَعِّرْ خَدَّکَ لِلنّٰاسِ »و قال: المرح شده الفرح و التوسع فیه انتهی.

فالمعنی:لا تعرض بوجهک عن الناس تکبرا و لا تمش فی الأرض مشیه من اشتد فرحه إن الله لا یحب کل من تأخذه الخیلاء-و هو التکبر بتخیل الفضیله-و یکثر من الفخر.و قال بعضهم إن معنی:« لاٰ تُصَعِّرْ خَدَّکَ لِلنّٰاسِ » لا تلو عنقک لهم تذللا عند الحاجه و فیه أنه لا یلائمه ذیل الآیه.

قوله تعالی:« وَ اقْصِدْ فِی مَشْیِکَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِکَ إِنَّ أَنْکَرَ الْأَصْوٰاتِ لَصَوْتُ الْحَمِیرِ » القصد فی الشیء الاعتدال فیه و الغض -علی ما ذکره الراغب-النقصان من الطرف و الصوت فغض الصوت النقص و القصر فیه.

و المعنی:و خذ بالاعتدال فی مشیک و بالنقص و القصر فی صوتک إن أنکر الأصوات لصوت الحمیر لمبالغتها فی رفعه.

(بحث روائی)

اشاره

فی الکافی،بإسناده عن عبد الله بن سنان قال:سمعت أبا عبد الله(ع)یقول:

إن من الکبائر عقوق الوالدین-و الیأس من روح الله و الأمن من مکر الله

و قد روی:

أکبر الکبائر الشرک بالله.

و فی الفقیه،فی الحقوق المرویه عن سید العابدین(ع)*: حق الله الأکبر علیک أن تعبده و لا تشرک به شیئا-فإذا فعلت ذلک بإخلاص-جعل لک علی نفسه أن یکفیک أمر الدنیا و الآخره.

قال:و أما حق أمک-أن تعلم أنها حملتک حیث لا یحتمل أحد أحدا-و أعطتک من ثمره قلبها ما لا یعطی أحد أحدا-و وقتک بجمیع جوارحها،و لم تبال أن تجوع و تطعمک،و تعطش و تسقیک،و تعری و تکسوک،و تضحی و تظلک،و تهجر النوم لأجلک،و وقتک الحر و البرد لتکون لها-فإنک لا تطیق شکرها إلا بعون الله و توفیقه.

و أما حق أبیک فأن تعلم أنه أصلک-فإنک لولاه لم تکن فمهما رأیت من نفسک ما یعجبک-فاعلم أن أباک أصل النعمه علیک فیه-فاحمد الله و اشکره علی قدر ذلک و لا قوه إلا بالله.

و فی الکافی،بإسناده عن هشام بن سالم عن أبی عبد الله(ع)قال: جاء رجل

إلى النبى ص-فقال:يا رسول الله من أبر؟قال:أمك.قال:ثم من؟قال:

أمك.قال:ثم من؟قال:أمك.قال:ثم من؟قال:أباك.

و فى المناقب،:مر الحسين بن على(ع)-على عبد الرحمن بن عمرو بن العاص.

فقال عبد الله:من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء-فلينظر إلى هذا المجتاز و ما كلمته منذ ليالى صفين.

فأتى به أبو سعيد الخدرى إلى الحسين(ع)-فقال له الحسين(ع):أ تعلم أنى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء-و تقاتلنى و أبى يوم صفين؟و الله إن أبى لخير منى.

فاستعذر-و قال إن النبى ص قال لى:أطع أباك.فقال له الحسين(ع):أ ما سمعت قول الله عز و جل:« وَ إِنْ جٰاهَدٰاكَ عَلىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِى مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاٰ تُطِعْهُمٰا »

و قال رسول الله ص: إنما الطاعه بالمعروف،و قوله:لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق.

و فى الفقيه،:فى ألفاظه(ص)الموجزه: لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق.

و فى الكافى،بإسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر(ع)قال:سمعته يقول: اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالبا،يقول أحدكم أذنب و أستغفر إن الله عز و جل يقول:« وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ-وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فِى إِمٰامٍ مُبِينٍ -و قال عز و جل:« إِنَّهٰا إِنْ تَكُ مِثْقٰالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ-فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمٰاوٰاتِ أَوْ فِى الْأَرْضِ-يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ».

و فيه،بإسناده إلى معاويه بن وهب قال: سألت أبا عبد الله(ع)عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم-و أحب ذلك إلى الله عز و جل-فقال:ما أعلم شيئا بعد المعرفه أفضل من هذه الصلاه. الحديث.

و فيه،بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الرضا(ع)أنه قال: الصلاه قربان كل تقى.

و فى المجمع،: « وَ اصْبِرْ عَلىٰ مٰا أَصٰابَكَ »من المشقه و الأذى-فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر: عن على(ع).

و فيه،: فى قوله تعالى:« وَ لاٰ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّٰاسِ »أى و لا تمل وجهك من الناس بكل-و لا تعرض عمن يكلمك استخفافا به،: و هذا المعنى قول ابن عباس و أبى عبد الله(ع) .

و فی الـدر المنثور،أخرج الطبرانی و ابن عـدی و ابن مردویه عن أبی أیوب الأنصاری: أن رسول الله ص سـئل عن قول الله:« وَ لاٰ تُصَعِّرْ خَدَّکَ لِلنّٰاسِ »قال:

إلی الشدق.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« إِنَّ أَنْکَرَ الْأَصْوٰاتِ لَصَوْتُ الْحَمِیرِ »:و

روی عن أبی عبـد الله(ع)قال: هی العطسه المرتفعه القبیحه-و الرجل یرفع صوته بالحـدیث رفعا قبیحا-إلا أن یکون داعیا أو یقرأ القرآن.

أقول:و فی جمیع هذه المعانی و خاصه فی العقوق روایات کثیره متظافره.

(کلام فی قصه لقمان و نبذ من حکمه،فی فصلین

۱-لم یرد اسم لقمان فی کلامه تعالی إلا فی سوره لقمان و لم یـذکر من قصـصه إلا ما فی قوله عز من قائل:« وَ لَقَـدْ آتَیْنٰا لُقْمٰانَ الْحِکْمَهَ أَنِ اشْکُرْ لِلّٰهِ »و قد وردت فی قصته و حکمه روایات کثیره مختلفه و نحن نورد بعض ما کان منها أقرب إلی الاعتبار.

ففی الکـافی،عن بعض أصـحابنا رفعه إلی هشـام بن الحکم قـال:قال لی أبو الحسن موسـی بن جعفر(ع): یا هشام-إن الله قال:« وَ لَقَدْ آتَیْنٰا لُقْمٰانَ الْحِکْمَهَ »قال:

الفهم و العقل.

و فی المجمع،روی نافع عن ابن عمر قال:سمعت رسول الله ص یقول: حقا أقول لم یکن لقمان نبیا-و لکن کان عبدا کثیر التفکر حسن الیقین-أحب الله فأحبه و من علیه بالحکمه-.

کان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء:یا لقمان هل لک أن یجعلک الله خلیفه فی الأرض-تحکم بین الناس بالحق؟فأجاب الصوت إن خیرنی ربی قبلـت العـافیه-و لـم أقبـل البلاـء و إن هـو عزم علی فسـمعا و طـاعه-فـإنی أعلم أنه إن فعـل بی ذلـک أعـاننی و عصمنی.

فقالت الملائکه بصوت لا یراهم:لم یا لقمان؟قال:لأن الحکم أشد المنازل و آکدها-یغشاه الظلم من کل مکان إن وفی فبالحری أن ینجو،و إن أخطأ أخطأ طریق الجنه،و من یکن فی الـدنیا ذلیلا و فی الآخره شـریفا خیر-من أن یکون فی الـدنیا شـریفا و فی الآخره ذلیلا-و من تخیر الدنیا علی الآخره تفته الدنیا و لا یصیب الآخره.

فعجبت الملائکه من حسن منطقه-فنام نومه فأعطی الحکمه فانتبه یتکلم بها-ثم کان یوازر داود بحکمته فقال له داود:طوبی لک یا لقمان أعطیت الحکمه و صرفت عنک البلوی.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن أبی هریره قال:قال رسول الله ص:

أ تدرون ما کان لقمان؟قالوا:الله و رسوله أعلم.قال:کان حبشیا.

۲-و فی تفسیر القمی،بإسناده عن حماد قال: سألت أبا عبد الله(ع)-عن لقمان و حکمته التی ذکرها الله عز و جل،فقال:أما و الله ما أوتی لقمان الحکمه-بحسب و لا مال و لا أهل و لا بسط فی جسم و لا جمال.

و لکنه کان رجلا قویا فی أمر الله-متورعا فی الله ساکتا مستکینا-عمیق النظر طویل الفکر حدید النظر- مستغن بالعبر لم ینم نهارا قط-و لم یره أحد من الناس علی بول و لا غائط-و لا اغتسال لشده تستره و عموق نظره-و تحفظه فی أمره،و لم یضحک من شیء قط مخافه الإثم-و لم یغضب قط،و لم یمازح إنسانا قط،و لم یفرح بشیء أتاه من أمر الدنیا-و لا حزن منها علی شیء قط-و قد نکح من النساء و ولد له من الأولاد الکثیر و قدم أکثرهم أفراطا فما بکی علی موت أحد منهم.

و لم یمر برجلین یختصمان أو یقتتلان إلا أصلح بینهما-و لم یمض عنهما حتی تحابا، و لم یسمع قولا قط من أحد استحسنه-إلا سأل عن تفسیره و عمن أخذه،و کان یکثر مجالسه الفقهاء و الحکماء،و کان یغشی القضاه و الملوک و السلاطین-فیرثی للقضاه مما ابتلوا به،و یرحم الملوک و السلاطین لغرتهم بالله و طمأنینتهم فی ذلک،و یعتبر و یتعلم ما یغلب به نفسه و یجاهد به هواه-و یحترز به من الشیطان یداوی قلبه بالفکر-و یداوی نفسه بالعبر،و کان لا یظعن إلا فیما یعنیه-فبذلک أوتی الحکمه و منح العصمه.

و إن الله تبارک و تعالی أمر طوائف من الملائکه-حین انتصف النهار و هدأت العیون بالقائله-فنادوا لقمان حیث یسمع و لا یراهم فقالوا:یا لقمان هل لک أن یجعلک الله خلیفه فی الأرض تحکم بین الناس؟فقال لقمان:إن أمرنی الله بذلک فالسمع و الطاعه- لأنه إن فعل ذلک أعاننی علیه و علمنی و عصمنی-و إن هو خیرنی قبلت العافیه.مفقالت الملائکه:یا لقمان لم؟قال:لأن الحکم بین الناس بأشد المنازل-و أکثر

فتنا و بلاء يخذل و لا يعان و يغشاه الظلم من كل مكان-و صاحبه فيه بين أمرين إن أصاب فيه الحق-فبالحرى أن يسلم و إن أخطأ أخطأ طريق الجنه،و من يكن فی الدنیا ذلیلا ضعیفا کان أهون علیه فی المعاد-من أن یکون حکما سریا شریفا،و من اختار الدنیا علی الآخره یخسرهما کلتیهما-تزول هذه و لا تدرک تلک.

قال:فتعجب الملائکه من حکمته-و استحسن الرحمن منطقه-فلما أمسی و أخذ مضجعه من اللیل-أنزل الله علیه الحکمه فغشاه بها من قرنه إلی قدمه-و هو نائم و غطاه بالحکمه غطاء فاستیقظ-و هو أحکم الناس فی زمانه،و خرج علی الناس ینطق بالحکمه و یبثها فیها.

قال:فلما أوتی الحکم بالخلافه و لم یقبلها-أمر الله عز و جل الملائکه فنادت داود بالخلافه فقبلها-و لم یشترط فیها بشرط لقمان-فأعطاه الله عز و جل الخلافه فی الأرض و ابتلی بها غیر مره کل ذلک یهوی فی الخطإ-یقیله الله و یغفر له،و کان لقمان یکثر زیاره داود(ع)-و یعظه بمواعظه و حکمته و فضل علمه،و کان داود یقول له:طوبی لک یا لقمان-أوتیت الحکمه و صرفت عنک البلیه-و أعطی داود الخلافه و ابتلی بالحکم و الفتنه.

ثم قال أبو عبد الله(ع)فی قول الله عز و جل:« وَ إِذْ قٰالَ لُقْمٰانُ لاِبْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يٰا بُنَيَّ لاٰ تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »قال:فوعظ لقمان ابنه بآثار (۱)حتی تفطر و انشق.

و کان فیما وعظه به یا حماد أن قال:یا بنی إنک منذ سقطت إلی الدنیا استدبرتها و استقبلت الآخره فدار أنت إلیها تسیر أقرب إلیک من دار أنت عنها متباعد.یا بنی جالس العلماء و زاحمهم برکبتیک و لا تجادلهم فیمنعوک،و خذ من الدنیا بلاغا و لا ترفضها-فتکون عیالا علی الناس،و لا تدخل فیها دخولا یضر بآخرتک،و صم صوما یقطع شهوتک-و لا تصم صیاما یمنعک من الصلاه-فإن الصلاه أحب إلی الله من الصیام.

یا بنی:إن الدنیا بحر عمیق قد هلک فیها عالم کثیر-فاجعل سفینتک فیها الإیمان و اجعل شراعها التوکل،و اجعل زادک فیها تقوی الله-فإن نجوت فبرحمه الله و إن

۱- ۱) بآثار ابنه و التفطر و الانشقاق کنایه عن کمال التأثر.

هلکت فبذنوبک.

یا بنی:إن تأدبت صغیرا انتفعت به کبیرا-و من عنی بالأدب اهتم به،و من اهتم به تکلف علمه و من تکلف علمه اشتد له طلبه-و من اشتد له طلبه أدرک منفعته فاتخذه عاده-فإنک تخلف فی سلفک و ینتفع به من خلفک-و یرتجیک فیه راغب و یخشی صولتک راهب،و إیاک و الکسل عنه بالطلب لغیره-فإن غلبت علی الدنیا فلا تغلبن علی الآخره و إذا فاتک طلب العلم فی مظانه-فقد غلبت علی الآخره-و اجعل فی أیامک و لیالیک و ساعاتک نصیبا فی طلب العلم-فإنک لن تجد له تضییعا أشد من ترکه-و لا تمارین فیه لجوجا-و لا تجادلن فقیها و لا تعادین سلطانا،و لا تماشین ظلوما و لا تصادقنه-و لا تؤاخین فاسقا و لا تصاحبن متهما-و اخزن علمک کما تخزن ورقک.

یا بنی:خف الله عز و جل خوفا-لو أتیت القیامه ببر الثقلین خفت أن یعذبک و ارج الله رجاء-لو وافیت القیامه بإثم الثقلین رجوت أن یغفر الله لک.

فقال له ابنه: یا أبت-کیف أطیق هذا و إنما لی قلب واحد؟فقال له لقمان:

یا بنی:لو استخرج قلب المؤمن یوجد فیه نوران-نور للخوف و نور للرجاء-لو وزنا لما رجح أحدهما علی الآخر بمثقال ذره-فمن یؤمن بالله یصدق ما قال الله عز و جل-و من یصدق ما قال الله یفعل ما أمر الله،و من لم یفعل ما أمر الله لم یصدق ما قال الله-فإن هذه الأخلاق یشهد بعضها لبعض.

فمن یؤمن بالله إیمانا صادقا یعمل لله خالصا ناصحا-و من یعمل لله خالصا ناصحا فقد آمن بالله صادقا-و من أطاع الله خافه،و من خافه فقد أحبه،و من أحبه فقد اتبع أمره-و من اتبع أمره استوجب جنته و مرضاته،و من لم یتبع رضوان الله فقد هان علیه سخطه-نعوذ بالله من سخط الله.

یا بنی:لا ترکن إلی الدنیا و لا تشغل قلبک بها-فما خلق الله خلقا هو أهون علیه منها-أ لا تری أنه لم یجعل نعیمها ثواب المطیعین-و لم یجعل بلاءها عقوبه للعاصین.

و فی قرب الإسناد:،هارون عن ابن صدقه عن جعفر عن أبیه(ع): قیل للقمان:

ما الذی أجمعت علیه من حکمتک؟قال:لا أتکلف ما قد کفیته و لا أضیع ما ولیته. -

و فی البحار،عن قصص الأنبیاء بإسناده عن جابر عن أبی جعفر(ع)قال: کان

فیما وعظ به لقمان ابنه أن قال:یا بنی:إن تک فی شک من الموت-فارفع عن نفسک النوم و لن تستطیع ذلک-و إن کنت فی شک من البعث-فارفع عن نفسک الانتباه و لن تستطیع ذلک-فإنک إذا فکرت فی هذا-علمت أن نفسک بید غیرک-و إنما النوم بمنزله الموت-و إنما الیقظه بعد النوم بمنزله البعث بعد الموت،و قال:قال لقمان لابنه:یا بنی لا تقترب فیکون أبعد لک و لا تبعد فتهان،کل دابه تحب مثلها و ابن آدم (1)لا یحب مثله.لا تنشر (2)بزک إلا عند باغیه،و کما لیس بین الکبش و الذئب خله،کذلک لیس بین البار و الفاجر خله،من یقترب من الزفت تعلق به بعضه-کذلک من یشارک الفاجر یتعلم من طرفه،من یحب المراء یشتم،و من یدخل مدخل السوء یتهم،و من یقارن قرین السوء لا یسلم،و من لا یملک لسانه یندم.

و قال یا بنی صاحب مائه و لا تعاد واحدا،یا بنی إنما هو خلاقک و خلقک فخلاقک دینک و خلقک بینک و بین الناس-فلا تبغضن إلیهم و تعلم محاسن الأخلاق.

یا بنی کن عبدا للأخیار و لا تکن ولدا للأشرار.یا بنی أد الأمانه تسلم دنیاک و آخرتک-و کن أمینا فإن الله لا یحب الخائنین.یا بنی لا تر الناس أنک تخشی الله و قلبک فاجر.

و فی الکافی،بإسناده عن یحیی بن عقبه الأزدی عن أبی عبد الله(ع) قال: کان فیما وعظ به لقمان لابنه-یا بنی إن الناس قد جمعوا قبلک لأولادهم-فلم یبق ما جمعوا و لم یبق من جمعوا له،و إنما أنت عبد مستأجر-قد أمرت بعمل و وعدت علیه أجرا-فأوف عملک و استوف أجرک،و لا تکن فی هذه الدنیا بمنزله شاه-وقعت فی زرع أخضر فأکلت حتی سمنت-فکان حتفها عند سمنها،و لکن اجعل الدنیا بمنزله قنطره علی نهر جزت علیها فترکتها-و لم ترجع إلیها آخر الدهر أخربها-و لا تعمرها فإنک لم تؤمر بعمارتها.

و اعلم أنک ستسأل غدا-إذا وقفت بین یدی الله عز و جل عن أربع:شبابک فیما

۱- ۱) أی أن ابن آدم لا یجب أن یکافیه غیره فی مزیه من المزایا

۲- ۲) أی لا تظهر متاعک إلا عند طالبه.

أبليته،و عمرک فیما أفنیته،و مالک مما اکتسبته و فیما أنفقته،فتأهب لـذلک و أعـد له جوابا-و لا تأس علی ما فاتک من الدنیا-فـإن قلیـل الـدنیا لا یـدوم بقاؤه-و کثیرها لا یؤمن بلاؤه فخـذ حـذرک،و جـد فی أمرک،و اکشف الغطاء عن وجهک،و تعرض لمعروف ربک،و جـدد التوبه فی قلبک،و أکمش فی فراقک قبل أن یقصـد قصدک،و یقضـی قضاؤک،و یحال بینک و بین ما ترید.

و فی البحار،عن القصص بإسناده عن حماد عن الصادق(ع)قال: قال لقمان:

یا بنی إیاک و الضـجر و سوء الخلق و قله الصبر-فلا یسـتقیم علی هذه الخصال صاحب، و ألزم نفسک التؤده (۱)فی أمورک-و صبر علی مئونات الإخوان نفسک،و حسن مع جمیع الناس خلقک.

یا بنی إن عـدمک ما تصل به قرابتک-و تتفضل به علی إخوانک-فلا یعدمنک حسن الخلق و بسط البشـر-فإن من أحسن خلقه أحبه الأخیار و جانبه الفجار،و اقنع بقسم الله لیصـفو عیشک-فإن أردت أن تجمع عز الـدنیا-فاقطع طمعک مما فی أیدی الناس-فإنما بلغ الأنبیاء و الصدیقون ما بلغوا بقطع طمعهم.

أقول:و الأخبار فی مواعظه کثیره اکتفینا منها بما أوردناه إیثارا للاختصار.

[سوره لقمان (۳۱): الآیات ۲۰ الی ۳۴]

اشاره

أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اَللّٰهَ سَخَّرَ لَکُمْ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَیْکُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَهً وَ بٰاطِنَهً وَ مِنَ اَلنّٰاسِ مَنْ یُجٰادِلُ فِی اَللّٰهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ لاٰ هُدیً وَ لاٰ کِتٰابٍ مُنِیرٍ (۲۰) وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمُ اِتَّبِعُوا مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ قٰالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مٰا وَجَدْنٰا عَلَیْهِ آبٰاءَنٰا أَ وَ لَوْ کٰانَ اَلشَّیْطٰانُ یَدْعُوهُمْ إِلیٰ عَذٰابِ اَلسَّعِیرِ (۲۱) وَ مَنْ یُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَی اَللّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اِسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ اَلْوُثْقیٰ وَ إِلَی اَللّٰهِ عٰاقِبَهُ اَلْأُمُورِ (۲۲) وَ مَنْ کَفَرَ فَلاٰ یَحْزُنْکَ کُفْرُهُ إِلَیْنٰا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا إِنَّ اَللّٰهَ عَلِیمٌ بِذٰاتِ اَلصُّدُورِ (۲۳) نُمَتِّعُهُمْ قَلِیلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلیٰ عَذٰابٍ غَلِیظٍ (۲۴) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اَللّٰهُ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۲۵) لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ إِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْغَنِیُّ اَلْحَمِیدُ (۲۶) وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِی اَلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلاٰمٌ وَ اَلْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۲۷) مٰا خَلْقُکُمْ وَ لاٰ بَعْثُکُمْ إِلاّٰ کَنَفْسٍ وٰاحِدَهٍ إِنَّ اَللّٰهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (۲۸) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یُولِجُ اَللَّیْلَ فِی اَلنَّهٰارِ وَ یُولِجُ اَلنَّهٰارَ فِی اَللَّیْلِ وَ سَخَّرَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی إِلیٰ أَجَلٍ مُسَمًّی وَ أَنَّ اَللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۲۹) ذٰلِکَ بِأَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْحَقُّ وَ أَنَّ مٰا یَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ اَلْبٰاطِلُ وَ أَنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْعَلِیُّ اَلْکَبِیرُ (۳۰) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَلْفُلْکَ تَجْرِی فِی اَلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اَللّٰهِ لِیُرِیَکُمْ مِنْ آیٰاتِهِ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِکُلِّ صَبّٰارٍ شَکُورٍ (۳۱) وَ إِذٰا غَشِیَهُمْ مَوْجٌ کَالظُّلَلِ دَعَوُا اَللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ فَلَمّٰا نَجّٰاهُمْ إِلَی اَلْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاّٰ کُلُّ خَتّٰارٍ کَفُورٍ (۳۲) یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ اِتَّقُوا رَبَّکُمْ وَ اِخْشَوْا یَوْماً لاٰ یَجْزِی وٰالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لاٰ مَوْلُودٌ هُوَ جٰازٍ عَنْ وٰالِدِهِ شَیْئاً إِنَّ وَعْدَ اَللّٰهِ حَقٌّ فَلاٰ تَغُرَّنَّکُمُ اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا وَ لاٰ یَغُرَّنَّکُمْ بِاللّٰهِ اَلْغَرُورُ (۳۳) إِنَّ اَللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلسّٰاعَهِ وَ یُنَزِّلُ اَلْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ مٰا فِی اَلْأَرْحٰامِ وَ مٰا تَدْرِی نَفْسٌ مٰا ذٰا تَکْسِبُ غَداً وَ مٰا تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اَللّٰهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ (۳۴)

۱- ۱) التؤده-بضم التاء کهمزه-السکون و الرزانه.

(بيان)

رجوع إلى ما قبل القصه من آيات الوحدانيه و نفى الشريك و أدلتها المنتهيه إلى قوله:« هٰذا خَلْقُ اللّٰهِ فَأَرُونِی مٰا ذٰا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظّٰالِمُونَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِينٍ ».

قوله تعالى:« أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً »رجوع إلى ما قبل قصه لقمان و هو الدليل على أن الخطاب للمشركين و إن كان ذيل الآيه يشعر بعموم الخطاب.

و عليه فصدر الآيه من تتمه كلام النبى ص و يتصل بقوله:« هٰذا خَلْقُ اللّٰهِ فَأَرُونِی مٰا ذٰا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ »و لا التفات فى قوله:« أَ لَمْ تَرَوْا ».

و على تقدير كونه من كلامه تعالى ففى قوله:« أَ لَمْ تَرَوْا »التفات من سياق الغيبه الذى فى قوله:« بَلِ الظّٰالِمُونَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِينٍ »إلى الخطاب،و الالتفات فى مثل هذه الموارد يكون لاشتداد وجد المتكلم و تأكد غيظه من جهل المخاطبين و تماديهم فى غيهم بحيث لا ينفعهم دلاله و لا ينجح فيهم إشاره فيواجهون بذكر ما هو بمرأى منهم و مسمع لعلهم يتنبهوا عن نومتهم و ينتزعوا عن غفلتهم.

و كيف كان فالمراد بتسخير السماوات و الأرض للإنسان و هم يرون ذلك ما نشاهده من ارتباط أجزاء الكون بعضها ببعض فى نظام عام يدبر أمر العالم عامه و الإنسان خاصه لكونه أشرف أجزاء هذا العالم المحسوس بما فيه من الشعور و الإراده فقد سخر الله الكون لأجله.

ص :٢٢٨

و التسخير قهر الفاعل فى فعله بحيث يفعله على ما يستدعيه القاهر و يريده كتسخير الكاتب القلم للكتابه و كما يسخر المولى عبده و المخدوم خادمه فى أن يفعل باختياره و إرادته ما يختاره و يريده المولى و المخدوم و الأسباب الكونيه كائنه ما كانت تفعل بسببيتها الخاصه ما يريده الله من نظام يدبر به العالم الإنسانى.

و مما مر يظهر أن اللام فى« لَكُمْ »للتعليل الغائى و المعنى لأجلكم و المسخر بالكسر هو الله تعالى دون الإنسان،و ربما احتمل كون اللام للملك و المسخر بالكسر هو الإنسان بمشيه من الله تعالى كما يشاهد من تقدم الإنسان بمرور الزمان فى تسخير أجزاء الكون و استخدامه لها فى سبيل مقاصده لكن لا يلائمه تصدير الكلام بقوله:« أَ لَمْ تَرَوْا ».

و قوله:« وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً » الإسباغ الإتمام و الإيساع أى أتم و أوسع عليكم نعمه،و النعم جمع نعمه و هو فى الأصل بناء النوع و غلب عليه استعماله فى ما يلائم الإنسان فيستلذ منه،و المراد بالنعم الظاهره و الباطنه بناء على كون الخطاب للمشركين النعم الظاهره للحس كالسمع و البصر و سائر الجوارح و الصحه و العافيه و الطيبات من الرزق و النعم الغائبه عن الحس كالشعور و الإراده و العقل.

و بناء على عموم الخطاب لجميع الناس الظاهره من النعم هى ما ظهر للحس كما تقدم و كالدين الذى به ينتظم أمور دنياهم و آخرتهم و الباطنه منها كما تقدم و كالمقامات المعنويه التى تنال بإخلاص العمل.

و قوله:« وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ » رجوع الخطاب إلى النبى ص على ما كان فى السياق السابق،و المجادله المخاصمه النظريه بطريق المغالبه،و المقابله بين العلم و الهدى و الكتاب تلوح بأن المراد بالعلم ما هو مكتسب من حجه عقليه،و بالهدى ما يفيضه الله بالوحى أو الإلهام،و بالكتاب الكتاب السماوى المنتهى إليه تعالى بالوحى النبوى و لذلك وصفه بالمنير فهذه طرق ثلاث من العلم لا رابع لها.

فمعنى قوله: يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ كذا و كذا أنه يجادل فى وحدانيته تعالى فى الربوبيه و الألوهيه بغير حجه يصح الركون إليها بل عن تقليد.

قوله تعالى:« وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ

آبَاءَنا

»إلخ،ضمائر الجمع راجعه إلى« مِنَ »باعتبار المعنى كما أن ضمير الإفراد فى الآيه السابقه راجع إليه باعتبار اللفظ.

و قوله:« وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ »فى التعبير بما أنزل الله من غير أن يقال:اتبعوا الكتاب أو القرآن إشاره إلى كون الدعوه دعوه ذات حجه لا تحكم فيها لأن نزول الكتاب مؤيد بحجه النبوه فكأنه قيل:و إذا دعوا إلى دين التوحيد الذى يدل عليه الكتاب المقطوع بنزوله من عند الله سبحانه،و بعباره أخرى إذا ألقى إليهم القول مع الحجه قابلوه بالتحكم من غير حجه فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا.

و قوله:« أَ وَ لَوْ كٰانَ الشَّيْطٰانُ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ عَذٰابِ السَّعِيرِ »أى أ يتبعون آباءهم و لو كان الشيطان يدعوهم بهذا الاتباع إلى عذاب السعير؟فالاستفهام للإنكار و لو وصليه معطوفه على محذوف مثلها و التقدير أ يتبعونهم لو لم يدعهم الشيطان و لو دعاهم.

و محصل الكلام:أن الاتباع إنما يحسن إذا كانوا على الحق و أما لو كانوا على الباطل و كان اتباعا يدعوهم به إلى الشقاء و عذاب السعير و هو كذلك فإنه اتباع فى عباده غير الله و لا معبود غيره.

قوله تعالى:« وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقىٰ وَ إِلَى اللّٰهِ عٰاقِبَهُ الْأُمُورِ »استئناف و يحتمل أن يكون حالا من مفعول« يَدْعُوهُمْ »و فى معنى الجمله الحاليه ضمير عائد إليهم،و المعنى:أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى كذا و الحال أن من أسلم وجهه إلى الله كذا فقد نجا و أفلح و الحال أن عاقبه الأمور ترجع إلى الله فيجب أن يكون هو المعبود.

و إسلام الوجه إلى الله تسليمه له و هو إقبال الإنسان بكليته عليه بالعباده و إعراضه عمن سواه. و الإحسان الإتيان بالأعمال الصالحه عن إيقان بالآخره كما فسره به فى أول السوره« هُدىً وَ رَحْمَهً لِلْمُحْسِنِينَ اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاهَ وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ يُوقِنُونَ »و العروه الوثقى المستمسك الذى لا انفصام له.

و المعنى:و من وحد الله و عمل صالحا مع اليقين بالمعاد فهو ناج غير هالك البته فى عاقبه أمره لأنها إلى الله و هو الذى يعده بالنجاه و الفلاح.

و من هنا يظهر أن قوله:« وَ إِلَى اللّٰهِ عٰاقِبَهُ الْأُمُورِ »فى مقام التعليل لقوله:

« فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقیٰ »بما أنه استعاره تمثیلیه عن النجاه و الفلاح.

قوله تعالی:« وَ مَنْ کَفَرَ فَلاٰ یَحْزُنْکَ کُفْرُهُ -إلی قوله- إِلیٰ عَذٰابٍ غَلِیظٍ » تسلیه للنبی ص و تطییب لنفسه أن لا یغلبه الحزن و هم بالآخره راجعون إلیه تعالی فینبؤهم بما عملوا أی یظهر لهم حقیقه أعمالهم و تبعاتها و هی النار.

و قوله:« نُمَتِّعُهُمْ قَلِیلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلیٰ عَذٰابٍ غَلِیظٍ »کشف عن حقیقه حالهم ببیان آخر فإن البیان السابق« إِلَیْنٰا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا »ربما أوهم أنهم ما داموا متنعمین فی الدنیا خارجون من قدره الله ثم إذا ماتوا أو بعثوا دخلوا فیما خرجوا منه فانتقم منهم بالعذاب جیء بهذا البیان للدلاله علی أنهم غیر خارجین من التدبیر قط و إنما یمتعهم فی الدنیا قلیلا ثم یضطرهم إلی عذاب غلیظ فهم مغلوبون مقهورون علی کل حال و أمرهم إلی الله دائما لن یعجزوا الله فی حال التنعم و لا غیرها.

قوله تعالی:« وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللّٰهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ »إشاره إلی أنهم مفطورون علی التوحید معترفون به من حیث لا یشعرون،فإنهم إن سئلوا عمن خلق السماوات و الأرض اعترفوا بأنه الله عز اسمه و إذا کان الخالق هو هو فالمدبر لها هو هو لأن التدبیر لا ینفک عن الخلق،و إذا کان مدبر الأمر و المنعم الذی یبسط و یقبض و یرجی و یخاف هو فالمعبود هو هو وحده لا شریک له فقد اعترفوا بالوحده من حیث لا یعلمون.

و لذلک أمره(ص)أن یحمد الله علی اعترافهم من حیث لا یشعرون فقال:« قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ »ثم أشار إلی أن کون أکثرهم لا یعلمون معنی اعترافهم أن الله هو الخالق و ما یستلزمه فقال:« بَلْ أَکْثَرُهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ »نعم قلیل منهم یعلمون ذلک و لکنهم لا یطاوعون الحق بل یجحدونه و قد أیقنوا به کما قال تعالی: «وَ جَحَدُوا بِهٰا وَ اسْتَیْقَنَتْهٰا أَنْفُسُهُمْ» :النمل:۱۴.

قوله تعالی:« لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ »لما کان اعترافهم بأن الخالق هو الله سبحانه إنما یثبت التوحد بالربوبیه و الألوهیه إذا کان التدبیر و التصرف إلیه تعالی و کان نفس الخلق کافیا فی استلزامه اکتفی به فی تمام الحجه و استحمد النبی ص و استجهل القوم لغفلتهم.

ثم احتج عليه ثانيا من طريق انحصار الملك الحقيقى فيه تعالى لكونه غنيا محمودا مطلقا و تقريره أنه تعالى مبدئ كل خلق و معطى كل كمال فهو واجد لكل ما يحتاج إليه الأشياء فهو غنى على الإطلاق إذ لو لم يكن غنيا من جهه من الجهات لم يكن مبدئا له معطيا لكماله هذا خلف، و إذا كان غنيا على الإطلاق كان له ما فى السماوات و الأرض فهو المالك لكل شىء على الإطلاق فله أن يتصرف فيها كيف شاء فكل تدبير و تصرف يقع فى العالم فهو له إذ لو كان شىء من التدبير لغيره لا له كان مالكه ذلك الغير دونه و إذا كان التدبير و التصرف له تعالى فهو رب العالمين و الإله الذى يعبد و يشكر إنعامه و إحسانه.

و هذا هو الذى يشير إليه قوله:« لِلّهِ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ » فقوله:« لِلّهِ مٰا فِى »إلخ،حجه على وحدانيته و قوله:« إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ »تعليل للملك.

و أما قوله:« اَلْحَمِيدُ »أى المحمود فى أفعاله فهو مبدأ آخر للحجه و ذلك أن الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى و كل جميل فى العالم فهو له سبحانه فإليه يعود الثناء فيه فهو حميد على الإطلاق و لو كان شىء من هذا التدبير المتقن الجميل من غيره تعالى من غير انتساب إليه لكان الحمد و الثناء لغيره تعالى لا له فلا يكون حميدا على الإطلاق و بالنسبه إلى كل شىء و قد فرض أنه حميد على الإطلاق هذا خلف.

قوله تعالى:« وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلاٰمٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اللّٰهِ »إلخ،« مِنْ شَجَرَهٍ »بيان للموصول و الشجره واحد الشجر و تفيد فى المقام-و هى فى سياق« لَوْ »الاستغراق أى كل شجره فى الأرض،و المراد بالبحر مطلق البحر،و قوله:« يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ »أى يعينه بالانضياف إليه سبعه أمثاله و الظاهر أن المراد بالسبعه التكثير دون خصوص هذا العدد و الكلمه هى اللفظ الدال على معنى،و قد أطلق فى كلامه تعالى على الوجود المفاض بأمره تعالى، و قد قال: «إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» :يس:۸۲ و قد أطلق على المسيح(ع)الكلمه فى قوله: «وَ كَلِمَتُهُ أَلْقٰاهٰا إِلىٰ مَرْيَمَ» :النساء:۱۷۱.

فالمعنى:و لو جعل أشجار الأرض أقلاما و أخذ البحر و أضيف إليه سبعه أمثاله و جعل المجموع مدادا فكتب كلمات الله-بتبديلها ألفاظا داله عليها-بتلك

الأقلام من ذلک المداد لنفد البحر قبل أن تنفد کلمات الله لکونها غیر متناهیه.

و من هنا یظهر أن فی الکلام إیجازا بالحذف و أن قوله:« إِنَّ اللّٰهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ » فی مقام التعلیل،و المعنی:لأنه تعالی عزیز لا یعزه و لا یقهره شیء فهذه الکتابه لا ینفد بها ما هو من عنده حکیم لا یفوض التدبیر إلی غیره.

و الآیه متصله بما قبلها من حیث دلالته علی کون تدبیر الخلق له سبحانه لا لغیره فسیقت هذه الآیه للدلاله علی سعه تدبیره و کثره أوامره التکوینیه فی الخلق و التدبیر إلی حیث ینفد البحر الممدود بسبعه أمثاله لو جعل مدادا و کتبت به أشجار الأرض المجعوله أقلاما قبل أن ینفد أوامره و کلماته.

قوله تعالی:« مٰا خَلْقُکُمْ وَ لاٰ بَعْثُکُمْ إِلاّٰ کَنَفْسٍ وٰاحِدَهٍ إِنَّ اللّٰهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ »سوق للکلام إلی إمکان الحشر و خاصه من جهه استبعادهم المعاد لکثره عدد الموتی و اختلاطهم بالأرض من غیر تمیز بعضهم من بعض.

فقال تعالی:« مٰا خَلْقُکُمْ وَ لاٰ بَعْثُکُمْ إِلاّٰ کَنَفْسٍ وٰاحِدَهٍ »فی الإمکان و التأتی فإنه تعالی لا یشغله شأن عن شأن و لا یعجزه کثره و لا یتفاوت بالنسبه إلیه الواحد و الجمع، و ذکر الخلق مع البعث للدلاله علی عدم الفرق بین البدء و العود من حیث السهوله و الصعوبه بل لا یتصف فعله بالسهوله و الصعوبه.

و یشهد لما ذکر إضافه الخلق و البعث إلی ضمیر الجمع المخاطب و المراد به الناس ثم تنظیره بالنفس الواحده،و المعنی:لیس خلقکم معاشر الناس علی کثرتکم و لا بعثکم إلا کخلق نفس واحده و بعثها فأنتم علی کثرتکم و النفس الواحده سواء لأنه لو أشکل علیه بعث الجمیع علی کثرتهم و البعث لجزاء الأعمال فإنما یشکل من جهه الجهل بمختلف أعمالکم علی کثرتها و اختلاط بعضها ببعض لکنه لیس یجهل شیئا منها لأنه سمیع لأقوالکم بصیر بأعمالکم و بعباره أخری علیم بأعمالکم من طریق المشاهده.

و بما مر یندفع الاعتراض علی الآیه بأن المناسب لتعلیل کون خلق الکثیر و بعثهم کنفس واحده أن یعلل بمثل قولنا:إن الله علی کل شیء قدیر أو قوی عزیز أو ما یشبه ذلک لا بمثل السمیع البصیر الذی لا ارتباط له بالخلق و البعث.

و ذلک أن الإشکال الذی تعرضت الآیه لدفعه هو أن البعث لجزاء الأعمال و هی

على كثرتها و اندماج بعضها فى بعض كيف تتميز حتى تجزى عليها فالإشكال متوجه إلى ما ذكره قبل ثلاث آيات بقوله:« فَنُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا »و قد أجيب بأنه كيف يخفى عليه شىء من الأقوال و الأعمال و هو سميع بصير لا يشذ عن مشاهدته قول و لا فعل.

و قد كان ذيل قوله السابق:« فَنُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا »بقوله:« إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ »و هو مبنى على أن الجزاء على حسب ما يحمله القلب من الحسنه و السيئه كما يشير إليه قوله: «وَ إِنْ تُبْدُوا مٰا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحٰاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ» ، :البقره:۲۸۴ و جواب عن هذا الإشكال لو وجه إلى ما تحمله القلوب على كثرته فيجاب عنه أن الله عليم بذات الصدور و لو وجه إلى نفس الأعمال الخارجيه من الأقوال و الأفعال فالجواب عنه بما فى هذه الآيه التى نحن فيها:« إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ »،فالإشكال و الجواب بوجه نظير ما وقع فى قوله تعالى: «قٰالَ فَمٰا بٰالُ الْقُرُونِ الْأُولىٰ قٰالَ عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتٰابٍ لاٰ يَضِلُّ رَبِّي وَ لاٰ يَنْسىٰ» :طه:۵۲،فافهم.

و قد أجابوا عن الاعتراض بأجوبه أخرى غير تامه من أراد الوقوف عليها فليراجع المطولات.

قوله تعالى:« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهٰارِ وَ يُولِجُ النَّهٰارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى »إلخ،استشهاد لما تقدم فى الآيه السابقه من علمه بالأعمال بأن التدبير الجارى فى نظام الليل و النهار حيث يزيد هذا و ينقص ذاك و بالعكس بحسب الفصول المختلفه و بقاع الأرض المتفرقه فى نظم ثابت جار على اختلافه،و كذا التدبير الجارى فى الشمس و القمر على اختلاف طلوعهما و غروبهما و اختلاف جريانهما و مسيرهما بحسب الحس و كل منهما يجرى لأجل مسمى و لا اختلاف و لا تشوش فى النظام الدقيق الذى لهما فهذا كله مما يمتنع من غير علم و خبره من مدبرها.

فالمراد بإيلاج الليل فى النهار أخذ الليل فى الطول و إشغاله بعض ساعات النهار من قبل و بإيلاج النهار فى الليل عكس ذلك،و المراد بجريان الشمس و القمر المسخرين إلى أجل مسمى انتهاء كل وضع من أوضاعهما إلى وقت محدود مقدر ثم عودهما إلى بدء فمن شاهد هذا النظام الدقيق الجارى و أمعن فيه لم يشك فى أن مدبره إنما يدبره عن علم لا يخالطه جهل و ليس ذلك عن صدفه و اتفاق.

و قوله:« وَ أَنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ »عطف على موضع« أَنَّ اللّٰهَ يُولِجُ »و التقدير أ لم تر أن الله بما تعملون خبير و ذلك لأن من شاهد نظام الليل و النهار و الشمس و القمر لم يكد يغفل عن كون صانعه عليما بجلائل أعماله و دقائقها،كذا قيل.

و فيه أن استنتاج العلم بالأعمال من العلم بالنظام الجارى فى الليل و النهار و الشمس و القمر و إن صح فى نفسه فهو علم حدسى لا مصحح لتسميتها رؤيه و هو ظاهر.

و لعل المراد من مشاهده خبرته تعالى بالأعمال أن الإنسان لو أمعن فى النظام الجارى فى أعمال نفسه بما أنها صادره عن العالم الإنسانى موزعه من جهه إلى الأعمال الصادره عن القوى الظاهره من سمع و بصر و شم و ذوق و لمس و الصادره عن القوى الباطنه المدركه أو الفعاله أو من جهه إلى بعض القوى و الأدوات أو كلها و من جهه إلى جاذبه و دافعه و من جهه إلى سنى العمر من طفوليه و رهاق و شباب و شيب إلى غير ذلك.

ثم فى ارتباط بعضها ببعض و استخدام بعضها لبعض و اهتداء النفس إلى وضع كل فى موضعه الذى يليق به و حركته بهذه القافله من القوى و الأعمال نحو غايتها من الكمال و سعادتها فى المال و تورطها فى ورطات عالم الماده و موطن الزينه و الفتنه فمن ناج أو هالك.

فإذا أمعن فى هذا النظام المحير للأحلام لم يرتب أنه تقدير قدره ربه و نظام نظمه صانعه العليم القدير و مشاهده هذا النظام العلمى العجيب مشاهده أنه بما يعملون خبير،و الله العالم.

قوله تعالى:« ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبٰاطِلُ وَ أَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ »لما ذكر سبحانه أن منه بدء كل شىء فيستند إليه فى وجوده و تدبير أمره و أن إليه عود كل شىء من غير فرق بين الواحد و الكثير و أنه ليس إلى من يدعون من دونه خلق و لا أمر جمع الجميع تحت بيان واحد جامع فقال مشيرا إلى ما تقدم:

« ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبٰاطِلُ »إلخ.

توضيحه أن الحق هو الثابت من جهه ثبوته و الباطل يقابل الحق فهو اللاثابت من جهه عدم ثبوته،و قوله:« بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ »بما فيه من ضمير الفصل و تعريف

الخبر باللام يفيد القصر أعنى حصر المبتدإ فى الخبر.

فقوله:« بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ »قصر له تعالى فى الثبوت،أى هو ثابت لا يشوب ثبوته بطلان و بعباره أخرى هو ثابت من جميع الجهات و بعباره ثالثه هو موجود على كل تقدير فوجوده مطلق غير مقيد بقيد و لا مشروط بشرط فوجوده ضرورى و عدمه ممتنع و غيره من الموجودات الممكنه موجود على تقدير و هو تقدير وجود سببه و هو الوجود المقيد الذى يوجد بغيره من غير ضروره فى ذاته.

و إذا كان حقيه الشىء هو ثبوته فهو تعالى حق بذاته و غيره إنما يحق و يتحقق به.

و إذا تأملت هذا المعنى حق تأمله وجدت أولا:أن الأشياء بأجمعها تستند فى وجودها إليه تعالى و أيضا تستند فى النظام الجارى فيها عامه و فى النظامات الجزئيه الجاريه فى كل نوع من أنواعها و كل فرد من أفرادها إليه تعالى.

و ثانيا:أن الكمالات الوجوديه التى هى صفات الوجود كالعلم و القدره و الحياه و السمع و البصر و الوحده و الخلق و الملك و الغنى و الحمد و الخبره-مما عد فى الآيات السابقه أو لم يعد-صفات قائمه به تعالى على حسب ما يليق بساحه كبريائه و عز قدسه لأنها صفات وجوديه و الوجود قائم به تعالى فهى إما عين ذاته كالعلم و القدره و إما صفات خارجه عن ذاته منتزعه عن فعله كالخلق و الرزق و الرحمه.

و ثالثا:أن قبول الشريك فى ذاته أو فى تدبيره و كل ما يحمل معنى الفقد و النقص مسلوب عنه تعالى و هذه هى الصفات السلبيه كنفى الشريك و نفى التعدد و نفى الجسم و المكان و الزمان و الجهل و العجز و البطلان و الزوال إلى غيرها.

فإن إطلاق وجوده و عدم تقيده بقيد ينفى عنه كل معنى عدمى أى إثبات الوجود مطلقا فإن مرجع نفى النفى إلى الإثبات.

و لعل قوله:« وَ أَنَّ اللّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ »يفيد ثبوت الصفات له بكلتا مرحلتيها بناء على أن اسم« اَلْعَلِيُّ »يفيد معنى تنزهه عن ما لا يليق بساحته فهو مجمع الصفات السلبيه و الكبير يفيد سعته لكل كمال وجودى فهو مجمع الصفات الثبوتيه.

و أن صدر الآيه برهان على ذيلها و ذيلها برهان على استجماعه تعالى الصفات الثبوتيه و السلبيه جميعا على ما تقدم تقريره فهو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال

فهو الله عز اسمه.

و قوله:« وَ أَنَّ مٰا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبٰاطِلُ »يجرى فيه ما جرى فى قوله:« ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ »فالذى يدعونه من الآلهه ليس لهم من الحقيقه شىء و لا إليهم من الخلق و التدبير شىء لأن الشريك فى الألوهيه و الربوبيه باطلا لا حق فيه و إذ كان باطلا على كل تقدير فلا يستند إليه خلق و لا تدبير مطلقا.

و الحق و العلى و الكبير ثلاثه من الأسماء الحسنى و قد تحقق مما تقدم أن الحق فى معنى الواجب الوجود و أن العلى من الصفات السلبيه و الكبير من الصفات الثبوتيه قريب المعنى من قولنا:المستجمع لصفات الكمال.

قوله تعالى:« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللّٰهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيٰاتِهِ »إلخ، الباء فى« بِنِعْمَتِ اللّٰهِ »للسببيه و ذكر النعمه كالتوطئه لآخر الآيه و فيه تلويح إلى وجوب شكره على نعمته لأن شكر المنعم واجب.

و المعنى:أ لم تر أن الفلك تجرى و تسير فى البحر بسبب نعمه الله و هى أسباب جريانها من الريح و رطوبه الماء و غير ذلك.

و احتمل بعضهم أن الباء للتعديه أو المعيه و المراد بالنعمه ما تحمله السفن من الطعام و سائر أمتعه الحياه.

و قد تمم الآيه بقوله:« إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِكُلِّ صَبّٰارٍ شَكُورٍ »و الصبار الشكور أى كثير الصبر عند الضراء و كثير الشكر عند النعماء كنايه عن المؤمن على ما قيل.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ »إلخ،قال الراغب: الظله سحابه تظل و أكثر ما يقال فيما يستوخم و يكره،قال:« كَأَنَّهُ ظُلَّهٌ » « عَذٰابُ يَوْمِ الظُّلَّهِ »انتهى.

و المعنى:و إذا غشيهم و أحاط بهم فى البحر موج كقطع السحاب انقطعوا إلى الله و دعوه للنجاه حال كونهم مخلصين له الدين أى و فى ذلك دليل على أن فطرتهم على التوحيد.

و قوله:« فَلَمّٰا نَجّٰاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ » المقتصد سألك القصد أى الطريق المستقيم و المراد به التوحيد الذى دلتهم عليه فطرتهم إذ ذلك،و فى التعبير بمن التبعيضيه

استقلال عدتهم أى فلما نجا الله سبحانه هؤلاء الداعين بالإخلاص إلى البر فقليل منهم المقتصدون.

و قوله:« وَ مٰا يَجْحَدُ بِآيٰاتِنٰا إِلاّٰ كُلُّ خَتّٰارٍ كَفُورٍ » الختار مبالغه من الختر و هو شده الغدر و فى السياق دليل على الاستكثار و المعنى ظاهر.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ »لما ساق الحجج و المواعظ الشافيه الوافيه جمعهم فى خاتمتها فى خطاب عام يدعوهم إلى التقوى و ينذرهم بيوم القيامه الذى لا يغنى فيه مغن إلا الإيمان و التقوى.

قال الراغب: الجزاء الغنى و الكفايه،و قال:يقال:غررت فلانا أصبت غرته و نلت منه ما أريد و الغره غفله فى اليقظه و الغرار غفله مع غفوه،إلى أن قال: فالغرور كل ما يغر الإنسان من مال و جاه و شهوه و شيطان و قد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين و بالدنيا لما قيل:الدنيا تغر و تضر و تمر انتهى.

فمعنى الآيه:« يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ »و هو الله سبحانه« وَ اخْشَوْا يَوْماً » و هو يوم القيامه« لاٰ يَجْزِي »لا يغنى« وٰالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لاٰ مَوْلُودٌ هُوَ جٰازٍ »مغن كاف « عَنْ وٰالِدِهِ»شَيْئاً«إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ »بالبعث« حَقٌّ »ثابت لا يخلف« فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا »بزينتها الغاره« وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ »أى جنس ما يغر الإنسان من شئون الحياه الدنيا أو خصوص الشيطان.

قوله تعالى:« إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّٰاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مٰا فِي الْأَرْحٰامِ وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ مٰا ذٰا تَكْسِبُ غَداً وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » الغيث المطر و معنى جمل الآيه ظاهر.

و قد عد سبحانه أمورا ثلاثه مما تعلق به علمه و هى العلم بالساعه و هو مما استأثر الله علمه لنفسه لا يعلمه إلا هو و يدل على القصر قوله:« إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّٰاعَةِ » و تنزيل الغيث و علم ما فى الأرحام و يختصان به تعالى إلا أن يعلمه غيره.

و عد أمرين آخرين يجهل بهما الإنسان و بذلك يجهل كل ما سيجرى عليه من الحوادث و هو قوله:« وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ مٰا ذٰا تَكْسِبُ غَداً »و قوله:« وَ مٰا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ».

و كان المراد تذكره أن الله يعلم كل ما دق و جل حتى مثل الساعه التى لا يتيسر علمها للخلق و أنتم تجهلون أهم ما يهمكم من العلم فالله يعلم و أنتم لا تعلمون فإياكم أن تشركوا به و تتمردوا عن أمره و تعرضوا عن دعوته فتهلكوا بجهلكم.

(بحث روائی)

فی كمال الدين،بإسناده إلى حماد بن أبى زياد قال: سألت سيدى موسى بن جعفر (ع)عن قول الله عز و جل:« وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً »فقال:النعمه الظاهره الإمام الظاهر،و الباطنه الإمام الغائب.

أقول:هو من الجرى و الآيه أعم مدلولا.

و فى تفسير القمى،بإسناده عن جابر قال:قال رجل عند أبى جعفر(ع):

« وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظٰاهِرَةً وَ بٰاطِنَةً »قال:أما النعمه الظاهره فالنبى ص-و ما جاء به من معرفه الله عز و جل و توحيده-و أما النعمه الباطنه فولايتنا أهل البيت و عقد مودتنا. الحديث.

أقول:هو كسابقه.

و فى المجمع،:فى قوله تعالى:« وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ »الآيه،:و

فى روايه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت النبى ص عنه فقال:يا ابن عباس أما ما ظهر فالإسلام-و ما سوى الله من خلقك و ما أفاض عليك من الرزق-و أما ما بطن فستر مساوى عملك و لم يفضحك به،يا ابن عباس إن الله تعالى يقول:ثلاثه جعلتهن للمؤمن و لم يكن له:

صلاه المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله،و جعلت له ثلث ماله أكفر به عنه خطاياه، و الثالث سترت مساوى عمله و لم أفضحه بشىء منه-و لو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم.

أقول:روى ما يقرب منه فى الدر المنثور،بطرق عن ابن عباس،و الحديث كسابقيه من الجرى.

و فى التوحيد،بإسناده عن عمر بن أذينه عن أبى جعفر(ع)*: فى حديث:و قال رسول الله ص:كل مولود يولد على الفطره يعنى على المعرفه بأن الله خالقه-فذلك قوله عز و جل:« وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ ».

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْکَ تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللّهِ » قال:السفن تجری فی البحر بقدره الله.

و فیه،":فی قوله:« إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِکُلِّ صَبّارٍ شَکُورٍ »قال:الذی یصبر علی الفقر و الفاقه-و یشکر الله عز و جل علی جمیع أحواله.

و فی المجمع،":فی الآیه و

فی الحدیث: الإیمان نصفان:نصف صبر و نصف شکر.

أقول:و هو مأخوذ من الآیه فقد مر أنه کنایه عن المؤمن.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« إِلاّ کُلُّ خَتّارٍ کَفُورٍ »قال:الختار الخداع و فی قوله:« إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ »قال:ذلک القیامه.

و فی إرشاد المفید،:من کلام أمیر المؤمنین(ع) لرجل-سمعه یذم الدنیا من غیر معرفه بما یجب أن یقول فی معناها:الدنیا دار صدق لمن صدقها،و دار عافیه لمن فهم عنها،و دار غنی لمن تزود منها،مسجد أنبیاء الله و مهبط وحیه،و مصلی ملائکته و متجر أولیائه،اکتسبوا فیها الرحمه،و ربحوا فیها الجنه فمن ذا یذمها؟و قد آذنت ببینها،و نادت بفراقها،و نعت نفسها،فشوقت بسرورها إلی السرور،و حذرت ببلائها البلاء تخویفا و تحذیرا و ترغیبا و ترهیبا.

فیا أیها الذام للدنیا و المغتر بتغریرها متی غرتک؟أ بمصارع آبائک فی البلی أم بمصارع أمهاتک تحت الثری؟کم عللت بکفیک و مرضت بیدیک تبتغی لهم الشفاء- و استوصفت لهم الأطباء،و تلتمس لهم الدواء،لم تنفعهم بطلبک و لم تشفعهم بشفاعتک مثلت بهم الدنیا مصرعک و مضجعک-حیث لا ینفعک بکاؤک و لا تغنی عنک أحباؤک.

و فی الخصال،عن أبی أسامه عن أبی عبد الله(ع)قال: قال:أ لا أخبرکم بخمسه لم یطلع الله علیها أحدا من خلقه؟قال:قلت:بلی قال:« إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ-وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً-وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ ».

أقول:هناک روایات کثیره جدا عن النبی و الأئمه(ع)تخبر عن مستقبل حالهم و عن زمان موتهم و مکانه و هی تقید هذه الروایه و ما فی معناها من الروایات بالتعلیم الإلهی لکن بعض الروایات یأبی التقیید و لا یعبأ بأمرها.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن المنذر عن عکرمه: أن رجلا یقال له الوراث-من بنی مازن بن حفصه بن قیس غیلان جاء إلی النبی ص فقـال:یا محمـد،متی تقوم الساعه؟ و قـد أجـدبت بلادنا فمتی تخصب؟و قـد ترکت امرأتی حبلی فمتی تلـد؟و قـد علمت ما کسبت الیوم فما ذا أکسب غدا؟و قد علمت بأی أرض ولدت فبأی أرض أموت؟ فنزلت هذه الآیه.

أقول:الحدیث لا یخلو من شیء لعدم انطباق الآیه علی فقرات السؤال.

و فیه،أخرج ابن مردویه عن علی بن أبی طـالب قـال: لم یعم علی نـبیکم(ص)إلاـ الخمس من سـرائر الغیب-هـذه الآـیه فی آخر لقمان إلی آخر السوره.

ص :۲۴۱

(۳۲) (سوره السجده مکیه، و هی ثلاثون آیه)(۳۰)

[سوره السجده (۳۲): الآیات ۱ الی ۱۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

الم (۱) تَنْزِیلُ اَلْکِتٰابِ لاٰ رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۲) أَمْ یَقُولُونَ اِفْتَرٰاهُ بَلْ هُوَ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أَتٰاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ (۳) اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ ثُمَّ اِسْتَویٰ عَلَی اَلْعَرْشِ مٰا لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ شَفِیعٍ أَ فَلاٰ تَتَذَکَّرُونَ (۴) یُدَبِّرُ اَلْأَمْرَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ إِلَی اَلْأَرْضِ ثُمَّ یَعْرُجُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کٰانَ مِقْدٰارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ (۵) ذٰلِکَ عٰالِمُ اَلْغَیْبِ وَ اَلشَّهٰادَهِ اَلْعَزِیزُ اَلرَّحِیمُ (۶) اَلَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ اَلْإِنْسٰانِ مِنْ طِینٍ (۷) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاٰلَهٍ مِنْ مٰاءٍ مَهِینٍ (۸) ثُمَّ سَوّٰاهُ وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَکُمُ اَلسَّمْعَ وَ اَلْأَبْصٰارَ وَ اَلْأَفْئِدَهَ قَلِیلاً مٰا تَشْکُرُونَ (۹) وَ قٰالُوا أَ إِذٰا ضَلَلْنٰا فِی اَلْأَرْضِ أَ إِنّٰا لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ بَلْ هُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّهِمْ کٰافِرُونَ (۱۰) قُلْ یَتَوَفّٰاکُمْ مَلَکُ اَلْمَوْتِ اَلَّذِی وُکِّلَ بِکُمْ ثُمَّ إِلیٰ رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ (۱۱) وَ لَوْ تَریٰ إِذِ اَلْمُجْرِمُونَ نٰاکِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنٰا أَبْصَرْنٰا وَ سَمِعْنٰا فَارْجِعْنٰا نَعْمَلْ صٰالِحاً إِنّٰا مُوقِنُونَ (۱۲) وَ لَوْ شِئْنٰا لَآتَیْنٰا کُلَّ نَفْسٍ هُدٰاهٰا وَ لٰکِنْ حَقَّ اَلْقَوْلُ مِنِّی لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ اَلْجِنَّهِ وَ اَلنّٰاسِ أَجْمَعِینَ (۱۳) فَذُوقُوا بِمٰا نَسِیتُمْ لِقٰاءَ یَوْمِکُمْ هٰذٰا إِنّٰا نَسِینٰاکُمْ وَ ذُوقُوا عَذٰابَ اَلْخُلْدِ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۴)

ص: ۲۴۲

(بیان)

غرض السوره تقریر المبدإ و المعاد و إقامه الحجه علیهما و دفع ما یختلج القلوب فی ذلک مع إشاره إلی النبوه و الکتاب ثم بیان ما یتمیز به الفریقان المؤمنون بآیات الله حقا و الفاسقون الخارجون عن زی العبودیه و وعد أولئک بما هو فوق تصور المتصورین من الثواب و وعید هؤلاء بالانتقام الشدید بألیم العذاب المخلد و أنهم سیذوقون عذابا أدنی دون العذاب الأکبر،و تختتم السوره بتأکید الوعید و أمر النبی ص بالانتظار کما هم منتظرون.

و هی مکیه إلا ثلاث آیات نزلت-کما قیل-بالمدینه و هی قوله تعالی:« أَ فَمَنْ کانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کانَ فاسِقاً »إلی تمام ثلاث آیات.

و الذی أوردناه من آیاتها یتضمن الفصل الأول من فصلی غرض السوره الذی أشرنا إلیه.

قوله تعالی:« تَنْزِیلُ الْکِتابِ لا رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ »،أی هذا تنزیل الکتاب،و التنزیل مصدر بمعنی اسم المفعول و إضافته إلی الکتاب من إضافه الصفه إلی الموصوف،و المعنی:هذا هو الکتاب المنزل لا ریب فیه.

و قوله:« مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ »فیه براعه استهلال لما فی غرض السوره أن یتعاطی بیانه من الوحدانیه و المعاد اللذین ینکرهما الوثنیه لما مر مرارا أنهم لا یقولون برب

العالمين بل يثبتون لكل عالم إلها و لمجموع الآلهه إلها هو الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

قوله تعالى:« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أَتٰاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ »إلخ،أم منقطعه،و المعنى:بل يقولون افترى القرآن على الله و ليس من عنده فرده بقوله:« بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ »إلخ.

و قوله:« لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أَتٰاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ »قيل:يعنى قريشا فإنهم لم يأتهم نبى قبله(ص)بخلاف غيرهم من قبائل العرب فإنهم أتاهم بعض الأنبياء كخالد بن سنان العبسى و حنظله على ما فى الروايات.

و قيل:المراد به أهل الفتره بين عيسى و محمد ص فكانوا كأنهم فى غفله عما لزمهم من حق نعم الله و ما خلقهم له من العباده و فيه أن معنى الفتره هو عدم انبعاث نبى له شريعه و كتاب و أما الفتره عن مطلق النبوه فلا نسلم تحققها و خلو جميع الزمان و هو قريب من سته قرون من النبى مطلقا.

و قوله:« لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ »غايه رجائيه لإرسال الرسول و الترجى قائم بالمقام أو بالمخاطب دون المتكلم كما تقدم فى نظائره.

قوله تعالى:« اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ -إلى قوله- أَ فَلاٰ تَتَذَكَّرُونَ » تقدم الكلام فى تفسير قوله:« خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ »فى نظائره من الآيات و تقدم أيضا أن الاستواء على العرش كنايه عن مقام تدبير الموجودات بنظام عام إجمالى يحكم على الجميع و لذا اتبع العرش فى أغلب ما وقع فيه من الموارد بما فيه معنى التدبير كقوله:« ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهٰارَ» :الأعراف:۵۴ و قوله: «ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» ، :يونس:۳ و قوله: «ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مٰا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ» ، :الحديد:۴ و قوله: «ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعّٰالٌ لِمٰا يُرِيدُ» :البروج:۱۶.

و الوجه فى ذكر الاستواء على العرش،بعد ذكر خلق السماوات و الأرض أن الكلام فى اختصاص الربوبيه و الألوهيه بالله وحده و مجرد استناد الخلقه إليه تعالى لا ينفع فى إبطال ما يقول به الوثنيه شيئا فإنهم لا ينكرون استناد الخلقه إليه وحده و إنما يقولون باستناد التدبير و هو الربوبيه للعالم إلى آلهتهم ثم اختصاص الألوهيه و هى المعبوديه بآلهتهم و لله تعالى من الشأن أنه رب الأرباب و إله الآلهه.

فکـان من الواجب عنـد إقامه الحجه لإبطال قولهم إن یـذکر أمر الخلقه ثم یتعقب بأمر التـدبیر لمکان تلازمهما و عـدم انفکاک أحـدهما من الآخر حتی یکون موجد الأشـیاء و خالقها هو الذی یربها و یدبر أمرها فیکون ربا وحده و إلها وحده کما أنه موجد خالق وحده.

و لذلک بعینه ذکر أمر التدبیر بعد ذکر الخلقه فی الآیه التی نحن فیها إذ قیل:

« خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ-وَ مٰا بَیْنَهُمٰا فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ ثُمَّ اسْتَویٰ عَلَی الْعَرْشِ مٰا لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ شَفِیعٍ »فالولایه و الشفاعه کالاستواء علی العرش من شئون التدبیر.

و قوله:« مٰا لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ شَفِیعٍ » الولی هو الذی یملک تدبیر أمر الشیء و من المعلوم أن أمورنا و الشئون التی تقوم به حیاتنا قائمه بالوجود محکومه مدبره للنظام العام الحاکم فی الأشیاء عامه و ما یخص بنا من نظام خاص،و النظام أیا ما کان من لوازم خصوصیات خلق الأشـیاء و الخلقه کیفما کانت مستنده إلیه تعالی فهو تعالی ولینا القائم بأمرنا المدبر لشئوننا و أمورنا،کما هو ولی کل شیء کذلک وحده لا شریک له.

و الشـفیع -علی ما تقدم فی مباحث الشفاعه فی الجزء الأول من الکتاب-هو الذی ینضم إلی سبب ناقص فیتمم سببیته و تأثیره،و الشـفاعه تتمیـم السبب النـاقص فی تـأثیره و إذا طبقناهـا علی الأسـباب و المسببات الخـارجیه کـانت أجزاء الأسـباب المرکبه و شرائطها بعضـها شفیعا لبعض لتتمیم حصه من الأثر منسوبه إلیه کما أن کلا من السحاب و المطر و الشمس و الظل و غیرها شفیع للنبات.

و إذ کان موجد الأسـباب و أجزائها و الرابط بینها و بین المسـببات هو الله سـبحانه فهو الشـفیع بالحقیقه الذی یتمم نقصها و یقیم صلبها فالله سبحانه هو الشفیع بالحقیقه لا شفیع غیره.

و ببیان آخر أدق قد تقدم فی البحث عن الأسـماء الحسـنی فی الجزء الثامن من الکتاب أن أسـماءه تعالی الحسـنی وسائط بینه و بین خلقه فی إیصـال الفیض إلیهم فهو تعـالی یرزقهم مثلا-بمـا أنه رازق جواد غنی رحیم و یشـفی المریض بما أنه شاف معاف رءوف رحیم و یهلک الظالمین بما أنه شدید البطش ذو انتقام عزیز و هکذا.

فما من شیء من المخلوقات المركبه الوجود إلا و يتوسط لوجوده عده من الأسماء الحسنى بعضها فوق بعض و بعضها فی عرض بعض و كل ما هو أخص منها يتوسط بين الشیء و بين الأعم منها كما أن الشافی يتوسط بين المريض و بين الرءوف الرحيم و الرحيم يتوسط بينه و بين القدير و هكذا.

و التوسط المذكور فی الحقيقه تتميم لتأثير السبب فيه و إن شئت فقل هو تقريب للشیء من السبب لفعليه تأثيره و ينتج منه أنه تعالى شفيع ببعض أسمائه عند بعض فهو الشفيع ليس من دونه شفيع فی الحقيقه فافهم.

و قد تبين بما مر أن لا إشكال فی إطلاق الشفيع عليه تعالى بمعنى كونه شفيعا بنفسه عند نفسه و حقيقته توسط صفه من صفاته الكريمه بين الشیء و صفه من صفاته كما يستعاذ من سخطه إلى رحمته و من عدله إلى فضله،و أما كونه تعالى شفيعا بمعنى شفاعته لشیء عند غيره فهو مما لا يجوز البته.

و القوم لتقريبهم إشكال إطلاق الشفيع عليه تعالى على المعنى الثانی أی بمعنى كونه شفيعا عند غيره اختلفوا فی تفسير الآيه على أقوال:

فقال بعضهم:إن دون فی قوله:« مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ شَفِيعٍ »بمعنى عند و« مِنْ دُونِهِ »حال من ضمير« لَكُمْ »و المعنى:ما لكم حال كونكم مجاوزين دونه و من عند ولی و لا شفيع أی لا ولی لكم و لا شفيع ففيه نفی الولی و الشفيع لهم عند الله.

و فيه أن دون و إن صح كونه بمعنى عند لكن وجود« مِنْ »قرينه على أنه بمعنى غير،و لا معنى لأخذ المجاوزه و رجوع« مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ »إلى معنى«ما لكم عنده».

و قال بعضهم:إن الشفيع فی الآيه بمعنى الناصر مجازا و دون بمعنى غير و« مِنْ دُونِهِ »حال من« وَلِيٍّ »و المعنى:ما لكم ولی و لا ناصر غيره،و فيه أنه تجوز من غير موجب.

و قال بعضهم إن إطلاق الشفيع هنا من قبيل المشاكله التقديريه لما أن المشركين المنذرين كثيرا ما كانوا يقولون فی آلهتهم:هؤلاء شفعاؤنا و يزعمون أن كل واحد منهم شفيع لهم و المعنى:على هذا لو فرض و قدر أن الإله ولی شفيع ما لكم ولی و لا شفيع غير الله سبحانه.

و قال بعضهم:إن دون بمعنى عند و الضمير فى« مِنْ دُونِهِ »للعذاب،و المعنى:

ليس لكم من دون عذابه ولى،أى قريب ينفعكم و يرد عذابه عنكم و لا شفيع يشفع لكم.

و فيه أن إرجاع الضمير إلى العذاب تحكم من غير دليل،و يرد على جميع هذه الوجوه أنها تكلفات ناشئه من أخذ الشفيع غير المشفوع عنده و قد عرفت أن المعنى تحليلى و الشفيع و المشفوع عنده واحد.

و قوله:« أَ فَلاٰ تَتَذَكَّرُونَ »استفهام توبيخى يوبخهم على استمرارهم على الإعراض عن أدله العقول حتى يتذكروا أن الملك و التدبير لله سبحانه و هو المعبود بالحق ليس لهم دونه ولى و لا شفيع كما يزعمون ذلك لآلهتهم.

قوله تعالى:« يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمٰاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كٰانَ مِقْدٰارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ »تتميم لبيان أن تدبير أمر الموجودات قائم به سبحانه و هذا هو القرينه على أن المراد بالأمر فى الآيه الشأن دون الأمر المقابل للنهى.

و التدبير وضع الشىء فى دابر الشىء و الإتيان بالأمر بعد الأمر فيرجع إلى إظهار وجود الحوادث واحدا بعد واحد كالسلسله المتصله بين السماء و الأرض و قد قال تعالى:

«وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلاّٰ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» ، :الحجر:۲۱ و قال:

«إِنّٰا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنٰاهُ بِقَدَرٍ» :القمر:۴۹.

و قوله:« ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ »بعد قوله:« يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمٰاءِ إِلَى الْأَرْضِ »لا يخلو من إشعار بأن« يُدَبِّرُ »مضمن معنى التنزيل و المعنى:يدبر الأمر منزلا أو ينزله مدبرا-من السماء إلى الأرض و لعله الأمر الذى يشير إليه قوله: «فَقَضٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحىٰ فِي كُلِّ سَمٰاءٍ أَمْرَهٰا» :حم السجده:۱۲.

و فى قوله:« يَعْرُجُ إِلَيْهِ »إشعار بأن المراد بالسماء مقام القرب الذى تنتهى إليه أزمه الأمور دون السماء بمعنى جهه العلو أو ناحيه من نواحى العالم الجسمانى فإن الأمر قد وصف قبل العروج بالنزول فظاهر العروج أنه صعود من الطريق التى نزل منها، و لم يذكر هناك إلا علو هو السماء،و سفل هو الأرض و نزول و عروج فالنزول من السماء و العروج إلى الله يشعر بأن السماء هو مقام الحضور الذى يصدر منه تدبير

الأمر أو أن موطن تدبير الأمر الأرضی هو السماء و الله المحیط بکل شیء ینزل التدبیر الأرضی من هذا الموطن،و لعل هذا هو الأقرب إلی الفهم بالنظر إلی قوله:« وَ أَوْحیٰ فِی کُلِّ سَمٰاءٍ أَمْرَهٰا ».

و قوله:« فِی یَوْمٍ کٰانَ مِقْدٰارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ مِمّٰا تَعُدُّونَ »معناه علی أی حال أنه فی ظرف لو طبق علی ما فی الأرض من زمان الحوادث و مقدار حرکتها انطبق علی ألف سنه مما نعده فإن من المسلم أن الزمان الذی یقدره ما نعده من اللیل و النهار و الشهور و السنین لا یتجاوز العالم الأرضی.

و إذ کان المراد بالسماء هو عالم القرب و الحضور و هو مما لا سبیل للزمان إلیه کان المراد أنه وعاء لو طبق علی مقدار حرکه الحوادث فی الأرض کان مقداره ألف سنه مما تعدون.

و أما أن هذا المقدار هل هو مقدار النزول و اللبث و العروج أو مقدار مجموع النزول و العروج دون اللبث أو مقدار کل واحد من النزول و العروج أو مقدار نفس العروج فقط بناء علی أن« فِی یَوْمٍ »قید لقوله:« یَعْرُجُ إِلَیْهِ »فقط کما وقع فی قوله:

«تَعْرُجُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ الرُّوحُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ» :المعارج:۴.

ثم علی تقدیر کون الظرف قیدا للعروج هل العروج مطلق عروج الحوادث إلی الله أو العروج یوم القیامه و هو مقدار یوم القیامه،و أما کونه خمسین ألف سنه فهو بالنسبه إلی الکافر من حیث الشقه أو أن الألف سنه مقدار مشهد من مشاهد یوم القیامه و هو خمسون موقفا کل موقف مقداره ألف سنه.

ثم المراد بقوله:« مِقْدٰارُهُ أَلْفَ سَنَهٍ »هل هو التحدید حقیقه أو المراد مجرد التکثیر کما فی قوله: «یَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ یُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَهٍ» ، :البقره:۹۶ أی یعمر عمرا طویلا جدا و إن کان هذا الاحتمال بعیدا من السیاق.

و الآیه-کما تری-تحتمل الاحتمالات جمیعا و لکل منها وجه و الأقرب من بینها إلی الذهن کون« فِی یَوْمٍ »قیدا لقوله:« ثُمَّ یَعْرُجُ إِلَیْهِ »و کون المراد بیوم عروج الأمر مشهدا من خمسین مشهدا من مشاهد یوم القیامه،و الله أعلم.

قوله تعالی:« ذٰلِکَ عٰالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهٰادَهِ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ »تقدم تفسیر مفردات الآیه،و مناسبه الأسماء الثلاثه الکریمه للمقام ظاهره.

قوله تعالى:« اَلَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ »قال الراغب: الحسن عباره عن کل مبهج-بصیغه الفاعل-مرغوب فیه و ذلک ثلاثه أضرب:مستحسن من جهه العقل و مستحسن من جهه الهوی و مستحسن من جهه الحس.انتهی.و هذا تعریف له من جهه خاصته و انقسامه بانقسام الإدراکات الإنسانیه.

و حقیقته ملاءمه أجزاء الشیء بعضها لبعض و المجموع للغرض و الغایه الخارجه منه فحسن الوجه تلاؤم أجزائه من العین و الحاجب و الأنف و الفم و غیرها،و حسن العدل ملاءمته للغرض من الاجتماع المدنی و هو نیل کل ذی حق حقه،و هکذا.

و التدبر فی خلقه الأشیاء و کل منها فی نفسه متلائم الأجزاء بعضها لبعض و المجموع من وجوده مجهز بما یلائم کماله و سعادته تجهیزا لا أتم و لا أکمل منه یعطی أن کلا منها حسن فی نفسه حسنا لا أتم و أکمل منه بالنظر إلی نفسه.

و أما ما نری من المساءه و القبح فی الأشیاء فلأحد أمرین:إما لکون الشیء السیئ ذا عنوان عدمی یعود إلیه المساءه لا لوجوده فی نفسه کالظلم و الزنا فإن الظلم لیس بسیئ قبیح بما أنه فعل من الأفعال بل بما أنه مبطل لحق ثابت و الزنا لیس بسیئ قبیح من جهه نفس العمل الخارجی الذی هو مشترک بینه و بین النکاح بل بما أن فیه مخالفه للنهی الشرعی أو للمصلحه الاجتماعیه.

أو بقیاسه إلی شیء آخر فیعرضه المساءه و القبح من طریق المقایسه کقیاس الحنظل إلی البطیخ و قیاس الشوک إلی الورد و قیاس العقرب إلی الإنسان فإن المساءه إنما تطرأ هذه الأشیاء من طریق القیاس إلی مقابلاتها ثم قیاسها إلی طبعنا،و یرجع هذا الوجه من المساءه إلی الوجه الأول بالحقیقه.

و کیف کان فالشیء بما أنه موجود مخلوق لا یتصف بالمساءه و یدل علیه الآیه « اَلَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ »إذا انضم إلی قوله: «اللّٰهُ خٰالِقُ کُلِّ شَیْءٍ» :الزمر:۶۲ فینتجان أولا:أن الخلقه تلازم الحسن فکل مخلوق حسن من حیث هو مخلوق.

و ثانیا:أن کل سیئ و قبیح لیس بمخلوق من حیث هو سیئ قبیح کالمعاصی و السیئات من حیث هی معاص و سیئات و الأشیاء السیئه من جهه القیاس.

قوله تعالی:« وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسٰانِ مِنْ طِینٍ »المراد بالإنسان النوع فالمبدو خلقه

من طين هو النوع الذى ينتهى أفراده إلى من خلق من طين من غير تناسل من أب و أم كآدم و زوجه(ع)،و الدليل على ذلك قوله بعده: « ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ »فالنسل الولاده بانفصال المولود عن الوالدين و المقابله بين بدء الخلق و بين النسل لا يلائم كون المراد ببدء الخلق بدء خلق الإنسان المخلوق من ماء مهين، و لو كان المراد ذلك لكان حق الكلام أن يقال:ثم جعله سلاله من ماء مهين فافهمه.

و قوله:« ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ » السلاله كما فى المجمع،الصفوه التى تنسل أى تنزع من غيرها و يسمى ماء الرجل سلاله لانسلاله من صلبه،و المهين من الهون و هو الضعف و الحقاره و ثم للتراخى الزمانى.

و المعنى:ثم جعل ولادته بطريق الانفصال من صفوه من ماء ضعيف أو حقير.

قوله تعالى:« ثُمَّ سَوّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ » التسويه التصوير و تتميم العمل، و فى قوله:« نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ »استعاره بالكنايه بتشبيه الروح بالنفس الذى يتنفس به ثم نفخه فى قالب من سواه،و إضافه الروح إليه تعالى إضافه تشريفيه،و المعنى:

ثم صور الإنسان المبدو خلقه من الطين و المجعول نسله من سلاله من ماء مهين و نفخ فيه من روح شريف منسوب إليه تعالى.

قوله تعالى:« وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ »امتنان بنعمه الإدراك الحسى و الفكرى فالسمع و البصر للمحسوسات و القلوب للفكريات أعم من الإدراكات الجزئيه الخياليه و الكليه العقليه.

و قوله:« قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ »أى تشكرون شكرا قليلا،و الجمله اعتراضيه فى محل التوبيخ و قيل:الجمله حاليه،و المعنى:جعل لكم الأبصار و الأفئده و الحال أنكم تشكرون قليلا،و الجمله على أى حال مسوقه للبث و الشكوى و التوبيخ.

و الالتفات فى قوله:« وَ جَعَلَ لَكُمُ »إلخ،من الغيبه إلى خطاب الجمع لتسجيل أن الإنعام الإلهى الشامل للجميع يربو على شكرهم فهم قاصرون أو أكثرهم مقصرون.

قوله تعالى:« وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَ إِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ »حجه من منكرى البعث مبنيه على الاستبعاد.و الضلال فى الأرض قيل:هو الضيعه كما يقال:ضلت النعمه أى ضاعت،و قيل:هو بمعنى الغيبه،و كيف

كان فمرادهم به أ إنا إذا متنا و انتشرت أجزاء أبدانا فى الأرض و صرنا بحيث لا تميز لأجزائنا من سائر أجزاء الأرض و لا خبر عنا نقع فى خلق جديد و نخلق ثانيا خلقنا الأول.؟ و الاستفهام للإنكار،و الخلق الجديد هو البعث.

و قوله:« بَلْ هُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّهِمْ كٰافِرُونَ »إضراب عن فحوى قولهم:« أَ إِذٰا ضَلَلْنٰا فِي الْأَرْضِ »كأنه قيل:إنهم لا يجحدون الخلق الجديد لجحدهم قدرتنا على ذلك أو لسبب آخر بل هم كافرون بالرجوع إلينا و لقائنا و لذا جيء فى الجواب عن قولهم بما يدل على الرجوع.

قوله تعالى:« قُلْ يَتَوَفّٰاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ » توفى الشيء أخذه تاما كاملا كتوفى الحق و توفى الدين من المديون.

و قوله:« مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ »قيل:أى وكل بإماتتكم و قبض أرواحكم و الآيه مطلقه ظاهره فى أعم من ذلك.

و قد نسب التوفى فى الآيه إلى ملك الموت،و فى قوله: «اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهٰا» :الزمر:۴۲ إليه تعالى،و فى قوله: «حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا» ، :الأنعام:۶۱ و قوله: «الَّذِينَ تَتَوَفّٰاهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ ظٰالِمِي أَنْفُسِهِمْ» ، :النحل:۲۸ إلى الرسل و الملائكه نظرا إلى اختلاف مراتب الأسباب فالسبب القريب الملائكه الرسل أعوان ملك الموت و فوقهم ملك الموت الآمر بذلك المجرى لأمر الله و الله من ورائهم محيط و هو السبب الأعلى و مسبب الأسباب فذلك بوجه كمثل كتابه الإنسان بالقلم فالقلم كاتب و اليد كاتبه و الإنسان كاتب.

و قوله:« ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ »هو الرجوع الذى عبر عنه فى الآيه السابقه باللقاء و موطنه البعث المترتب على التوفى و المتراخى عنه،كما يدل عليه العطف بثم الداله على التراخى.

و الآيه-على أى تقدير-جواب عن الاحتجاج بضلال الموتى فى الأرض على نفى البعث و من المعلوم أن إماته ملك الموت لهم ليس يحسم ماده الإشكال فيبقى قوله:

« ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ »دعوى خاليه عن الدليل فى مقابل دعواهم المدلله و الكلام

الإلهی أنزه ساحه أن یتعاطی هذا النوع من المحاجه.

لکنه تعالی أمر رسوله أن یجیب عن حجتهم المبنیه علی الاستبعاد بأن حقیقه الموت لیس بطلانا لکم و ضلالا منکم فی الأرض بل ملک الموت الموکل بکم یأخذکم تامین کاملین من أجسادکم أی ینزع أرواحکم من أبدانکم بمعنی قطع علاقتها من الأبدان و أرواحکم تمام حقیقتکم فأنتم أی ما یعنی بلفظه«کم»محفوظون لا یضل منکم شیء فی الأرض و إنما یضل الأبدان و تتغیر من حال إلی حال و قد کانت فی معرض التغیر من أول کینونتها.ثم إنکم محفوظون حتی ترجعوا إلی ربکم بالبعث و رجوع الأرواح إلی أجسادها.

و بهذا یندفع حجتهم علی نفی المعاد بضلالهم سواء قررت علی نحو الاستبعاد أو قررت علی أن تلاشی البدن یبطل شخصیه الإنسان فینعدم و لا معنی لإعاده المعدوم فإن حقیقه الإنسان هی نفسه التی یحکی عنها بقول«أنا»و هی غیر البدن و البدن تابع لها فی شخصیته و هی لا تتلاشی بالموت و لا تنعدم بل محفوظه فی قدره الله حتی یؤذن فی رجوعها إلی ربها للحساب و الجزاء فیبعث علی الشریطه التی ذکر الله سبحانه.

و ظهر بما تقدم أولا وجه اتصال قوله:« قُلْ یَتَوَفّٰاکُمْ »إلخ بقوله:« أَ إِذٰا ضَلَلْنٰا فِی الْأَرْضِ »إلخ و أنه جواب حاسم للإشکال قاطع للشبهه،و قد أشکل الأمر علی بعض من فسر التوفی بمطلق الإماته من غیر التفات إلی نکته التعبیر بلفظ التوفی فتکلف فی توجیه اتصال الآیتین بما لا یرتضیه العقل السلیم.

و ثانیا:أن الآیه من أوضح الآیات القرآنیه الداله علی تجرد النفس بمعنی کونها غیر البدن أو شیء من حالات البدن.

قوله تعالی:« وَ لَوْ تَریٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نٰاکِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنٰا أَبْصَرْنٰا وَ سَمِعْنٰا فَارْجِعْنٰا نَعْمَلْ صٰالِحاً إِنّٰا مُوقِنُونَ » نکس الرأس إطراقه و طأطأته،و المراد بالمجرمین بقرینه ذیل الآیه خصوص المنکرین للمعاد فاللام فیه لا تخلو من معنی العهد أی هؤلاء الذین یجحدون المعاد و یقولون:« أَ إِذٰا ضَلَلْنٰا فِی الْأَرْضِ »إلخ.

و فی التعبیر عن البعث بقوله:« عِنْدَ رَبِّهِمْ »محاذاه لما تقدم من قوله:« بَلْ هُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّهِمْ کٰافِرُونَ »أی واقفون موقفا من اللقاء لا یسعهم إنکاره،و قولهم:« أَبْصَرْنٰا

وَ سَمِعْنا

»و مسألتهم الرجوع للعمل الصالح لما ينجلى لهم أن النجاه فى الإيمان و العمل الصالح و قد حصل لهم الإيمان اليقينى و بقى العمل الصالح و لذا يعترفون باليقين و يسألون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحا فيتم لهم سببا النجاه.

و المعنى:و لو ترى إذ هؤلاء الذين يجرمون بإنكار لقاء الله مطرقوا رءوسهم عند ربهم فى موقف اللقاء من الخزى و الذل و الندم يقولون ربنا أبصرنا بالمشاهده و سمعنا بالطاعه فارجعنا نعمل عملا صالحا إنا موقنون و المحصل أنك تراهم يجحدون اللقاء و لو تراهم إذ أحاط بهم الخزى و الذل فنكسوا رءوسهم و اعترفوا بما ينكرونه اليوم و سألوا العود إلى هاهنا و لن يعودوا.

قوله تعالى:« وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها »إلى آخر الآيه أى لو شئنا أن نعطى كل نفس أعم من المؤمنه و الكافره الهدى الذى يختص بها و يناسبها لأعطيناه لها بأن نشاء من طريق اختيار الكافر و إرادته أن يتلبس بالهدى فيتلبس بها من طريق الاختيار و الإراده كما شئنا فى المؤمن كذلك فتلبس بالهدى باختيار منه و إراده من دون أن ينجر إلى الإلجاء و الاضطرار فيبطل التكليف و يلغو الجزاء.

و قوله:« وَ لٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِينَ »أى و لكن هناك قضاء سابق منى محتوم و هو إملاء جهنم من الجنه و الناس أجمعين و هو قوله لإبليس لما امتنع من سجده آدم و قال: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» :... «فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» ، :_ص:٨٥ فقضى أن يدخل متبعى إبليس العذاب المخلد.

و لازم ذلك أن لا يهديهم لظلمهم و فسقهم بالخروج عن زى العبوديه كما قال:

« إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ » «وَ اللّٰهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰاسِقِينَ» ، :التوبه:٨٠ إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى:« فَذُوقُوا بِمٰا نَسِيتُمْ لِقٰاءَ يَوْمِكُمْ هٰذٰا إِنّٰا نَسِينٰاكُمْ »إلى آخر الآيه، تفريع على قوله:« وَ لٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي »و النسيان ذهول صوره الشىء عن الذاكره و يكنى به عن عدم الاعتناء بما يهم الشىء و هو المراد فى الآيه.

و المعنى:فإذا كان من القضاء إذاقه العذاب لمتبعى إبليس فذوقوا العذاب بسبب

عدم اعتنائكم بلقاء هذا اليوم حتى جحدتموه و لم تعملوا صالحا تثابون به فيه لأنا لم نعتن بما يهمكم فی هذا اليوم من السعاده و النجاه،و قوله:« وَ ذُوقُوا عَذٰابَ الْخُلْدِ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »تأكيد و توضيح لسابقه أی إن الذوق الذی أمرنا به ذوق عذاب الخلد و نسيانهم لقاء يومهم هذا أعمالهم السيئه.

(بحث روائی)

فی الدر المنثور،أخرج النحاس عن ابن عباس قال":نزلت سوره السجده بمكه سوى ثلاث آيات« أَ فَمَنْ كٰانَ مُؤْمِناً »إلى تمام الآيات الثلاث.

و فيه،أخرج سعيد بن منصور و ابن أبی شيبه عن علی قال: عزائم سجود القرآن الم تنزيل السجده،و حم تنزيل السجده،و النجم،و اقرأ باسم ربك الذی خلق.

و فی الخصال،عن أبی عبد الله(ع)قال: إن العزائم أربع:اقرأ باسم ربك الذی خلق،و النجم،و تنزيل السجده،و حم السجده.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و الطبرانی عن الشريد بن سويد قال: أبصر النبی ص رجلا-قد أسبل إزاره- فقال له:ارفع إزارك،فقال:يا رسول الله إنی أحنف تصطك ركبتای.قال:ارفع إزارك كل خلق الله حسن.

و فی الفقيه،: سئل الصادق(ع)عن قول الله عز و جل:« اَللّٰهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهٰا »و عن قول الله عز و جل:« قُلْ يَتَوَفّٰاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِی وُكِّلَ بِكُمْ »و عن قول الله عز و جل:« اَلَّذِينَ تَتَوَفّٰاهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ طَيِّبِينَ »و« اَلَّذِينَ تَتَوَفّٰاهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ ظٰالِمِی أَنْفُسِهِمْ »و عن قول الله عز و جل:« تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا »و عن قوله عز و جل:« وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلاٰئِكَةُ »و قد يموت فی الدنيا فی الساعه الواحده فی جميع الآفاق ما لا يحصيه إلا الله عز و جل،فكيف هذا؟.

فقال:إن الله تبارك و تعالى جعل لملك الموت أعوانا من الملائكه-يقبضون الأرواح بمنزله صاحب الشرطه-له أعوان من الإنس يبعثهم فی حوائجه-فيتوفاهم الملائكه و يتوفاهم ملك الموت من الملائكه مع ما يقبض هو،و يتوفاها الله تعالى من ملك الموت.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن أبی حاتم و أبو الشیخ عن أبی جعفر محمد بن علی قال:

دخل رسول الله ص علی رجل من الأنصار یعوده-فإذا ملک الموت عند رأسه فقال رسول الله ص:یا ملک الموت ارفق بصاحبی فإنه مؤمن-فقال:أبشر یا محمد فإنی بکل مؤمن رفیق.

و اعلم یا محمد إنی لأقبض روح ابن آدم فیصرخ أهله- فأقوم فی جانب من الدار فأقول:و الله ما لی من ذنب و إن لی لعوده و عوده الحذر الحذر-و ما خلق الله من أهل بیت و لا مدر و لا شعر و لا وبر فی بر و لا بحر-إلا و أنا أتصفحهم فی کل یوم و لیله خمس مرات- حتی إنی لأعرف بصغیرهم و کبیرهم منهم بأنفسهم.و الله یا محمد إنی لا أقدر أن أقبض روح بعوضه-حتی یکون الله تبارک و تعالی هو الذی یأمر بقبضه.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« وَ لَوْ شِئْنا لَآتَیْنا کُلَّ نَفْسٍ هُداها »قال:لو شئنا أن نجعلهم کلهم معصومین لقدرنا.

أقول:العصمه لا تنافی الاختیار فلا تنافی بین مضمون الروایه و ما قدمناه فی تفسیر الآیه.

(کلام فی کینونه الإنسان الأولی)

تقدم فی تفسیر أول سوره النساء کلام فی هذا المعنی و کلامنا هذا کالتکمله له.

قدمنا هناک أن الآیات القرآنیه ظاهره ظهورا قریبا من الصراحه فی أن البشر الموجودین الیوم-و نحن منهم-ینتهون بالتناسل إلی زوج أی رجل و امرأه بعینهما و قد سمی الرجل فی القرآن بآدم و هما غیر متکونین من أب و أم بل مخلوقان من تراب أو طین أو صلصال أو الأرض علی اختلاف تعبیرات القرآن.

فهذا هو الذی یفیده الآیات ظهورا معتدا به و إن لم تکن نصه صریحه لا تقبل التأویل و لا المسأله من ضروریات الدین نعم یمکن عد انتهاء النسل الحاضر إلی آدم ضروریا من القرآن و أما أن آدم هذا هل أرید به آدم النوعی أعنی الطبیعه الإنسانیه الفاشیه فی الأشخاص أو عده معدوده من الأفراد هم أصول النسب و الآباء و الأمهات الأولیه أو فرد إنسانی واحد بالشخص؟.

و على هذا التقدير هل هو فرد من نوع الإنسان تولد من نوع آخر كالقرده مثلا- على طريق تطور الأنواع و ظهور الأكمل من الكامل و الكامل من الناقص و هكذا أو هو فرد من الإنسان كامل بالكمال الفكرى تولد من زوج من الإنسان غير المجهز بجهاز التعقل فكان مبدأ لظهور النوع الإنسانى المجهز بالتعقل القابل للتكليف و انفصاله من النوع غير المجهز بذلك فالبشر الموجودون اليوم نوع كامل من الإنسان ينتهى أفراده إلى الإنسان الأول الكامل الذى يسمى بآدم،و ينشعب هذا النوع الكامل بالتولد تطورا من نوع آخر من الإنسان ناقص فاقد للتعقل و هو يسير القهقرى فى أنواع حيوانيه مترتبه حتى ينتهى إلى أبسط الحيوان تجهيزا و أنقصها كمالا- و إن أخذنا من هناك سائرين لم نزل ننتقل من ناقص إلى كامل و من كامل إلى أكمل حتى ننتهى إلى الإنسان غير المجهز بالتعقل ثم إلى الإنسان الكامل كل ذلك فى سلسله نسبيه متصله مؤلفه من آباء و أعقاب.

أو أن سلسله التوالد و التناسل تنقطع بالاتصال بآدم و زوجه و هما متكونان من الأرض من غير تولد من أب و أم فليس شىء من هذه الصور ضروريا.

و كيف كان فظاهر الآيات القرآنيه هو الصوره الأخيره و هى انتهاء النسل الحاضر إلى آدم و زوجه المتكونين من الأرض من غير أب و أم.

غير أن الآيات لم تبين كيفيه خلق آدم من الأرض و أنه هل عملت فى خلقه علل و عوامل خارقه للعاده؟و هل تمت خلقته بتكوين إلهى آنى من غير مهل فتبدل الجسد المصنوع من طين بدنا عاديا ذا روح إنسانى أو أنه عاد إنسانا تاما كاملا فى أزمنه معتد بها يتبدل عليه فيها استعداد بعد استعداد و صوره و شكل بعد صوره و شكل حتى تم الاستعداد فنفخ فيه الروح و بالجمله اجتمعت عليه من العلل و الشرائط نظير ما تجتمع على النطفه فى الرحم.

و من أوضح الدليل عليه قوله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ قٰالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» ، :آل عمران:۵۹ فإن الآيه نزلت جوابا عن احتجاج النصارى على بنوه عيسى بأنه ولد من غير أب بشرى و لا ولد إلا بوالد فأبوه هو الله سبحانه،فرد فى الآيه بما محصله أن صفته كصفه آدم حيث خلقه الله من أديم

الأرض بغير والد يولده فلم لا يقولون بأن آدم ابن الله؟.

و لو كـان المراد بخلقه من تراب انتهـاء خلقته كسـائر المتكونين من النطف إلى الأرض كان المعنى:أن صـفه عيسـى و لا أب له كمثل آدم حيث تنتهى خلقته كسائر الناس إلى الأرض،و من المعلوم أن لا خصوصـيه لآدم على هذا المعنى حتى يؤخذ و يقاس إليه عيسى فيفسد معنى الآيه فى نفسه و من حيث الاحتجاج به على النصارى.

و بهـذا يظهر دلاله جميع الآيات الداله على خلق آدم من تراب أو طين أو نحو ذلك، على المطلوب كقوله: «إِنِّی خٰالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ» ، :ـص:٧١ و قوله: «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسٰانِ مِنْ طِینٍ» :الم السجده:٧.

و أمـا قول من قـال:إن المراد بـآدم هو آدم النوعى دون الشخصـى بمعنى الطبيعه الإنسـانيه الخـارجيه الفاشـيه فى الأفراد،و المراد ببنوه الأفراد له تكثر الأشـخاص منه بانضـمام القيود إليه و قصه دخوله الجنه و إخراجه منهـا لمعصـيته بإغواء من الشـيطان تمثيل تخييلى لمكانته فى نفسه و وقوفه موقف القرب ثم كونه فى معرض الهبوط باتباع الهوى و طاعه إبليس.

ففيه أنه مـدفوع بالآـيه السـابقه و ظواهر كثير من الآيـات كقوله: «الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَهٍ وَ خَلَقَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا وَ بَثَّ مِنْهُمٰا رِجٰالاً کَثِیراً وَ نِسٰاءً» ، :النساء:١ فلو كـان المراد بـالنفس الواحـده آدم النوعى لم يبق لفرض الزوج لهـا محل و نظير الآيه الآيات التى تفيد أن الله أدخله و زوجه الجنه و أنه و زوجه عصيا الله بالأكل من الشجره.

على أن أصل القول بآدم النوعى مبنى على قـدم الأرض و الأنواع المتأصـله و منها الإنسان و أن أفراده غير متناهيه من الجانبين و الأصول العلميه تبطل ذلك بتاتا.

و أما القول بكون النسل منتهيا إلى أفراد معدودين كأربعه أزواج مختلفين ببياض اللون و سواده و حمرته و صـفرته أو أزواج من الإنسـان ناشـئين بعضـهم بالـدنيا القـديمه و بعضـهم بالـدنيا الحـديثه و الأراضـى المكشوفه أخيرا و فيهـا بشـر قاطنون كإمريكا و أستراليا.

فمـدفوع بجميع الآيـات الـداله على انتهـاء النسـل الحاضـر إلى آدم و زوجه فإن المراد بآدم فيها إما شـخص واحـد إنسانى و إما الطبيعه الإنسانيه الفاشيه فى الأفراد و هو آدم

النوعی و أما الأفراد المعدودون فلا یحتمل لفظ الآیات ذلک البته.

علی أنه مبنی علی تباین الأصناف الأربعه من الإنسان:البیض و السود و الحمر و الصفر و کون کل من هذه الأصناف نوعا برأسه ینتهی إلی زوج غیر ما ینتهی إلیه الآخر أو کون قارات الأرض منفصلا بعضها عن بعض انفصالا أبدیا غیر مسبوق بالعدم، و قد ظهر بطلان هذه الفرضیات الیوم بطلانا کاد یلحقها بالبدیهیات.

و أما القول بانتهاء النسل إلی زوج من الإنسان أو أزید انفصلا أو انفصلوا من نوع آخر هو أقرب الأنواع إلیه کالقرد مثلا انفصال الأکمل من الکامل تطورا.

ففیه أن الآیات السابقه الداله علی خلق الإنسان الأول من تراب من غیر أب و أم تدفعه.

علی أن ما أقیم علیه من الحجه العلمیه قاصر عن إثباته کما سنشیر إلیه فی الکلام علی القول التالی.

و أما القول بانتهاء النسل إلی فردین من الإنسان الکامل بالکمال الفکری من طریق التولد ثم انشعابهما و انفصالهما بالتطور من نوع آخر من الإنسان غیر الکامل بالکمال الفکری ثم انقراض الأصل و بقاء الفرع المتولد منهما علی قاعده تنازع البقاء و انتخاب الأصلح.

فیدفعه قوله تعالی:« إِنَّ مَثَلَ عِیسیٰ عِنْدَ اللّٰهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ قٰالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ »علی التقریب المتقدم و ما فی معناه من الآیات.

علی أن الحجه التی أقیمت علی هذا القول قاصره عن إثباته فإنها شواهد مأخوذه من التشریح التطبیقی و أجنه الحیوان و الآثار الحفریه الداله علی التغیر التدریجی فی صفات الأنواع و أعضائها و ظهور الحیوان تدریجا آخذا من الناقص إلی الکامل و خلق ما هو أبسط من الحیوان قبل ما هو أشد ترکیبا.

و فیه أن ظهور النوع الکامل من حیث التجهیزات الحیویه بعد الناقص زمانا لا یدل علی أزید من تدرج الماده فی استکمالها لقبول الصور الحیوانیه المختلفه فهی قد استعدت لظهور الحیاه الکامله فیها بعد الناقصه و الشریفه بعد الخسیسه و أما کون الکامل من الحیوان منشعبا من الناقص بالتولد و الاتصال النسبی فلا و لم یعثر هذا الفحص و البحث علی غزارته و طول زمانه علی فرد نوع کامل متولد من فرع نوع آخر علی أن

يقف على نفس التولد دون الفرد و الفرد.

و ما وجد منها شاهدا على التغير التدريجى فإنما هو تغير فى نوع واحد بالانتقال من صفه لها إلى صفه أخرى لا يخرج بذلك عن نوعيته و المدعى خلاف ذلك.

فالذى يتسلم أن نشأه الحياه ذات مراتب مختلفه بالكمال و النقص و الشرف و الخسه و أعلى مراتبها الحياه الإنسانيه ثم ما يليها ثم الأمثل فالأمثل و أما أن ذلك من طريق تبدل كل نوع مما يجاوره من النوع الأكمل،فلا يفيده هذا الدليل على سبيل الاستنتاج.

نعم يوجب حدسا ما غير يقينى بذلك فالقول بتبدل الأنواع بالتطور فرضيه حدسيه تبتنى عليها العلوم الطبيعيه اليوم و من الممكن أن يتغير يوما إلى خلافها بتقدم العلوم و توسع الأبحاث.

و ربما استدل على هذا القول بقوله تعالى: «إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى الْعٰالَمِينَ» ، :آل عمران:۳۳ بتقريب أن الاصطفاء هو انتخاب صفوه الشىء و إنما يصدق الانتخاب فيما إذا كان هناك جماعه يختار المصطفى من بينهم و يؤثر عليهم كما اصطفى كل من نوح و آل إبراهيم و آل عمران من بين قومهم و لازم ذلك أن يكون مع آدم قوم غيره فيصطفى من بينهم عليهم،و ليس إلا البشر الأولى غير المجهز بجهاز التعقل فاصطفى آدم من بينهم فجهز بالعقل فانتقل من مرتبه نوعيتهم إلى مرتبه الإنسان المجهز بالعقل الكامل بالنسبه إليهم ثم نسل و كثر نسله و انقرض الإنسان الأولى الناقص.

و فيه أن« اَلْعٰالَمِينَ »فى الآيه جمع محلى باللام و هو يفيد العموم و يصدق على عامه البشر إلى يوم القيامه فهم مصطفون على جميع المعاصرين لهم و الجائين بعدهم كمثل قوله:

« وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ »فما المانع من كون آدم مصطفى مختارا من بين أولاده ما خلا المذكورين منهم فى الآيه؟.

و على تقدير اختصاص الاصطفاء بما بين المعاصرين و عليهم ما هو المانع من كونه مصطفى مختارا من بين أولاده المعاصرين له و لا دلاله فى الآيه على كون اصطفائه أول خلقته قبل ولاده أولاده.

على أن اصطفاء آدم لو كان على الإنسان الأولى كما يذكره المستدل كان ذلك بما أنه مجهز بالعقل و كان ذلك مشتركا بينه و بين بنى آدم جميعا على الإنسان الأولى فكان تخصيص آدم فى الآيه بالذكر تخصيصا من غير مخصص.

و ربما استدل بقوله: «وَ لَقَدْ خَلَقْنٰاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنٰاكُمْ ثُمَّ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» ، XالآيهX:الأعراف:١١ بناء على أن«ثم»تدل على التراخى الزمانى فقد كان للنوع الإنسانى وجود قبل خلق آدم و أمر الملائكه بالسجده له.

و فيه أن« ثُمَّ »فى الآيه للترتيب الكلامى و هو كثير الورود فى كلامه تعالى على أن هناك معنى آخر أشرنا إليه فى تفسير الآيه فى الجزء الثامن من الكتاب.

و ربما استدل بقوله:« وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسٰانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاٰلَهٍ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوّٰاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ »الآيات و تقريبه أن الآيه الأولى المتعرضه لأول خلق الإنسان تذكر خلقته الأوليه من تراب التى يشترك فيها جميع الأفراد،و الآيه الثالثه تذكر تسويته و نفخ الروح فيه و بالجمله كماله الإنسانى و العطف بثم تدل على توسط زمان معتد به بين أول خلقته من تراب و بين ظهوره بكماله.

و ليس هذا الزمان المتوسط إلا زمان توسط الأنواع الأخر التى تنتهى بتغيرها التدريجى إلى الإنسان الكامل و خاصه بالنظر إلى تنكر« سُلاٰلَهٍ »المفيد للعموم.

و فيه أن قوله:« ثُمَّ سَوّٰاهُ »عطف على قوله« بَدَأَ »و الآيات فى مقام بيان ظهور النوع الإنسانى بالخلق و أن بدأ خلقه و هو خلقه و هو خلق آدم كان من طين ثم بدل سلاله من ماء فى ظهور أولاده،ثم تمت الخلقه سواء كان فيه أو فى أولاده بالتسويه و نفخ الروح.

و هذا معنى صحيح يقبل الانطباق على اللفظ و لا يلزم منه حمل قوله:« ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاٰلَهٍ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ »على أنواع متوسطه بين الخلق من الطين و بين التسويه و نفخ الروح،و كون« سُلاٰلَهٍ »نكره لا يستلزم العموم فإن إفاده النكره للعموم إنما هو فيما إذا وقعت فى سياق النفى دون الإثبات.

و قد استدل بآيات أخر مربوطه بخلقه الإنسان و آدم بنحو مما مر يعلم الجواب عنها بما قدمناه فلا موجب لنقلها و إطاله الكلام بالجواب عنها.

ص:٢۶٠

[سوره السجده (۳۲): الآیات ۱۵ الی ۳۰]

اشاره

إِنَّمٰا یُؤْمِنُ بِآیٰاتِنَا اَلَّذِینَ إِذٰا ذُکِّرُوا بِهٰا خَرُّوا سُجَّداً وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لاٰ یَسْتَکْبِرُونَ (۱۵) تَتَجٰافیٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ اَلْمَضٰاجِعِ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ یُنْفِقُونَ (۱۶) فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ جَزٰاءً بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۱۷) أَ فَمَنْ کٰانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کٰانَ فٰاسِقاً لاٰ یَسْتَوُونَ (۱۸) أَمَّا اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ فَلَهُمْ جَنّٰاتُ اَلْمَأْویٰ نُزُلاً بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۱۹) وَ أَمَّا اَلَّذِینَ فَسَقُوا فَمَأْوٰاهُمُ اَلنّٰارُ کُلَّمٰا أَرٰادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْهٰا أُعِیدُوا فِیهٰا وَ قِیلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذٰابَ اَلنّٰارِ اَلَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ (۲۰) وَ لَنُذِیقَنَّهُمْ مِنَ اَلْعَذٰابِ اَلْأَدْنیٰ دُونَ اَلْعَذٰابِ اَلْأَکْبَرِ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (۲۱) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُکِّرَ بِآیٰاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهٰا إِنّٰا مِنَ اَلْمُجْرِمِینَ مُنْتَقِمُونَ (۲۲) وَ لَقَدْ آتَیْنٰا مُوسَی اَلْکِتٰابَ فَلاٰ تَکُنْ فِی مِرْیَهٍ مِنْ لِقٰائِهِ وَ جَعَلْنٰاهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرٰائِیلَ (۲۳) وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا وَ کٰانُوا بِآیٰاتِنٰا یُوقِنُونَ (۲۴) إِنَّ رَبَّکَ هُوَ یَفْصِلُ بَیْنَهُمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ فِیمٰا کٰانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۲۵) أَ وَ لَمْ یَهْدِ لَهُمْ کَمْ أَهْلَکْنٰا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ اَلْقُرُونِ یَمْشُونَ فِی مَسٰاکِنِهِمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ أَ فَلاٰ یَسْمَعُونَ (۲۶) أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّٰا نَسُوقُ اَلْمٰاءَ إِلَی اَلْأَرْضِ اَلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْکُلُ مِنْهُ أَنْعٰامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلاٰ یُبْصِرُونَ (۲۷) وَ یَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا اَلْفَتْحُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۲۸) قُلْ یَوْمَ اَلْفَتْحِ لاٰ یَنْفَعُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا إِیمٰانُهُمْ وَ لاٰ هُمْ یُنْظَرُونَ (۲۹) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ اِنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (۳۰)

ص: ۲۶۱

(بيان)

الآيـات تفرق بين المؤمنين بحقيقه معنى الإيمـان و بين الفاسـقين و الظالمين و تـذكر لكل ما يلزمه من الآثار و التبعات ثم تنـذر الظالمين بعذاب الدنيا و تأمر النبى ص بانتظار الفتح و عند ذلك تختم السوره.

قوله تعالى:« إِنَّمٰا يُؤْمِنُ بِآيٰاتِنَا الَّذِينَ إِذٰا ذُكِّرُوا بِهٰا خَرُّوا سُجَّداً وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ »لما ذكر شطرا من الكلام فى الكفار الـذين يجحدون لقاءه و يستكبرون فى الدنيا عن الإيمان و العمل الصالح أخذ فى صـفه الذين يؤمنون بآيات ربهم و يخضعون للحق لما ذكروا و وعظوا.

فقوله:« إِنَّمٰا يُؤْمِنُ بِآيٰاتِنَا »حصر للإيمان بحقيقه معناه فيهم و معناه أن علامه التهيؤ للإيمان الحقيقى هو كذا و كذا.

و قوله:« اَلَّذِينَ إِذٰا ذُكِّرُوا بِهٰا خَرُّوا سُجَّداً »ذكر سبحانه شيئا من أوصـافهم و شـيئا من أعمالهم،أما ما هو من أوصافهم فتـذللهم لمقـام الربـوبيه و عـدم اسـتكبارهم عن الخضوع لله و تسـبيحه و حمـده و هو قوله:« إِذٰا ذُكِّرُوا بِهٰا »أى الـداله على وحـدانيته فى ربوبيته و ألوهيته و مـا يلزمهـا من المعـاد و الـدعوه النبويه إلى الإيمـان و العمـل الصالـح« خَرُّوا سُجَّداً »أى سـقطوا على الأرض ساجـدين لله تـذللا و اسـتكانه« وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ »أى نزهوه مقارنا للثناء الجميل عليه.و السـجده و التسبيـح و التحميـد و إن كـانت من الأفعـال لكنهـا مظـاهر لصـفه التـذلل و الخضوع لمقـام الربوبيه و الألوهيه،و لـذا أردفها بصـفه تلازمها فقال:« وَ هُمْ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ ».

قوله تعالی:« تَتَجافی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ »هذا معرفهم من حیث أعمالهم کما أن ما فی الآیه السابقه کان معرفهم من حیث أوصافهم.

فقوله:« تَتَجافی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ » التجافی التنحی و الجنوب جمع جنب و هو الشق،و المضاجع جمع مضجع و هو الفراش و موضع النوم،و التجافی عن المضاجع کنایه عن ترک النوم.

و قوله:« یَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً »حال من ضمیر جنوبهم و المراد اشتغالهم بدعاء ربهم فی جوف اللیل حین تنام العیون و تسکن الأنفاس لا خوفا من سخطه تعالی فقط حتی یغشیهم الیأس من رحمه الله و لا طمعا فی ثوابه فقط حتی یأمنوا غضبه و مکره بل یدعونه خوفا و طمعا فیؤثرون فی دعائهم أدب العبودیه علی ما یبعثهم إلیه الهدی و هذا التجافی و الدعاء ینطبق علی النوافل اللیلیه.

و قوله:« وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ »عمل آخر لهم و هو الإنفاق لله و فی سبیله.

قوله تعالی:« فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ جَزاءً بِما کانُوا یَعْمَلُونَ » تفریع لما لهم من الأوصاف و الأعمال یصف ما أعد الله لهم من الثواب.

و وقوع نفس و هی نکره فی سیاق النفی یفید العموم،و إضافه قره إلی أعین لا أعینهم تفید أن فیما أخفی لهم قره عین کل ذی عین.

و المعنی:فلا تعلم نفس من النفوس-أی هو فوق علمهم و تصورهم-ما أخفاه الله لهم مما تقر به عین کل ذی عین جزاء فی قبال ما کانوا یعملون فی الدنیا.

قوله تعالی:« أَ فَمَنْ کانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کانَ فاسِقاً لا یَسْتَوُونَ » الإیمان سکون علمی خاص من النفس بالشیء و لازمه الالتزام العملی بما آمن به و الفسق هو الخروج عن الالتزام المذکور من فسقت التمره إذا خرجت عن قشرها و مآل معناه الخروج عن زی العبودیه.

و الاستفهام فی الآیه للإنکار،و قوله:« لا یَسْتَوُونَ »نفی لاستواء الفریقین تأکیدا لما یفیده الإنکار السابق.

قوله تعالی:« أَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنّاتُ الْمَأْوی نُزُلاً بِما کانُوا

يَعْمَلُونَ

» المأوى المكان الذى يأوى إليه و يسكن فيه الإنسان،و النزل بضمتين كل ما يعد للنازل فى بيت من الطعام و الشراب،ثم عمم كما قيل لكل عطيه،و الباقى ظاهر.

قوله تعالى:« وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النّارُ »إلى آخر الآيه،كون النار مأواهم لازمه خلودهم فيها و لذلك عقبه بقوله:« كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها »،و قوله:« وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ »دليل على أن المراد بالذين فسقوا هم منكرو المعاد و خطابهم و هم فى النار بهذا الخطاب شماته بهم و كثيرا ما كانوا يشمتون فى الدنيا بالمؤمنين لقولهم بالمعاد.

قوله تعالى:« وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » لما كان غايه إذاقتهم العذاب رجوعهم المرجو و الرجوع المرجو هو الرجوع إلى الله بالتوبه و الإنابه كان المراد بالعذاب الأدنى هو عذاب الدنيا النازل بهم للتخويف و الإنذار ليتوبوا دون عذاب الاستئصال و دون العذاب الذى بعد الموت و حينئذ المراد بالعذاب الأكبر عذاب يوم القيامه.

و المعنى:أقسم لنذيقنهم من العذاب الأدنى أى الأقرب مثل السنين و الأمراض و القتل و نحو ذلك قبل العذاب الأكبر يوم القيامه لعلهم يرجعون إلينا بالتوبه من شركهم و جحودهم.

قيل:سمى عذاب الدنيا أدنى و لم يقل:الأصغر،حتى يقابل الأكبر لأن المقام مقام الإنذار و التخويف و لا يناسبه عد العذاب أصغر،و كذا لم يقل دون العذاب الأبعد حتى يقابل العذاب الأدنى لعدم ملاءمته مقام التخويف.

قوله تعالى:« وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ »كأنه فى مقام التعليل لما تقدم من عذابهم بالعذاب الأكبر بما أنهم مكذبون فعلله بأنهم ظالمون أشد الظلم بالإعراض عن الآيات بعد التذكره فيكونون مجرمين و الله منتقم منهم.

فقوله:« وَ مَنْ أَظْلَمُ »إلخ تعليل لعذابهم بأنهم ظالمون أشد الظلم ثم قوله:« إِنّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ »،تعليل لعذاب الظالمين بأنهم مجرمون و العذاب انتقام منهم، و الله منتقم من المجرمين.

ص :۲۶۴

قوله تعالی:« وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ فَلا تَکُنْ فِی مِرْیَهٍ مِنْ لِقائِهِ وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِیلَ »المراد بالکتاب التوراه و المریه الشک و الریب.

و قد اختلفوا فی مرجع الضمیر فی قوله:« مِنْ لِقائِهِ »و معنی الکلمه فقیل:

الضمیر لموسی و هو مفعول اللقاء و التقدیر فلا تکن فی مریه من لقائک موسی و قد لقیه لیله المعراج کما وردت به الروایات فإن کانت السوره نازله بعد المعراج فهو تذکره لما قد وقع و إن کانت نازله قبله فهو وعد منه تعالی للنبی ص أنه سیراه.

و قیل:الضمیر لموسی و المعنی:فلا تکن فی مریه من لقائک موسی یوم القیامه.

و قیل:الضمیر للکتاب و التقدیر فلا تکن فی مریه من لقاء موسی الکتاب.

و قیل:التقدیر من لقائک الکتاب أو من لقاء الکتاب إیاک.

و قیل:الضمیر لما لقی موسی من الأذی من قومه و المعنی:فلا تکن فی مریه من لقاء الأذی کما لقیه موسی من قومه و أنت خبیر بأن الطبع السلیم لا یقبل شیئا من هذه الوجوه-علی أنها لا تفی لبیان وجه اتصال الآیه بما قبلها.

و من الممکن-و الله أعلم-أن یرجع ضمیر لقائه إلیه تعالی و المراد بلقائه البعث بعنایه أنه یوم یحضرون لربهم لا حجاب بینه و بینهم کما تقدم،و قد عبر عنه باللقاء قبل عده آیات فی قوله:« بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ کافِرُونَ »،ثم عبر عنه بما فی معناه فی قوله:« ناکِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ».

فیکون المعنی:و لقد آتینا موسی الکتاب کما آتیناک القرآن فلا تکن فی مریه من البعث الذی ینطق به القرآن بالشک فی نفس القرآن و قد أید نزول القرآن علیه (ص)بنزول التوراه علی موسی فی مواضع من القرآن،و یؤیده قوله بعد:« وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِیلَ وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا »إلخ.

و یمکن أن یکون المراد بلقائه الانقطاع التام إلیه تعالی عند وحی القرآن أو بعضه کما فی بعض الروایات،فیکون رجوعا إلی ما فی صدر السوره من قوله:« تَنْزِیلُ الْکِتابِ لا رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ »،و ذیل الآیه أشد تأییدا لهذا الوجه من سابقه و الله أعلم.

و قوله:« وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِیلَ »أی هادیا فالمصدر بمعنی اسم الفاعل

أو بمعناه المصدری مبالغه.

قوله تعالی:« وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا وَ كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يُوقِنُونَ » أی و جعلنا من بنی إسرائیل أئمه یهدون الناس بأمرنا و إنما نصبناهم أئمه هداه للناس حین صبروا فی الدین و کانوا قبل ذلک موقنین بآیاتنا.

و قد تقدم البحث عن معنی الإمامه و هدایه الإمام بأمر الله فی تفسیر قوله:

«قٰالَ إِنِّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً» ، :البقره:۱۲۴ و قوله: «وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا» ، :الأنبیاء:۷۳ و غیر ذلک من الموارد المناسبه.

و قد تضمنت هاتان الآیتان من الرحمه المنبسطه بالتوراه أنها هدی فی نفسه یهدی من اتبعه إلی الحق،و أنها أنشأت فی حجر تربیتها أناسا اجتباهم الله للإمامه فصاروا یهدون بأمره فهی مبارکه للعمل بها و مبارکه بعد العمل.

قوله تعالی:« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ »یرید اختلافهم فی الدین و إنما کان ذلک بغیا بینهم کما یذکره فی مواضع من کلامه کقوله:

«وَ لَقَدْ آتَيْنٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ الْكِتٰابَ X-إلی أن قال-X فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» :الجاثیه:۱۷.

فالمراد بقوله:« يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ » القضاء الفاصل بین الحق و الباطل و المحق و المبطل و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسٰاكِنِهِمْ » إلخ،العطف علی محذوف کأنه قیل:أ لم یبین لهم کذا و کذا، أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ إلخ، و الهدایه بمعنی التبیین أو هو مضمن معنی التبیین و لذا عدی باللام.

و قوله:« كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ »مشیر إلی الفاعل قائم مقامه،و المعنی:

أ و لم یبین لهم کثره من أهلکنا من القرون و الحال أنهم یمشون فی مساکنهم.

و قوله:« إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ أَ فَلاٰ يَسْمَعُونَ »المراد بالسمع سمع المواعظ المؤدی إلی طاعه الحق و قبوله.

قوله تعالی:« أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا نَسُوقُ الْمٰاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعٰامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ »إلخ،قال فی المجمع:، السوق الحث علی السیر من ساقه یسوقه،

و قال: الجرز الأرض اليابسه التى ليس فيها نبات لانقطاع الأمطار عنها.انتهى.

و الزرع مصدر فى الأصل و المراد به هنا المزروع.

و الآيه تذكر آيه أخرى من آيات الله سبحانه تدل على حسن تدبيره للأشياء و خاصه ذوى الحياه منها كالأنعام و الإنسان،و المراد بسوق الماء إلى الأرض الخاليه من النبات سوق السحب الحامله للأمطار إليها،ففى نزول ماء المطر منها حياه الأرض و خروج الزرع و اغتذاء الإنسان و الأنعام التى يسخرها و يربيها لمقاصد حياته.

و قوله:« أَ فَلاٰ يُبْصِرُونَ »تنبيه و توبيخ و تخصيص هذه الآيه بالإبصار،و الآيه السابقه بالسمع لما أن العلم بإهلاك الأمم الماضين إنما هو بالأخبار التى تنال من طريق السمع و أما العلم بسوق الأمطار إلى الأرض الجرز و إخراج الزرع و اغتذاء الأنعام و الإنسان فالطريق إليه حاسه البصر.

قوله تعالى:« وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْفَتْحُ -إلى قوله- وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ »قال الراغب: الفتح إزاله الإغلاق و الإشكال-إلى أن قال-و فتح القضيه فتاحا فصل الأمر فيها و أزال الإغلاق عنها،قال:« رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنٰا وَ بَيْنَ قَوْمِنٰا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفٰاتِحِينَ »انتهى.

و قد تقدم فى الآيات السابقه مما يصدق عليه الفتح بمعنى الفصل أمران:أحدهما فصل بينهم يوم القيامه،و الآخر إذاقه العذاب الأدنى أو الانتقام منهم فى الدنيا و لذا فسر الفتح بعضهم بيوم القيامه فيكون معنى قولهم: مَتىٰ هٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ هو معنى قولهم المحكى كرارا فى كلامه تعالى:« مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ ».

و فسره بعضهم بيوم بدر فإنه لم ينفع الذين قتلوا من المشركين إيمانهم بعد القتل.

و ذكر بعضهم أن المراد به فتح مكه و لا يلائمه الجواب المذكور فى قوله:« قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاٰ يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمٰانُهُمْ وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ »إلا أن يقول قائل:إن إيمانهم يومئذ-و قد عاندوا الحق و قاتلوا النبى ص سنين و جاهدوا فى إطفاء نور الله- لم يكن إيمانا إلا نفاقا من غير أن يدخل فى قلوبهم و ينتفع به نفوسهم و قد ألزموا بالإيمان و لم ينظروا.

و يمكن أن يكون المراد هو القضاء بين النبى ص و بين الأمه و يكون ذلك فى

آخر الزمان كما تقدمت الإشاره إليه فى تفسير قوله: «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ» XالآيهX:يونس:۴۷.

و كيف كان فالمراد بالآيتين استعجال المشركين بالفتح و الجواب أنه فتح لا ينفع حال الذين كفروا إيمانهم لأنه ظرف لا ينفع نفسا إيمانها و لا أن العذاب يمهلهم و ينظرهم.

قوله تعالى:« فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ »أمر بالإعراض عنهم و انتظار الفتح كما أنهم ينتظرون و إنما كانوا منتظرين موته أو قتله(ص)و بالجمله انقطاع دابر دعوته الحقه فلينتظر هو كما هم ينتظرون حتى يظهر الله الحق على الباطل و المحق على المبطل.

و من هذا السياق يظهر أن المراد بالفتح الفتح الدنيوى.

(بحث روائى)

فى الدر المنثور،أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبى ص قال: « تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ »،قال:هم الذين لا ينامون قبل العشاء فأثنى عليهم-فلما ذكر ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافه أن تغلبه عينه-فوقتها قبل أن ينام الصغير و يكسل الكبير.

أقول:و رواها أيضا فيه بطرق أخر موصوله و موقوفه،و روى صدر الحديث الشيخ فى أماليه بالإسناد عن الصادق(ع)فى الآيه و لفظه كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمه.

و فى الكافى،بإسناده عن سليمان بن خالد عن أبى جعفر(ع)قال: أ لا أخبرك بالإسلام أصله و فرعه و ذروه سنامه؟قلت:بلى جعلت فداك.قال:أما أصله فالصلاه و فرعه الزكاه و ذروه سنامه الجهاد.

ثم قال:إن شئت أخبرتك بأبواب الخير:قلت:نعم جعلت فداك.قال:

الصوم جنه و الصدقه تذهب بالخطيئه-و قيام الرجل فى جوف الليل يذكر الله ثم قرأ:

« تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ »

أقول:و روى هذا المعنى فى المحاسن،بإسناده عن على بن عبد العزيز عن الصادق (ع)و فى المجمع،عن الواحدى بالإسناد عن معاذ بن جبل عن النبى ص و رواه فى الدر المنثور،عن الترمذى و النسائى و ابن ماجه و غيرهم عن معاذ عنه(ص).

و فى الدر المنثور،أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: ذكر لنا رسول الله قيام الليل ففاضت عيناه-حتى تحادرت دموعه فقال: تَتَجٰافىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضٰاجِعِ .

و فيه،أخرج ابن أبى شيبه و أحمد و مسلم و الطبرانى و ابن جرير و الحاكم و صححه و ابن مردويه و محمد بن نصر فى كتاب الصلاه من طريق أبى صخر عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال: بينما نحن عند رسول الله ص و هو يصف الجنه حتى انتهى-.

ثم قال:فيها ما لا عين رأت-و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر-ثم قرأ:

« تَتَجٰافىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضٰاجِعِ »الآيتين.

و فى المجمع،و روى عن أبى عبد الله(ع)أنه قال: ما من حسنه إلا و لها ثواب مبين فى القرآن إلا صلاه الليل-فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال:« فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ »الآيه.

و فى تفسير القمى،حدثنى أبى عن عبد الرحمن بن أبى نجران عن عاصم بن حميد عن أبى عبد الله(ع)قال: ما من عمل حسن يعمله العبد-إلا و له ثواب فى القرآن إلا صلاه الليل-فإن الله عز و جل لم يبين ثوابها لعظيم خطره عنده،فقال جل ذكره:

« تَتَجٰافىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضٰاجِعِ-يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ- »إلى قوله- يَعْمَلُونَ » ثم قال:إن لله عز و جل كرامه فى عباده المؤمنين-فى كل يوم جمعه فإذا كان يوم الجمعه-بعث الله إلى المؤمن ملكا معه حلتان فينتهى إلى باب الجنه-فيقول:استأذنوا لى على فلان-فيقال له هذا رسول ربك على الباب فيقول لأزواجه:أى شىء ترين على أحسن؟فيقلن يا سيدنا و الذى أباحك الجنه-ما رأينا عليك أحسن من هذا الذى قد بعث إليك ربك-فيتزر بواحده و يتعطف بالأخرى-فلا يمر بشىء إلا أضاء له حتى ينتهى إلى الموعد.

فإذا اجتمعوا تجلى لهم الرب تبارك و تعالى-فإذا نظروا إليه أى إلى رحمته خروا

سجدا- فیقول:عبادی ارفعوا رءوسکم لیس هنا یوم سجود-و لا عباده قد رفعت عنکم المئونه-فیقولون:یا ربنا و أی شیء أفضل مما أعطیتنا؟أعطیتنا الجنه فیقول:لکم مثل ما فی أیدیکم سبعین مره.

فیرجع المؤمن فی کل جمعه بسبعین ضعفا مثل ما فی یدیه-و هو قوله:« وَ لَدَیْنا مَزِیدٌ » و هو یوم الجمعه-إن لیلها لیله غراء و یومها یوم أزهر-فأکثروا من التسبیح و التهلیل و التکبیر-و الثناء علی الله عز و جل و الصلاه علی رسول الله ص.

قال:فیمر المؤمن فلا یمر بشیء إلا أضاء له-حتی ینتهی إلی أزواجه فیقلن:

و الذی أباحنا الجنه،یا سیدنا ما رأیناک أحسن منک الساعه.فیقول:إنی نظرت إلی نور ربی-إلی أن قال-:قلت جعلت فداک زدنی.فقال:إن الله تعالی خلق جنه بیده-و لم یرها عین و لم یطلع علیها مخلوق-یفتحها الرب کل صباح فیقول:ازدادی ریحا ازدادی طیبا و هو قول الله:« فَلاٰ تَعْلَمُ نَفْسٌ مٰا أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أَعْیُنٍ-جَزٰاءً بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ ».

أقول:ذیل الروایه تفسیر لصدرها و قوله:أی إلی رحمه ربه.من کلام الراوی.

و فی الکافی،بإسناده عن عبد الله بن میمون القداح عن أبی عبد الله(ع)قال:

من أطعم مؤمنا حتی یشبعه-لم یدر أحد من خلق الله جل و عز ما له من الأجر-فی الآخره لا ملک مقرب و لا نبی مرسل إلا الله رب العالمین.

و فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:

« أَ فَمَنْ کٰانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کٰانَ فٰاسِقاً لاٰ یَسْتَوُونَ »قال:إن علی بن أبی طالب و الولید بن عقبه بن أبی معیط تشاجرا-فقال الفاسق ولید بن عقبه:أنا و الله أبسط منک لسانا و أحد منک سنانا-و أمثل منک جثوا فی الکتیبه.فقال علی(ع): اسکت إنما أنت فاسق-فأنزل الله« أَ فَمَنْ کٰانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کٰانَ فٰاسِقاً لاٰ یَسْتَوُونَ ».

أقول:و رواه فی المجمع،عن الواحدی عن ابن عباس و فی الدر المنثور،عن کتاب الأغانی و الواحدی و ابن عدی و ابن مردویه و الخطیب و ابن عساکر عنه و أیضا عن ابن إسحاق و ابن جریر عن عطاء بن یسار و عن ابن أبی حاتم عن السدی عنه و أیضا عن ابن أبی حاتم عن ابن أبی لیلی مثله .

و فی الاحتجاج،عن الحسن بن علی(ع):فی حدیث یحاج فیه رجالا عند معاویه:

و أما أنت یا ولید بن عقبه-فوالله ما ألومک أن تبغض علیا-و قد جلدک فی الخمر ثمانین جلده-و قتل أباک صبرا بیده یوم بدر أم کیف تسبه-و قد سماه الله مؤمنا فی عشر آیات من القرآن-و سماک فاسقا و هو قول الله عز و جل:« أَ فَمَنْ کٰانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کٰانَ فٰاسِقاً لاٰ یَسْتَوُونَ ».

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن أبی إدریس الخولانی قال: سألت عباده بن الصامت عن قول الله:« وَ لَنُذِیقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذٰابِ الْأَدْنیٰ دُونَ الْعَذٰابِ الْأَکْبَرِ » فقال:سألت رسول الله ص عنها فقال:هی المصائب و الأسقام و الأنصاب-عذاب للمسرف فی الدنیا دون عذاب الآخره-قلت:یا رسول الله فما هی لنا؟قال:

زکاه و طهور.

و فی المجمع،فی الروایه عن أبی جعفر و أبی عبد الله(ع): أن العذاب الأدنی الدابه و الدجال.

ص:۲۷۱

(۳۳) (سوره الأحزاب مدنيه،و هی ثلاث و سبعون آيه)(۷۳)

[سوره الأحزاب (۳۳): الآيات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ

يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ اِتَّقِ اَللّٰهَ وَ لاٰ تُطِعِ اَلْكٰافِرِينَ وَ اَلْمُنٰافِقِينَ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً (۱) وَ اِتَّبِعْ مٰا يُوحىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيراً (۲) وَ تَوَكَّلْ عَلَى اَللّٰهِ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً (۳) مٰا جَعَلَ اَللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَ مٰا جَعَلَ أَزْوٰاجَكُمُ اَللاّٰئِي تُظٰاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهٰاتِكُمْ وَ مٰا جَعَلَ أَدْعِيٰاءَكُمْ أَبْنٰاءَكُمْ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوٰاهِكُمْ وَ اَللّٰهُ يَقُولُ اَلْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي اَلسَّبِيلَ (۴) اُدْعُوهُمْ لِآبٰائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اَللّٰهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبٰاءَهُمْ فَإِخْوٰانُكُمْ فِي اَلدِّينِ وَ مَوٰالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ فِيمٰا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لٰكِنْ مٰا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كٰانَ اَللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً (۵) اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوٰاجُهُ أُمَّهٰاتُهُمْ وَ أُولُوا اَلْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتٰابِ اَللّٰهِ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُهٰاجِرِينَ إِلاّٰ أَنْ تَفْعَلُوا إِلىٰ أَوْلِيٰائِكُمْ مَعْرُوفاً كٰانَ ذٰلِكَ فِي اَلْكِتٰابِ مَسْطُوراً (۶) وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِنَ اَلنَّبِيِّينَ مِيثٰاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسَى اِبْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنٰا مِنْهُمْ مِيثٰاقاً غَلِيظاً (۷) لِيَسْئَلَ اَلصّٰادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰاباً أَلِيماً (۸)

(بيان)

تتضمن السوره تفاريق من المعارف و الأحكام و القصص و العبر و المواعظ و فيها قصه غزوه الخندق و إشاره إلى قصه بنى القريظه من اليهود،و سياق آياتها يشهد بأنها مما نزلت بالمدينه.

قوله تعالى:« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً »أمر للنبى ص بتقوى الله و فيه تمهيد للنهى الذى بعده« وَ لاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ ».

و فى سياق النهى-و قد جمع فيه بين الكافرين و المنافقين و نهى عن إطاعتهم- كشف عن أن الكافرين كانوا يسألونه أمرا لا يرتضيه الله سبحانه و كان المنافقون يؤيدونهم فى مسألتهم و يلحون،أمرا كان الله سبحانه بعلمه و حكمته قد قضى بخلافه و قد نزل الوحى الإلهى بخلافه،أمرا خطيرا لا يؤمن مساعده الأسباب على خلافه إلا أن يشاء الله فحذر النبى ص عن إجابتهم إلى ملتمسهم و أمر بمتابعه ما أوحى الله إليه و التوكل عليه.

و بهذا يتأيد ما ورد فى أسباب النزول أن عده من صناديد قريش بعد وقعه أحد دخلوا المدينه بأمان من النبى ص و سألوا النبى ص أن يتركهم و آلهتهم فيتركوه و إلهه فنزلت الآيات و لم يجبهم النبى إلى ذلك و سيأتى فى البحث الروائى التالى.

و بما تقدم ظهر وجه تذييل الآيه بقوله:« إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً »و كذا تعقيب الآيه بالآيتين بعدها.

قوله تعالى:« وَ اتَّبِعْ مَا يُوحىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً »

الآیه عامه فی حد نفسها لکنها من حیث وقوعها فی سیاق النهی تأمر النبی ص باتباع ما نزل به الوحی فیما یسأله الکافرون و المنافقون و أتباعه إجراؤه عملا بدلیل قوله:« إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیراً ».

قوله تعالی:« وَ تَوَکَّلْ عَلَی اللّٰهِ وَ کَفیٰ بِاللّٰهِ وَکِیلاً »الآیه کالآیه السابقه فی أنها عامه فی حد نفسها،لکنها لوقوعها فی سیاق النهی السابق تدل علی الأمر بالتوکل علی الله فیما یأمره به الوحی و تشعر بأنه أمر صعب المنال بالنظر إلی الأسباب الظاهریه لا یسلم القلب معه من عارضه المخافه و الاضطراب إلا التوکل علی الله سبحانه فإنه السبب الوحید الذی لا یغلبه سبب مخالف.

قوله تعالی:« مٰا جَعَلَ اللّٰهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ »کنایه عن امتناع الجمع بین المتنافیین فی الاعتقاد فإن القلب الواحد أی النفس الواحده لا یسع اعتقادین متنافیین و رأیین متناقضین فإن کان هناک متنافیان فهما لقلبین و ما جعل الله لرجل من قلبین فی جوفه فالرجل الواحد لا یسعه أن یعتقد المتنافیین و یصدق بالمتناقضین و قوله:« فِی جَوْفِهِ »یفید زیاده التقریر کقوله: «وَ لٰکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ» :الحج:۴۶.

قیل:الجمله توطئه و تمهید کالتعلیل لما یتلوها من إلغاء أمر الظهار و التبنی فإن فی الظهار جعل الزوجه بمنزله الأم و فی التبنی و الدعاء جعل ولد الغیر ولدا لنفسه و الجمع بین الزوجیه و الأمومه و کذا الجمع بین بنوه الغیر و بنوه نفسه جمع بین المتنافیین و لا یجتمعان إلا فی قلبین و ما جعل الله لرجل من قلبین فی جوفه.

و لا یبعد أن تکون الجمله فی مقام التعلیل لقوله السابق:« لاٰ تُطِعِ الْکٰافِرِینَ وَ الْمُنٰافِقِینَ »« وَ اتَّبِعْ مٰا یُوحیٰ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ »فإن طاعه الله و ولایته و طاعه الکفار و المنافقین و ولایتهم متنافیتان متباینتان کالتوحید و الشرک لا یجتمعان فی القلب الواحد و ما جعل الله لرجل من قلبین فی جوفه.

قوله تعالی:« وَ مٰا جَعَلَ أَزْوٰاجَکُمُ اللاّٰئِی تُظٰاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهٰاتِکُمْ »کان الرجل فی الجاهلیه یقول لزوجته أنت منی کظهر أمی أو ظهرک علی کظهر أمی فیشبه ظهرها بظهر أمه و کان یسمی ذلک ظهارا و یعد طلاقا لها،و قد ألغاه الإسلام.

فمفاد الآیه أن الله لم یجعل أزواجکم اللائی تظاهرون منهن بقول ظهرک علی

كظهر أمى أمهات لكم و إذ لم يجعل ذلك فلا أثر لهذا القول و الجعل تشريعى.

قوله تعالى:« وَ مٰا جَعَلَ أَدْعِيٰاءَكُمْ أَبْنٰاءَكُمْ » الأدعياء جمع دعى و هو المتخذ ولدا المدعو ابنا و قد كان الدعاء و التبنى دائرا بينهم فى الجاهليه و كذا بين الأمم الراقيه يومئذ كالروم و فارس و كانوا يرتبون على الدعى أحكام الولد الصلبى من التوارث و حرمه الازدواج و غيرهما و قد ألغاه الإسلام.

فمفاد الآيه أن الله لم يجعل الذين تدعونهم لأنفسكم أبناء لكم بحيث يجرى فيهم ما يجرى فى الأبناء الصلبيين.

قوله تعالى:« ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوٰاهِكُمْ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ »الإشاره بقوله:« ذٰلِكُمْ »إلى ما تقدم من الظهار و الدعاء أو إلى الدعاء فقط و هو الأظهر و يؤيده اختصاص الآيه التاليه بحكم الدعاء فحسب.

و قوله:« قَوْلُكُمْ بِأَفْوٰاهِكُمْ »أى إن نسبه الدعى إلى أنفسكم ليس إلا قولا تقولونه بأفواهكم ليس له أثر وراء ذلك فهو كنايه عن انتفاء الأثر كما فى قوله: «كَلاّٰ إِنَّهٰا كَلِمَةٌ هُوَ قٰائِلُهٰا» :المؤمنون:۱۰۰.

و قوله:« وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ »معنى كون قوله:هو الحق أنه إن أخبر عن شىء كان الواقع مطابقا لما أخبر به و إن أنشأ حكما ترتب عليه آثاره و طابقته المصلحه الواقعيه.

و معنى هدايته السبيل أنه يحمل من هداه على سبيل الحق التى فيها الخير و السعاده و فى الجملتين تلويح إلى أن دعوا أقوالكم و خذوا بقوله.

قوله تعالى:« اُدْعُوهُمْ لِآبٰائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ »إلى آخر الآيه.اللام فى « لِآبٰائِهِمْ »للاختصاص أى ادعوهم و هم مخصوصون بآبائهم أى انسبوهم إلى آبائهم و قوله:

« هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ »،الضمير إلى المصدر المفهوم من قوله:« اُدْعُوهُمْ »نظير قوله:

« اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ »و «أقسط» صيغه تفضيل من القسط بمعنى العدل.

و المعنى:انسبوهم إلى آبائهم-إذا دعوتموهم-لأن الدعاء لآبائهم أعدل عند الله.

و قوله:« فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبٰاءَهُمْ فَإِخْوٰانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوٰالِيكُمْ »،المراد بعدم

علمهم آباءهم عدم معرفتهم بأعيانهم،و الموالى هم الأولياء،و المعنى:و إن لم تعرفوا آباءهم فلا تنسبوهم إلى غير آبائهم بل ادعوهم بالإخوه و الولايه الدينيه.

و قوله:« لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ فِيمٰا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لٰكِنْ مٰا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ »أى لا ذنب لكم فى الذى أخطأتم به لسهو أو نسيان فدعوتموهم لغير آبائهم و لكن الذى تعمدته قلوبكم ذنب أو و لكن تعمد قلوبكم بذلك فيه الذنب.

و قوله:« وَ كٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً »راجع إلى ما أخطئ به.

قوله تعالى:« اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوٰاجُهُ أُمَّهٰاتُهُمْ »أنفس المؤمنين هم المؤمنون فمعنى كون النبى أولى بهم من أنفسهم أنه أولى بهم منهم:و معنى الأولويه هو رجحان الجانب إذا دار الأمر بينه و بين ما هو أولى منه فالمحصل أن ما يراه المؤمن لنفسه من الحفظ و الكلاءه و المحبه و الكرامه و استجابه الدعوه و إنفاذ الإراده فالنبى أولى بذلك من نفسه و لو دار الأمر بين النبى و بين نفسه فى شىء من ذلك كان جانب النبى أرجح من جانب نفسه.

ففيما إذا توجه شىء من المخاطر إلى نفس النبى فليقه المؤمن بنفسه و يفده نفسه و ليكن النبى أحب إليه من نفسه و أكرم عنده من نفسه و لو دعته نفسه إلى شىء و النبى إلى خلافه أو أرادت نفسه منه شيئا و أراد النبى خلافه كان المتعين استجابه النبى ص و طاعته و تقديمه على نفسه.

و كذا النبى ص أولى بهم فيما يتعلق بالأمور الدنيويه أو الدينيه كل ذلك لمكان الإطلاق فى قوله:« اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ».

و من هنا يظهر ضعف ما قيل:إن المراد أنه أولى بهم فى الدعوه فإذا دعاهم إلى شىء و دعتهم أنفسهم إلى خلافه كان عليهم أن يطيعوه و يعصوا أنفسهم،فتكون الآيه فى معنى قوله: «وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ» ، :النساء:۵۹ و قوله: «وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ لِيُطٰاعَ بِإِذْنِ اللّٰهِ» ، :النساء:۶۴ و ما أشبه ذلك من الآيات و هو مدفوع بالإطلاق.

و كذا ما قيل إن المراد أن حكمه فيهم أنفذ من حكم بعضهم على بعض كما فى قوله:

«فَسَلِّمُوا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ» ، :النور:۶۱ و يئول إلى أن ولايته على المؤمنين فوق ولايه بعضهم على بعض المدلول عليه بقوله: «الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنٰاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ» :براءه:-۷۱.

و فيه أن السياق لا يساعد عليه.

و قوله:« وَ أَزْوٰاجُهُ أُمَّهٰاتُهُمْ »جعل تشريعى أى أنهن منهم بمنزله أمهاتهم فى وجوب تعظيمهن و حرمه نكاحهن بعد النبى ص كما سيأتى التصريح به فى قوله:

« وَ لاٰ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوٰاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً ».

فالتنزيل إنما هو فى بعض آثار الأموه لا-فى جميع الآثار كالتوارث بينهن و بين المؤمنين و النظر فى وجوههن كالأمهات و حرمه بناتهن على المؤمنين لصيرورتهن أخوات لهم و كصيروره آبائهن و أمهاتهن أجدادا و جدات و إخوتهن و أخواتهن أخوالا و خالات للمؤمنين.

قوله تعالى:« وَ أُولُوا الْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتٰابِ اللّٰهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهٰاجِرِينَ »إلخ، الأرحام جمع رحم و هى العضو الذى يحمل النطفه حتى تصير جنينا فيتولد،و إذ كانت القرابه النسبيه لازمه الانتهاء إلى رحم واحده عبر عن القرابه بالرحم فسمى ذوو القرابه أولى الأرحام.

و المراد بكون أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض،الأولويه فى التوارث،و قوله:

« فِى كِتٰابِ اللّٰهِ »المراد به اللوح المحفوظ أو القرآن أو السوره،و قوله:« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهٰاجِرِينَ »مفضل عليه و المراد بالمؤمنين غير المهاجرين منهم،و المعنى:و ذوو القرابه بعضهم أولى ببعض من المهاجرين و سائر المؤمنين الذين كانوا يرثون بالمؤاخاه الدينيه، و هذه الأولويه فى كتاب الله و ربما احتمل كون قوله:« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهٰاجِرِينَ »بيانا لقوله:« وَ أُولُوا الْأَرْحٰامِ ».

و الآيه ناسخه لما كان فى صدر الإسلام من التوارث بالهجره و الموالاه فى الدين.

و قوله:« إِلاّٰ أَنْ تَفْعَلُوا إِلىٰ أَوْلِيٰائِكُمْ مَعْرُوفاً »الاستثناء منقطع،و المراد بفعل المعروف إلى الأولياء الوصيه لهم بشىء من التركه،و قد حد شرعا بثلث المال فما دونه،و قوله:

« كٰانَ ذٰلِكَ فِى الْكِتٰابِ مَسْطُوراً »أى حكم فعل المعروف بالوصيه مسطور فى اللوح المحفوظ أو القرآن أو السوره.

قوله تعالى:« وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثٰاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنٰا مِنْهُمْ مِيثٰاقاً غَلِيظاً »إضافه الميثاق إلى ضمير النبيين دليل على أن المراد بالميثاق ميثاق خاص بهم كما أن ذكرهم بوصف النبوه مشعر بذلك فالميثاق

المأخوذ من النبيين ميثاق خاص من حيث إنهم نبيون و هو غير الميثاق المأخوذ من عامه البشر الذى يشير إليه فى قوله: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ» :الأعراف:۱۷۲.

و قد ذکر أخذ الميثاق من النبيين فى موضع آخر و هو قوله: «وَ إِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثٰاقَ النَّبِيِّينَ لَمٰا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتٰابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قٰالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِى قٰالُوا أَقْرَرْنٰا» :آل عمران:۸۱.

و الآيه المبحوث عنها و إن لم تبين ما هو الميثاق المأخوذ منهم و إن كانت فيها إشاره إلى أنه أمر متعلق بالنبوه لكن يمكن أن يستفاد من آيه آل عمران أن الميثاق مأخوذ على وحده الكلمه فى الدين و عدم الاختلاف فيه كما فى قوله: «إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» ، :الأنبياء:۹۲ و قوله: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مٰا وَصّٰى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِى أَوْحَيْنٰا إِلَيْکَ وَ مٰا وَصَّيْنٰا بِهِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لاٰ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» :الشورى:۱۳.

و قد ذکر النبيين بلفظ عام يشمل الجميع ثم سمى خمسه منهم بأسمائهم بالعطف عليهم فقال:« وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ »و معنى العطف إخراجهم من بينهم و تخصيصهم بالذکر کأنه قيل:و إذ أخذنا الميثاق منكم أيها الخمسه و من باقى النبيين.

و لم يخصهم بالذكر على هذا النمط إلا لعظمه شأنهم و رفعه مكانهم فإنهم أولوا عزم و أصحاب شرائع و كتب و قد عدهم على ترتيب زمانهم:نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى بن مريم(ع)،لكن قدم ذكر النبى ص و هو آخرهم زمانا لفضله و شرفه و تقدمه على الجميع.

و قوله:« وَ أَخَذْنٰا مِنْهُمْ مِيثٰاقاً غَلِيظاً »تأكيد و تغليظ للميثاق نظير قوله: «وَ لَمّٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا نَجَّيْنٰا هُوداً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّٰا وَ نَجَّيْنٰاهُمْ مِنْ عَذٰابٍ غَلِيظٍ» :هود:۵۸.

قوله تعالى:« لِيَسْئَلَ الصّٰادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰاباً أَلِيماً »اللام فى« لِيَسْئَلَ »للتعليل أو للغايه و هو متعلق بمحذوف يدل عليه قوله:« وَ إِذْ أَخَذْنٰا » و قوله:« وَ أَعَدَّ »معطوف على ذلك المحذوف،و التقدير فعل ذلك أى أخذ الميثاق

ليتمهد له سؤال الصادقين عن صدقهم و أعد للكافرين عذابا أليما.

و لم يقل:و ليعد للكافرين عذابا،إشاره أن عذابهم ليس من العلل الغائيه لأخذ الميثاق و إنما النقص من ناحيتهم و الخلف من قبلهم.

و أما سؤال الصادقين عن صدقهم فقيل:المراد بالصادقين الأنبياء و سؤالهم عن صدقهم هو سؤالهم يوم القيامه عما جاءت به أممهم و كأنه مأخوذ من قوله تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مٰا ذٰا أُجِبْتُمْ» :المائده:١٠٩.

و قيل:المراد سؤال الصادقين فى توحيد الله و عدله و الشرائع عن صدقهم أى عما كانوا يقولون فيه،و قيل:المراد سؤال الصادقين فى أقوالهم عن صدقهم فى أفعالهم، و قيل:المراد سؤال الصادقين عما قصدوا بصدقهم أ هو وجه الله أو غيره؟إلى غير ذلك من الوجوه و هى كما ترى.

و التأمل فيما يفيده قوله:« لِيَسْئَلَ الصّٰادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ »يرشد إلى خلاف ما ذكروه،ففرق بين قولنا:سألت الغنى عن غناه و سألت العالم عن علمه،و بين قولنا:

سألت زيدا عن ماله أو عن علمه،فالمتبادر من الأولين أنى طالبته أن يظهر غناه و أن يظهر علمه،و من الأخيرين أنى طالبته أن يخبرنى هل له مال أو هل له علم؟أو يصف لى ما له من المال أو من العلم.

و على هذا فمعنى سؤال الصادقين عن صدقهم مطالبتهم أن يظهروا ما فى باطنهم من الصدق فى مرتبه القول و الفعل و هو عملهم الصالح فى الدنيا فالمراد بسؤال الصادقين عن صدقهم توجيه التكليف على حسب الميثاق إليهم ليظهر منهم صدقهم المستبطن فى نفوسهم و هذا فى الدنيا لا فى الآخره فأخذ الميثاق فى نشأه أخرى قبل الدنيا كما يدل عليه آيات الذر « وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ »الآيات.

و بالجمله الآيتان من الآيات المنبئه عن عالم الذر المأخوذ فيه الميثاق و تذكر أن أخذ الميثاق من الأنبياء(ع)و ترتب شأنهم و عملهم فى الدنيا على ذلك فى ضمن ترتب صدق كل صادق على الميثاق المأخوذ منه.

و لمكان هذا التعميم ذكر عاقبه أمر الكافرين مع أنهم ليسوا من قبيل النبيين

و الكلام فی المیثاق المأخوذ منهم فکأنه قیل:أخذنا میثاقا غلیظا من النبیین أن تتفق کلمتهم علی دین واحد یبلغونه لیسأل الصادقین و یطالبهم بالتکلیف و الهدایه إظهار صدقهم فی الاعتقاد و العمل ففعلوا فقدر لهم الثواب و أعد للکافرین عذابا ألیما.

و من هنا یظهر وجه الالتفات من التکلم مع الغیر إلی الغیبه فی قوله:« لِیَسْئَلَ الصّٰادِقِینَ »إلخ،و ذلک لأن المیثاق علی عبادته وحده لا شریک له و إن کان أخذه منه تعالی بوساطه من الملائکه المصحح لقوله:« أَخَذْنٰا »« وَ أَخَذْنٰا »فالمطالب لصدق الصادقین و المعد لعذاب الکافرین بالحقیقه هو تعالی وحده لیعبد وحده فتدبر.

(بحث روائی)

فی المجمع،": فی قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ اتَّقِ اللّٰهَ »الآیات-نزلت فی أبی سفیان بن حرب و عکرمه بن أبی جهل و أبی الأعور السلمی-قدموا المدینه و نزلوا علی عبد الله بن أبی-بعد غزوه أحد بأمان من رسول الله ص-لیکلموه فقاموا و قام معهم عبد الله بن أبی-و عبد الله بن سعید بن أبی سرح و طعمه بن أبیرق-فدخلوا علی رسول الله ص فقالوا:یا محمد ارفض ذکر آلهتنا اللات و العزی و مناه-و قل:إن لها شفاعه لمن عبدها و ندعک و ربک.فشق ذلک علی رسول الله ص.فقال عمر بن الخطاب:ائذن لنا یا رسول الله فی قتلهم،فقال:إنی أعطیتهم الأمان و أمر-فأخرجوا من المدینه و نزلت الآیه« وَ لاٰ تُطِعِ الْکٰافِرِینَ »من أهل مکه أبا سفیان و أبا الأعور و عکرمه« وَ الْمُنٰافِقِینَ » ابن أبی و ابن سعید و طعمه:

أقول:و روی إجمال القصه فی الدر المنثور،عن جریر عن ابن عباس

،و روی أسباب أخر لنزول الآیات لکنها أجنبیه غیر ملائمه لسیاق الآیات فأضربنا عنها.

و فی تفسیر القمی،فی قوله تعالی:« وَ مٰا جَعَلَ أَدْعِیٰاءَکُمْ أَبْنٰاءَکُمْ »:حدثنی أبی عن ابن أبی عمیر عن جمیل عن أبی عبد الله(ع)قال: کان سبب ذلک أن رسول الله ص لما تزوج بخدیجه بنت خویلد-خرج إلی سوق عکاظ فی تجاره-و رأی زیدا یباع و رآه غلاما کیسا حصینا-فاشتراه فلما نبئ رسول الله ص دعاه إلی الإسلام-فأسلم و کان یدعی زید مولی محمد.

فلما بلغ حارثه بن شراحيل الكلبى خبر ولده زيد قدم مكه-و كان رجلا جليلا فأتى أبا طالب-فقال:يا أبا طالب إن ابنى وقع عليه السبى-و بلغنى أنه صار إلى ابن أخيك-تسأله إما أن يبيعه و إما أن يفاديه و إما أن يعتقه.

فكلم أبو طالب رسول الله ص فقال رسول الله:هو حر فليذهب حيث شاء فقام حارثه فأخذ بيد زيد-فقال له:يا بنى الحق بشرفك و حسبك،فقال زيد:لست أفارق رسول الله،فقال له أبوه:فتدع حسبك و نسبك-و تكون عبدا لقريش؟فقال زيد:لست أفارق رسول الله ما دمت حيا،فغضب أبوه فقال:يا معشر قريش اشهدوا أنى قد برئت منه و ليس هو ابنى،فقال رسول الله ص:اشهدوا أن زيدا ابنى أرثه و يرثنى.فكان زيد يدعى ابن محمد-و كان رسول الله ص يحبه و سماه زيد الحب.

فلما هاجر رسول الله ص إلى المدينه-زوجه زينب بنت جحش-و أبطأ عنه يوما فأتى رسول الله منزله يسأل عنه-فإذا زينب جالسه وسط حجرتها يستحق طيبها بفهر لها-فدفع رسول الله الباب و نظر إليها و كانت جميله حسنه-فقال:سبحان الله رب النور و تبارك الله أحسن الخالقين،ثم رجع رسول الله إلى منزله-و وقعت زينب فى قلبه موقعا عجيبا.

و جاء زيد إلى منزله فأخبرته زينب بما قال رسول الله-فقال لها زيد:هل لك أن أطلقك حتى يتزوج بك رسول الله؟فقالت:أخشى أن تطلقنى و لا يتزوجنى رسول الله.فجاء زيد إلى رسول الله فقال:بأبى أنت و أمى يا رسول الله أخبرتنى زينب بكذا و كذا-فهل لك أن أطلقها حتى تتزوجها؟فقال له رسول الله:لا اذهب-و اتق الله و أمسك عليك زوجك،ثم حكى الله فقال:« أَمْسِكْ عَلَيْکَ زَوْجَکَ وَ اتَّقِ اللّهَ- وَ تُخْفِي فِي نَفْسِکَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النّاسَ-وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ-فَلَمّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناکَها -إلى قوله- وَ کانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً »فزوجه الله من فوق عرشه.

فقال المنافقون:يحرم علينا نساء أبنائنا و يزوج امرأه ابنه زيد-فأنزل الله فى هذا « وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَکُمْ أَبْناءَکُمْ -إلى قوله- يَهْدِي السَّبِيلَ ».

أقول:و روى قريبا منه مع اختلاف ما فى الدر المنثور،عن ابن مردويه عن ابن عباس.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و أبو داود و ابن مردویه عن جابر عن النبی ص أنه کان یقول: أنا أولی بکل مؤمن من نفسه- فأیما رجل مات و ترک دینا فالی،و من ترک مالا فهو لورثته.

أقول:و فی معناه روایات أخر من طرق الشیعه و أهل السنه.

و فیه،أخرج ابن أبی شیبه و أحمد و النسائی عن بریده قال: غزوت مع علی الیمن فرأیت منه جفوه-فلما قدمت علی رسول الله ص ذکرت علیا فتنقصته-فرأیت وجه رسول الله ص تغیر و قال:یا بریده-أ لست أولی بالمؤمنین من أنفسهم؟قلت:بلی یا رسول الله.قال:من کنت مولاه فعلی مولاه.

و فی الاحتجاج،عن عبد الله بن جعفر بن أبی طالب فی حدیث طویل قال:سمعت رسول الله ص یقول: أنا أولی بالمؤمنین من أنفسهم.من کنت أولی به من نفسه فأنت أولی به من نفسه-و علی بین یدیه فی البیت:

أقول:و رواه فی الکافی،بإسناده عن جعفر عنه(ص)

و الأحادیث فی هذا المعنی من طرق الفریقین فوق حد الإحصاء.

و فی الکافی،بإسناده عن حنان قال*: قلت لأبی عبد الله(ع): أی شیء للموالی؟ فقال:لیس لهم من المیراث إلا ما قال الله عز و جل:« إِلاّٰ أَنْ تَفْعَلُوا إِلیٰ أَوْلِیٰائِکُمْ مَعْرُوفاً ».

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال: قیل:یا رسول الله متی أخذ میثاقک؟قال:و آدم بین الروح و الجسد.

أقول:و هو بلفظه مروی بطرق مختلفه عنه(ص)و معناه کون المیثاق مأخوذا فی نشأه غیر هذه النشأه و قبلها.

[سوره الأحزاب (۳۳): الآیات ۹ الی ۲۷]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اُذْکُرُوا نِعْمَهَ اَللّٰهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جٰاءَتْکُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمْ رِیحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهٰا وَ کٰانَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِیراً (۹) إِذْ جٰاؤُکُمْ مِنْ فَوْقِکُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْکُمْ وَ إِذْ زٰاغَتِ اَلْأَبْصٰارُ وَ بَلَغَتِ اَلْقُلُوبُ اَلْحَنٰاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللّٰهِ اَلظُّنُونَا (۱۰) هُنٰالِکَ اُبْتُلِیَ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزٰالاً شَدِیداً (۱۱) وَ إِذْ یَقُولُ اَلْمُنٰافِقُونَ وَ اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مٰا وَعَدَنَا اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ إِلاّٰ غُرُوراً (۱۲) وَ إِذْ قٰالَتْ طٰائِفَهٌ مِنْهُمْ یٰا أَهْلَ یَثْرِبَ لاٰ مُقٰامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا وَ یَسْتَأْذِنُ فَرِیقٌ مِنْهُمُ اَلنَّبِیَّ یَقُولُونَ إِنَّ بُیُوتَنٰا عَوْرَهٌ وَ مٰا هِیَ بِعَوْرَهٍ إِنْ یُرِیدُونَ إِلاّٰ فِرٰاراً (۱۳) وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَیْهِمْ مِنْ أَقْطٰارِهٰا ثُمَّ سُئِلُوا اَلْفِتْنَهَ لَآتَوْهٰا وَ مٰا تَلَبَّثُوا بِهٰا إِلاّٰ یَسِیراً (۱۴) وَ لَقَدْ کٰانُوا عٰاهَدُوا اَللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لاٰ یُوَلُّونَ اَلْأَدْبٰارَ وَ کٰانَ عَهْدُ اَللّٰهِ مَسْؤُلاً (۱۵) قُلْ لَنْ یَنْفَعَکُمُ اَلْفِرٰارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ اَلْمَوْتِ أَوِ اَلْقَتْلِ وَ إِذاً لاٰ تُمَتَّعُونَ إِلاّٰ قَلِیلاً (۱۶) قُلْ مَنْ ذَا اَلَّذِی یَعْصِمُکُمْ مِنَ اَللّٰهِ إِنْ أَرٰادَ بِکُمْ سُوءاً أَوْ أَرٰادَ بِکُمْ رَحْمَهً وَ لاٰ یَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَلِیًّا وَ لاٰ نَصِیراً (۱۷) قَدْ یَعْلَمُ اَللّٰهُ اَلْمُعَوِّقِینَ مِنْکُمْ وَ اَلْقٰائِلِینَ لِإِخْوٰانِهِمْ هَلُمَّ إِلَیْنٰا وَ لاٰ یَأْتُونَ اَلْبَأْسَ إِلاّٰ قَلِیلاً (۱۸) أَشِحَّهً عَلَیْکُمْ فَإِذٰا جٰاءَ اَلْخَوْفُ رَأَیْتَهُمْ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ تَدُورُ أَعْیُنُهُمْ کَالَّذِی یُغْشیٰ عَلَیْهِ مِنَ اَلْمَوْتِ فَإِذٰا ذَهَبَ اَلْخَوْفُ سَلَقُوکُمْ بِأَلْسِنَهٍ حِدٰادٍ أَشِحَّهً عَلَی اَلْخَیْرِ أُولٰئِکَ لَمْ

يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اَللّٰهُ أَعْمٰالَهُمْ وَ كٰانَ ذٰلِكَ عَلَى اَللّٰهِ يَسِيراً (۱۹) يَحْسَبُونَ اَلْأَحْزٰابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ اَلْأَحْزٰابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بٰادُونَ فِي اَلْأَعْرٰابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبٰائِكُمْ وَ لَوْ كٰانُوا فِيكُمْ مٰا قٰاتَلُوا إِلاّٰ قَلِيلاً (۲۰) لَقَدْ كٰانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اَللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كٰانَ يَرْجُوا اَللّٰهَ وَ اَلْيَوْمَ اَلْآخِرَ وَ ذَكَرَ اَللّٰهَ كَثِيراً (۲۱) وَ لَمّٰا رَأَ اَلْمُؤْمِنُونَ اَلْأَحْزٰابَ قٰالُوا هٰذٰا مٰا وَعَدَنَا اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ مٰا زٰادَهُمْ إِلاّٰ إِيمٰاناً وَ تَسْلِيماً (۲۲) مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اَللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مٰا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (۲۳) لِيَجْزِيَ اَللّٰهُ اَلصّٰادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ اَلْمُنٰافِقِينَ إِنْ شٰاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ غَفُوراً رَحِيماً (۲۴) وَ رَدَّ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنٰالُوا خَيْراً وَ كَفَى اَللّٰهُ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْقِتٰالَ وَ كٰانَ اَللّٰهُ قَوِيًّا عَزِيزاً (۲۵) وَ أَنْزَلَ اَلَّذِينَ ظٰاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ مِنْ صَيٰاصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ اَلرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً (۲۶) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيٰارَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُهٰا وَ كٰانَ اَللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً (۲۷)

(بيان)

قصه غزوه الخندق و ما عقبها من أمر بنى قريظه و وجه اتصالها بما قبلها ما فيها من ذكر حفظ العهد و نقضه.

ص :۲۸۴

قوله تعالی:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ » إلخ،تذکیر للمؤمنین بما أنعم علیهم أیام الخندق بنصرهم و صرف جنود المشرکین عنهم و قد کانوا جنودا مجنده من شعوب و قبائل شتی کغطفان و قریش و الأحابیش و کنانه و یهود بنی قریظه و النضیر أحاطوا بهم من فوقهم و من أسفل منهم فسلط الله علیهم الریح و أنزل ملائکه یخذلونهم.

و هو قوله:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ »ظرف للنعمه أو لثبوتها« جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ »من طوائف کل واحده منهم جند کغطفان و قریش و غیرهما « فَأَرْسَلْنَا »بیان للنعمه و هو الإرسال المتفرع علی مجیئهم« عَلَيْهِمْ رِيحاً »و هی الصبا و کانت بارده فی لیال شاتیه« وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا »و هی الملائکه لخذلان المشرکین « وَ كَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ».

قوله تعالی:« إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ »إلخ الجاءون من فوقهم و هو الجانب الشرقی للمدینه غطفان و یهود بنی قریظه و بنی النضیر و الجاءون من أسفل منهم و هو الجانب الغربی لها قریش و من انضم إلیهم من الأحابیش و کنانه فقوله:« إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ »عطف بیان لقوله:« إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ».

و قوله:« إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ »،عطف بیان آخر لقوله:

« إِذْ جَاءَتْكُمْ »إلخ،و زیغ الأبصار میلها و القلوب هی الأنفس و الحناجر جمع حنجر و هو جوف الحلقوم.

و الوصفان أعنی زیغ الأبصار و بلوغ القلوب الحناجر کنایتان عن کمال غشیان الخوف لهم حتی حولهم إلی حال المحتضر الذی یزیغ بصره و تبلغ روحه الحلقوم.

و قوله:« وَ تَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا »أی یظن المنافقون و الذین فی قلوبهم مرض الظنون فبعضهم یقول:إن الکفار سیغلبون و یستولون علی المدینه،و بعضهم یقول:

إن الإسلام سینمحق و الدین سیضیع،و بعضهم یقول:إن الجاهلیه ستعود کما کانت، و بعضهم یقول:إن الله غرهم و رسوله إلی غیر ذلک من الظنون.

قوله تعالی:« هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً » هنالک إشاره بعیده إلی زمان أو مکان و المراد الإشاره إلی زمان مجیء الجنود و کان شدیدا علیهم

لغایه بعیده،و الابتلاء الامتحان،و الزلزله و الزلزال الاضطراب،و الشده القوه و تختلفان فی أن الغالب علی الشده أن تکون محسوسا بخلاف القوه،قیل:و لذلک یطلق القوی علیه تعالی دون الشدید.

و المعنی فی ذلک الزمان الشدید امتحن المؤمنون و اضطربوا خوفا اضطرابا شدیدا.

قوله تعالی:« وَ إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً »الذین فی قلوبهم مرض هم ضعفاء الإیمان من المؤمنین و هم غیر المنافقین الذین یظهرون الإیمان و یبطنون الکفر،و إنما سمی المنافقون الرسول لمکان إظهارهم الإسلام.

و الغرور حمل الإنسان علی الشر بإراءته فی صوره الخیر و الاغترار احتماله له.

قال الراغب:یقال:غررت فلانا أصبت غرته و نلت منه ما أرید،و الغره -بکسر الغین-غفله فی الیقظه.انتهی.

و الوعد الذی یعدونه غرورا من الله و رسوله لهم بقرینه المقام هو وعد الفتح و ظهور الإسلام علی الدین کله و قد تکرر فی کلامه تعالی کما ورد أن المنافقین قالوا:

یعدنا محمد أن یفتح مدائن کسری و قیصر و نحن لا نأمن أن نذهب إلی الخلاء.

قوله تعالی:« وَ إِذْ قالَتْ طائِفَهٌ مِنْهُمْ یا أَهْلَ یَثْرِبَ لا مُقامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا » یثرب اسم المدینه قبل الإسلام ثم غلب علیه اسم مدینه الرسول بعد الهجره ثم المدینه، و المقام بضم المیم الإقامه،و قولهم: لا مُقامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا أی لا وجه لإقامتکم هاهنا قبال جنود المشرکین فالغلبه لهم لا محاله فارجعوا ثم أتبعه بحکایه ما قاله آخرون فقال عاطفا علی قوله:قالت طائفه:« وَ یَسْتَأْذِنُ فَرِیقٌ مِنْهُمُ »أی من المنافقین و الذین فی قلوبهم مرض« اَلنَّبِیَّ »فی الرجوع« یَقُولُونَ »استئذانا« إِنَّ بُیُوتَنا عَوْرَهٌ »أی فیها خلل لا یأمن صاحبها دخول السارق و زحف العدو« وَ ما هِیَ بِعَوْرَهٍ إِنْ یُرِیدُونَ »أی ما یریدون بقولهم هذا« إِلاّ فِراراً ».

قوله تعالی:« وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَیْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَهَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلاّ یَسِیراً »ضمائر الجمع للمنافقین و المرضی القلوب و الضمیر فی« دُخِلَتْ »للبیوت و معنی دخلت علیهم دخل الجنود البیوت حال کونه دخولا علیهم،و الأقطار جمع قطر و هو الجانب،و المراد بالفتنه بقرینه المقام الرده و الرجعه من الدین و المراد بسؤالها

طلبها منهم،و التلبث التأخر.

و المعنى:و لو دخل جنود المشركين بيوتهم من جوانبها و هم فيها ثم طلبوا منهم أن يرتدوا عن الدين لأعطوهم مسئولهم و ما تأخروا بالرده إلا يسيرا من الزمان بمقدار الطلب و السؤال أى إنهم يقيمون على الدين ما دام الرخاء فإذا هجمت عليهم الشده و البأس لم يلبثوا دون أن يرجعوا.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ كٰانُوا عٰاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لاٰ يُوَلُّونَ اَلْأَدْبٰارَ وَ كٰانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْؤُلاً »اللام للقسم،و قوله:« لاٰ يُوَلُّونَ اَلْأَدْبٰارَ »أى لا يفرون عن القتال و هو بيان للعهد و لعل المراد بعهدهم من قبل هو بيعتهم بالإيمان بالله و رسوله و ما جاء به رسوله و مما جاء به:الجهاد الذى يحرم الفرار فيه و معنى الآيه ظاهر.

قوله تعالى:« قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ اَلْفِرٰارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لاٰ تُمَتَّعُونَ إِلاّٰ قَلِيلاً »إذ لا بد لكل نفس من الموت لأجل مقضى محتوم لا يتأخر عنه ساعه و لا يتقدم عليه فالفرار لا يؤثر فى تأخير الأجل شيئا.

و قوله:« وَ إِذاً لاٰ تُمَتَّعُونَ إِلاّٰ قَلِيلاً »أى و إن نفعكم الفرار فمتعتم بتأخر الأجل فرضا لا يكون ذلك التمتيع إلا تمتيعا قليلا أو فى زمان قليل لكونه مقطوع الآخر لا محاله.

قوله تعالى:« قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّٰهِ إِنْ أَرٰادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرٰادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لاٰ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيراً »كانت الآيه السابقه تنبيها لهم على أن حياه الإنسان مقضى مؤجل لا ينفع معه فرار من الزحف و فى هذه الآيه تنبيه-على أن الشر و الخير تابعان لإراده الله محضا لا يمنع عن نفوذها سبب من الأسباب و لا يعصم الإنسان منها أحد فالحزم إيكال الأمر إلى إرادته تعالى و القرار على أمره بالتوكل عليه.

و لما كانت قلوبهم مرضى أو مشغوله بكفر مستبطن عدل عن أمر النبى ص بتكليمهم إلى تكليم نفسه فقال:« وَ لاٰ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيراً ».

قوله تعالى:« قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ -إلى قوله- يَسِيراً التعويق التثبيط و الصرف،و هلم اسم فعل بمعنى أقبل،و لا يثنى و لا يجمع فى لغه الحجاز،و البأس الشده و الحرب،و أشحه جمع شحيح بمعنى البخيل،و الذى يغشى عليه هو الذى أخذته

الغشوه فغابت حواسه و أخذت عيناه تدوران،و السلق بالفتح فالسكون الضرب و الطعن.

و معنى الآيتين:إن الله ليعلم الذين يثبطون منكم الناس و يصرفونهم عن القتال و هم المنافقون و يعلم الذين يقولون من المنافقين لإخوانهم من المنافقين أو ضعفه الإيمان تعالوا و أقبلوا و لا يحضرون الحرب إلا قليلا بخلاء عليكم بنفوسهم.

فإذا جاء الخوف بظهور مخائل القتال تراهم ينظرون إليك من الخوف نظرا لا إراده لهم فيه و لا استقرار فيه لأعينهم تدور أعينهم كالمغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف ضربوكم و طعنوكم بألسنه حداد قاطعه حال كونهم بخلاء على الخير الذى نلتموه.

أولئك لم يؤمنوا و لم يستقر الإيمان فى قلوبهم و إن أظهروه فى ألسنتهم فأبطل الله أعمالهم و أحبطها و كان ذلك على الله يسيرا.

قوله تعالى:« يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا »إلى آخر الآيه،أى يظنون من شده الخوف أن الأحزاب-و هم جنود المشركين المتحزبون على النبى ص-لم يذهبوا بعد« وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ »مره ثانيه بعد ذهابهم و تركهم المدينه« يَوَدُّوا » و يحبوا« أَنَّهُمْ بادُونَ »أى خارجون من المدينه إلى البدو« فِی الْأَعْرابِ یَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ »و أخباركم« وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ »و لم يخرجوا منها بادين« ما قاتَلُوا إِلاّ قَلِيلاً » أى و لا كثير فائده فى لزومهم إياكم و كونهم معكم فإنهم لن يقاتلوا إلا قليلا لا يعتد به.

قوله تعالى:« لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِی رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً » الأسوه القدوه و هى الاقتداء و الاتباع،و قوله:« فِی رَسُولِ اللّهِ »أى فى مورد رسول الله و الأسوه التى فى مورده هى تأسيهم به و اتباعهم له و التعبير بقوله:« لَقَدْ كانَ لَكُمْ »الدال على الاستقرار و الاستمرار فى الماضى إشاره إلى كونه تكليفا ثابتا مستمرا.

و المعنى:و من حكم رساله الرسول و إيمانكم به أن تتأسوا به فى قوله و فعله و أنتم ترون ما يقاسيه فى جنب الله و حضوره فى القتال و جهاده فى الله حق جهاده.

و فى الكشاف:،فإن قلت:فما حقيقه قوله:« لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِی رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »؟و قرئ أسوه بالضم.قلت:فيه وجهان:أحدهما أنه فى نفسه أسوه حسنه

أی قدوه و هو المؤتسی أی المقتدی به کما تقول:فی البیضه عشرون منا حدید أی هی فی نفسها هذا المبلغ من الحدید.و الثانی:أن فیه خصله من حقها أن یؤتسی بها و تتبع و هی المواساه بنفسه انتهی و أول الوجهین قریب مما قدمناه.

و قوله:« لِمَنْ کانَ یَرْجُوا اللّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَکَرَ اللّهَ کَثِیراً »بدل من ضمیر الخطاب فی« لَکُمْ »للدلاله علی أن التأسی برسول الله ص خصله جمیله زاکیه لا یتصف بها کل من تسمی بالإیمان،و إنما یتصف بها جمع ممن تلبس بحقیقه الإیمان فکان یرجو الله و الیوم الآخر أی تعلق قلبه بالله فآمن به و تعلق قلبه بالیوم الآخر فعمل صالحا و مع ذلک ذکر الله کثیرا فکان لا یغفل عن ربه فتأسی بالنبی فی أفعاله و أعماله.

و قیل:قوله:« لِمَنْ کانَ »إلخ،صله لقوله:« حَسَنَهٌ »أو صفه له للمنع عن الإبدال من ضمیر الخطاب و مآل الوجوه الثلاثه بحسب المعنی واحد.

قوله تعالی:« وَ لَمّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ »،وصف لحال المؤمنین لما شاهدوا الأحزاب و نزول جیوشهم حول المدینه فکان ذلک سبب رشدهم و تبصرهم فی الإیمان و تصدیقهم لله و لرسوله علی خلاف ما ظهر من المنافقین و الذین فی قلوبهم مرض من الارتیاب و سیئ القول،و بذلک یظهر أن المراد بالمؤمنین المخلصون لإیمانهم بالله و رسوله.

و قوله:« قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ »الإشاره بهذا إلی ما شاهدوه مجردا عن سائر الخصوصیات،کما فی قوله: «فَلَمّا رَأَی الشَّمْسَ بازِغَهً قالَ هذا رَبِّی» ،:الأنعام:۷۸.

و الوعد الذی أشاروا إلیه قیل:هو ما کان رسول الله ص قد وعدهم أن الأحزاب سیتظاهرون علیهم فلما شاهدوهم تبین لهم أن ذلک هو الذی وعدهم.

و قیل:إنهم کانوا قد سمعوا قوله تعالی فی سوره البقره: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّهَ وَ لَمّا یَأْتِکُمْ مَثَلُ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِکُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتّی یَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِیبٌ» :البقره:۲۱۴ فتحققوا

أنهم سيصيبهم ما أصاب الأنبياء و المؤمنين بهم من الشده و المحنه التى تزلزل القلوب و تدهش النفوس فلما رأوا الأحزاب أيقنوا أنه من الوعد الموعود و أن الله سينصرهم على عدوهم.

و الحق هو الجمع بين الوجهين نظرا إلى جمعهم بين الله و رسوله فى الوعد إذ قالوا:

هذا ما وعدنا الله و رسوله.

و قوله:« وَ صَدَقَ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ »شهاده منهم على صدق الوعد،و قوله:« وَ مٰا زٰادَهُمْ إِلاّٰ إِيمٰاناً وَ تَسْلِيماً »أى إيمانا بالله و رسوله و تسليما لأمر الله بنصره دينه و الجهاد فى سبيله.

قوله تعالى:« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مٰا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً »،قال الراغب: النحب النذر المحكوم بوجوبه،يقال:قضى فلان نحبه أى وفى بنذره قال تعالى:« فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ »،و يعبر بذلك عمن مات كقولهم:قضى أجله و استوفى أكله و قضى من الدنيا حاجته.انتهى.

و قوله:« صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ »أى حققوا صدقهم فيما عاهدوه أن لا يفروا إذا لاقوا العدو،و يشهد على أن المراد بالعهد ذلك أن فى الآيه محاذاه لقوله السابق فى المنافقين و الضعفاء الإيمان:« وَ لَقَدْ كٰانُوا عٰاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لاٰ يُوَلُّونَ الْأَدْبٰارَ »كما أن فى الآيه السابقه محاذاه لما ذكر سابقا من ارتياب القوم و عدم تسليمهم لأمر الله.

و قوله:« فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ »إلخ،أى منهم من قضى أجله بموت أو قتل فى سبيل الله و منهم من ينتظر ذلك و ما بدلوا شيئا مما كانوا عليه من قول أو عهد تبديلا.

قوله تعالى:« لِيَجْزِيَ اللّٰهُ الصّٰادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنٰافِقِينَ إِنْ شٰاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ غَفُوراً رَحِيماً »اللام للغايه و ما تتضمنه الآيه غايه لجميع من تقدم ذكرهم من المنافقين و المؤمنين.

فقوله:« لِيَجْزِيَ اللّٰهُ الصّٰادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ »المراد بالصادقين المؤمنين و قد ذكر صدقهم قبل،و الباء فى« بِصِدْقِهِمْ »للسببيه أى ليجزى المؤمنين الذين صدقوا عهدهم بسبب صدقهم.

و قوله:« وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ »أى و ليعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم و ذلك فيما لو لم يتوبوا أو يتوب عليهم إن تابوا إن الله كان غفورا رحيما.

و فى الآيه من حيث كونها بيان غايه نكته لطيفه هى أن المعاصى ربما كانت مقدمه للسعاده و المغفره لا بما أنها معاص بل لكونها سائقه للنفس من الظلمه و الشقوه إلى حيث تتوحش النفس و تتنبه فتتوب إلى ربها و تنتزع عن معاصيها و ذنوبها فيتوب الله عليها فى الغايه.

قوله تعالى:« وَ رَدَّ اللّٰهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللّٰهُ قَوِيًّا عَزِيزاً » الغيظ الغم و الحنق و المراد بالخير ما كان يعده الكفار خيرا و هو الظفر بالنبى ص و المؤمنين.

و المعنى:و رد الله الذين كفروا مع غمهم و حنقهم و الحال أنهم لم ينالوا ما كانوا يتمنونه و كفى الله المؤمنين القتال فلم يقاتلوا و كان الله قويا على ما يريد عزيزا لا يغلب.

قوله تعالى:« وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ -إلى قوله- قَدِيراً » المظاهره المعاونه،و الصياصى جمع صيصيه و هى الحصن الذى يمتنع به و لعل التعبير بالإنزال دون الإخراج لأن المتحصنين يصعدون بروج الحصون و يشرفون منها و من أعالى الجدران على أعدائهم فى خارجها و محاصريهم.

و المعنى:« وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ »أى عاونوا المشركين و هم بنو قريظه« مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ »و هم اليهود« مِنْ صَياصِيهِمْ »و حصونهم« وَ قَذَفَ »و ألقى« فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ »و الخوف« فَرِيقاً تَقْتُلُونَ »و هم الرجال« وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً »و هم الذرارى و النساء« وَ أَوْرَثَكُمْ »أى و ملككم بعدهم« أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها »و هى أرض خيبر أو الأرض التى أفاء الله مما لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب، و أما تفسيرها بأنها كل أرض ستفتح إلى يوم القيامه أو أرض مكه أو أرض الروم و فارس فلا يلائمه سياق الآيتين« وَ كانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ».

(بحث روائى)

فى المجمع،ذكر محمد بن كعب القرظى و غيره من أصحاب السير قالوا": كان من

حديث الخندق-أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق-و حيى بن أخطب فى جماعه من بنى النضير-الذين أجلاهم رسول الله ص خرجوا حتى قدموا على قريش بمكه فدعوهم إلى حرب رسول الله ص-و قالوا:إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم.

فقالت لهم قريش:يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول-فديننا خير أم دين محمد؟قالوا:بل-دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه-فهم الذين أنزل الله فيهم« أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطّاغُوتِ-وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً -إلى قوله- وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً »فسر قريشا ما قالوا و نشطوا لما دعوهم إليه-فأجمعوا لذلك و اتعدوا له.

ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان-فدعوهم إلى حرب رسول الله ص-و أخبروهم أنهم سيكونون عليه-و أن قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم.

فخرجت قريش و قائدهم أبو سفيان بن حرب،و خرجت غطفان و قائدها عيينه بن حصين بن حذيفه بن بدر-فى فزاره و الحارث بن عوف فى بنى مره و مسعر بن جبله الأشجعى-فيمن تابعه من الأشجع و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد-فأقبل طليحه فيمن اتبعه من بنى أسد و هما حليفان أسد و غطفان- و كتب قريش إلى رجال من بنى سليم-فأقبل أبو الأعور السلمى فيمن اتبعه من بنى سليم مددا لقريش.

فلما علم بذلك رسول الله ص ضرب الخندق على المدينه-و كان الذى أشار إليه سلمان الفارسى-و كان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ص و هو يومئذ حر-قال:

يا رسول الله إنا كنا بفارس-إذا حوصرنا خندقنا علينا-فعمل فيه رسول الله ص و المسلمون حتى أحكموه.

فما ظهر من دلائل النبوه فى حفر الخندق

ما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزنى قال:حدثنى أبى عن أبيه قال: خط رسول الله ص الخندق عام الأحزاب أربعين ذراعا بين عشره-فاختلف المهاجرون و الأنصار فى سلمان الفارسى-و كان رجلا قويا فقال الأنصار:سلمان منا،و قال المهاجرون:سلمان منا،فقال رسول الله ص:سلمان منا أهل البيت.

قال عمرو بن عوف:فكنت أنا و سلمان و حذيفه بن اليمان و النعمان بن مقرن

و سته من الأنصار نقطع أربعين ذراعا،فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى-أخرج الله من بطن الخندق صخره بيضاء مدوره-فكسرت حديدنا و شقت علينا-فقلنا:يا سلمان ارق إلى رسول الله ص فأخبره عن الصخره،فأما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب-و إما أن يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه،فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ص و هو مضروب عليه قبه-فقال:يا رسول الله-خرجت صخره بيضاء من الخندق مدوره فكسرت حديدنا و شقت علينا حتى ما يحك فيها قليل و لا كثير-فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله ص مع سلمان فى الخندق-و أخذ المعول و ضرب بها ضربه-فلمعت منها برقه أضاءت ما بين لابتيها يعنى لابتى المدينه-حتى لكان مصباحا فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ص تكبيره-فتح فكبر المسلمون-ثم ضرب ضربه أخرى فلمعت برقه أخرى-ثم ضرب به الثالثه فلمعت برقه أخرى.

فقال سلمان:بأبى أنت و أمى يا رسول الله ما هذا الذى أرى؟فقال:أما الأولى فإن الله عز و جل فتح على بها اليمن-و أما الثانيه فإن الله فتح على بها الشام و المغرب و أما الثالثه فإن الله فتح على بها المشرق-فاستبشر المسلمون بذلك و قالوا:الحمد لله موعد صادق.

قال:و طلعت الأحزاب فقال المؤمنون:هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله،و قال المنافقون:ألا تعجبون؟يحدثكم و يعدكم الباطل-و يخبركم أنه يبصر فى يثرب قصور الحيره و مدائن كسرى-و أنها تفتح لكم و أنتم تحفرون الخندق-و لا تستطيعون أن تبرزوا.

(۱)

و مما ظهر فيه أيضا من آيات النبوه

ما رواه أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن عبد الواحد بن أيمن المخزومى قال حدثنى،أيمن المخزومى قال:سمعت جابر بن عبد الله قال:

كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كديه و هى الجبل-فقلنا:يا رسول الله إن كديه عرضت فيه-فقال رسول الله ص رشوا عليها ماء-ثم قام و أتاها و بطنه معصوب الحجر (۲)من الجوع-فأخذ المعول أو المسحاه فسمى ثلاثا-ثم ضرب فعادت كثيبا (۳)

۱- ۱) أى تقضوا حاجتكم بالتخلى.

۲- ۲) الحجر حضن الإنسان و هو ما دون الإبط إلى الكشح.

۳- ۳) أى تلا من الرمل.

أهيـل-فقلت:ائـذن لى يـا رسول الله إلى المنزل ففعل-فقلت للمرأه هل عنـدك من شـيء؟ فقالت:عنـدى صاع من شـعير و عناق (۱)فطحنت الشعير فعجنته و ذبحت العناق و سلختها و خليت بين المرأه و بين ذلك.

ثم أتيت رسول الله ص فجلست عنـده سـاعه-ثم قلت:ائـذن لى يـا رسول الله ففعـل-فأتيت المرأه فإذا العجين و اللحم قـد أمكنا-فرجعت إلى رسول الله ص فقلت:

إن عندنا طعيما لنا-فقم يا رسول الله أنت و رجلان من أصحابك فقال:و كم هو؟فقلت:

صـاع من شـعير و عناق-فقال للمسـلمين جميعا:قوموا إلى جابر-فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله-فقلت:جاء بالخلق إلى صاع شعير و عناق.

فـدخلت على المرأه و قلـت قـد افتضـحت-جـاءك رسـول الله ص بـالخلق أجمعيـن فقـالت:هـل كـان سألـك كم طعامك؟قلت:نعم.فقالت:الله و رسوله أعلم-قد أخبرناه ما عندنا فكشفت عنى غما شديدا.

فـدخل رسول الله ص فقال:خـذى و دعينى من اللحم-فجعل رسول الله ص يثرد و يفرق اللحم-ثم يحم هـذا و يحم هـذا فما زال يقرب إلى الناس-حتى شبعوا أجمعين و يعود التنور و القدر أملأ ما كانا.

ثم قال رسول الله ص:كلى و أهدى-فلم نزل نأكل و نهدى قومنا أجمع-أورده البخارى فى الصحيح.

قـالوا:و لمـا فرغ رسول الله من الخنـدق-أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف (۲)و الغابه فى عشـره آلاف من أحابيشـهم-و من تابعهم من بنى كنانه و أهل تهامه،و أقبلت غطفان و من تابعهم من أهل نجد-حتى نزلوا إلى جانب أحد،و خرج رسول الله ص و المسلمون- حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع (۳)فى ثلاثه آلاف من المسلمين-فضرب هناك عسكره و الخندق بينه و بين القوم-و أمر بالذرارى و النساء فرفعوا فى الآطام (۴)

۱- ۱) الأنثى من أولاد المعز.

۲- ۲) مكان خارج المدينه.

۳- ۳) جبل بالمدينه.

۴- ۴) حصون لأهل المدينه.

و خرج عدو الله حیی بن أخطب النضیری-حتی أتی کعب بن أسد القرظی صاحب بنی قریظه-و کان قد وادع رسول الله ص علی قومه و عاهده علی ذلک-فلما سمع کعب صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه.فاستأذن علیه فأبی أن یفتح له فناداه یا کعب افتح لی-فقال:ویحک یا حیی إنک رجل مشئوم،إنی قد عاهدت محمدا و لست بناقض ما بینی و بینه،و لم أر منه إلا وفاء و صدقا.قال:ویحک افتح لی حتی أکلمک.قال:ما أنا بفاعل.قال:إن أغلقت دونی إلا علی جشیشه تکره أن آکل منها معک.

فأحفظ (۱)الرجل ففتح له فقال:ویحک یا کعب-جئتک بعز الدهر و ببحر طام (۲)جئتک بقریش علی قادتها و سادتها و بغطفان علی سادتها و قادتها-قد عاهدونی أن لا یبرحوا حتی یستأصلوا محمدا و من معه.فقال کعب:جئتنی و الله بذل الدهر بجهام (۳)قد أهراق ماءه یرعد و یبرق و لیس فیه شیء-فدعنی و محمدا و ما أنا علیه فلم أر من محمد إلا صدقا و وفاء.

فلم یزل حیی بکعب یفتل منه فی الذروه (۴)و الغارب-حتی سمح له علی أن أعطاه عهدا و میثاقا-لئن رجعت قریش و غطفان-و لم یصیبوا محمدا أن أدخل معک فی حصنک-حتی یصیبنی ما أصابک فنقض کعب عهده-و بریء مما کان علیه فیما بینه و بین رسول الله ص.

فلما انتهی الخبر إلی رسول الله ص-بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القیس-أحد بنی عبد الأشهل و هو یومئذ سید الأوس-و سعد بن عباده أحد بنی ساعده بن کعب بن الخزرج-و هو یومئذ سید الخزرج-و معهما عبد الله بن رواحه و خوات بن جبیر-فقال:انطلقوا-حتی تنظروا أ حق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟فإن

۱- ۱) أحفظ الرجل:أغضبه.

۲- ۲) الطام:البحر العظیم.

۳- ۳) السحاب الذی لا ماء فیه.

۴- ۴) الذروه و الغارب أعلی الشیء و أصله مثل مأخوذ من فتل ذروه البعیر المصعب و غاربه لوضع الخطام فی أنفه.

كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه-و لا تفتوا أعضاد الناس و إن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس.

و خرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث مما بلغهم عنهم.قالوا:لا عقد بيننا و بين محمد و لا عهد،فشاتمهم سعد بن عباده و شاتموه،و قال سعد بن معاذ:دع عنك مشاتمتهم-فإن ما بيننا و بينهم أعظم من المشاتمه.

ثم أقبلوا إلى رسول الله ص-و قالوا:عضل و القاره-لغدر عضل و القاره بأصحاب رسول الله خبيب بن عدى و أصحابه أصحاب الرجيع-فقال رسول الله ص:الله أكبر،أبشروا يا معشر المسلمين،و عظم عند ذلك البلاء و اشتد الخوف و أتاهم عدوهم من فوقهم و من أسفل منهم-حتى ظن المؤمنون كل ظن و ظهر النفاق من بعض المنافقين.

فأقام رسول الله ص-و أقام المشركون عليه بضعا و عشرين ليله-لم يكن بينهم قتال إلا الرمى بالنبال-إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود-أخو بنى عامر بن لوى و عكرمه بن أبى جهل-و ضرار بن الخطاب و هبيره بن أبى وهب-و نوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال-و خرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بنى كنانه-فقالوا:

تهيئوا للحرب يا بنى كنانه-فستعلمون اليوم من الفرسان؟ ثم أقبلوا تعنق (۱)بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق-فقالوا:و الله إن هذه لمكيده ما كانت العرب تكيدها،ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخه بين الخندق و سلع- و خرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين-حتى أخذ عليهم الثغره التى منها اقتحموا-و أقبلت الفرسان نحوهم.

و كان عمرو بن عبد ود فارس قريش-و كان قد قاتل يوم بدر-حتى ارتث و أثبته الجراح و لم يشهد أحدا-فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده،و كان يعد بألف فارس-و كان يسمى فارس يليل لأنه أقبل فى ركب من قريش-حتى إذا كانوا بيليل -و هو واد قريب من بدر-عرضت لهم بنو بكر فى عدد فقال لأصحابه:امضوا فمضوا فقام فى وجوه بنى بكر-حتى منعهم أن يصلوا إليه فعرف بذلك.

۱- ۱) أعنق به فرسه:سار به سيرا واسعا فسيحا مسيطرا ممتدا.

و كان اسم الموضع الذی حفر فیه الخندق المذاد–و كان أول من طفره عمرو و أصحابه فقیل فی ذلک.

عمرو بن عبد كان أول فارس

جزع المذاد و كان فارس یلیل

و ذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبد ود–كان ینادی:من یبارز؟فقام علی و هو مقنع فی الحدید–فقال:أنا له یا نبی الله،فقال:إنه عمرو اجلس.و نادی عمرو:

أ لا رجل؟و هو یؤنبهم و یقول:أین جنتكم التی تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ و قام علی فقال:أنا له یا رسول الله.ثم نادی الثالثه فقال:

و لقد بححت عن النداء

بجمعكم هل من مبارز؟

و وقفت إذ جبن المشجع

موقف البطل المناجز

إن السماحه و الشجاعه فی

الفتی خیر الغرائز

فقام علی فقال:یا رسول الله أنا له،فقال:إنه عمرو،فقال:و إن كان عمرا فاستأذن رسول الله ص فأذن له–.

قال ابن إسحاق:فمشی إلیه و هو یقول:

لا تعجلن فقد أتاک

مجیب صوتک غیر عاجز

ذو نیه و بصیره

و الصدق منجی كل فائز

إنی لأرجو أن أقیم

علیک نائحه الجنائز

من ضربه نجلاء يبقى

ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو:من أنت؟قال:أنا على.قال:ابن عبد مناف؟قال:أنا على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.فقال:غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أسن منك-فإنى أكره أن أهريق دمك.فقال على:لكنى و الله ما أكره أن أهريق دمك.فغضب عمرو و نزل و سل سيفه كأنه شعله نار-ثم أقبل نحو على مغضبا فاستقبله على بدرقته (۱)فضربه عمرو بالدرقه فقدها-و أثبت فيها السيف و أصاب رأسه فشجه،و ضربه على على حبل العاتق فسقط.

۱- ۱) الدرقه:الجنه.

و فی روایه حذیفه:و تسیف علی رجلیه بالسیف من أسفل-فوقع علی قفاه و ثارت بینهما عجاجه-فسمع علی یکبر فقال رسول الله ص:قتله و الذی نفسی بیده-فکان أول من ابتدر العجاج عمرو بن الخطاب-و قال:یا رسول الله قتله فجز علی رأسه-و أقبل نحو رسول الله ص و وجهه یتهلل.

قال حذیفه:فقال النبی ص:أبشر یا علی-فلو وزن الیوم عملک بعمل أمه محمد لرجح عملک بعملهم-و ذلک أنه لم یبق بیت من بیوت المشرکین-إلا و قد دخله وهن بقتل عمرو،و لم یبق بیت من بیوت المسلمین إلا و قد دخله عز بقتل عمرو.

و عن الحاکم أبی القاسم أیضا بالإسناد عن سفیان الثوری عن زبید الثانی عن مره عن عبد الله بن مسعود قال": کان یقرأ« وَ کَفَی اللّهُ الْمُؤْمِنِینَ الْقِتالَ بعلی».

و خرج أصحابه منهزمین حتی طفرت خیولهم الخندق-و تبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزی جوف الخندق-فجعلوا یرمونه بالحجاره فقال لهم:قتله أجمل من هذه ینزل بعضکم أقاتله فقتله الزبیر بن العوام،و ذکر ابن إسحاق:أن علیا طعنه فی ترقوته-حتی أخرجها من مراقه فمات فی الخندق.

و بعث المشرکون إلی النبی ص-یشترون جیفته بعشره آلاف-فقال النبی:

هو لکم لا نأکل ثمن الموتی،و ذکر علی أبیاتا منها:

نصر الحجاره من سفاهه رأیه

و نصرت رب محمد بصواب

فضربته و ترکته متجدلا

کالجذع بین دکادک و رواب

و عففت عن أثوابه لو أننی

کنت المقطر بزنی أثوابی

قال ابن إسحاق:و رمی حنان بن قیس بن العرفه سعد بن معاذ بسهم-و قال:

خذها و أنا ابن العرفه فقطع أکحله-فقال سعد:عرف الله وجهک فی النار اللهم إن کنت أبقیت من حرب قریش شیئا-فأبقنی لها فإنه لا قوم أحب إلی-أن أجاهد من قوم آذوا رسولک و کذبوه و أخرجوه،و إن کنت وضعت الحرب بیننا و بینهم فاجعله لی شهاده و لا تمتنی-حتی تقر عینی من بنی قریظه.

قال:و جاء نعیم بن مسعود الأشجعی إلی النبی ص-فقال:یا رسول الله إنی قد أسلمت و لم یعلم بی أحد من قومی-فمرنی بأمرک

فقال له النبی ص:إنما أنت فينا

رجل واحد-فخذل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعه.

فانطلق نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظه-فقال لهم:إنى لكم صديق،و الله ما أنتم و قريش و غطفان من محمد بمنزله واحده-إن البلد بلدكم و به أموالكم و أبناؤكم و نساؤكم-و إنما قريش و غطفان بلادهم غيرها و إنما جاءوا حتى نزلوا معكم-فإن رأوا فرصه انتهزوها-و إن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم-و خلوا بينكم و بين الرجل و لا طاقه لكم به-فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم-تستوثقون به أن لا يبرحوا حتى يناجزوا محمدا.فقالوا له:قد أشرت برأى.

ثم ذهب فأتى أبا سفيان و أشراف قريش-فقال:يا معشر قريش-إنكم قد عرفتم ودى إياكم و فراقى محمدا و دينه-و إنى قد جئتكم بنصيحه فاكتموا على.فقالوا:نفعل ما أنت عندنا بمتهم.قال:تعلمون أن بنى قريظه-قد ندموا على ما صنعوا بينهم و بين محمد-فبعثوا إليه أنه لا يرضيك عنا-إلا أن نأخذ من القوم رهنا من أشرافهم-و ندفعهم إليك فتضرب أعناقهم-ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك.فقال:بلى فإن بعثوا إليكم يسألونك نفرا من رجالكم-فلا تعطوهم رجلا واحدا و احذروا.

ثم جاء غطفان و قال:يا معشر غطفان-إنى رجل منكم،ثم قال لهم ما قال لقريش.

فلما أصبح أبو سفيان و ذلك يوم السبت-فى شوال سنه خمس من الهجره-بعث إليهم أبو سفيان عكرمه بن أبى جهل فى نفر من قريش-أن أبا سفيان يقول لكم:يا معشر اليهود-إن الكراع و الخف قد هلكا-و إنا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه.

فبعثوا إليه أن اليوم السبت و هو يوم لا نعمل فيه شيئا-و لسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم-حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم-لا تذهبوا و تدعونا حتى نناجز محمدا فقال أبو سفيان:و الله لقد حذرنا هذا نعيم-فبعث إليهم أبو سفيان:أنا لا نعطيكم رجلا واحدا-فإن شئتم أن تخرجوا و تقاتلوا و إن شئتم فاقعدوا،فقالت اليهود:هذا و الله الذى قال لنا نعيم.فبعثوا إليهم أنا و الله لا نقاتل حتى تعطونا رهنا،و خذل الله بينهم و بعث سبحانه عليهم الريح-فى ليال شاتيه بارده شديده البرد حتى انصرفوا راجعين.

قال محمد بن کعب قال حذیفه بن الیمان و الله لقد رأیتنا یوم الخندق-و بنا من الجهد و الجوع و الخوف ما لا یعلمه إلا الله-و قام رسول الله ص یصلی ما شاء الله من اللیل ثم قال:أ لا رجل یأتینا بخبر القوم یجعله الله رفیقی فی الجنه.قال حذیفه:فوالله ما قام منا أحد-مما بنا من الخوف و الجهد و الجوع،فلما لم یقم أحد دعانی فلم أجد بدا من إجابته.قلت:لبیک-قال:اذهب فجیء بخبر القوم-و لا تحدثن شیئا حتی ترجع.

قال:و أتیت القوم فإذا ریح الله و جنوده تفعل بهم ما تفعل-ما یستمسک لهم بناء و لا تثبت لهم نار و لا یطمئن لهم قدر-فإنی لکذلک إذ خرج أبو سفیان من رحله-ثم قال:یا معشر قریش-لینظر أحدکم من جلیسه؟قال حذیفه:فبدأت بالذی عن یمینی فقلت:من أنت؟قال:أنا فلان.

ثم عاد أبو سفیان براحلته فقال:یا معشر قریش-و الله ما أنتم بدار مقام هلک الخف و الحافر-و أخلفتنا بنو قریظه و هذه الریح لا یستمسک لنا معها شیء-ثم عجل فرکب راحلته-و إنها لمعقوله ما حل عقالها إلا بعد ما رکبها.

قال:قلت فی نفسی:لو رمیت عدو الله و قتلته-کنت قد صنعت شیئا فوترت قوسی-ثم وضعت السهم فی کبد القوس و أنا أرید أن أرمیه-فأقتله فذکرت قول رسول الله ص لا تحدثن شیئا حتی ترجع.قال فحططت القوس-ثم رجعت إلی رسول الله و هو یصلی-فلما سمع حسی فرج بین رجلیه فدخلت تحته،و أرسل علی طائفه من مرطه (۱)فرکع و سجد-ثم قال:ما الخبر؟فأخبرته.

و عن سلیمان بن صرد قال:قال رسول الله ص-حین أجلی عنه الأحزاب:الآن نغزوهم و لا یغزوننا فکان کما قال-فلم یغزهم قریش بعد ذلک-و کان هو یغزوهم حتی فتح الله علیهم مکه":

أقول:هذا ما أورده الطبرسی فی مجمع البیان،من القصه أوردناه ملخصا و روی القمی فی تفسیره،قریبا منه و أورده فی الدر المنثور،فی روایات متفرقه .

و فی المجمع،أیضا روی الزهری عن عبد الرحمن بن کعب بن مالک عن أبیه قال":

۱- ۱) کساء من صوف و نحوه یؤتزر به.

لما انصرف النبی ص عن الخندق-و وضع عنه اللأمه و اغتسل و استحم تبدی له جبریل فقال:عذیرک من محارب-أ لا أراک أن قد وضعت عنک اللأمه و ما وضعناها بعد.

فوثب رسول الله ص فزعا-فعزم علی الناس أن لا یصلوا صلاه العصر حتی یأتوا قریظه-فلبس الناس السلاح فلم یأتوا بنی قریظه حتی غربت الشمس-و اختصم الناس فقال بعضهم:إن رسول الله عزم علینا أن لا نصلی حتی نأتی قریظه-فإنما نحن فی عزمه رسول الله ص فلیس علینا إثم،و صلی طائفه من الناس احتسابا-و ترکت طائفه منهم الصلاه حتی غربت الشمس فصلوها-حین جاءوا بنی قریظه احتسابا-فلم یعنف رسول الله ص واحدا من الفریقین.

و ذکر عروه أنه بعث علی بن أبی طالب علی المقدم-و دفع إلیه اللواء و أمره أن ینطلق-حتی یقف بهم علی حصن بنی قریظه ففعل-و خرج رسول الله علی آثارهم-فمر علی مجلس من الأنصار فی بنی غنم ینتظرون رسول الله ص-فزعموا أنه قال:مر بکم الفارس آنفا-فقالوا:مر بنا دحیه الکلبی علی بغله شهباء تحته قطیفه دیباج-فقال رسول الله ص:لیس ذلک بدحیه-و لکنه جبرائیل أرسل إلی بنی قریظه لیزلزلهم و یقذف فی قلوبهم الرعب.

قالوا:و سار علی حتی إذا دنا من الحصن-سمع منهم مقاله قبیحه لرسول الله ص-فرجع حتی لقی رسول الله ص بالطریق-فقال:یا رسول الله لا علیک أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث-قال:أظنک سمعت لی منهم أذی؟فقال:نعم یا رسول الله فقال:لو قد رأونی لم یقولوا من ذلک شیئا،فلما دنا رسول الله ص من حصونهم قال:یا إخوه القرده و الخنازیر!هل أخزاکم الله و أنزل بکم نقمته؟فقالوا:یا أبا لقاسم ما کنت جهولا.

و حاصرهم رسول الله ص خمسا و عشرین لیله-حتی أجهدهم الحصار و قذف الله فی قلوبهم الرعب،و کان حیی بن أخطب دخل مع بنی قریظه فی حصنهم-حین رجعت قریش و غطفان-فلما أیقنوا أن رسول الله ص غیر منصرف عنهم-حتی یناجزهم قال کعب بن أسد:یا معشر یهود قد نزل بکم من الأمر ما ترون-و إنی عارض علیکم خلالا ثلاثا فخذوا أیها شئتم قالوا:ما هن؟.

قال:نبايع هذا الرجل و نصدقه-فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل-و أنه الذى تجدونه فى كتابكم-فتأمنوا على دمائكم و أموالكم و نسائكم.قالوا:لا نفارق حكم التوراه أبدا،و لا نستبدل به غيره.

قال:فإذا أبيتم على هذا فهلموا فلنقتل أبناءنا و نساءنا-ثم نخرج إلى محمد رجالا مصلتين بالسيوف-و لم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد-فإن نهلك نهلك و لم نترك وراءنا نسلا يهمنا-و إن نظهر لنجدن النساء و الأبناء.فقالوا:نقتل هؤلاء المساكين؟فما خير فى العيش بعدهم.

قال:فإن أبيتم على هذه فإن الليله ليله السبت-و عسى أن يكون محمد و أصحابه قد أمنوا فيها-فانزلوا فلعلنا نصيب منهم غره.فقالوا:نفسد سبتنا؟و نحدث فيه ما أحدث من كان قبلنا-فأصابهم ما قد علمت من المسخ؟فقال:ما بات رجل منكم-منذ ولدته أمه ليله واحده من الدهر حازما.

قال الزهرى:و قال رسول الله ص-حين سألوه أن يحكم فيهم رجلا:

اختاروا من شئتم من أصحابى،فاختاروا سعد بن معاذ فرضى بذلك النبى ص فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ص بسلاحهم-فجعل فى قبته و أمر بهم فكتفوا و أوثقوا-و جعلوا فى دار أسامه،و بعث رسول الله ص إلى سعد بن معاذ فجىء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتلوهم-و تسبى ذراريهم و نساؤهم و تغنم أموالهم و أن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار-و قال للأنصار:إنكم ذو عقار و ليس للمهاجرين عقار،فكبر رسول الله ص و قال لسعد:لقد حكمت فيهم بحكم الله عز و جل، و فى بعض الروايات:لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعه أرقعه-و أرقعه جمع رقيع اسم سماء الدنيا.

فقتل رسول الله مقاتليهم،و كانوا فيما زعموا:ستمائه مقاتل،و قيل:قتل منهم أربعمائه و خمسين رجلا و سبى سبعمائه و خمسين،و روى أنهم قالوا لكعب بن أسد-و هم يذهب بهم إلى رسول الله ص إرسالا:يا كعب ما ترى يصنع بنا؟فقال كعب:

أ فى كل موطن تقولون؟أ لا ترون أن الداعى لا ينزع-و من يذهب منكم لا يرجع هو و الله القتل.

و أتى بحيى بن أخطب عدو الله عليه حله-فاختيه قد شقها عليه من كل ناحيه كموضع الأنمله-لئلا يسلبها مجموعه يداه إلى عنقه بحبل،فلما بصر برسول الله ص فقال:أما و الله ما لمت نفسى على عداوتک-و لکنه من يخذل الله يخذل-ثم قال:يا أيها الناس-إنه لا بأس بأمر الله کتاب الله و قدره ملحمه-کتبت على بنى إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه.

ثم قسم رسول الله ص نساءهم و أبناءهم و أموالهم على المسلمين-و بعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصارى-فابتاع بهم خيلا و سلاحا،قالوا:فلما انقضى شأن بنى قريظه-انفجر جرح سعد بن معاذ-فرجعه رسول الله ص إلى خيمته التى ضربت عليه فى المسجد.

و روى عن جابر بن عبد الله قال:جاء جبرائيل إلى رسول الله ص فقال:

من هذا العبد الصالح الذى مات-فتحت له أبواب السماء و تحرک له العرش-فخرج رسول الله ص فإذا سعد بن معاذ قد قبض.

أقول:

و روى القصه القمى فى تفسيره،مفصله و فيه": فأخرج کعب بن أسيد مجموعه يداه إلى عنقه-فلما نظر إليه رسول الله ص قال له:يا کعب أ ما نفعک وصيه ابن الحواس-الحبر الذکى الذى قدم عليکم من الشام-فقال:ترکت الخمر و الخمير و جئت إلى البئوس و التمور-لنبى يبعث مخرجه بمکه-و مهاجرته فى هذه البحيره يجتزى بالکسيرات و التميرات،و يرکب الحمار العرى،فى عينيه حمره،و بين کتفيه خاتم النبوه،يضع سيفه على عاتقه،لا يبالى من لاقى منکم،يبلغ سلطانه منقطع الخف و الحافر فقال قد کان ذلک يا محمد-و لو لا أن اليهود يعيرونى أنى جزعت عند القتل-لآمنت بک و صدقتک-و لکنى على دين اليهود عليه أحيا و عليه أموت.فقال رسول الله ص:

قدموه و اضربوا عنقه فضربت.

و فيه أيضا:فقتلهم رسول الله ص-فى البردين بالغداه و العشى فى ثلاثه أيام و کان يقول:اسقوهم العذب و أطعموهم الطيب-و أحسنوا إسارهم حتى قتلهم کلهم فأنزل الله عز و جل فيهم:« وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ » -إلى قوله- وَ کَانَ اللَّهُ عَلَى کُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ».

ص :٣٠٣

و فی المجمع،:روی أبو القاسم الحسکانی عن عمرو بن ثابت عن أبی إسحاق عن علی(ع)قال: فینا نزلت« رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَیْهِ »فأنا و الله المنتظر ما بدلت تبدیلا.

[سوره الأحزاب (۳۳): الآیات ۲۸ الی ۳۵]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلنَّبِیُّ قُلْ لِأَزْوٰاجِکَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ اَلْحَیٰاهَ اَلدُّنْیٰا وَ زِینَتَهٰا فَتَعٰالَیْنَ أُمَتِّعْکُنَّ وَ أُسَرِّحْکُنَّ سَرٰاحاً جَمِیلاً (۲۸) وَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ اَلدّٰارَ اَلْآخِرَهَ فَإِنَّ اَللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنٰاتِ مِنْکُنَّ أَجْراً عَظِیماً (۲۹) یٰا نِسٰاءَ اَلنَّبِیِّ مَنْ یَأْتِ مِنْکُنَّ بِفٰاحِشَهٍ مُبَیِّنَهٍ یُضٰاعَفْ لَهَا اَلْعَذٰابُ ضِعْفَیْنِ وَ کٰانَ ذٰلِکَ عَلَی اَللّٰهِ یَسِیراً (۳۰) وَ مَنْ یَقْنُتْ مِنْکُنَّ لِلّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صٰالِحاً نُؤْتِهٰا أَجْرَهٰا مَرَّتَیْنِ وَ أَعْتَدْنٰا لَهٰا رِزْقاً کَرِیماً (۳۱) یٰا نِسٰاءَ اَلنَّبِیِّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ اَلنِّسٰاءِ إِنِ اِتَّقَیْتُنَّ فَلاٰ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَیَطْمَعَ اَلَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (۳۲) وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لاٰ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ اَلْجٰاهِلِیَّهِ اَلْأُولیٰ وَ أَقِمْنَ اَلصَّلاٰهَ وَ آتِینَ اَلزَّکٰاهَ وَ أَطِعْنَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّمٰا یُرِیدُ اَللّٰهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً (۳۳) وَ اُذْکُرْنَ مٰا یُتْلیٰ فِی بُیُوتِکُنَّ مِنْ آیٰاتِ اَللّٰهِ وَ اَلْحِکْمَهِ إِنَّ اَللّٰهَ کٰانَ لَطِیفاً خَبِیراً (۳۴) إِنَّ اَلْمُسْلِمِینَ وَ اَلْمُسْلِمٰاتِ وَ اَلْمُؤْمِنِینَ وَ اَلْمُؤْمِنٰاتِ وَ اَلْقٰانِتِینَ وَ اَلْقٰانِتٰاتِ وَ اَلصّٰادِقِینَ وَ اَلصّٰادِقٰاتِ وَ اَلصّٰابِرِینَ وَ اَلصّٰابِرٰاتِ وَ اَلْخٰاشِعِینَ وَ اَلْخٰاشِعٰاتِ وَ اَلْمُتَصَدِّقِینَ وَ اَلْمُتَصَدِّقٰاتِ وَ اَلصّٰائِمِینَ وَ اَلصّٰائِمٰاتِ وَ اَلْحٰافِظِینَ فُرُوجَهُمْ وَ اَلْحٰافِظٰاتِ وَ اَلذّٰاکِرِینَ اَللّٰهَ کَثِیراً وَ اَلذّٰاکِرٰاتِ أَعَدَّ اَللّٰهُ لَهُمْ مَغْفِرَهً وَ أَجْراً عَظِیماً (۳۵)

(بیان)

آیـات راجعه إلی أزواج النبی ص تـأمره أولاـ:أن ینبئهن أن لیس لهن من الـدنیا و زینتها إلا العفاف و الکفاف إن اخترن زوجیه النبی ص،ثم تخاطبهن ثانیا:

أنهن واقفات فی موقف صعب علی ما فیه من العلو و الشرف فإن اتقین الله یؤتین أجرهن مرتین و إن أتین بفاحشه مبینه یضاعف لهن العـذاب ضـعفین و یـأمرهن بـالعفه و لزوم بیوتهن من غیر تبرج و الصـلاه و الزکـاه و ذکر مـا یتلی فی بیوتهن من الآیـات و الحکمه ثم یعد مطلق الصالحین من الرجال و النساء وعدا بالمغفره و الأجر العظیم.

قوله تعالی:«یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْوَاجِکَ »إلی تمام الآیتین،سـیاق الآیتین یلوح أن أزواج النبی أو بعضـهن کانت لا ترتضـی ما فی عیشـتهن فی بیت النـبی ص من الضـیق و الضـنک فاشـتکت إلیه ذلـک و اقترحت علیه أن یسـعدهن فی الحیـاه بالتوسـعه فیهـا و إیتائهن من زینتها.

فأمر الله سبحانه نبیه أن یخیرهن بین أن یفارقنه و لهن ما یردن و بین أن یبقین عنده و لهن ما هن علیه من الوضع الموجود.

و قـد ردد أمرهن بین أن یردن الحیاه الدنیا و زینتها و بین أن یردن الله و رسوله و الدار الآخره،و هذا التردید یدل أولا:أن الجمع بین سعه العیش و صفائها بالتمتع من الحیاه و زینتها و زوجیه النبی ص و العیشه فی بیته مما لا یجتمعان.

ص :۳۰۵

و ثانيا:أن كلا من طرفى الترديد مقيد بما يقابل الآخر،و المراد بإراده الحياه الدنيا و زينتها جعلها هى الأصل سواء أريدت الآخره أو لم يرد،و المراد بإراده الحياه الآخره جعلها-هى الأصل فى تعلق القلب بها سواء توسعت معها الحياه الدنيا و نيلت الزينه و صفاء العيش أو لم يكن شىء من ذلك.

ثم الجزاء أعنى نتيجه اختيارهن كلا من طرفى الترديد مختلف فلهن على تقدير اختيارهن الحياه الدنيا و زينتها بمفارقه النبى ص أن يطلقهن و يمتعهن جمعاء من مال الدنيا،و على تقدير بقائهن على زوجيه النبى ص و اختيار الآخره على الحياه الدنيا و زينتها الأجر العظيم عند الله لكن لا مطلقا بل بشرط الإحسان و العمل الصالح.

و يتبين بذلك أن ليس لزوجيه النبى ص من حيث هى زوجيه كرامه عند الله سبحانه و إنما الكرامه لزوجيته المقارنه للإحسان و التقوى و لذلك لما ذكر ثانيا علو منزلتهن قيده أيضا بالتقوى فقال:« لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسٰاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ »و هذا كقوله فى النبى و أصحابه:« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّٰاءُ عَلَى الْكُفّٰارِ رُحَمٰاءُ بَيْنَهُمْ تَرٰاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً -إلى أن قال- وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً »حيث مدحهم عامه بظاهر أعمالهم أولا ثم قيد وعدهم الأجر العظيم بالإيمان و العمل الصالح.

و بالجمله فإطلاق قوله: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقٰاكُمْ» :الحجرات:۱۰ على حاله غير منتقض بكرامه أخرى بسبب أو نسب أو غير ذلك.

فقوله:« يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوٰاجِكَ »أمر النبى ص أن يبلغ الآيتين أزواجه و لازمه أن يطلقهن و يمتعهن إن اخترن الشق الأول و يبقيهن على زوجيته إن اخترن الله و رسوله و الدار الآخره.

و قوله:« إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا وَ زِينَتَهٰا »إراده الحياه الدنيا و زينتها كنايه بقرينه المقابله عن اختيارها و تعلق القلب بتمتعاتها و الإقبال عليها و الإعراض عن الآخره.

و قوله:« فَتَعٰالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَرٰاحاً جَمِيلاً »قال فى الكشاف:،أصل تعال أن يقوله من فى المكان المرتفع لمن فى المكان المستوطأ ثم كثرت حتى استوت فى

استعماله الأمكنه،و معنى تعالين أقبلن بإرادتكن و اختياركن لأحد أمرين و لم يرد نهوضـهن بأنفسهن كما تقول:أقبل يخاصمنى و ذهب يكلمنى و قام يهددنى.انتهى.

و التمتيع إعطاؤهن عند التطليق مالا يتمتعن به و التسـريح هو التطليق و السـراح الجميل هو الطلاق من غير خصومه و مشاجره بين الزوجين.

و فى الآـيه أبحـاث فقهيه أوردهـا المفسـرون و الحق أن مـا تتضـمنه من الأحكام الشخصـيه خاصه بالنبى ص و لا دليل من جهه لفظها على شموله لغيره و تفصيل القول فى الفقه.

و قوله:« وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ الـدّٰارَ الْآخِرَةَ »فقـد تقـدم أن المقابله بين هـذه الجمله و بين قوله:« إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا وَ زِينَتَهٰا »إلخ،تقيد كلا منهما بخلاف الأخرى و عدمها،فمعنى الجمله:و إن كنتن تردن و تخترن طاعه الله و رسوله و سعاده الـدار الآـخره مع الصبر على ضـيق العيش و الحرمان من زينه الحياه الـدنيا و هى مع ذلك كنايه عن البقاء فى زوجيه النبى ص و الصبر على ضيق العيش و إلا لم يصح اشتراك الإحسان فى الأجر الموعود و هو ظاهر.

فـالمعنى:و إن كنتن تردن و تخترن البقاء على زوجيه النبى ص و الصبر على ضـيق العيش فإن.الله هيأ لكن أجرا عظيما بشـرط أن تكن محسنات فى أعمالكن مضافا إلى إرادتكن الله و رسوله و الدار الآخره فإن لم تكن محسنات لم يكن لكن إلا خسران الدنيا و الآخره جميعا.

قوله تعالى:« يٰا نِسٰاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضٰاعَفْ لَهَا الْعَـذٰابُ ضِعْفَيْنِ »إلـخ،عـدل عن مخاطبه النبى ص فيهن إلى مخاطبتهن أنفسـهن لتسـجيل ما لهن من التكليف و زياده التوكيد،و الآيه و التى بعدها تقرير و توضيح بنحو لما يستفاد من قوله:« فَإِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنٰاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً »إثباتا و نفيا.

فقوله:« مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفٰاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ » الفاحشه الفعله البالغه فى الشـناعه و القبـح و هى الكبيره كإيذاء النبى ص و الافتراء و الغيبه و غير ذلك،و المبينه هى الظاهره.

و و قوله:« يُضٰاعَفْ لَهَا الْعَذٰابُ ضِعْفَيْنِ »أى حال كونه ضعفين و الضعفان المثلان

و يؤيد هذا المعنى قوله فى جانب الثواب بعد:« نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ »فلا يعبأ بما قيل إن المراد بمضاعفه العذاب ضعفين تعذيبهم بثلاثه أمثاله بتقريب أن مضاعفه العذاب زيادته و إذا زيد على العذاب ضعفاه صار المجموع ثلاثه أمثاله.

و ختم الآيه بقوله:« وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً »للإشاره إلى أنه لا مانع من ذلك من كرامه الزوجيه و نحوها إذ لا كرامه إلا للتقوى و زوجيه النبى ص إنما تؤثر الأثر الجميل إذا قارن التقوى و أما مع المعصيه فلا تزيد إلا بعدا و وبالا.

قوله تعالى:« وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ » إلخ، القنوت الخضوع،و قيل:الطاعه و قيل:لزوم الطاعه مع الخضوع،و الاعتاد التهيئه،و الرزق الكريم مصداقه الجنه.

و المعنى:و من يخضع منكن لله و رسوله أو لزم طاعه الله و رسوله مع الخضوع و يعمل عملا صالحا نعطها أجرها مرتين أى ضعفين و هيأنا لها رزقا كريما و هى الجنه.

و الالتفات من الغيبه إلى التكلم بالغير فى قوله:« نُؤْتِها »و« أَعْتَدْنا »للإيذان بالقرب و الكرامه،خلاف البعد و الخزى المفهوم من قوله:« يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ ».

قوله تعالى:« يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ »إلخ،الآيه تنفى مساواتهن لسائر النساء إن اتقين و ترفع منزلتهن على غيرهن ثم تذكر أشياء من النهى و الأمر متفرعه على كونهن لسن كسائر النساء كما يدل عليه قوله: فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ وَ قَرْنَ وَ لا تَبَرَّجْنَ إلخ،و هى خصال مشتركه بين نساء النبى ص و سائر النساء.

فتصدير الكلام بقوله:« لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ »ثم تفريع هذه التكاليف المشتركه عليه،يفيد تأكد هذه التكاليف عليهن كأنه قيل:لستن كغيركن فيجب عليكن أن تبالغن فى امتثال هذه التكاليف و تحتطن فى دين الله أكثر من سائر النساء.

و تؤيد بل تدل على تأكد تكاليفهن مضاعفه جزائهن خيرا و شرا كما دلت عليها الآيه السابقه فإن مضاعفه الجزاء لا تنفك عن تأكد التكليف.

و قوله:« فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ »بعد ما بين علو

منزلتهن و رفعه قدرهن لمكانهن من النبى ص و شرط فى ذلك التقوى فبين أن فضيلتهن بالتقوى لا بالاتصال بالنبى ص نهاهن عن الخضوع فى القول و هو ترقيق الكلام و تليينه مع الرجال بحيث يدعو إلى الريبه و تثير الشهوه فيطمع الذى فى قلبه مرض و هو فقدان قوه الإيمان التى تردعه عن الميل إلى الفحشاء.

و قوله:« وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً »أى كلاما معمولا مستقيما يعرفه الشرع و العرف الإسلامى و هو القول الذى لا يشير بلحنه إلى أزيد من مدلوله معرى عن الإيماء إلى فساد و ريبه.

قوله تعالى:« وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لاٰ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجٰاهِلِيَّهِ الْأُولىٰ -إلى قوله- وَ أَطِعْنَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ » «قرن» من قر يقر إذا ثبت و أصله اقررن حذفت إحدى الرائين أو من قار يقار إذا اجتمع كنايه عن ثباتهن فى بيوتهن و لزومهن لها،و التبرج الظهور للناس كظهور البروج لناظريها.و الجاهليه الأولى الجاهليه قبل البعثه فالمراد الجاهليه القديمه،و قول بعضهم:إن المراد به زمان ما بين آدم و نوح(ع)ثمان مائه سنه،و قول آخرين إنها ما بين إدريس و نوح،و قول آخرين زمان داود و سليمان و قول آخرين إنه زمان ولاده إبراهيم،و قول آخرين إنه زمان الفتره بين عيسى(ع)و محمد ص أقوال لا دليل يدل عليها.

و قوله:« وَ أَقِمْنَ الصَّلاٰهَ وَ آتِينَ الزَّكٰاهَ وَ أَطِعْنَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ »أمر بامتثال الأوامر الدينيه و قد أفرد الصلاه و الزكاه بالذكر من بينها لكونهما ركنين فى العبادات و المعاملات ثم جمع الجميع فى قوله:« وَ أَطِعْنَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ ».

و طاعه الله هى امتثال تكاليفه الشرعيه و طاعه رسوله فيما يأمر به و ينهى بالولايه المجعوله له من عند الله كما قال:« اَلنَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ».

قوله تعالى:« إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » كلمه« إِنَّمٰا »تدل على حصر الإراده فى إذهاب الرجس و التطهير و كلمه أهل البيت سواء كان لمجرد الاختصاص أو مدحا أو نداء يدل على اختصاص إذهاب الرجس و التطهير بالمخاطبين بقوله:« عَنْكُمُ »،ففى الآيه فى الحقيقه قصران قصر الإراده فى إذهاب الرجس و التطهير و قصر إذهاب الرجس و التطهير فى أهل البيت.

و ليس المراد بأهل البيت نساء النبى خاصه لمكان الخطاب الذى فى قوله:« عَنْكَمُ » و لم يقل:عنكن فأما أن يكون الخطاب لهن و لغيرهن كما قيل:إن المراد بأهل البيت أهل البيت الحرام و هم المتقون لقوله تعالى:« إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ »أو أهل مسجد رسول الله ص أو أهل بيت النبى ص و هم الذين يصدق عليهم عرفا أهل بيته من أزواجه و أقربائه و هم آل عباس و آل عقيل و آل جعفر و آل على أو النبى ص و أزواجه،و لعل هذا هو المراد مما نسب إلى عكرمه و عروه أنها فى أزواج النبى ص خاصه.

أو يكون الخطاب لغيرهن كما قيل:إنهم أقرباء النبى من آل عباس و آل عقيل و آل جعفر و آل على.

و على أى حال فالمراد بإذهاب الرجس و التطهير مجرد التقوى الدينى بالاجتناب عن النواهى و امتثال الأوامر فيكون المعنى أن الله لا ينتفع بتوجيه هذه التكاليف إليكم و إنما يريد إذهاب الرجس عنكم و تطهيركم على حد قوله: «مَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» ، :المائده:۶ و هذا المعنى لا يلائم شيئا من معانى أهل البيت السابقه لمنافاته البينه للاختصاص المفهوم من أهل البيت لعمومه لعامه المسلمين المكلفين بأحكام الدين.

و إن كان المراد بإذهاب الرجس و التطهير التقوى الشديد البالغ و يكون المعنى:

أن هذا التشديد فى التكاليف المتوجهه إليكن أزواج النبى و تضعيف الثواب و العقاب ليس لينتفع الله سبحانه به بل ليذهب عنكم الرجس و يطهركم و يكون من تعميم الخطاب لهن و لغيرهن بعد تخصيصه بهن،فهذا المعنى لا يلائم كون الخطاب خاصا بغيرهن و هو ظاهر و لا عموم الخطاب لهن و لغيرهن فإن الغير لا يشاركهن فى تشديد التكليف و تضعيف الثواب و العقاب.

لا يقال:لم لا يجوز أن يكون الخطاب على هذا التقدير متوجها إليهن مع النبى ص و تكليفه شديد كتكليفهن.

لأنه يقال:إنه(ص)مؤيد بعصمه من الله و هى موهبه إلهيه غير مكتسبه بالعمل فلا معنى لجعل تشديد التكليف و تضعيف الجزاء بالنسبه إليه مقدمه أو سببا لحصول

التقوى الشديد له امتنانا عليه على ما يعطيه سياق الآيه و لذلك لم يصرح بكون الخطاب متوجها إليهن مع النبى ص فقط أحد من المفسرين و إنما احتملناه لتصحيح قول من قال:إن الآيه خاصه بأزواج النبى ص.

و إن كان المراد إذهاب الرجس و التطهير بإرادته تعالى ذلك مطلقا لا بتوجيه مطلق التكليف و لا بتوجيه التكليف الشديد بل إراده مطلقه لإذهاب الرجس و التطهير لأهل البيت خاصه بما هم أهل البيت كان هذا المعنى منافيا لتقييد كرامتهن بالتقوى سواء كان المراد بالإراده الإراده التشريعيه أو التكوينيه.

و بهذا الذى تقدم يتأيد ما ورد فى أسباب النزول أن الآيه نزلت فى النبى ص و على و فاطمه و الحسنين(ع)خاصه لا يشاركهم فيها غيرهم.

و هى روايات جمه تزيد على سبعين حديثا يربو ما ورد منها من طرق أهل السنه على ما ورد منها من طرق الشيعه فقد روتها أهل السنه بطرق كثيره عن أم سلمه و عائشه و أبى سعيد الخدرى و سعد و وائله بن الأسقع و أبى الحمراء و ابن عباس و ثوبان مولى النبى و عبد الله بن جعفر و على و الحسن بن على(ع)فى قريب من أربعين طريقا.

و روتها الشيعه عن على و السجاد و الباقر و الصادق و الرضا(ع)و أم سلمه و أبى ذر و أبى ليلى و أبى الأسود الدؤلى و عمرو بن ميمون الأودى و سعد بن أبى وقاص فى بضع و ثلاثين طريقا.

فإن قيل:إن الروايات إنما تدل على شمول الآيه لعلى و فاطمه و الحسنين(ع) و لا ينافى ذلك شمولها لأزواج النبى ص كما يفيده وقوع الآيه فى سياق خطابهن.

قلنا:إن كثيرا من هذه الروايات و خاصه ما رويت عن أم سلمه-و فى بيتها نزلت الآيه-تصرح باختصاصها بهم و عدم شمولها لأزواج النبى و سيجىء الروايات و فيها الصحاح.

فإن قيل:هذا مدفوع بنص الكتاب على شمولها لهن كوقوع الآيه فى سياق خطابهن.

قلنا:إنما الشأن كل الشأن فى اتصال الآيه بما قبلها من الآيات فهذه الأحاديث على كثرتها البالغه ناصه فى نزول الآيه وحدها،و لم يرد حتى فى روايه واحده نزول هذه الآيه فى ضمن آيات نساء النبى و لا ذكره أحد حتى القائل باختصاص الآيه بأزواج

النبی کما ینسب إلی عکرمه و عروه،فالآیه لم تکن بحسب النزول جزءا من آیات نساء النبی و لا متصله بها و إنما وضعت بینها إما بأمر من النبی ص أو عند التألیف بعد الرحله،و یؤیده أن آیه« وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ »علی انسجامها و اتصالها لو قدر ارتفاع آیه التطهیر من بین جملها،فموقع آیه التطهیر من آیه« وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ »کموقع آیه « اَلْیَوْمَ یَئِسَ الَّذِینَ کَفَرُوا »من آیه محرمات الأکل من سوره المائده،و قد تقدم الکلام فی ذلک فی الجزء الخامس من الکتاب.

و بالبناء علی ما تقدم تصیر لفظه أهل البیت اسما خاصا-فی عرف القرآن- بهؤلاء الخمسه و هم النبی و علی و فاطمه و الحسنان(ع)لا یطلق علی غیرهم،و لو کان من أقربائه الأقربین و إن صح بحسب العرف العام إطلاقه علیهم.

و الرجس -بالکسر فالسکون-صفه من الرجاسه و هی القذاره،و القذاره هیئه فی الشیء توجب التجنب و التنفر منها،و تکون بحسب ظاهر الشیء کرجاسه الخنزیر،قال تعالی: «أَوْ لَحْمَ خِنزِیرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ» ، :الأنعام:۱۴۵ و بحسب باطنه -و هو الرجاسه و القذاره المعنویه-کالشرک و الکفر و أثر العمل السیئ،قال تعالی:

«وَ أَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَتْهُمْ رِجْساً إِلَی رِجْسِهِمْ وَ مٰاتُوا وَ هُمْ کٰافِرُونَ» ، :التوبه:

۱۲۵ و قال: «وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّمٰا یَصَّعَّدُ فِی السَّمٰاءِ کَذٰلِکَ یَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ» :الأنعام:۱۲۵.

و أیا ما کان فهو إدراک نفسانی و أثر شعوری من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السیئ و إذهاب الرجس-و اللام فیه للجنس-إزاله کل هیئه خبیثه فی النفس تخطئ حق الاعتقاد و العمل فتنطبق علی العصمه الإلهیه التی هی صوره علمیه نفسانیه تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد و سیئ العمل.

علی أنک عرفت أن إراده التقوی أو التشدید فی التکالیف لا تلائم اختصاص الخطاب فی الآیه بأهل البیت، و عرفت أیضا أن إراده ذلک لا تناسب مقام النبی ص من العصمه.

فمن المتعین حمل إذهاب الرجس فی الآیه علی العصمه و یکون المراد بالتطهیر فی قوله:« وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً »-و قد أکد بالمصدر-إزاله أثر الرجس بإیراد ما یقابله

بعد إذهاب أصله،و من المعلوم أن ما يقابل الاعتقاد الباطل هو الاعتقاد الحق فتطهيرهم هو تجهيزهم بإدراك الحق فى الاعتقاد و العمل،و يكون المراد بالإراده أيضا غير الإراده التشريعيه لما عرفت أن الإراده التشريعيه التى هى توجيه التكاليف إلى المكلف لا تلائم المقام أصلا.

و المعنى:أن الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصكم بموهبه العصمه بإذهاب الاعتقاد الباطل و أثر العمل السيئ عنكم أهل البيت و إيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم و هى العصمه.

قوله تعالى:« وَ اذْكُرْنَ مٰا يُتْلىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيٰاتِ اللّٰهِ وَ الْحِكْمَهِ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ لَطِيفاً خَبِيراً »ظاهر السياق أن المراد بالذكر ما يقابل النسيان إذ هو المناسب لسياق التأكيد و التشديد الذى فى الآيات فيكون بمنزله الوصيه بعد الوصيه بامتثال ما وجه إليهن من التكاليف،و فى قوله فِي بُيُوتِكُنَّ تأكيد آخر.

و المعنى:و احفظن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله و الحكمه و ليكن منكن فى بال حتى لا تغفلن و لا تتخطين مما خط لكم من المسير.

و أما قول بعضهم:إن المراد و اشكرن الله إذ صيركن فى بيوت يتلى فيهن القرآن و السنه فبعيد من السياق و خاصه بالنظر إلى قوله فى ذيل الآيه:« إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ لَطِيفاً خَبِيراً ».

قوله تعالى:« إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمٰاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ »إلخ،الإسلام لا يفرق بين الرجال و النساء فى التلبس بكرامه الدين و قد أشار سبحانه إلى ذلك إجمالا فى مثل قوله:«يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثىٰ وَ جَعَلْنٰاكُمْ شُعُوباً وَ قَبٰائِلَ لِتَعٰارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقٰاكُمْ» ، :الحجرات:١٣ ثم صرح به فى مثل قوله:

«أَنِّي لاٰ أُضِيعُ عَمَلَ عٰامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ» ، :آل عمران:١٩٥ ثم صرح به تفصيلا فى هذه الآيه.

فقوله:« إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمٰاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ »المقابله بين الإسلام و الإيمان تفيد مغايرتهما نوعا من المغايره و الذى يستفاد منه نحو مغايرتهما قوله تعالى:

«قٰالَتِ الْأَعْرٰابُ آمَنّٰا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنٰا وَ لَمّٰا يَدْخُلِ الْإِيمٰانُ فِي قُلُوبِكُمْ

X-إلى أن قال-X إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ، :الحجرات:١۵ يفيد أولا أن الإسلام هو تسليم الدين بحسب العمل و ظاهر الجوارح و الإيمان أمر قلبى.و ثانيا:أن الإيمان الذى هو أمر قلبى اعتقاد و إذعان باطنى بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح.

فالإسلام هو التسليم العملى للدين بإتيان عامه التكاليف و المسلمون و المسلمات هم المسلمون لذلك و الإيمان هو عقد القلب على الدين،بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح و المؤمنون و المؤمنات هم الذين عقدوا قلوبهم على الدين بحيث يترتب عليه العمل بالجوارح فكل مؤمن مسلم و لا عكس.

و قوله:« وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ »القنوت على ما قيل لزوم الطاعه مع الخضوع و قوله:« وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ » الصدق مطابقه ما يخبر به الإنسان أو يظهره، للواقع.فهم صادقون فى دعواهم صادقون فى قولهم صادقون فى وعدهم.

و قوله:« وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ »فهم متلبسون بالصبر عند المصيبه و النائبه و بالصبر على الطاعه و بالصبر عن المعصيه،و قوله:« وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ » الخشوع تذلل باطنى بالقلب كما أن الخضوع تذلل ظاهرى بالجوارح.

و قوله:« وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ »و الصدقه إنفاق المال فى سبيل الله و منه الزكاه الواجبه،و قوله:« وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ »بالصوم الواجب و المندوب،و قوله:

« وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ »أى لفروجهن و ذلك بالتجنب عن غير ما أحل الله لهم،و قوله:« وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِرَاتِ »أى الله كثيرا حذف لظهوره و هم الذين يكثرون من ذكر الله بلسانهم و جنانهم و يشمل الصلاه و الحج.

و قوله:« أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً »التنكير للتعظيم.

(بحث روائى)

فى تفسير القمى،": فى قوله تعالى:« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ »كان سبب نزولها أنه لما رجع رسول الله ص من غزوه خيبر-و أصاب كنز آل أبى الحقيق قلن أزواجه أعطنا ما أصبت-فقال لهن رسول الله ص قسمته بين المسلمين-على ما أمر الله عز و جل

فغضبن من ذلک،و قلن:لعلک تری أنک إن طلقتنا-أن لا نجد الأکفاء من قومنا یتزوجونا؟.

فأنف الله عز و جل لرسوله فأمره أن یعزلهن-فاعتزلهن رسول الله ص فی مشربه أم إبراهیم-تسعه و عشرین یوما حتی حضن و طهرن-ثم أنزل الله عز و جل هذه الآیه و هی آیه التخییر-فقال:« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْوٰاجِکَ -إلی قوله- أَجْراً عَظِیماً » فقامت أم سلمه أول من قامت فقالت:قد اخترت الله و رسوله-فقمن کلهن فعانقنه و قلن مثل ذلک الحدیث.

أقول:و روی ما یقرب من ذلک من طرق أهل السنه و فیها أن أول من اختارت الله و رسوله منهن عائشه.

و فی الکافی،بإسناده عن داود بن سرحان عن أبی عبد الله(ع): أن زینب بنت جحش قالت:یری رسول الله إن خلی سبیلنا أن لا نجد زوجا غیره-و قد کان اعتزل نساءه تسعه و عشرین لیله-فلما قالت زینب الذی قالت بعث الله جبرائیل إلی محمد ص فقال:« قُلْ لِأَزْوٰاجِکَ »الآیتین کلتیهما-فقلن:بل نختار الله و رسوله و الدار الآخره.

و فیه،بإسناده عن عیص بن القاسم عن أبی عبد الله(ع)قال: سألته عن رجل خیر امرأته فاختارت نفسها بانت؟قال:لا.إنما هذا شیء کان لرسول الله ص خاصه أمر بذلک ففعل،و لو اخترن أنفسهن لطلقهن و هو قول الله عز و جل:« قُلْ لِأَزْوٰاجِکَ-إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا وَ زِینَتَهٰا،فَتَعٰالَیْنَ أُمَتِّعْکُنَّ وَ أُسَرِّحْکُنَّ سَرٰاحاً جَمِیلاً ».

و فی المجمع،روی الواحدی بالإسناد عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال: کان رسول الله ص جالسا مع حفصه-فتشاجرا بینهما فقال لها:هل لک أن أجعل بینی و بینک رجلا؟قالت:نعم.

فأرسل إلی عمر فلما أن دخل علیهما قال لها:تکلمی،فقالت:یا رسول الله تکلم و لا تقل إلا حقا-فرفع عمر یده فوجأ وجهها-ثم رفع یده فوجأ وجهها-.

فقال له النبی ص:کف فقال عمر:یا عدوه الله النبی لا یقول إلا حقا و الذی بعثه بالحق،لو لا مجلسه ما رفعت یدی حتی تموتی-فقام النبی ص فصعد

إلى غرفه فمكث فيها شهرا-لا يقرب شيئا من نسائه يتغدى و يتعشى فيها-فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

و فى الخصال،عن الصادق(ع)قال*: تزوج رسول الله ص بخمس عشره امرأه-و دخل بثلاث عشر امرأه منهن،و قبض عن تسع فأما اللتان لم يدخل بهما فعمره و سنا.و أما الثلاث عشره اللاتى دخل بهن فأولهن خديجه بنت خويلد-ثم سوده بنت زمعه ثم أم سلمه و اسمها هند بنت أبى أميه-ثم أم عبد الله عائشه بنت أبى بكر-ثم حفصه بنت عمر ثم زينب بنت خزيمه بن الحارث أم المساكين،ثم زينب بنت جحش ثم أم حبيب رمله بنت أبى سفيان-ثم ميمونه بنت الحارث ثم زينب بنت عميس-ثم جويريه بنت الحارث-ثم صفيه بنت حيى بن أخطب-و التى وهبت نفسها للنبى خوله بنت حكيم السلمى-.

و كان له سريتان-يقسم لهما مع أزواجه ماريه القبطيه و ريحانه الخندفيه-.

و التسع اللاتى قبض عنهن عائشه و حفصه و أم سلمه-و زينب بنت جحش و ميمونه بنت الحارث-و أم حبيب بنت أبى سفيان و جويريه و سوده و صفيه.و أفضلهن خديجه بنت خويلد ثم أم سلمه ثم ميمونه.

و فى المجمع،:فى قوله:« يٰا نِسٰاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ »الآيتين:روى محمد بن أبى عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد عن على بن عبد الله بن الحسين عن أبيه عن على بن الحسين (ع): أنه قال رجل إنكم أهل بيت مغفور لكم.قال:فغضب و قال:نحن أحرى أن يجرى فينا ما أجرى الله فى أزواج النبى من أن نكون كما تقول-إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر و لمسيئنا ضعفين من العذاب.

و فى تفسير القمى،مسندا عن أبى عبد الله عن أبيه(ع): فى هذه الآيه « وَ لاٰ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجٰاهِلِيَّةِ الْأُولىٰ »قال:أى ستكون جاهليه أخرى.

أقول:و هو استفاده لطيفه.

و فى الدر المنثور،أخرج الطبرانى عن أم سلمه أن رسول الله ص:قال لفاطمه:

ائتينى بزوجك و ابنيه فجاءت بهم-فألقى رسول الله ص عليهم كساء فدكيا-ثم وضع يده عليهم ثم قال:اللهم إن هؤلاء أهل محمد-و فى لفظ آل محمد-فاجعل صلواتك

و برکاتک علی آل محمد-کما جعلتها علی آل إبراهیم إنک حمید مجید-.

قالت أم سلمه:فرفعت الکساء لأدخل معهم-فجذبه من یدی و قال:إنک علی خیر:

أقول:و رواه فی غایه المرام،عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبیه بإسناده عن أم سلمه .

و فیه،أخرج ابن مردویه عن أم سلمه قالت": نزلت هذه الآیه فی بیتی« إِنَّمٰا یُرِیدُ اللّٰهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ-وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً »و فی البیت سبعه جبریل و میکائیل-و علی و فاطمه و الحسن و الحسین و أنا علی باب البیت.قلت:یا رسول الله أ لست من أهل البیت؟قال:إنک علی خیر إنک من أزواج النبی.

و فیه،أخرج ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و الطبرانی و ابن مردویه عن أم سلمه زوج النبی: أن رسول الله ص کان ببیتها علی منامه له-علیه کساء خیبری فجاءت فاطمه ببرمه فیها خزیره-فقال رسول الله ص:ادعی زوجک و ابنیک حسنا و حسینا-فدعتهم فبینما هم یأکلون إذ نزلت علی رسول الله ص« إِنَّمٰا یُرِیدُ اللّٰهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ-وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً ».

فأخذ النبی ص بفضله إزاره فغشاهم إیاها-ثم أخرج یده من الکساء و أومأ بها إلی السماء-ثم قال:اللهم هؤلاء أهل بیتی و خاصتی-فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیرا،قالها ثلاث مرات.

قالت أم سلمه:فأدخلت رأسی فی الستر-فقلت:یا رسول الله و أنا معکم؟فقال:

إنک إلی خیر مرتین.

أقول:و روی الحدیث فی غایه المرام،عن عبد الله بن أحمد بن حنبل بثلاث طرق عن أم سلمه و کذا عن تفسیر الثعلبی .

و فیه،أخرج ابن مردویه و الخطیب عن أبی سعید الخدری قال: کان یوم أم سلمه أم المؤمنین-فنزل جبریل إلی رسول الله ص بهذه الآیه« إِنَّمٰا یُرِیدُ اللّٰهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ-وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً »قال:فدعا رسول الله ص بحسن و حسین و فاطمه و علی-فضمهم إلیه و نشر علیهم الثوب،و الحجاب علی أم سلمه مضروب،ثم

قال:اللهم هؤلاء أهل بيتى-اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا،قالت أم سلمه:فأنا معهم يا نبى الله؟قال:أنت على مكانك و إنك على خير.

و فيه،أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم و الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال:

قال رسول الله ص: نزلت هذه الآيه فى خمسه-فى و فى على و فاطمه و حسن و حسين- « إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ-وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »:

أقول:و رواه أيضا فى غايه المرام،عن الثعلبى فى تفسيره .

و فيه،أخرج الترمذى و صححه و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقى فى سننه من طرق عن أم سلمه قالت: فى بيتى نزلت:« إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ »و فى البيت فاطمه و على و الحسن و الحسين- فجللهم رسول الله ص بكساء كان عليه-ثم قال:هؤلاء أهل بيتى-فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و فى غايه المرام،عن الحميدى قال: الرابع و الستون من المتفق عليه من الصحيحين عن البخارى و مسلم من مسند عائشه عن مصعب بن شيبه عن صفيه بنت شيبه عن عائشه قالت:خرج النبى ص ذات غداه-و عليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله-ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمه فأدخلها-ثم جاء على فأدخله ثم قال: إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ-وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً :

أقول:و الحديث مروى عنها بطرق مختلفه .

و فى الدر المنثور،أخرج ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال: لما دخل على بفاطمه جاء النبى ص أربعين صباحا إلى بابها- يقول:السلام عليكم أهل البيت و رحمه الله و بركاته-الصلاه رحمكم الله- إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ-وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً أنا حرب لمن حاربتم أنا سلم لمن سالمتم.

و فيه،أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: شهدنا رسول الله ص تسعه أشهر-يأتى كل يوم باب على بن أبى طالب عند وقت كل صلاه-فيقول:السلام عليكم و رحمه الله و بركاته أهل البيت« إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ-وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » أقول:و رواه أيضا عن الطبرانى عن أبى الحمراء و لفظه: رأيت رسول الله ص

يأتى باب على و فاطمه سته أشهر-فيقول:« إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ »الآيه. و أيضا

عن ابن جرير و ابن مردويه عن أبى الحمراء و لفظه: حفظت من رسول الله ص ثمانيه أشهر بالمدينه- ليس من مره يخرج إلى صلاه الغداه إلا أتى إلى باب على-فوضع يده على جنبتى الباب- ثم قال:الصلاه الصلاه« إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ »الآيه.

و رواه أيضا عن ابن أبى شيبه و أحمد و الترمذى و حسنه و ابن جرير و ابن المنذر و الطبرانى و الحاكم و صححه و ابن مردويه عن أنس و لفظه: أن رسول الله ص كان يمر بباب فاطمه-إذا خرج إلى صلاه الفجر و يقول:الصلاه يا أهل البيت الصلاه- إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ-وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً .

أقول:و الروايات فى هذه المعانى من طرق أهل السنه كثيره و كذا من طرق الشيعه،و من أراد الاطلاع عليها فليراجع غايه المرام للبحرانى و العبقات.

و فى غايه المرام،عن الحموينى بإسناده عن يزيد بن حيان قال: دخلنا على زيد بن أرقم فقال:خطبنا رسول الله ص فقال:ألا إنى تركت فيكم الثقلين-أحدهما كتاب الله عز و جل-من اتبعه كان على هدى و من تركه كان على ضلاله،ثم أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاث مرات-.

قلنا:من أهل بيته نساؤه؟قال:لا-أهل بيته عصبته الذين حرموا الصدقه بعده-آل على و آل عباس و آل جعفر و آل عقيل.

و فيه،أيضا عن مسلم فى صحيحه بإسناده عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال:قال رسول الله ص: إنى تارك فيكم الثقلين-أحدهما كتاب الله هو حبل الله-من اتبعه كان على الهدى و من تركه كان على ضلاله،فقلنا:من أهل بيته نساؤه؟قال:

لا أيم الله إن المرأه تكون مع الرجل العصر-ثم الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أهلها و قومها.أهل بيته أصله و عصبته الذين حرموا الصدقه بعده.

أقول:فسر البيت بالنسب كما يطلق عرفا على هذا المعنى،يقال:بيوتات العرب بمعنى الأنساب،لكن الروايات السابقه عن أم سلمه و غيرها تدفع هذا المعنى و تفسير أهل البيت بعلى و فاطمه و ابنيهما(ع).

و فى المجمع،قال مقاتل بن حيان: لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشه-مع

زوجها جعفر بن أبی طالب-دخلت علی نساء رسول الله ص فقالت:هل نزل فینا شیء من القرآن؟قلن:لا-.

فأتت رسول الله ص فقالت:یا رسول الله-إن النساء لفی خیبه و خسار، فقال(ص):و مم ذلک؟قالت:لأنهن لا یذکرن بخیر کما یذکر الرجال،فأنزل الله تعالی هذه الآیه« إِنَّ الْمُسْلِمِینَ وَ الْمُسْلِمٰاتِ »إلخ.

أقول:و فی روایات أخر أن القائله هی أم سلمه.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآیات ٣۶ الی ۴٠]

اشاره

وَ مٰا کٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَهٍ إِذٰا قَضَی اَللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ یَکُونَ لَهُمُ اَلْخِیَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ یَعْصِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً مُبِیناً (٣۶) وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اَللّٰهُ عَلَیْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِ أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ وَ اِتَّقِ اَللّٰهَ وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اَللّٰهُ مُبْدِیهِ وَ تَخْشَی اَلنّٰاسَ وَ اَللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشٰاهُ فَلَمّٰا قَضیٰ زَیْدٌ مِنْهٰا وَطَراً زَوَّجْنٰاکَهٰا لِکَیْ لاٰ یَکُونَ عَلَی اَلْمُؤْمِنِینَ حَرَجٌ فِی أَزْوٰاجِ أَدْعِیٰائِهِمْ إِذٰا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ کٰانَ أَمْرُ اَللّٰهِ مَفْعُولاً (٣٧) مٰا کٰانَ عَلَی اَلنَّبِیِّ مِنْ حَرَجٍ فِیمٰا فَرَضَ اَللّٰهُ لَهُ سُنَّهَ اَللّٰهِ فِی اَلَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ کٰانَ أَمْرُ اَللّٰهِ قَدَراً مَقْدُوراً (٣٨) اَلَّذِینَ یُبَلِّغُونَ رِسٰالاٰتِ اَللّٰهِ وَ یَخْشَوْنَهُ وَ لاٰ یَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اَللّٰهَ وَ کَفیٰ بِاللّٰهِ حَسِیباً (٣٩) مٰا کٰانَ مُحَمَّدٌ أَبٰا أَحَدٍ مِنْ رِجٰالِکُمْ وَ لٰکِنْ رَسُولَ اَللّٰهِ وَ خٰاتَمَ اَلنَّبِیِّینَ وَ کٰانَ اَللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً (۴٠)

(بیان)

الآیـات أعنی قوله:« وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَیْهِ -إلی قوله- وَ کٰانَ اللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً »فی قصه تزوج رسول الله ص بزوج مولاه زیـد الذی کان قد اتخذه ابنا،و لا یبعد أن تکون الآیه الأولی أعنی قوله:« وَ مٰا کٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَهٍ »الآیه،مرتبطه بالآیات التالیه کالتوطئه لها.

قوله تعالی:« وَ مٰا کٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَهٍ إِذٰا قَضَی اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ یَکُونَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ »إلخ،یشـهد السـیاق علی أن المراد بالقضـاء هو القضـاء التشـریعی دون التکوینی فقضـاء الله تعـالی حکمه التشـریعی فی شـیء مما یرجع إلی أعمال العباد أو تصـرفه فی شـأن من شـئونهم بواسـطه رسول من رسـله،و قضاء رسوله هو الثانی من القسـمین و هو التصـرف فی شأن من شـئون الناس بالولایه التی جعلها الله تعالی له بمثل قوله:« اَلنَّبِیُّ أَوْلیٰ بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ».

فقضاؤه(ص)قضاء منه بولایته و قضاء من الله سـبحانه لأنه الجاعل لولایته المنفذ أمره،و یشـهد سیاق قوله:« إِذٰا قَضَی اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً »حیـث جعـل الأـمر الواحـد متعلقـا لقضـاء الله و رسـوله معـا،علی أن المراد بالقضـاء التصـرف فی شـئون النـاس دون الجعل التشریعی المختص بالله.

و قوله:« وَ مٰا کٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَهٍ »أی ما صح و لا یحق لأحد من المؤمنین و المؤمنات أن یثبت لهم الاختیار من أمرهم بحیث یختارون ما شاءوا و قوله:« إِذٰا قَضَی اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً »ظرف لنفی الاختیار.

و ضـمیرا الجمع فی قـوله:« لَهُمُ الْخِیَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ »للمؤمن و المؤمنه المراد بهمـا جمیع المؤمنین و المؤمنـات لوقوعهمـا فی حیز النفی و وضع الظاهر موضع المضمر حیث قیل:

« مِنْ أَمْرِهِمْ »و لم یقل:أن یکون لهم الخیره فیه للدلاله علی منشإ توهم الخیره و هو انتساب الأمر إلیهم.

و المعنی:لیس لأحد من المؤمنین و المؤمنات إذا قضی الله و رسوله بالتصرف فی

أمر من أمورهم أن يثبت لهم الاختيار من جهته لانتسابه إليهم و كونه أمرا من أمورهم فيختاروا منه غير ما قضى الله و رسوله بل عليهم أن يتبعوا إراده الله و رسوله.

و الآيه عامه لكنها لوقوعها فی سياق الآيات التاليه يمكن أن تكون كالتمهيد لما سيجیء من قوله:« مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ »الآيه،حيث يلوح منه أن بعضهم كان قد اعترض على تزوج النبی ص بزوج زيد و تعييره بأنها كانت زوج ابنه المدعو له بالتبنی و سيجیء فی البحث الروائی بعض ما يتعلق بالمقام.

قوله تعالى:« وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللّٰهَ »إلى آخر الآيه المراد بهذا الذی أنعم الله عليه و أنعم النبی عليه زيد بن حارثه الذی كان عبدا للنبی ص ثم حرره و اتخذه ابنا له و كان تحته زينب بنت جحش بنت عمه النبی ص أتى زيد النبی فاستشاره فی طلاق زينب فنهاه النبی ص عن الطلاق ثم طلقها زيد فتزوجها النبی ص و نزلت الآيات.

فقوله:« أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ »أی بالهدايه إلى الإيمان و تحبيبه إلى النبی ص و قوله:« وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ »أی بالإحسان إليه و تحريره و تخصيصه بنفسك،و قوله:

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللّٰهَ

»كنايه عن الكف عن تطليقها،و لا يخلو من إشعار بإصرار زيد على تطليقها.

و قوله:« وَ تُخْفِی فِی نَفْسِكَ مَا اللّٰهُ مُبْدِيهِ »أی مظهره« وَ تَخْشَى النّٰاسَ وَ اللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشٰاهُ »ذيل الآيات أعنی قوله:« اَلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاٰتِ اللّٰهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لاٰ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّٰهَ »دليل على أن خشيته(ص)الناس لم تكن خشيه على نفسه بل كان خشيه فی الله فأخفى فی نفسه ما أخفاه استشعارا منه أنه لو أظهره عابه الناس و طعن فيه بعض من فی قلبه مرض فأثر ذلک أثرا سيئا فی إيمان العامه،و هذا الخوف-كما ترى ليس خوفا مذموما بل خوف فی الله هو فی الحقيقه خوف من الله سبحانه.

و قوله:« وَ تَخْشَى النّٰاسَ وَ اللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشٰاهُ »الظاهر فی نوع من العتاب ردع عن نوع من خشيه الله و هی خشيته عن طريق الناس و هدايه إلى نوع آخر من خشيته تعالى و أنه كان من الحری أن يخشى الله دون الناس و لا يخفی ما فی نفسه ما الله مبديه و هذا نعم الشاهد على أن الله كان قد فرض له أن يتروج زوج زيد الذی كان تبناه

لیرتفع بذلک الحرج عن المؤمنین فی التزوج بأزواج الأدعیاء و هو(ص)کان یخفیه فی نفسه إلی حین مخافه سوء أثره فی الناس فآمنه الله ذلک بعتابه علیه نظیر ما تقدم فی قوله تعالی:« یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ -إلی قوله- وَ اللّٰهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّٰاسِ »الآیه.

فظاهر العتاب الذی یلوح من قوله:« وَ تَخْشَی النّٰاسَ وَ اللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشٰاهُ »مسوق لانتصاره و تأیید أمره قبال طعن الطاعنین ممن فی قلوبهم مرض نظیر ما تقدم فی قوله:

«عَفَا اللّٰهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْکٰاذِبِینَ» :التوبه:۴۳.

و من الدلیل علی أنه انتصار و تأیید فی صوره العتاب قوله بعد:« فَلَمّٰا قَضیٰ زَیْدٌ مِنْهٰا وَطَراً زَوَّجْنٰاکَهٰا »حیث أخبر عن تزویجه إیاها کأنه أمر خارج عن إراده النبی ص و اختیاره ثم قوله:« وَ کٰانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولاً ».

فقوله:« فَلَمّٰا قَضیٰ زَیْدٌ مِنْهٰا وَطَراً زَوَّجْنٰاکَهٰا »متفرع علی ما تقدم من قوله:

وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّٰهُ مُبْدِیهِ

»و قضاء الوطر منها کنایه عن الدخول و التمتع،و قوله:

« لِکَیْ لاٰ یَکُونَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ حَرَجٌ فِی أَزْوٰاجِ أَدْعِیٰائِهِمْ إِذٰا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً »تعلیل للتزویج و مصلحه للحکم،و قوله:« وَ کٰانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولاً »مشیر إلی تحقق الوقوع و تأکید للحکم.

و من ذلک یظهر أن الذی کان النبی ص یخفیه فی نفسه هو ما فرض الله له أن یتزوجها لا هواها و حبه الشدید لها و هی بعد مزوجه کما ذکره جمع من المفسرین و اعتذروا عنه بأنها حاله جبلیه لا یکاد یسلم منها البشر فإن فیه أولا:منع أن یکون بحیث لا یقوی علیه التربیه الإلهیه،و ثانیا:أنه لا معنی حینئذ للعتاب علی کتمانه و إخفائه فی نفسه فلا مجوز فی الإسلام لذکر حلائل الناس و التشبب بهن.

قوله تعالی:« مٰا کٰانَ عَلَی النَّبِیِّ مِنْ حَرَجٍ فِیمٰا فَرَضَ اللّٰهُ لَهُ »إلخ، الفرض هو التعیین و الاسهام یقال: فرض له کذا أی عینه له و أسهمه به،و قیل:هو فی المقام بمعنی الإباحه و التجویز،و الحرج الکلفه و الضیق،و المراد بنفی الحرج نفی سببه و هو المنع عما فرض له.

و المعنی:ما کان علی النبی من منع فیما عین الله له أو أباح الله له حتی یکون علیه حرج فی ذلک.

و قوله:« سُنَّةَ اللّٰهِ فِی الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ »اسم موضوع موضع المصدر فیکون مفعولا مطلقا و التقدیر سن الله ذلک سنه،و المراد بالذین خلوا من قبل هم الأنبیاء و الرسل الماضون بقرینه قوله بعد:« اَلَّذِینَ یُبَلِّغُونَ رِسٰالاٰتِ اللّٰهِ »إلخ.

و قوله:« وَ کٰانَ أَمْرُ اللّٰهِ قَدَراً مَقْدُوراً »أی یقدر من عنده لکل أحد ما یلائم حاله و یناسبها،و الأنبیاء لم یمنعوا مما قدره الله و أباحه لغیرهم حتی یمنع النبی ص من بعض ما قدر و أبیح.

قوله تعالی:« اَلَّذِینَ یُبَلِّغُونَ رِسٰالاٰتِ اللّٰهِ وَ یَخْشَوْنَهُ وَ لاٰ یَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللّٰهَ » إلخ،الموصول بیان للموصول المتقدم أعنی قوله:« اَلَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ».

و الخشیه هی تأثر خاص للقلب عن المکروه و ربما ینسب إلی السبب الذی یتوقع منه المکروه،یقال:خشیت أن یفعل بی فلان کذا أو خشیت فلانا أن یفعل بی کذا، و الأنبیاء یخشون الله و لا یخشون أحدا غیره لأنه لا مؤثر فی الوجود عندهم إلا الله.

و هذا غیر الخوف الذی هو توقع المکروه بحیث یترتب علیه الاتقاء عملا- سواء کان معه تأثر قلبی أو لا- فإنه أمر عملی ربما ینسب إلی الأنبیاء کقوله تعالی حکایه عن موسی(ع): «فَفَرَرْتُ مِنْکُمْ لَمّٰا خِفْتُکُمْ» ، :الشعراء:۲۱ و قوله فی النبی ص:

«وَ إِمّٰا تَخٰافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِیٰانَهً» ، :الأنفال:۵۸ و هذا هو الأصل فی معنی الخوف و الخشیه و ربما استعملا کالمترادفین.

و مما تقدم یظهر أن الخشیه منفیه عن الأنبیاء(ع)مطلقا و إن کان سیاق قوله:« یُبَلِّغُونَ رِسٰالاٰتِ اللّٰهِ وَ یَخْشَوْنَهُ »إلخ،یلوح إلی أن المنفی هو الخشیه فی تبلیغ الرساله.علی أن جمیع أفعال الأنبیاء کأقوالهم من باب التبلیغ فالخشیه فی أمر التبلیغ مستوعبه لجمیع أعمالهم.

و قوله:« وَ کَفیٰ بِاللّٰهِ حَسِیباً »أی محاسبا یحاسب علی الصغیره و الکبیره فیجب أن یخشی و لا یخشی غیره.

قوله تعالی:» مٰا کٰانَ مُحَمَّدٌ أَبٰا أَحَدٍ مِنْ رِجٰالِکُمْ وَ لٰکِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَ خٰاتَمَ النَّبِیِّینَ » إلخ،لا- شک فی أن الآیه مسوقه لدفع اعتراضهم علی النبی ص بأنه تزوج زوج ابنه و محصل الدفع أنه لیس أبا زید و لا- أبا أحد من الرجال الموجودین فی زمن الخطاب حتی یکون

تزوجه بزوج أحدهم بعده تزوجا بزوج ابنه فالخطاب فی قوله:« مِنْ رِجٰالِکُمْ »للناس الموجودین فی زمن نزول الآیه،و المراد بالرجال ما یقابل النساء و الولدان و نفی الأبوه نفی تکوینی لا تشریعی و لا تتضمن الجمله شیئا من التشریع.

و المعنی:لیس محمد ص أبا أحد من هؤلاء الرجال الذین هم رجالکم حتی یکون تزوجه بزوج أحدهم بعده تزوجا منه بزوج ابنه و زید أحد هؤلاء الرجال فتزوجه بعد تطلیقه لیس تزوجا بزوج الابن حقیقه و أما تبنیه زیدا فإنه لا یترتب علیه شیء من آثار الأبوه و البنوه و ما جعل أدعیاءکم أبناءکم.

و أما القاسم و الطیب و الطاهر (۱)و إبراهیم فإنهم أبناؤه حقیقه لکنهم ماتوا قبل أن یبلغوا فلم یکونوا رجالا حتی ینتقض الآیه و کذا الحسن و الحسین و هما ابنا رسول الله فإن النبی ص قبض قبل أن یبلغا حد الرجال.

و مما تقدم ظهر أن الآیه لا تقتضی نفی أبوته(ص)للقاسم و الطیب و الطاهر و إبراهیم و کذا للحسنین لما عرفت أنها خاصه بالرجال الموجودین فی زمن النزول علی نعت الرجولیه.

و قوله:« وَ لٰکِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَ خٰاتَمَ النَّبِیِّینَ » الخاتم بفتح التاء ما یختم به کالطابع و القالب بمعنی ما یطبع به و ما یقلب به و المراد بکونه خاتم النبیین أن النبوه اختتمت به(ص)فلا نبی بعده.

و قد عرفت فیما مر معنی الرساله و النبوه و أن الرسول هو الذی یحمل رساله من الله إلی الناس و النبی هو الذی یحمل نبأ الغیب الذی هو الدین و حقائقه و لازم ذلک أن یرتفع الرساله بارتفاع النبوه فإن الرساله من أنباء الغیب،فإذا انقطعت هذه الأنباء انقطعت الرساله.

و من هنا یظهر أن کونه(ص)خاتم النبیین یستلزم کونه خاتما للرسل.

و فی الآیه إیماء إلی أن ارتباطه(ص)و تعلقه بکم تعلق الرساله و النبوه و أن ما فعله کان بأمر من الله سبحانه.

و قوله:« وَ کٰانَ اللّٰهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً »أی ما بینه لکم إنما کان بعلمه.

ص: ۳۲۵

۱- ۱) هذا علی ما هو المعروف و قال بعضهم:إن الطیب و الطاهر لقبان للقاسم.

(بحث روائی)

فی الـدر المنثور،أخرج ابن جریر عن ابن عبـاس قـال: خطب رسول الله ص زینب بنت جحش لزیـد بن حارثه-فاسـتنکفت منه و قالت:أنا خیر منه حسبا و کانت امرأه فیها حده-فأنزل الله« وَ مٰا کٰانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاٰ مُؤْمِنَهٍ »الآیه کلها.

أقول:و فی معناها روایات أخر.

و فیه،أخرج ابن أبی حاتم عن ابن زیـد قال": نزلت فی أم کلثوم بنت عقبه بن أبی معیط-و کانت أول امرأه هاجرت من النساء-فوهبت نفسها للنبی ص-فزوجها زید بن حارثه فسخطت هی و أخوها-و قالت إنما أردنا رسول الله فزوجنا عبده فنزلت.

أقول:و الروایتان أشبه بالتطبیق منهما بسبب النزول.

و فی العیون،:فی بـاب مجلس الرضـا(ع)عنـد المـأمون-مع أصـحاب الملـل-فی حـدیث یجیب فیه عن مسـأله علی بن الجهم فی عصمه الأنبیاء:.

قال: و أما محمد ص و قول الله عز و جل:« وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّٰهُ مُبْدِیهِ- وَ تَخْشَی النّٰاسَ وَ اللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشٰاهُ »فإن الله عز و جل-عرف نبیه ص أسـماء أزواجه فی دار الدنیا-و أسـماء أزواجه فی الآخره و أنهن أمهات المؤمنین-و أحد من سـمی له زینب بنت جحش-و هی یومئذ تحت زید بن حارثه- فأخفی(ص)اسمها فی نفسه-و لم یبده لکیلا یقول أحد من المنافقین:أنه قال فی امرأه فی بیت رجل:إنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنین و خشی قول المنافقین-.

قال الله عز و جل:« وَ تَخْشَی النّٰاسَ وَ اللّٰهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشٰاهُ »یعنی فی نفسک الحدیث.

أقول:و روی ما یقرب منه فیه عنه(ع)فی جواب مسأله المأمون عنه فی عصمه الأنبیاء.

و فی المجمع،: فی قوله تعـالی:« وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّٰهُ مُبْدِیهِ »قیل:إن الـذی أخفاه فی نفسه-هو أن الله سـبحانه أعلمه-أنها ستکون من أزواجه و أن زیدا سیطلقها- فلما جاء زید و قال له:أرید أن أطلق زینب-قال له:أمسک علیک زوجک،فقال

سبحانه:لم قلت:أمسک علیک زوجک-و قد أعلمتک أنها ستکون من أزواجک؟:

و روی ذلک عن علی بن الحسین(ع) .

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و عبد بن حمید و البخاری و الترمذی و ابن المنذر و الحاکم و ابن مردویه و البیهقی فی سننه عن أنس قال: جاء زید بن حارثه یشکو زینب إلی رسول الله ص-فجعل رسول الله ص یقول:اتق الله و أمسک علیک زوجک فنزلت:« وَ تُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللّٰهُ مُبْدِیهِ ».

قال أنس:فلو کان رسول الله ص کاتما شیئا لکتم هذه الآیه،فتزوجها رسول الله ص الحدیث.

أقول:و الروایات کثیره فی المقام و إن کان کثیر منها لا یخلو من شیء و فی الروایات:ما أولم رسول الله ص علی امرأه من نسائه ما أولم علی زینب ذبح شاه و أطعم الناس الخبز و اللحم،و فی الروایات أنها کانت تفتخر علی سائر نساء النبی بثلاث أن جدها و جد النبی ص واحد فإنها کانت بنت أمیمه بنت عبد المطلب عمه النبی ص و أن الذی زوجها منه هو الله سبحانه و أن السفیر جبریل.

و فی المجمع،:فی قوله تعالی:« وَ لٰکِنْ رَسُولَ اللّٰهِ وَ خٰاتَمَ النَّبِیِّینَ »:و صح

الحدیث عن جابر بن عبد الله عن النبی ص قال: إنما مثلی فی الأنبیاء کمثل رجل بنی دارا- فأکملها و حسنها إلا موضع لبنه،فکان من دخلها و نظر إلیها فقال:ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنه.قال(ص):فأنا موضع اللبنه ختم بی الأنبیاء: أورده البخاری و مسلم فی صحیحیهما .

أقول:و روی هذا المعنی غیرهما کالترمذی و النسائی و أحمد و ابن مردویه عن غیر جابر کأبی سعید و أبی هریره.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن الأنباری فی المصاحف عن أبی عبد الرحمن السلمی قال: کنت أقرئ الحسن و الحسین-فمر بی علی بن أبی طالب و أنا أقرئهما فقال لی:

أقرئهما و خاتم النبیین بفتح التاء.

ص :۳۲۷

[سوره الأحزاب (۳۳): الآيات ۴۱ الى ۴۸]

اشاره

يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اُذْكُرُوا اَللّٰهَ ذِكْراً كَثِيراً (۴۱) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (۴۲) هُوَ اَلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلاٰئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ وَ كٰانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (۴۳) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاٰمٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً (۴۴) يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ إِنّٰا أَرْسَلْنٰاكَ شٰاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (۴۵) وَ دٰاعِياً إِلَى اَللّٰهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرٰاجاً مُنِيراً (۴۶) وَ بَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اَللّٰهِ فَضْلاً كَبِيراً (۴۷) وَ لاٰ تُطِعِ اَلْكٰافِرِينَ وَ اَلْمُنٰافِقِينَ وَ دَعْ أَذٰاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اَللّٰهِ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً (۴۸)

بيان

آيات تدعو المؤمنين إلى الذكر و التسبيح و تبشرهم و تعدهم الوعد الجميل و تخاطب النبى ص بصفاته الكريمه و تأمره أن يبشر المؤمنين و لا يطيع الكافرين و المنافقين، و يمكن أن يكون القبيلان مختلفين فى النزول زمانا.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْراً كَثِيراً » الذكر ما يقابل النسيان و هو توجيه الإدراك نحو المذكور و أما التلفظ بما يدل عليه من أسمائه و صفاته فهو بعض مصاديق الذكر.

قوله تعالى:« وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً » التسبيح هو التنزيه و هو مثل الذكر لا يتوقف على اللفظ و إن كان التلفظ بمثل سبحان الله بعض مصاديق التسبيح.

و البكره أول النهار و الأصيل آخره بعد العصر و تقييد التسبيح بالبكره و الأصيل

لما فيهما من تحول الأحوال فيناسب تسبيحه و تنزيهه من التغير و التحول و كل نقص طار، و يمكن أن يكون البكره و الأصيل معا كنايه عن الدوام كالليل و النهار فى قوله:

«يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ» :حم السجده:۳۸.

قوله تعالى:« هُوَ الَّذِی یُصَلِّی عَلَیْکُمْ وَ مَلائِکَتُهُ لِیُخْرِجَکُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ » المعنى الجامع للصلاه على ما يستفاد من موارد استعمالها هو الانعطاف فيختلف باختلاف ما نسب إليه و لـذلك قيل:إن الصـلاه من الله الرحمه و من الملائكه الاستغفار و من الناس الدعاء لكن الـذى نسب من الصـلاه إلى الله سبحانه فى القرآن هو الصـلاه بمعنى الرحمه الخاصه بـالمؤمنين و هى التى تترتب عليها سعاده العقبى و الفلاح المؤبد و لذلك علل تصليته عليهم بقوله:« لِیُخْرِجَکُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ وَ کانَ بِالْمُؤْمِنِینَ رَحِیماً ».

و قد رتب سبحانه فى كلامه على نسيانهم له نسيانه لهم و على ذكرهم له ذكره لهم فقال: «نَسُوا اللّهَ فَنَسِیَهُمْ» ، :التوبه:۶۷ و قال: «فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ» :البقره:۱۵۲ و تصليته عليهم ذكر منه لهم بـالرحمه فإن ذكروه كثيرا و سبحوه بكره و أصيلا صلى عليهم كثيرا و غشيهم بالنور و أبعدهم من الظلمات.

و من هنا يظهر أن قوله:« هُوَ الَّذِی یُصَلِّی عَلَیْکُمْ »إلخ،فى مقام التعليل لقوله:

« یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا اللّهَ ذِکْراً کَثِیراً »و تفيد التعليل أنكم إن ذكرتم الله كثيرا ذكركم برحمته كثيرا و بالغ فى إخراجكم من الظلمات إلى النور و يستفاد منه أن الظلمات إنما هى ظلمات النسيان و الغفله و النور نور الذكر.

و قوله:« وَ کانَ بِالْمُؤْمِنِینَ رَحِیماً »وضع الظاهر موضع المضمر، أعنى قوله:

« بِالْمُؤْمِنِینَ »و لم يقل:و كان بكم رحيما،ليدل به على سبب الرحمه و هو وصف الإيمان.

قوله تعالى:« تَحِیَّتُهُمْ یَوْمَ یَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً کَرِیماً »ظاهر السياق أن« تَحِیَّتُهُمْ »مصدر مضاف إلى المفعول أى إنهم يحيون-بالبناء للمفعول-يوم يلقون ربهم من عند ربهم و من ملائكته بالسلام أى إنهم يوم اللقاء فى أمن و سلام لا يصيبهم مكروه و لا يمسهم عذاب.

و قوله:« وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً کَرِیماً »أى و هيأ الله لهم ثوابا جزيلا.

قوله تعالى:« یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِنّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً »شهادته(ص)

على الأعمال أن يتحملها فى هذه النشأه و يؤديها يوم القيامه و قد تقدم فى قوله: «لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» ، :البقره:١١٢ و غيره من آيات الشهاده أنه(ص)شهيد الشهداء.

و كونه مبشرا و نذيرا تبشيره المؤمنين المطيعين لله و رسوله بثواب الله و الجنه و إنذاره الكافرين و العاصين بعذاب الله و النار.

قوله تعالى:« وَ دٰاعِياً إِلَى اللّٰهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرٰاجاً مُنِيراً »دعوته إلى الله هى دعوته الناس إلى الإيمان بالله وحده،و لازمه الإيمان بدين الله و تقيد الدعوه بإذن الله يجعلها مساوقه للبعثه.

و كونه(ص)سراجا منيرا هو كونه بحيث يهتدى به الناس إلى سعادتهم و ينجون من ظلمات الشقاء و الضلاله فهو من الاستعاره،و قول بعضهم:إن المراد بالسراج المنير القرآن و التقدير ذا سراج منير تكلف من غير موجب.

قوله تعالى:« وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ فَضْلاً كَبِيراً »، الفضل من العطاء ما كان من غير استحقاق ممن يأخذه و قد وصف الله عطاءه فقال: «مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا» ، :الأنعام:١۶٠ و قال: «لَهُمْ مٰا يَشٰاؤُنَ فِيهٰا وَ لَدَيْنٰا مَزِيدٌ» ، :ق:٣۵ فبين أنه يعطى من الثواب ما لا يقابل العمل و هو الفضل و لا دليل فى الآيه يدل على اختصاصه بالآخره.

قوله تعالى:« وَ لاٰ تُطِعِ الْكٰافِرِينَ وَ الْمُنٰافِقِينَ وَ دَعْ أَذٰاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ »إلخ، تقدم معنى طاعه الكافرين و المنافقين فى أول السوره.

و قوله:« وَ دَعْ أَذٰاهُمْ »أى اترك ما يؤذونك بالإعراض عنه و عدم الاشتغال به و الدليل على هذا المعنى قوله:« وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ »أى لا تستقل بنفسك فى دفع أذاهم بل اجعل الله وكيلا فى ذلك و كفى بالله وكيلا.

(بحث روائى)

فى الكافى،بإسناده عن ابن القداح عن أبى عبد الله(ع)قال: ما من شىء إلا

و له حد ينتهى إليه إلا الذكر-فليس له حد ينتهى إليه-فرض الله عز و جل الفرائض-فمن أداهن فهو حدهن-و شهر رمضان فمن صامه فهو حده-و الحج فمن حج فهو حده إلا الذكر-فإن الله عز و جل لم يرض منه بالقليل-و لم يجعل له حدا ينتهى إليه-ثم تلا:

«يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْراً كَثِيراً- وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً »فقال:لم يجعل الله له حدا ينتهى إليه-.

قال:و كان أبى كثير الذكر-لقد كنت أمشى معه و إنه ليذكر الله و آكل معه الطعام-و إنه ليذكر الله و لقد كان يحدث القوم ما يشغله ذلك-عن ذكر الله و كنت أرى لسانا لازقا بحنكه يقول:لا إله إلا الله-.

و كان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس-و يأمر بالقراءه من كان يقرأ منا و من كان لا يقرأ منا أمره بالذكر،و البيت الذى يقرأ فيه القرآن و يذكر الله عز و جل فيه يكثر بركته و يحضره الملائكه و يهجره الشياطين-و يضىء لأهل السماء كما يضىء الكوكب لأهل الأرض-و البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن-و لا يذكر الله يقل بركته و يهجره الملائكه و يحضره الشياطين.

و قال رسول الله ص:أ لا أخبركم بخير أعمالكم-أرفعها فى درجاتكم و أزكاها عند مليككم-و خير لكم من الدينار و الدرهم-و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم و يقتلوكم؟فقالوا:بلى.قال:ذكر الله عز و جل كثيرا-.

ثم قال:جاء رجل إلى النبى ص فقال:من خير أهل المسجد؟فقال:

أكثرهم لله ذكرا-.

و قال رسول الله ص:من أعطى لسانا ذاكرا-فلقد أعطى خير الدنيا و الآخره.

و قال فى قوله تعالى:« وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ »قال:لا تستكثر ما عملت من خير لله.

و فيه،بإسناده عن أبى المعزى رفعه قال:قال أمير المؤمنين(ع): من ذكر الله فى السر فقد ذكر الله كثيرا-إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانيه-و لا يذكرونه فى السر فقال الله عز و جل:« يُرٰاؤُنَ النّٰاسَ وَ لاٰ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ إِلاّٰ قَلِيلاً ».

أقول:و هو استفاده لطيفه.

و فى الخصال،عن زيد الشحام قال:قال أبو عبد الله(ع): ما ابتلى المؤمن

بشیء أشد علیه من ثلاث خصال یحرمها.قیل:و ما هی؟قال:المواساه فی ذات یده، و الإنصاف من نفسه،و ذکر الله کثیرا.أما إنی لا أقول:سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أکبر و إن کان منه-و لکن ذکر الله عند ما أحل له و ذکر الله عند ما حرم علیه.

و فی الدر المنثور،أخرج أحمد و الترمذی و البیهقی عن أبی سعید الخدری: أن رسول الله ص سئل-أی العباد أفضل درجه عند الله یوم القیامه؟قال:الذاکرون الله کثیرا.قلت:یا رسول الله و من الغازی فی سبیل الله؟قال:لو ضرب بسیفه فی الکفار و المشرکین-حتی ینکسر و یختضب دما-لکان الذاکرون الله أفضل درجه منه.

و فی العلل،بإسناده عن عبد الله بن الحسن عن أبیه عن جده الحسن بن علی(ع) قال: جاء نفر من الیهود إلی رسول الله ص-فسأله أعلمهم فیما سأله فقال:لأی شیء سمیت محمدا و أحمد و أبا القاسم و بشیرا و نذیرا و داعیا؟فقال(ص):أما الداعی فإنی أدعو الناس إلی دین ربی عز و جل،و أما النذیر فإنی أنذر بالنار من عصانی،و أما البشیر فإنی أبشر بالجنه من أطاعنی. الحدیث.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله:«یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِنّا أَرْسَلْناکَ -إلی قوله وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ وَ کَفی بِاللّهِ وَکِیلاً »أنها نزلت بمکه قبل الهجره بخمس سنین.

[سوره الأحزاب (۳۳): الآیات ۴۹ الی ۶۲]

اشاره

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا نَکَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَکُمْ عَلَیْهِنَّ مِنْ عِدَّهٍ تَعْتَدُّونَها فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِیلاً (۴۹) یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِنّا أَحْلَلْنا لَکَ أَزْواجَکَ اللاّتِی آتَیْتَ أُجُورَهُنَّ وَ ما مَلَکَتْ یَمِینُکَ مِمّا أَفاءَ اللّهُ عَلَیْکَ وَ بَناتِ عَمِّکَ وَ بَناتِ عَمّاتِکَ وَ بَناتِ خالِکَ وَ بَناتِ خالاتِکَ اللاّتِی هاجَرْنَ مَعَکَ وَ امْرَأَهً مُؤْمِنَهً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِیِّ إِنْ أَرادَ النَّبِیُّ أَنْ یَسْتَنْکِحَها خالِصَهً لَکَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَیْهِمْ فِی أَزْواجِهِمْ وَ ما مَلَکَتْ أَیْمانُهُمْ لِکَیْلا یَکُونَ عَلَیْکَ حَرَجٌ وَ کانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِیماً (۵۰) تُرْجِی مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِی إِلَیْکَ مَنْ تَشاءُ وَ مَنِ ابْتَغَیْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَیْکَ ذلِکَ أَدْنی أَنْ تَقَرَّ أَعْیُنُهُنَّ وَ لا یَحْزَنَّ وَ یَرْضَیْنَ بِما آتَیْتَهُنَّ کُلُّهُنَّ وَ اللّهُ یَعْلَمُ ما فِی قُلُوبِکُمْ وَ کانَ اللّهُ عَلِیماً حَلِیماً (۵۱) لا یَحِلُّ لَکَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَکَ حُسْنُهُنَّ إِلاّ ما مَلَکَتْ یَمِینُکَ وَ کانَ اللّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ رَقِیباً (۵۲) یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُیُوتَ النَّبِیِّ إِلاّ أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ إِلی طَعامٍ غَیْرَ ناظِرِینَ إِناهُ وَ لکِنْ إِذا دُعِیتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِینَ لِحَدِیثٍ إِنَّ ذلِکُمْ کانَ یُؤْذِی النَّبِیَّ فَیَسْتَحْیِی مِنْکُمْ وَ اللّهُ لا یَسْتَحْیِی مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِکُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِکُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما کانَ لَکُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ وَ لا أَنْ تَنْکِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِکُمْ کانَ عِنْدَ اللّهِ عَظِیماً (۵۳) إِنْ تُبْدُوا شَیْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللّهَ کانَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً (۵۴) لا جُناحَ عَلَیْهِنَّ فِی آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَکَتْ أَیْمانُهُنَّ وَ اتَّقِینَ اللّهَ إِنَّ اللّهَ کانَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیداً (۵۵) إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِیماً (۵۶) إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِیناً (۵۷) وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً (۵۸) یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ وَ بَناتِکَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِینَ یُدْنِینَ عَلَیْهِنَّ مِنْ جَلاَبِیبِهِنَّ ذلِکَ أَدْنی أَنْ یُعْرَفْنَ فَلا

يُؤْذَيْنَ وَ كَانَ اَللّهُ غَفُوراً رَحِيماً (۵۹) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ اَلْمُنافِقُونَ وَ اَلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ اَلْمُرْجِفُونَ فِى اَلْمَدِينَهِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاٰ يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلاّ قَلِيلاً (۶۰) مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً (۶۱) سُنَّهَ اَللّهِ فِى اَلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اَللّهِ تَبْدِيلاً (۶۲)

(بیان)

تتضمن الآیات أحکاما متفرقه بعضها خاصه بالنبی ص و أزواجه و بعضها عامه.

قوله تعالی:« یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا نَکَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَکُمْ عَلَیْهِنَّ مِنْ عِدَّهٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِیلاً »المراد بنکاحهن العقد علیهن بالنکاح،و بالمس الدخول،و بالتمتیع إعطاؤهن شیئا من المال یناسب شأنهن و حالهن و التسریح بالجمیل إطلاقهن من غیر خصومه و خشونه.

و المعنی:إذا طلقتم النساء بعد النکاح و قبل الدخول فلا عده لهن للطلاق و یجب

ص :۳۳۴

تمتیعهن بشیء من المال و السراح الجمیل.

و الآیه مطلقه تشمل ما إذا فرض لهن فریضه المهر و ما إذا لم یفرض فیقیدها قوله:

«وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِیضَهً فَنِصْفُ مٰا فَرَضْتُمْ» ، :البقره:

۲۳۷ و تبقی حجه فیما لم یفرض لهن فریضه.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِنّٰا أَحْلَلْنٰا لَکَ أَزْوٰاجَکَ اللاّٰتِی آتَیْتَ أُجُورَهُنَّ »إلی آخر الآیه،یذکر سبحانه لنبیه(ص) بالإحلال سبعه أصناف من النساء:الصنف الأول ما فی قوله:« أَزْوٰاجَکَ اللاّٰتِی آتَیْتَ أُجُورَهُنَّ »و المراد بالأجور المهور،و الثانی ما فی قوله:« وَ مٰا مَلَکَتْ یَمِینُکَ مِمّٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلَیْکَ »أی من یملکه من الإماء الراجعه إلیه من الغنائم و الأنفال،و تقیید ملک الیمین بکونه مما أفاء الله علیه کتقیید الأزواج بقوله:« اَللاّٰتِی آتَیْتَ أُجُورَهُنَّ »للتوضیح لا للاحتراز.

و الثالث و الرابع ما فی قوله:« وَ بَنٰاتِ عَمِّکَ وَ بَنٰاتِ عَمّٰاتِکَ »قیل:یعنی نساء قریش،و الخامس و السادس ما فی قوله:« وَ بَنٰاتِ خٰالِکَ وَ بَنٰاتِ خٰالاٰتِکَ »قیل:یعنی نساء بنی زهره،و قوله:« اَللاّٰتِی هٰاجَرْنَ مَعَکَ »قال فی المجمع:،هذا إنما کان قبل تحلیل غیر المهاجرات ثم نسخ شرط الهجره فی التحلیل.

و السابع ما فی قوله:« وَ امْرَأَهً مُؤْمِنَهً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهٰا لِلنَّبِیِّ إِنْ أَرٰادَ النَّبِیُّ أَنْ یَسْتَنْکِحَهٰا »و هی المرأه المسلمه التی بذلت نفسها للنبی ص بمعنی أن ترضی أن یتزوج بها من غیر صداق و مهر فإن الله أحلها له إن أراد أن یستنکحها،و قوله:

« خٰالِصَهً لَکَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ »إیذان بأن هذا الحکم-أی حلیه المرأه للرجل ببذل النفس-من خصائصه لا یجری فی المؤمنین،و قوله بعده:« قَدْ عَلِمْنٰا مٰا فَرَضْنٰا عَلَیْهِمْ فِی أَزْوٰاجِهِمْ وَ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُهُمْ »تقریر لحکم الاختصاص.

و قوله:« لِکَیْلاٰ یَکُونَ عَلَیْکَ حَرَجٌ »تعلیل لقوله فی صدر الآیه:« إِنّٰا أَحْلَلْنٰا لَکَ »أو لما فی ذیلها من حکم الاختصاص و الأول أظهر و قد ختمت الآیه بالمغفره و الرحمه.

قوله تعالی:« تُرْجِی مَنْ تَشٰاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِی إِلَیْکَ مَنْ تَشٰاءُ »إلخ، الإرجاء التأخیر و التبعید،و هو کنایه عن الرد،و الإیواء: الإسکان فی المکان و هو کنایه عن القبول و الضم إلیه.

و السیاق یدل علی أن المراد به أنه(ص)علی خیره من قبول من وهبت نفسها له أو رده.

و قوله:« وَ مَنِ ابْتَغَیْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکَ »، الابتغاء هو الطلب أی و من طلبتها من اللاتی عزلتها و لم تقبلها فلا إثم علیک و لا لؤم أی یجوز لک أن تضم إلیک من عزلتها و رددتها من النساء اللاتی وهبن أنفسهن لک بعد العزل و الرد.

و یمکن أن یکون إشاره إلی أن له(ص)أن یقسم بین نسائه و أن یترک القسم فیؤخر من یشاء منهن و یقدم من یشاء و یعزل بعضهن من القسم فلا یقسم لها أو یبتغیها فیقسم لها بعد العزل و هو أوفق لقوله بعده:« وَ مَنِ ابْتَغَیْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَیْکَ ذٰلِکَ أَدْنیٰ -أی أقرب- أَنْ تَقَرَّ أَعْیُنُهُنَّ -أی یسررن- وَ لاٰ یَحْزَنَّ وَ یَرْضَیْنَ بِمٰا آتَیْتَهُنَّ کُلُّهُنَّ وَ اللّٰهُ یَعْلَمُ مٰا فِی قُلُوبِکُمْ »و ذلک لسرور المتقدمه بما قسمت له و رجاء المتأخره أن تتقدم بعد.

و قوله:« وَ کٰانَ اللّٰهُ عَلِیماً حَلِیماً »أی یعلم مصالح عباده و لا یعاجل فی العقوبه.

و فی الآیه أقوال مختلفه أخر و الذی أوردناه هو الأوفق لوقوعها فی سیاق سابقتها متصله بها و به وردت الأخبار عن أئمه أهل البیت(ع)کما سیجیء.

قوله تعالی:« لاٰ یَحِلُّ لَکَ النِّسٰاءُ مِنْ بَعْدُ وَ لاٰ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوٰاجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَکَ حُسْنُهُنَّ »إلخ،ظاهر الآیه لو فرضت مستقله فی نفسها غیر متصله بما قبلها تحریم النساء له(ص)إلا من خیرهن فاخترن الله و نفی جواز التبدل بهن یؤید ذلک.

لکن لو فرضت متصله بما قبلها و هو قوله:« إِنّٰا أَحْلَلْنٰا لَکَ »إلخ،کان مدلولها تحریم ما عدا المعدودات و هی الأصناف السته التی تقدمت.

و فی بعض الروایات عن بعض أئمه أهل البیت(ع)أن المراد بالآیه محرمات النساء المعدوده فی قوله: «حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهٰاتُکُمْ وَ بَنٰاتُکُمْ» XالآیهX:النساء:۲۳.

فقوله:« لاٰ یَحِلُّ لَکَ النِّسٰاءُ مِنْ بَعْدُ »أی من بعد اللاتی اخترن الله و رسوله و هی التسعه علی المعنی الأول أو من بعد من عددناه فی قولنا:« إِنّٰا أَحْلَلْنٰا لَکَ »علی المعنی الثانی أو من بعد المحللات و هی المحرمات علی المعنی الثالث.

و قوله:« وَ لاٰ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوٰاجٍ »أی أن تطلق بعضهن و تزوج مکانها

من غيرهن،و قوله:« إِلاّ مٰا مَلَكَتْ يَمِينُكَ »يعنى الإماء و هو استثناء من قوله فى صدر الآيه« لاٰ يَحِلُّ لَكَ النِّسٰاءُ ».

و قوله:« وَ كٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً »معناه ظاهر و فيه تحذير عن المخالفه.

قوله تعالى:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاّٰ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ -إلى قوله- مِنَ الْحَقِّ »بيان لأدب الدخول فى بيوت النبى ص،و قوله:« إِلاّٰ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ »استثناء من النهى،و قوله:« إِلىٰ طَعٰامٍ »متعلق بالإذن،و قوله:« غَيْرَ نٰاظِرِينَ إِنٰاهُ »أى غير منتظرين لورود إناء الطعام بأن تدخلوا من قبل فتطيلوا المكث فى انتظار الطعام و يبينه قوله:« وَ لٰكِنْ إِذٰا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذٰا طَعِمْتُمْ -أى أكلتم- فَانْتَشِرُوا »، و قوله:« وَ لاٰ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ »عطف على قوله:« غَيْرَ نٰاظِرِينَ إِنٰاهُ » و هو حال بعد حال،أى غير ماكثين فى حال انتظار الإناء قبل الطعام و لا فى حال الاستئناس لحديث بعد الطعام.

و قوله:« إِنَّ ذٰلِكُمْ كٰانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ »تعليل للنهى أى لا تمكثوا كذلك لأن مكثكم ذلك كان يتأذى منه النبى فيستحيى منكم أن يسألكم الخروج و قوله:« وَ اللّٰهُ لاٰ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ »أى من بيان الحق لكم و هو ذكر تأذيه و التأديب بالأدب اللائق.

قوله تعالى:« وَ إِذٰا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتٰاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرٰاءِ حِجٰابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ »،ضمير« سَأَلْتُمُوهُنَّ »لأزواج النبى ص و سؤالهن متاعا كنايه عن تكليمهن لحاجه أى إذا مست الحاجه إلى تكليمكم أزواج النبى ص فكلموهن من وراء حجاب،و قوله:« ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ »بيان لمصلحه الحكم.

قوله تعالى:« وَ مٰا كٰانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ وَ لاٰ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوٰاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً »إلخ،أى ليس لكم إيذاؤه بمخالفه ما أمرتم فى نسائه و فى غير ذلك و ليس لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم أى نكاحكم أزواجه من بعده كان عند الله عظيما،و فى الآيه إشعار بأن بعضهم ذكر ما يشير إلى نكاحهم أزواجه بعده و هو كذلك كما سيأتى فى البحث الروائى الآتى.

قوله تعالى:« إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً »معناه ظاهر و هو فى الحقيقه تنبيه تهديدى لمن كان يؤذى النبى ص أو يذكر نكاح أزواجه من بعده.

قوله تعالى:« لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ »إلى آخر الآيه ضمير« عَلَيْهِنَّ »لنساء النبى ص،و الآيه فى معنى الاستثناء من عموم حكم الحجاب و قد استثنى الآباء و الأبناء و الإخوان و أبناء الإخوان و أبناء الأخوات و هؤلاء محارم،قيل:و لم يذكر الأعمام و الأخوال لأنهم من الممكن أن يصفوهن لأبنائهم.

و استثنى أيضا نساءهن و إضافه النساء إلى ضمير هن يلوح إلى أن المراد النساء المؤمنات دون الكوافر كما مر فى قوله تعالى: «أَوْ نِسائِهِنَّ» ، :النور:۳۱ و استثنى أيضا ما ملكت أيمانهن من العبيد و الإماء.

و قوله:« وَ اتَّقِينَ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً »فيه تأكيد الحكم و خاصه من جهه الالتفات من الغيبه إلى الخطاب فى« اِتَّقِينَ اللّهَ ».

قوله تعالى:« إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً »قد تقدم أن أصل الصلاه الانعطاف فصلاته تعالى انعطافه عليه بالرحمه انعطافا مطلقا لم يقيد فى الآيه بشىء دون شىء و كذلك صلاه الملائكه عليه انعطاف عليه بالتزكيه و الاستغفار و هى من المؤمنين الدعاء بالرحمه.

و فى ذكر صلاته تعالى و صلاه ملائكته عليه قبل أمر المؤمنين بالصلاه عليه دلاله على أن فى صلاه المؤمنين له اتباعا لله سبحانه و ملائكته و تأكيدا للنهى الآتى.

و قد استفاضت الروايات من طرق الشيعه و أهل السنه أن طريق صلاه المؤمنين أن يسألوا الله تعالى أن يصلى عليه و آله.

قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً »من المعلوم أن الله سبحانه منزه من أن يناله الأذى و كل ما فيه وصمه النقص و الهوان فذكره مع الرسول و تشريكه فى إيذائه تشريف للرسول و إشاره إلى أن من قصد رسوله بسوء فقد قصده أيضا بالسوء إذ ليس للرسول بما أنه رسول إلا ربه فمن قصده فقد قصد ربه.

و قد أوعدهم باللعن فی الدنیا و الآخره و اللعن هو الإبعاد من الرحمه و الرحمه الخاصه بالمؤمنین هی الهدایه إلی الاعتقاد الحق و حقیقه الإیمان،و یتبعه العمل الصالح فالإبعاد من الرحمه فی الدنیا تحریمه علیه جزاء لعمله فیرجع إلی طبع القلوب کما قال: «لَعَنّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِیَهً» ، :المائده:۱۳ و قال: «وَ لکِنْ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِکُفْرِهِمْ فَلا یُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِیلاً» ، :النساء:۴۶ و قال: «أُولئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمی أَبْصارَهُمْ» :سوره محمد:۲۳.

و أما اللعن فی الآخره فهو الإبعاد من رحمه القرب فیها و قد قال تعالی: «کَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» :المطففین:۱۵.

ثم أوعدهم بأنه أعد لهم-أی فی الآخره-عذابا مهینا و وصف العذاب بالمهین لأنهم یقصدون باستکبارهم فی الدنیا إهانه الله و رسوله فقوبلوا فی الآخره بعذاب یهینهم.

قوله تعالی:« وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً »تقیید إیذائهم بغیر ما اکتسبوا لأن إیذاءهم بما اکتسبوا کما فی القصاص و الحد و التعزیر لا إثم فیه.

و أما إیذاؤهم بغیر ما اکتسبوا و من دون استحقاق فیعده سبحانه احتمالا للبهتان و الإثم المبین،و البهتان هو الکذب علی الغیر یواجهه به،و وجه کون الإیذاء من غیر اکتساب بهتانا أن المؤذی إنما یؤذی لسبب عنده یعده جرما له یقول:لم قال کذا؟ لم فعل کذا؟و لیس بجرم فیبهته عند الإیذاء بنسبه الجرم إلیه مواجهه و لیس بجرم.

و کونه إثما مبینا لأن الافتراء و البهتان مما یدرک العقل کونه إثما من غیر حاجه إلی ورود النهی عنهما شرعا.

قوله تعالی:« یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ وَ بَناتِکَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِینَ یُدْنِینَ عَلَیْهِنَّ مِنْ جَلاَبِیبِهِنَّ »إلخ، الجلابیب جمع جلباب و هو ثوب تشتمل به المرأه فیغطی جمیع بدنها أو الخمار الذی تغطی به رأسها و وجهها.

و قوله:« یُدْنِینَ عَلَیْهِنَّ مِنْ جَلاَبِیبِهِنَّ »أی یتسترن بها فلا تظهر جیوبهن و صدورهن للناظرین.

و قوله:« ذلِکَ أَدْنی أَنْ یُعْرَفْنَ فَلا یُؤْذَیْنَ »أی ستر جمیع البدن أقرب إلی أن

يعرفن أنهن أهل الستر و الصلاح فلا يؤذين أى لا يؤذيهن أهل الفسق بالتعرض لهن.

و قيل:المعنى ذلك أقرب من أن يعرفن أنهن مسلمات حرائر فلا يتعرض لهن بحسبان أنهن إماء أو من غير المسلمات من الكتابيات أو غيرهن و الأول أقرب.

قوله تعالى:« لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنٰافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ »إلخ، الانتهاء عن الشىء الامتناع و الكف عنه،و الإرجاف إشاعه الباطل للاغتمام به و إلقاء الاضطراب بسببه،و الإغراء بالفعل التحريض عليه.

و المعنى:أقسم لئن لم يكف المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض عن الإفساد و الذين يشيعون الأخبار الكاذبه فى المدينه لإلقاء الاضطراب بين المسلمين لنحرضنك عليهم ثم يجاورونك فى المدينه بسبب نفيهم عنها إلا زمانا قليلا و هو ما بين صدور الأمر و فعليه إجرائه.

قوله تعالى:« مَلْعُونِينَ أَيْنَمٰا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً » الثقف إدراك الشىء و الظفر به،و الجمله حال من المنافقين و من عطف عليهم أى حال كونهم ملعونين أينما وجدوا أخذوا و بولغ فى قتلهم فعمهم القتل.

قوله تعالى:« سُنَّةَ اللّٰهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلاً » السنه هى الطريقه المعموله التى تجرى بطبعها غالبا أو دائما.

يقول سبحانه هذا النكال الذى أوعدنا به المنافقين و من يحذو حذوهم من النفى و القتل الذريع هى سنه الله التى جرت فى الماضين فكلما بالغ قوم فى الإفساد و إلقاء الاضطراب بين الناس و تمادوا و طغوا فى ذلك أخذناهم كذلك و لن تجد لسنه الله تبديلا فتجرى فيكم كما جرت فى الأمم من قبلكم.

(بحث روائى)

فى الفقيه،روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر(ع): فى قول الله عز و جل:

« ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمٰا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهٰا فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَرٰاحاً جَمِيلاً »قال:متعوهن أى أجملوهن بما قدرتم عليه من معروف

فإنهن يرجعن بكآبه و وحشه و هم عظيم و شماته من أعدائهن-فإن الله كريم يستحيى و يحب أهل الحياء إن أكرمكم أشدكم إكراما لحلائلهم.

و فى الكافى،بإسناده عن الحلبى عن أبى عبد الله(ع): فى رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها.قال:عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئا-و إن لم يكن فرض لها فليمتعها-على نحو ما يمتع به مثلها من النساء.

أقول:و الروايات فى هذا المعنى كثيره و هى مبنيه على تخصيص الآيه بآيه البقره كما تقدم فى تفسير الآيه.

و فى الدر المنثور،أخرج عبد بن حميد عن حبيب بن ثابت قال: جاء رجل إلى على بن الحسين فسأله عن رجل-قال:إن تزوجت فلانه فهى طالق-قال:ليس بشىء بدأ الله بالنكاح قبل الطلاق-فقال:« يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنٰاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ »:

أقول:و رواه فى المجمع،عن حبيب بن ثابت عنه(ع) .

و فيه،أخرج ابن ماجه و ابن مردويه عن المسور بن مخرمه عن النبى ص قال:

لا طلاق قبل نكاح و لا عتق قبل ملك:

أقول:و روى مثله عن جابر و عائشه عنه(ص) .

و فى الكافى،بإسناده عن الحضرمى عن أبى جعفر(ع)و بإسناده عن الحلبى عن أبى عبد الله(ع): فى قول الله عز و جل:« يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّٰا أَحْلَلْنٰا لَكَ أَزْوٰاجَكَ »كم أحل له من النساء؟قال:ما شاء من شىء.

و فيه،بإسناده عن الحلبى عن أبى عبد الله(ع)قال: قلت:« لاٰ يَحِلُّ لَكَ النِّسٰاءُ مِنْ بَعْدُ وَ لاٰ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوٰاجٍ »؟فقال:لرسول الله ص-أن ينكح ما شاء من بنات عمه و بنات عماته-و بنات خاله و بنات خالاته و أزواجه اللاتى هاجرن معه-.

و أحل له أن ينكح من عرض المؤمنين-بغير مهر و هى الهبه-و لا تحل الهبه إلا لرسول الله ص-فأما لغير رسول الله فلا يصلح نكاح إلا بمهر-و ذلك معنى قوله تعالى:

« وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهٰا لِلنَّبِيِّ »

و فى الدر المنثور،أخرج ابن سعد و ابن أبى شيبه و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و الطبرانى عن على بن الحسين: فى قوله:« وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً »هى أم شريك الأزديه التى وهبت نفسها للنبى ص.

أقول:و روی أنها خوله بنت الحکیم و أنها لیلی بنت الخطیم و أنها میمونه، و الظاهر أن الواهبه نفسها عده من النساء.

و فی الکافی،مسندا عن محمد بن قیس عن أبی جعفر(ع)قال: جاءت امرأه من الأنصار إلی رسول الله ص-فقالت:یا رسول الله إن المرأه لا تخطب الزوج-و أنا امرأه أیم لا زوج لی منذ دهر-و لا ولد فهل لک من حاجه؟فإن تک فقد وهبت نفسی لک إن قبلتنی.فقال لها رسول الله خیرا و دعا لها.

ثم قال:یا أخت الأنصار-جزاکم الله عن رسول الله خیرا-فقد نصرنی رجالکم و رغبت فی نساؤکم. فقالت لها حفصه:ما أقل حیاءک و أجرأک و أنهمک للرجال.

فقال رسول الله:کفی عنها یا حفصه-فإنها خیر منک رغبت فی رسول الله و لمتها و عبتها.

ثم قال للمرأه:انصرفی رحمک الله-فقد أوجب الله لک الجنه-لرغبتک فی و تعرضک لمحبتی و سروری-و سیأتیک أمری إن شاء الله،فأنزل الله عز و جل« وَ امْرَأَهً مُؤْمِنَهً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهٰا لِلنَّبِیِّ-إِنْ أَرٰادَ النَّبِیُّ أَنْ یَسْتَنْکِحَهٰا خٰالِصَهً لَکَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ »قال:

فأحل الله عز و جل هبه المرأه نفسها للنبی ص-و لا یحل ذلک لغیره.

و فی المجمع، و قیل:إنها لما وهبت نفسها للنبی ص-قالت عائشه:ما بال النساء یبذلن أنفسهن بلا مهر؟فنزلت الآیه،فقالت عائشه:ما أری الله إلا یسارع فی هواک، فقال رسول الله ص:فإنک إن أطعت الله سارع فی هواک.

و فی المجمع،: فی قوله تعالی:« تُرْجِی مَنْ تَشٰاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِی إِلَیْکَ مَنْ تَشٰاءُ »قال أبو جعفر و أبو عبد الله(ع).من أرجی لم ینکح و من آوی فقد نکح.

و فی الکافی،بإسناده عن الحضرمی عن أبی جعفر(ع): فی قول الله عز و جل:

« لاٰ یَحِلُّ لَکَ النِّسٰاءُ مِنْ بَعْدُ »فقال:إنما عنی به-لا یحل لک النساء التی حرم الله علیک فی هذه الآیه« حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهٰاتُکُمْ وَ بَنٰاتُکُمْ-وَ أَخَوٰاتُکُمْ وَ عَمّٰاتُکُمْ وَ خٰالاٰتُکُمْ » إلی آخرها.

و لو کان الأمر کما یقولون-کان قد أحل لکم ما لم یحل له-لأن أحدکم یستبدل کلما أراد و لکن الأمر لیس کما یقولون-إن الله عز و جل أحل لنبیه(ص)-أن ینکح من النساء ما أراد إلا ما حرم فی هذه الآیه فی سوره النساء.

و فی الـدر المنثور،أخرج عبـد بن حمید و ابن المنذر و ابن أبی حاتم من طریق علی بن زید عن الحسن: فی قوله:« وَ لاٰ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوٰاجٍ »قال:قصره الله علی نسائه التسع اللاتی مات عنهن.

قال علی فأخبرت علی بن الحسین فقال:لو شاء تزوج غیرهن.و لفظ عبد بن حمید فقال:بل کان له أیضا أن یتزوج غیرهن.

و فی تفسیر القمی،":و أما قوله عز و جل یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا-لاٰ تَدْخُلُوا بُیُوتَ النَّبِیِّ إِلاّٰ أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ »فإنه لما أن تزوج رسول الله ص بزینب بنت جحش-و کان یحبها فأولم و دعا أصحابه-فکان أصحابه إذا أکلوا یحبون أن یتحدثوا عند رسول الله ص،و کان یحب أن یخلو مع زینب فأنزل الله عز و جل.« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَدْخُلُوا بُیُوتَ النَّبِیِّ إِلاّٰ أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ »و ذلک أنهم کانوا یدخلون بلا إذن فقال عز و جل:« إِلاّٰ أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ -إلی قوله -مِنْ وَرٰاءِ حِجٰابٍ »:

أقول:و روی تفصیل القصه عن أنس بطرق مختلفه.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن سعد عن صالح بن کیسان قال": نزل حجاب رسول الله علی نسائه فی ذی القعده سنه خمس من الهجره.

أقول:و رواها أیضا ابن سعد عن أنس و فیه: أن السنه کانت مبتنی رسول الله ص بزینب.

و فیه،":فی قوله تعالی:« وَ مٰا کٰانَ لَکُمْ أَنْ تُؤْذُوا »الآیه":أخرج ابن أبی حاتم عن السدی قال": بلغنا أن طلحه بن عبید الله قال:أ یحجبنا محمد عن بنات عمنا و یتزوج نساءنا من بعدنا؟لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده فنزلت الآیه.

أقول:و قد وردت بذلک عده من الروایات و فی بعضها أنه کان یرید عائشه و أم سلمه.

و فی ثواب الأعمال،عن أبی المعزی عن أبی الحسن(ع)فی حدیث قال: قلت:

ما معنی صلاه الله و صلاه ملائکته و صلاه المؤمن؟قال:صلاه الله رحمه من الله،و صلاه الملائکه تزکیه منهم له،و صلاه المؤمنین دعاء منهم له.

و فی الخصال،عن أمیر المؤمنین(ع)فی حدیث الأربعمائه قال: صلوا علی محمد

و آل محمـد-فإن الله تعالی یقبل دعاءکم عند ذکر محمد-و دعاءکم و حفظکم إیاه إذا قرأتم- « إِنَّ اللّٰهَ وَ مَلاٰئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ »فصلوا علیه فی الصلاه کنتم أو فی غیرها.

و فی الدر المنثور،أخرج عبد الرزاق و ابن أبی شیبه و أحمد و عبد بن حمید و البخاری و مسلم و أبو داود و الترمذی و النسائی و ابن ماجه و ابن مردویه عن کعب بن عجره قال: قال رجل:یا رسول الله-أما السلام علیک فقد علمناه فکیف الصلاه علیک؟قال:قل:اللهم صل علی محمد و علی آل محمد-کما صلیت علی إبراهیم و آل إبراهیم إنک حمید مجید-اللهم بارک علی محمد و علی آل محمد-کما بارکت علی إبراهیم و آل إبراهیم إنک حمید مجید.

أقول:و قد أورد ثمانی عشره حدیثا غیر هذه الروایه تدل علی تشریک آل النبی معه فی الصلاه روتها أصحاب السنن و الجوامع عن عده من الصحابه منهم ابن عباس و طلحه و أبو سعید الخدری و أبو هریره و أبو مسعود الأنصاری و بریده و ابن مسعود و کعب بن عجره و علی(ع)و أما روایات الشیعه فهی فوق حد الإحصاء.

و فیه،أخرج أحمد و الترمذی عن الحسن بن علی أن رسول الله ص قال:

البخیل من ذکرت عنده فلم یصل علی.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْوٰاجِکَ وَ بَنٰاتِکَ وَ نِسٰاءِ الْمُؤْمِنِینَ-یُدْنِینَ عَلَیْهِنَّ مِنْ جَلاَبِیبِهِنَّ »فإنه کان سبب نزولها أن النساء کن یخرجن إلی المسجد-و یصلین خلف رسول الله ص-فإذا کان اللیل و خرجن إلی صلاه المغرب و العشاء الآخره-یقعد الشباب لهن فی طریقهن فیؤذونهن و یتعرضون لهن-فأنزل الله:

« یٰا أَیُّهَا النَّبِیُّ »الآیه.

و فی الدر المنثور،أخرج عبد الرزاق و عبد بن حمید و أبو داود و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه عن أم سلمه قالت":لما نزلت هذه الآیه« یُدْنِینَ عَلَیْهِنَّ مِنْ جَلاَبِیبِهِنَّ »خرج نساء الأنصار کأن علی رءوسهن الغربان-من أکسیه سود یلبسنها.

و فی تفسیر القمی،":فی قوله تعالی:« لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ الْمُنٰافِقُونَ »نزلت فی قوم منافقین کانوا فی المدینه-یرجفون برسول الله ص إذا خرج فی بعض غزواته-یقولون:قتل و أسر فیغتم المسلمون لذلک-و یشکون إلی رسول الله ص-فأنزل الله عز و جل فی ذلک« لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ -إلی قوله- إِلاّٰ قَلِیلاً »أی نأمرک بإخراجهم من المدینه إلا قلیلا.

« مَلْعُونِينَ أَيْنَمٰا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً »و

فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع)-قال: « مَلْعُونِينَ »فوجبت علیهم اللعنه بعد اللعنه بقول الله.

[سوره الأحزاب (۳۳): الآیات ۶۳ الی ۷۳]

اشاره

يَسْئَلُكَ اَلنّٰاسُ عَنِ اَلسّٰاعَهِ قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ اَللّٰهِ وَ مٰا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اَلسّٰاعَهَ تَكُونُ قَرِيباً (۶۳) إِنَّ اَللّٰهَ لَعَنَ اَلْكٰافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (۶۴) خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً لاٰ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لاٰ نَصِيراً (۶۵) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي اَلنّٰارِ يَقُولُونَ يٰا لَيْتَنٰا أَطَعْنَا اَللّٰهَ وَ أَطَعْنَا اَلرَّسُولاَ (۶۶) وَ قٰالُوا رَبَّنٰا إِنّٰا أَطَعْنٰا سٰادَتَنٰا وَ كُبَرٰاءَنٰا فَأَضَلُّونَا اَلسَّبِيلاَ (۶۷) رَبَّنٰا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ اَلْعَذٰابِ وَ اِلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (۶۸) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسىٰ فَبَرَّأَهُ اَللّٰهُ مِمّٰا قٰالُوا وَ كٰانَ عِنْدَ اَللّٰهِ وَجِيهاً (۶۹) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (۷۰) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمٰالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فٰازَ فَوْزاً عَظِيماً (۷۱) إِنّٰا عَرَضْنَا اَلْأَمٰانَهَ عَلَى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلْجِبٰالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا اَلْإِنْسٰانُ إِنَّهُ كٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً (۷۲) لِيُعَذِّبَ اَللّٰهُ اَلْمُنٰافِقِينَ وَ اَلْمُنٰافِقٰاتِ وَ اَلْمُشْرِكِينَ وَ اَلْمُشْرِكٰاتِ وَ يَتُوبَ اَللّٰهُ عَلَى اَلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُؤْمِنٰاتِ وَ كٰانَ اَللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً (۷۳)

(بیان)

آیات تـذکر شأن الساعه و بعض ما یجری علی الکفار من عـذابها و تأمر المؤمنین بالقول السدیـد و تعدهم علیه وعدا جمیلا ثم تختتم السوره بذکر الأمانه.

قوله تعالی:« یَسْئَلُکَ النّاسُ عَنِ السّاعَهِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ وَ ما یُدْرِیکَ لَعَلَّ السّاعَهَ تَکُونُ قَرِیباً »تذکر الآیه سؤال الناس عن السـاعه و إنمـا کانوا یریـدون أن یقـدر لهم زمن وقوعها و أنها قریبه أو بعیـده کما یومئ إلیه التعبیر عنها بالساعه فأمر أن یجیبهم بقصر العلم بها فی الله سبحانه و علی ذلک جرت الحال کلما ذکرت فی القرآن.

و قوله:« وَ ما یُدْرِیکَ لَعَلَّ السّاعَهَ تَکُونُ قَرِیباً »زیاده فی الإبهام و لیعلموا أن النبی ص مثل غیره فی عـدم العلم بها و لیس من الستر الذی أسره إلیه و ستره من الناس.

قوله تعالی:« إِنَّ اللّهَ لَعَنَ الْکافِرِینَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِیراً » لعن الکفار إبعادهم من الرحمه،و الإعداد التهیئه،و السعیر النار التی أشعلت فالتهبت،و الباقی ظاهر.

قوله تعالی:« خالِدِینَ فِیها أَبَداً لا یَجِدُونَ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً »الفرق بین الولی و النصـیر أن الولی یلی بنفسه تمام الأمر و المولی علیه بمعزل،و النصیر یعین المنصور علی بعض الأمر و هو إتمامه فالولی یتولی الأمر کله و النصیر یتصدی بعضه،و الباقی ظاهر.

قوله تعـالی:« یَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِی النّارِ یَقُولُونَ یا لَیْتَنا أَطَعْنَا اللّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولاَ »تقلب وجوههم فی النار تحولها لحال بعد حال فتصفر و تسود و تکون کالحه أو انتقالها من جهه إلی جهه لتکون أبلغ فی مس العذاب کما یفعل باللحم المشوی.

و قولهم:« یا لَیْتَنا أَطَعْنَا اللّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولاَ »کلام منهم علی وجه التحسر و التمنی.

قوله تعالی:« وَ قالُوا رَبَّنا إِنّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ کُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِیلاَ » الساده جمع سـید و هو-علی ما فی المجمع،-المالک المعظم الـذی یملـک تـدبیر السواد الأعظم و هو الجمع الأکثر،و الکبراء جمع کبیر و لعل المراد به الکبیر سـنا فالعامه تطیع و تقلـد أحد رجلین إما سید القوم و إما أسنهم.

قوله تعالی:« رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَیْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً کَبِیراً » الضعفان المثلان

ص :۳۴۶

و إنما سألوا لهم ضعفی العذاب لأنهم ضلوا فی أنفسهم و أضلوا غیرهم،و لذلک أیضا سألوا لهم اللعن الکبیر.

قوله تعالی:« یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَکُونُوا کَالَّذِینَ آذَوْا مُوسیٰ فَبَرَّأَهُ اللّٰهُ مِمّٰا قٰالُوا وَ کٰانَ عِنْدَ اللّٰهِ وَجِیهاً »نهی عن أن یکونوا کبعض بنی إسرائیل فیعاملوا نبیهم بمثل ما عامل به بنو إسرائیل من الإیذاء و لیس المراد مطلق الإیذاء بقول أو فعل و إن کان منهیا عنه بل قوله:« فَبَرَّأَهُ اللّٰهُ »یشهد بأنه کان إیذاء من قبیل التهمه و الافتراء المحوج فی رفعه إلی التبرئه و التنزیه.

و لعل السکوت عن ذکر ما آذوا به موسی(ع)یؤید ما ورد فی الحدیث أنهم قالوا:لیس لموسی ما للرجال فبرأه الله من قولهم و سیوافیک.

و أوجه ما قیل فی إیذائهم النبی ص أنه إشاره إلی قصه زید و زینب،و إن یکن کذلک فمن إیذائه(ص)ما فی کثیر من روایات القصه من سردها علی نحو لا یناسب ساحه قدسه.

و قوله:« وَ کٰانَ عِنْدَ اللّٰهِ وَجِیهاً »أی ذا جاه و منزله و الجمله مضافا إلی اشتمالها علی التبرئه إجمالا تعلل تبرئته تعالی له و للآیه و ما بعدها نوع اتصال بالآیات الناهیه عن إیذاء النبی ص.

قوله تعالی:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِیداً »،السدید من السداد و هو الإصابه و الرشاد فالسدید من القول ما یجتمع فیه مطابقه الواقع و عدم کونه لغوا أو ذا فائده غیر مشروعه کالنمیمه و غیر ذلک فعلی المؤمن أن یختبر صدق ما یتکلم به و أن لا یکون لغوا أو یفسد به إصلاح.

قوله تعالی:« یُصْلِحْ لَکُمْ أَعْمٰالَکُمْ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ مَنْ یُطِعِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فٰازَ فَوْزاً عَظِیماً »رتب علی ملازمه القول السدید إصلاح الأعمال و مغفره الذنوب و ذلک أن النفس إذا لازمت القول السدید انقطعت عن کذب القول و لغو الحدیث و الکلام الذی یترتب علیه فساد،و برسوخ هذه الصفه فیها تنقطع طبعا عن الفحشاء و المنکر و اللغو فی الفعل و عند ذلک یصلح أعمال الإنسان فیندم بالطبع علی ما ضیعه من عمره فی موبقات الذنوب إن کان قد ابتلی بشیء من ذلک و کفی بالندم توبه.

و يحفظه الله فيما بقى من عمره عن اقتحام المهلكات و إن رام شيئا من صغائر الذنوب غفر الله له فقد قال الله تعالى: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبٰائِرَ مٰا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئٰاتِكُمْ» ، :النساء:۳۱ فملازمه القول السديد تسوق الإنسان إلى صلاح الأعمال و مغفره الذنوب بإذن الله.

و قوله:« وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فٰازَ فَوْزاً عَظِيماً »وعد جميل على الإتيان بجميع الأعمال الصالحه و الاجتناب عن جميع المناهى بترتيب الفوز العظيم على طاعه الله و رسوله.

و بذلك تختتم السوره فى معناها فى الحقيقه لأن طاعه الله و رسوله هى الكلمه الجامعه بين جميع الأحكام السابقه،من واجبات و محرمات و الآيتان التاليتان كالمتمم لمعنى هذه الآيه.

قوله تعالى:« إِنّٰا عَرَضْنَا الْأَمٰانَهَ عَلَى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبٰالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّهُ كٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً -إلى قوله- غَفُوراً رَحِيماً » الأمانه -أيا ما كانت-شىء يودع عند الغير ليحتفظ عليه ثم يرده إلى من أودعه، فهذه الأمانه المذكوره فى الآيه شىء ائتمن الله الإنسان عليه ليحفظ على سلامته و استقامته ثم يرده إليه سبحانه كما أودعه.

و يستفاد من قوله:« لِيُعَذِّبَ اللّٰهُ الْمُنٰافِقِينَ وَ الْمُنٰافِقٰاتِ »إلخ،أنه أمر يترتب على حمله النفاق و الشرك و الإيمان،فينقسم حاملوه باختلاف كيفيه حملهم إلى منافق و مشرك و مؤمن.

فهو لا محاله أمر مرتبط بالدين الحق الذى يحصل بالتلبس به و عدم التلبس به النفاق و الشرك و الإيمان.

فهل هو الاعتقاد الحق و الشهاده على توحده تعالى أو مجموع الاعتقاد و العمل بمعنى أخذ الدين الحق بتفاصيله مع الغض عن العمل به،أو التلبس بالعمل به أو الكمال الحاصل للإنسان من جهه التلبس بواحد من هذه الأمور.

و ليست هى الأول أعنى التوحيد فإن السماوات و الأرض و غيرهما من شىء توحده تعالى و تسبح بحمده،و قد قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» ، :إسراء:۴۴ و الآيه تصرح بإبائها عنه.

و ليست هى الثانى أعنى الدين الحق بتفاصيله فإن الآيه تصرح بحمل الإنسان كائنا من كان من مؤمن و غيره له و من البين أن أكثر من لا يؤمن لا يحمله و لا علم له به، و بهذا يظهر أنها ليست بالثالث و هو التلبس بالعمل بالدين الحق تفصيلا.

و ليست هى الكمال الحاصل له بالتلبس بالتوحيد فإن السماوات و الأرض و غيرهما ناطقه بالتوحيد فعلا متلبسه به.

و ليست هى الكمال الحاصل من أخذ دين الحق و العلم به إذ لا يترتب على نفس الاعتقاد الحق و العلم بالتكاليف الدينيه نفاق و لا شرك و لا إيمان و لا يستعقب سعاده و لا شقاء و إنما يترتب الأثر على الالتزام بالاعتقاد الحق و التلبس بالعمل.

فبقى أنها الكمال الحاصل له من جهه التلبس بالاعتقاد و العمل الصالح و سلوك سبيل الكمال بالارتقاء من حضيض الماده إلى أوج الإخلاص الذى هو أن يخلصه الله لنفسه فلا يشاركه فيه غيره فيتولى هو سبحانه تدبير أمره و هو الولايه الإلهيه.

فالمراد بالأمانه الولايه الإلهيه و بعرضها على هذه الأشياء اعتبارها مقيسه إليها و المراد بحملها و الإباء عنه وجود استعدادها و صلاحيه التلبس بها و عدمه،و هذا المعنى هو القابل لأن ينطبق على الآيه فالسماوات و الأرض و الجبال على ما فيها من العظمه و الشده و القوه فاقده لاستعداد حصولها فيها و هو المراد بإبائهن عن حملها و إشفاقهن منها.

لكن الإنسان الظلوم الجهول لم يأب و لم يشفق من ثقلها و عظم خطرها فحملها على ما بها من الثقل و عظم الخطر فتعقب ذلك أن انقسم الإنسان من جهه حفظ الأمانه و عدمه بالخيانه إلى منافق و مشرك و مؤمن بخلاف السماوات و الأرض و الجبال فما منها إلا مؤمن مطيع.

فإن قلت:ما بال الحكيم العليم حمل على هذا المخلوق الظلوم الجهول حملا لا يتحمله لثقله و عظم خطره السماوات و الأرض و الجبال على عظمتها و شدتها و قوتها و هو يعلم أنه أضعف من أن يطيق حمله و إنما حمله على قبولها ظلمه و جهله و أجرأه عليه غروره و غفلته عن عواقب الأمور فما تحميله الأمانه باستدعائه لها ظلما و جهلا إلا كتقليد مجنون ولايه عامه يأبى قبولها العقلاء و يشفقون منها يستدعيها المجنون لفساد عقله و عدم استقامه فكره.

قلت:الظلم و الجهل فی الإنسان و إن کانا بوجه ملاک اللوم و العتاب فهما بعینهما مصحح حمله الأمانه و الولایه الإلهیه فإن الظلم و الجهل إنما یتصف بهما من کان من شأنه الاتصاف بالعدل و العلم فالجبال مثلا لا تتصف بالظلم و الجهل فلا یقال:جبل ظالم أو جاهل لعدم صحه اتصافه بالعدل و العلم و کذلک السماوات و الأرض لا یحمل علیها الظلم و الجهل لعدم صحه اتصافها بالعدل و العلم بخلاف الإنسان.

و الأمانه المذکوره فی الآیه و هی الولایه الإلهیه و کمال صفه العبودیه إنما تتحصل بالعلم بالله و العمل الصالح الذی هو العدل و إنما یتصف بهذین الوصفین أعنی العلم و العدل الموضوع القابل للجهل و الظلم فکون الإنسان فی حد نفسه و بحسب طبعه ظلوما جهولا هو المصحح لحمل الأمانه الإلهیه فافهم ذلک.

فمعنی الآیتین (۱)یناظر بوجه معنی قوله تعالی: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِینَ إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ» :التین:۶.

فقوله تعالی:« إِنّٰا عَرَضْنَا الْأَمٰانَهَ »أی الولایه الإلهیه و الاستکمال بحقائق الدین الحق علما و عملا و عرضها هو اعتبارها مقیسه إلی هذه الأشیاء.

و قوله:« عَلَی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبٰالِ »أی هذه المخلوقات العظیمه التی خلقها أعظم من خلق الإنسان کما قال: «لَخَلْقُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّٰاسِ» ، :المؤمن:۵۷ و قوله:« فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا »إباؤها عن حملها و إشفاقها منها عدم اشتمالها علی صلاحیه التلبس و تجافیها عن قبولها و فی التعبیر بالحمل إیماء إلی أنها ثقیله ثقلا لا یحتملها السماوات و الأرض و الجبال.

و قوله:« وَ حَمَلَهَا الْإِنْسٰانُ »أی اشتمل علی صلاحیتها و التهیؤ للتلبس بها علی ضعفه و صغر حجمه« إِنَّهُ کٰانَ ظَلُوماً جَهُولاً »أی ظالما لنفسه جاهلا بما تعقبه هذه الأمانه لو خانها من وخیم العاقبه و الهلاک الدائم.

و بمعنی أدق لکون الإنسان خالیا بحسب نفسه عن العدل و العلم قابلا للتلبس بما

۱- ۱) فالآیه الاولی تحاذی الاولی و الثانیه تحاذی الثانیه و الثالثه.

یفاض علیه من ذلک و الارتقاء من حضیض الظلم و الجهل إلی أوج العدل و العلم.

و الظلوم و الجهول وصفان من الظلم و الجهل معناهما من کان من شأنه الظلم و الجهل نظیر قولنا:فرس شموس و دابه جموح و ماء طهور أی من شأنها ذلک کما قاله الرازی أو معناهما المبالغه فی الظلم و الجهل کما ذکر غیره،و المعنی مستقیم کیفما کانا.

و قوله:« لِیُعَذِّبَ اللّٰهُ الْمُنٰافِقِینَ وَ الْمُنٰافِقٰاتِ وَ الْمُشْرِکِینَ وَ الْمُشْرِکٰاتِ »اللام للغایه أی کانت عاقبه هذا الحمل أن یعذب الله المنافقین و المنافقات و المشرکین و المشرکات و ذلک أن الخائن للأمانه یتظاهر فی الأغلب بالصلاح و الأمانه و هو النفاق و قلیلا ما یتظاهر بالخیانه لها و لعل اعتبار هذا المعنی هو الموجب لتقدیم المنافقین و المنافقات فی الآیه علی المشرکین و المشرکات.

و قوله:« وَ یَتُوبَ اللّٰهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ وَ کٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِیماً »عطف علی« لِیُعَذِّبَ »أی و کان عاقبه ذلک أن یتوب الله علی المؤمنین و المؤمنات،و التوبه من الله هی رجوعه إلی عبده بالرحمه فیرجع إلی الإنسان إذا آمن به و لم یخن بالرحمه و یتولی أمره و هو ولی المؤمنین فیهدیه إلیه بالستر علی ظلمه و جهله و تحلیته بالعلم النافع و العمل الصالح لأنه غفور رحیم.

فإن قلت:ما هو المانع من جعل الأمانه بمعنی التکلیف و هو الدین الحق و کون الحمل بمعنی الاستعداد و الصلاحیه و الإباء هو فقده و العرض هو اعتبار القیاس فیجری فیه حینئذ جمیع ما تقدم فی بیان الانطباق علی الآیه.

قلت:نعم لکن التکلیف إنما هو مطلوب لکونه مقدمه لحصول الولایه الإلهیه و تحقق صفه العبودیه الکامله فهی المعروضه بالحقیقه و المطلوبه لنفسها.

و الالتفات فی قوله:« لِیُعَذِّبَ اللّٰهُ »من التکلم إلی الغیبه و الإتیان باسم الجلاله للدلاله علی أن عواقب الأمور إلی الله سبحانه لأنه الله.

و وضع الظاهر موضع المضمر فی قوله:« وَ یَتُوبَ اللّٰهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ » للإشعار بکمال العنایه فی حقهم و الاهتمام بأمرهم.

و لهم فی تفسیر الأمانه المذکوره فی الآیه أقوال مختلفه:

فقیل:المراد بها التکالیف الموجبه طاعتها دخول الجنه و معصیتها دخول النار و المراد بعرضها علی السماوات و الأرض و الجبال اعتبارها بالنسبه إلی استعدادها و إباؤهن

عن حملها و إشفاقهن منها عدم استعدادهن لها،و حمل الإنسان لها استعداده، و الكلام جار مجرى التمثيل.

و قيل:المراد بها العقل الذى هو ملاک التكليف و مناط الثواب و العقاب.

و قيل:هى قول لا إله إلا الله.

و قيل:هى الأعضاء فالعين أمانه من الله يجب حفظها و عدم استعمالها إلا فيما يرتضيه الله تعالى،و كذلک السمع و اليد و الرجل و الفرج و اللسان.

و قيل:المراد بها أمانات الناس و الوفاء بالعهود.

و قيل:المراد بها معرفه الله بما فيها و هذا أقرب الأقوال من الحق يرجع بتقريب ما إلى ما قدمنا.

و كذلک اختلف فى معنى عرض الأمانه عليها على أقوال:

منها:أن العرض بمعناه الحقيقى غير أن المراد بالسماوات و الأرض و الجبال أهلها فعرضت على أهل السماء من الملائكه و بين لهم أن فى خيانتها الإثم العظيم فأبوها و خافوا حملها و عرض على الإنسان فلم يمتنع.

و منها:أنه بمعناه الحقيقى و ذلک أن الله لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما و قال لها:إنى فرضت فريضه و خلقت جنه لمن أطاعنى فيها و نارا لمن عصانى فيها فقلن:

نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضه و لا نبغى ثوابا و لا عقابا و لما خلق آدم عرض عليه ذلک فاحتمله و كان ظلوما لنفسه جهولا بوخامه عاقبته.

و منها:أن المراد بالعرض المعارضه و المقابله،و محصل الكلام أنا قابلنا بهذه الأمانه السماوات و الأرض و الجبال فكانت هذه أرجح و أثقل منها.

و منها أن الكلام جار مجرى الفرض و التقدير و المعنى:أنا لو قدرنا أن السماوات و الأرض و الجبال فهما،و عرضنا عليها هذه الأمانه لأبين حملها و أشفقن منها لكن الإنسان تحملها.

و بالمراجعه إلى ما قدمناه يظهر ما فى كل من هذه الأقوال من جهات الضعف و الوهن فلا تغفل.

(بحث روائی)

فی الکافی،بإسناده عن محمد بن سالم عن أبی جعفر(ع)فی حدیث قال: و لا یلعن الله مؤمنا قال الله عز و جل:« إِنَّ اللّٰهَ لَعَنَ الْکٰافِرِینَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِیراً- خٰالِدِینَ فِیهٰا أَبَداً لاٰ یَجِدُونَ وَلِیًّا وَ لاٰ نَصِیراً ».

و فی تفسیر القمی،بإسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد الله(ع): أن بنی إسرائیل کانوا یقولون:لیس لموسی ما للرجال،و کان موسی إذا أراد الاغتسال ذهب إلی موضع لا یراه فیه أحد-فکان یوما یغتسل علی شط نهر و قد وضع ثیابه علی صخره-فأمر الله الصخره فتباعدت عنه حتی نظر بنو إسرائیل إلیه-فعلموا أن لیس کما قالوا فأنزل الله « یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَکُونُوا کَالَّذِینَ آذَوْا مُوسیٰ »الآیه.

و فی المجمع،":و اختلفوا فیما أوذی به موسی علی أقوال:

أحدها:أن موسی و هارون صعدا الجبل فمات هارون- فقالت بنو إسرائیل:أنت قتلته-فأمر الله الملائکه فحملته حتی مروا به علی بنی إسرائیل-و تکلمت الملائکه بموته حتی عرفوا أنه قد مات-و برأه الله من ذلک عن علی و ابن عباس-.

و ثانیها:أن موسی کان حییا ستیرا یغتسل وحده-فقالوا:ما یستتر منا إلا لعیب فی جلده إما برص و أما أدره-فذهب مره یغتسل فوضع ثوبه علی حجر-فمر الحجر بثوبه فطلبه موسی فرآه بنو إسرائیل عریانا-کأحسن الرجال خلقا فبرأه الله مما قالوا.رواه أبو هریره مرفوعا.

أقول:و روی الروایه الأولی فی الدر المنثور،أیضا عن ابن مسعود و الثانیه أیضا عن أنس و ابن عباس.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن المنذر و ابن مردویه عن سهل بن سعد الساعدی قال:

ما جلس رسول الله ص علی هذا المنبر قط إلا تلا هذه الآیه:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِیداً ».

أقول:و روی ما يقرب منه أيضا عن عائشه و أبی موسی الأشعری و عروه.

و فی نهج البلاغه،: ثم أداء الأمانه فقد خاب من ليس من أهلها-إنها عرضت علی السماوات المبنيه و الأرض المدحوه-و الجبال ذات الطول المنصوبه فلا أطول و لا أعرض و لا أعلی و لا أعظم منها-و لو امتنع شیء بطول أو عرض أو قوه أو عز لأمتنعن-و لكن أشفقن من العقوبه،و عقلن ما جهل من هو أضعف منهن-و هو الإنسان إنه كان ظلوما جهولا.

و فی الكافی،بإسناده عن إسحاق بن عمار عن رجل عن أبی عبد الله(ع): فی قول الله عز و جل:« إِنّٰا عَرَضْنَا الْأَمٰانَةَ »الآيه،قال:هی ولايه أمير المؤمنين(ع).

أقول:المراد بولايه أمير المؤمنين(ع)ما كان هو أول فاتح لبابه من هذه الأمه و هو كون الإنسان،بحيث يتولی الله سبحانه أمره بمجاهدته فيه بإخلاص العبوديه له دون الولايه بمعنی المحبه أو بمعنی الإمامه و إن كان ظاهر بعض الروايات ذلك بنوع من الجری و الانطباق.

(۳۴) (سوره سبإ مکیه، و هی أربع و خمسون آیه)(۵۴)

[سوره سبإ (۳۴): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِی لَهُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ لَهُ اَلْحَمْدُ فِی اَلْآخِرَهِ وَ هُوَ اَلْحَکِیمُ اَلْخَبِیرُ (۱) یَعْلَمُ مٰا یَلِجُ فِی اَلْأَرْضِ وَ مٰا یَخْرُجُ مِنْهٰا وَ مٰا یَنْزِلُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا یَعْرُجُ فِیهٰا وَ هُوَ اَلرَّحِیمُ اَلْغَفُورُ (۲) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لاٰ تَأْتِینَا اَلسّٰاعَهُ قُلْ بَلیٰ وَ رَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ عٰالِمِ اَلْغَیْبِ لاٰ یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقٰالُ ذَرَّهٍ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْبَرُ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ (۳) لِیَجْزِیَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ (۴) وَ اَلَّذِینَ سَعَوْا فِی آیٰاتِنٰا مُعٰاجِزِینَ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِیمٌ (۵) وَ یَرَی اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ اَلَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ هُوَ اَلْحَقَّ وَ یَهْدِی إِلیٰ صِرٰاطِ اَلْعَزِیزِ اَلْحَمِیدِ (۶) وَ قٰالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا هَلْ نَدُلُّکُمْ عَلیٰ رَجُلٍ یُنَبِّئُکُمْ إِذٰا مُزِّقْتُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّکُمْ لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ (۷) أَفْتَریٰ عَلَی اَللّٰهِ کَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّهٌ بَلِ اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ فِی اَلْعَذٰابِ وَ اَلضَّلاٰلِ اَلْبَعِیدِ (۸) أَ فَلَمْ یَرَوْا إِلیٰ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ اَلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَیْهِمْ کِسَفاً مِنَ اَلسَّمٰاءِ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِکُلِّ عَبْدٍ مُنِیبٍ (۹)

(بیان)

تتکلم السوره حول الأصول الثلاثه أعنی الوحدانیه و النبوه و البعث فتذکرها و تذکر ما لمنکریها من الاعتراض فیها و الشبه التی ألقوها ثم تدفعها بوجوه الدفع من حکمه و موعظه و مجادله حسنه و تهتم ببیان أمر البعث أکثر من غیره فتذکره فی مفتتح الکلام ثم تعود إلیه عوده بعد عوده إلی مختتمه.

و هی مکیه بشهاده مقاصد آیاتها علی ذلک.

قوله تعالی:« اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ »إلخ،المطلوب بیان البعث و الجزاء بیانا لا یعتریه شک بالإشاره إلی الحجه التی ینقطع بها الخصم و الأساس الذی یقوم علیه ذلک أمران أحدهما عموم ملکه تعالی لکل شیء من کل جهه حتی یصح له أی تصرف أراد فیها من إبداء و رزق و إماته و إحیاء بالإعاده و جزاء،و ثانیهما کمال علمه تعالی بالأشیاء من جمیع جهاتها علما لا یطرأ علیه عزوب و زوال حتی یعید کل من أراد و یجزیه علی ما علم من أعماله خیرا أو شرا.

و قد أشیر إلی أول الأمرین فی الآیه الأولی التی نحن فیها و إلی الثانیه فی الآیه الثانیه و بذلک یظهر أن الآیتین تمهید لما فی الآیه الثالثه و الرابعه.

فقوله:« اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ »ثناء علیه علی ملکه المنبسط علی کل شیء بحیث له أن یتصرف فی کل شیء بما شاء و أراد.

و قوله:« وَ لَهُ الْحَمْدُ فِی الْآخِرَهِ »تخصیص الحمد بالآخره لما أن الجمله الأولی تتضمن الحمد فی الدنیا فإن النظام المشهود فی السماوات و الأرض نظام دنیوی کما یشهد به قوله تعالی: «یَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَیْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ» . :إبراهیم:۴۸.

و قوله:« وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ »ختم الآیه بالاسمین الکریمین للدلاله علی أن تصرفه فی نظام الدنیا ثم تعقیبه بنظام الآخره مبنی علی الحکمه و الخبره فبحکمته عقب الدنیا بالآخره و إلا لغت الخلقه و بطلت و لم یتمیز المحسن من المسیء کما قال:

«وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا بٰاطِلاً X-إلی أن قال-X أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِینَ کَالْفُجّٰارِ» :_ص:۲۸،و بخبرته یحشرهم و لا یغادر منهم أحدا و یجزی کل نفس بما کسبت.

و الخبیر من أسماء الله الحسنی مأخوذه من الخبره و هی العلم بالجزئیات فهو أخص من العلیم.

قوله تعالی:« یَعْلَمُ مٰا یَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَ مٰا یَخْرُجُ مِنْهٰا وَ مٰا یَنْزِلُ مِنَ السَّمٰاءِ وَ مٰا یَعْرُجُ فِیهٰا » الولوج مقابل الخروج و العروج مقابل النزول و کان العلم بالولوج و الخروج و النزول و العروج کنایه عن علمه بحرکه کل متحرک و فعله و اختتام الآیه بقوله:« وَ هُوَ الرَّحِیمُ الْغَفُورُ »کان فیه إشاره إلی أن له رحمه ثابته و مغفره ستصیب قوما بإیمانهم.

قوله تعالی:« وَ قٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لاٰ تَأْتِینَا السّٰاعَهُ قُلْ بَلیٰ وَ رَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ عٰالِمِ الْغَیْبِ »إلخ،یذکر إنکارهم لإتیان الساعه و هی یوم القیامه و هم ینکرونه مع ظهور عموم ملکه و علمه بکل شیء و لا مورد للارتیاب فی إتیانها مع ذلک کما تقدم فضلا عن إنکار إتیانها و لذلک أمر النبی ص أن یجیب عن قولهم بقوله:« قُلْ بَلیٰ وَ رَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ »أی الساعه.

و لما کان السبب العمده فی إنکارهم هو اختلاط الأشیاء و منها أبدان الأموات بعضها ببعض و تبدل صورها تبدلا بعد تبدل بحیث لا خبر عن أعیانها فیمتنع إعادتها من دون تمیز بعضها من بعض أشار إلی دفع ذلک بقوله:« عٰالِمِ الْغَیْبِ لاٰ یَعْزُبُ »أی لا یفوت«عن علمه مِثْقٰالُ ذَرَّهٍ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی الْأَرْضِ ».

و قوله:« وَ لاٰ أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْبَرُ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ »تعمیم لعلمه لکل شیء و فیه مع ذلک إشاره إلی أن للأشیاء کائنه ما کانت ثبوتا فی کتاب مبین لا تتغیر و لا تتبدل و إن زالت رسومها عن صفحه الکون و قد تقدم بعض الکلام فی الکتاب المبین فی سوره الأنعام و غیرها.

قوله تعالى:« لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ »اللام فى« لِيَجْزِيَ »للتعليل و هو متعلق بقوله:« لَتَأْتِيَنَّكُمْ »و فى قوله:« لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ »نوع محاذاه لقوله السابق:« وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ».

و فى الآيه بيان أحد السببين لقيام الساعه و هو أن يجزى الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالمغفره و الرزق الكريم و هو الجنه بما فيها و السبب الأخير ما يشير إليه قوله:

« وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيٰاتِنٰا مُعٰاجِزِينَ »إلخ.

قوله تعالى:« وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيٰاتِنٰا مُعٰاجِزِينَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ » السعى الجد فى المشى و المعاجزه المبالغه فى الإعجاز و قيل:المسابقه و الكلام مبنى على الاستعاره بالكنايه كان الآيات مسافه يسيرون فيها سيرا حثيثا ليعجزوا الله و يسبقوه و الرجز كالرجس القذر و لعل المراد به العمل السيئ فيكون إشاره إلى تبدل العمل عذابا أليما عليهم أو سببا لعذابهم،و قيل:الرجز هو سيء العذاب.

و فى الآيه تعريض للكفار الذين يصرون على إنكار البعث.

قوله تعالى:« وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ » الموصول الأول فاعل يرى و الموصول الثانى مفعوله الأول و الحق مفعوله الثانى و المراد بالذين أوتوا العلم العلماء بالله و بآياته،و بالذى أنزل إليه القرآن النازل إليه(ص).

و جمله« وَ يَرَى »إلخ،استئناف متعرض لقوله السابق:« وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا » أو حال من فاعل كفروا،و المعنى:أولئك يقولون:لا تأتينا الساعه و ينكرونه جهلا،و العلماء بالله و آياته يرون أن هذا القرآن النازل إليك المخبر بأن الساعه آتيه هو الحق.

و قوله:« وَ يَهْدِي إِلىٰ صِرٰاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ »معطوف على الحق أى و يرون القرآن يهدى إلى صراط من هو عزيز لا يغلب على ما يريد محمود يثنى على جميع أفعاله لأنه لا يفعل مع عزته إلا الجميل و هو الله سبحانه،و فى التوصيف بالعزيز الحميد مقابله لما وصفهم به فى قوله:« اَلَّذِينَ سَعَوْا فِي آيٰاتِنٰا مُعٰاجِزِينَ ».

قوله تعالى:« وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذٰا مُزِّقْتُمْ كُلَّ

مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِی خَلْقٍ جَدِيدٍ

»کلام منهم وارد مورد الاستهزاء يعرفون فيه النبی ص بعضهم لبعض بالقول بالمعاد.

و التمزيق التقطيع و التفريق،و كونهم فی خلق جديد استقرارهم فيه أی تجديد خلقتهم بإحيائهم بعد موتهم و وجودهم ثانيا بعد عدمهم،و قوله:« إِذٰا مُزِّقْتُمْ »ظرف لقوله:« إِنَّكُمْ لَفِی خَلْقٍ جَدِيدٍ ».

و المعنی:و قال الذين كفروا بعضهم لبعض علی طريق الاستهزاء بالنبی ص لإنذاره إياهم بالبعث و الجزاء:هل ندلكم علی رجل و المراد به النبی ص ينبئكم و يخبركم أنكم ستستقرون فی خلق جديد و يتجدد لكم الوجود إذا فرقت أبدانكم كل التفريق و قطعت بحيث لا يتميز شیء منها من شیء.

قوله تعالی:« أَفْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ »إلخ،الاستفهام للتعجيب فإن القول ببعث الأجساد بعد فنائها عجيب عندهم لا يقول به عاقل إلا لتلبيس الأمر علی الناس و إضلالهم لينال بعض ما عندهم و إلا فكيف يلتبس فيه الأمر علی عاقل،و لهذا رددوا الأمر بين الافتراء و الجنه فی الاستفهام و المعنی:أ هو عاقل يكذب علی الله افتراء عليه بالقول بالبعث أم به نوع جنون يتفوه بما بدا له من غير فكر مستقيم.

و قوله:« بَلِ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِی الْعَذٰابِ وَ الضَّلاٰلِ الْبَعِيدِ »رد لقولهم و إضراب عن الترديد الذی أتوا به مستفهمين،و محصله أن ذلک ليس افتراء علی الله و لا جنون فيه بل هؤلاء الكفار مستقرون فی عذاب سيظهر لهم و قد أبعدهم ذلک عن الحق فكانوا فی ضلال بعيد لا يسعهم مع ذلک أن يعقلوا الحق و يذعنوا به.

و وضع الموصول موضع الضمير فی قوله:« بَلِ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ »للدلاله علی أن عله وقوعهم فيما وقعوا فيه من العذاب و الضلال عدم إيمانهم بالآخره.

قوله تعالی:« أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلىٰ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمٰاءِ »إلخ،وعظ و إنذار لهم باستعظام ما اجترءوا عليه من تكذيب آيات الله و الاستهزاء برسوله فالمراد بقوله:« مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ »إحاطه السماء و الأرض بهم من بين أيديهم و من خلفهم فأينما نظروا وجدوا سماء تظلهم و أرضا تقلهم لا مفر لهم منهما.

و قوله:« إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمٰاءِ »أی إذ أحاط بهم الأرض و السماء و هما مدبرتان بتدبيرنا منقادتان مسخرتان لنا أن نشأ نخسف بهم الأرض فنهلكهم أو نسقط عليهم قطعه من السماء فنهلكهم فما لهم لا ينتهون عن هذه الأقاويل؟.

و قوله:« إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ »،أی فيما ذكر من إحاطه السماء و الأرض و كونهما مدبرتين لله سبحانه أن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط عليهم كسفا من السماء لآيه لكل عبد منيب،راجع إلى ربه بالطاعه،فهؤلاء لا يستهينون بهذه الأمور و لا يجترءون على تكذيب هذه الآيات إلا لكونهم مستكبرين عاتين لا يريدون إنابه إلى ربهم و رجوعا إلى طاعته.

[سوره سبإ (٣۴): الآيات ١٠ الى ٢١]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنٰا دٰاوُدَ مِنّٰا فَضْلاً يٰا جِبٰالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنّٰا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سٰابِغٰاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صٰالِحاً إِنِّي بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَ لِسُلَيْمٰانَ الرِّيحَ غُدُوُّهٰا شَهْرٌ وَ رَوٰاحُهٰا شَهْرٌ وَ أَسَلْنٰا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنٰا نُذِقْهُ مِنْ عَذٰابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مٰا يَشٰاءُ مِنْ مَحٰارِيبَ وَ تَمٰاثِيلَ وَ جِفٰانٍ كَالْجَوٰابِ وَ قُدُورٍ رٰاسِيٰاتٍ اعْمَلُوا آلَ دٰاوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبٰادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمّٰا قَضَيْنٰا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مٰا دَلَّهُمْ عَلىٰ مَوْتِهِ إِلاّٰ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمّٰا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مٰا لَبِثُوا فِي الْعَذٰابِ الْمُهِينِ (١۴) لَقَدْ كٰانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتٰانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمٰالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ (١۵) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْنٰاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوٰاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١۶) ذٰلِكَ جَزَيْنٰاهُمْ بِمٰا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجٰازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (١٧) وَ جَعَلْنٰا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بٰارَكْنٰا فِيهٰا قُرىً ظٰاهِرَةً وَ قَدَّرْنٰا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهٰا لَيٰالِيَ وَ أَيّٰاماً آمِنِينَ (١٨) فَقٰالُوا رَبَّنٰا بٰاعِدْ بَيْنَ أَسْفٰارِنٰا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنٰاهُمْ أَحٰادِيثَ وَ مَزَّقْنٰاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِكُلِّ صَبّٰارٍ شَكُورٍ (١٩) وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاّٰ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَ مٰا كٰانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطٰانٍ إِلاّٰ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهٰا فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)

(بیان)

تشير الآيات إلى نبذه من قصص داود و سليمان إذ آتاهما الله من فضله إذ أنعم على داود بتسخير الجبال و الطير معه و تليين الحديد له،و سخر لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و سخر الجن يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و غيرها و أمرهما بالعمل الصالح شكرا و كانا عبدين شكورين.

ثم إلى قصه سبإ حيث أنعم عليهم بجنتين عن اليمين و الشمال ليعيشوا فيها عيشا

ص: ٣٦١

رغدا فكفروا بالنعمه و أعرضوا عن الشكر فأرسل عليهم سيل العرم و بدل جنتيهم جنتين دون ذلك و قد كان عمر بلادهم فكفروا فجعلهم أحاديث و مزقهم كل ممزق،كل ذلك لكفرهم النعمه و إعراضهم عن الشكر و لا يجازى إلا الكفور.

وجه اتصال القصص على ما تقدم من حديث البعث أن الله هو المدبر لأمور عباده و هم مغمورون فى أنواع نعمه و للمنعم على المنعم عليه الشكر على نعمته و عليه أن يميز بين الشاكرين لنعمته و الكافر بها و إذ لا ميز فى هذه النشأه فهناك نشأه أخرى يتميز فيها الفريقان فالبعث لا مفر عنه.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ » الفضل العطيه و التأويب الترجيع من الأوب بمعنى الرجوع و المراد به ترجيع الصوت بالتسبيح بدليل قوله فيه فى موضع آخر: «إِنّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ» . :_ص:١٩ و الطير معطوف على محل الجبال و منه يظهر فساد قول بعضهم:إن الأوب بمعنى السير و أن الجبال كانت تسير معه حيثما سار.

و قوله:« يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ »بيان للفضل الذى أوتى داود و قد وضع فيه الخطاب الذى خوطبت به الجبال و الطير فسخرتا به موضع نفس التسخير الذى هو العطيه و هو من قبيل وضع السبب موضع المسبب و المعنى:سخرنا الجبال له تئوب معه و الطير،و هذا هو المتحصل من تسخير الجبال و الطير له كما يشير إليه قوله: «إِنّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ» . :_ص:١٩ و قوله:« وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ »أى و جعلناه لينا له على ما به من الصلابه.

قوله تعالى:« أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ »إلخ، السابغات جمع سابغه و هى الدرع الواسعه،و السرد نسج الدرع،و تقديره الاقتصاد فيه بحيث تتناسب حلقه أى اعمل دروعا واسعه و أجعلها متناسبه الحلق،و جمله« أَنِ اعْمَلْ »إلخ، نوع تفسير لا لأنه الحديد له.

و قوله:« وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »معنى الجمله فى نفسها ظاهر و هى لوقوعها فى سياق بيان إيتاء الفضل و عد النعم تفيد معنى الأمر بالشكر كأنه قيل:

و قلنا اشكر النعم أنت و قومك بالعمل الصالح.

قوله تعالى:« وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ »إلخ،أى و سخرنا لسليمان الريح مسير غدو تلك الريح-و هو أول النهار إلى الظهر-مسير شهر و رواح تلك الريح-و هو من الظهر إلى آخر النهار-مسير شهر أى أنها تسير فى يوم مسير شهرين.

و قوله:« وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ » الإساله إفعال من السيلان بمعنى الجريان و القطر النحاس أى و أذبنا له القطر فسالت كالعين الجاريه.

قوله:« وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ »،أى و جمع من الجن- بدليل قوله بعد:« يَعْمَلُونَ لَهُ »-يعمل بين يديه بإذن ربه مسخرين له« وَ مَنْ يَزِغْ » أى ينحرف« عَنْ أَمْرِنا »و لم يطع سليمان« نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ »ظاهر السياق أن المراد به عذاب النار فى الدنيا دون الآخره،و فى لفظ الآيه دلاله على أن المسخر له كان بعض الجن لا جميعهم.

قوله تعالى:« يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ »إلخ، المحاريب جمع محراب و هو مكان إقامه الصلاه و العباده،و التماثيل جمع تمثال و هى الصوره المجسمه من الشىء و الجفان جمع جفنه و هى صحفه الطعام، و الجوابى جمع جابيه الحوض الذى يجبى أى يجمع فيه الماء،و القدور جمع قدر و هو ما يطبخ فيه الطعام،و الراسيات الثابتات و المراد بكون القدور راسيات كونها ثابتات فى أمكنتها لا يزلن عنها لعظمها.

و قوله:« اِعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً »خطاب لسليمان و سائر من معه من آل داود أن يعملوا و يعبدوا الله شكرا له،و قوله:« وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ »أى الشاكر لله شكرا بعد شكر و الجمله إما فى مقام ترفيع مقام أهل الشكر بأن المتمكنين فى هذا المقام قليلون و هم الأوحديون من الناس،و إما فى مقام التعليل كأنه قيل:إنهم قليل فكثروا عدتهم.

قوله تعالى:« فَلَمّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ »المراد بدابه الأرض الأرضه على ما وردت به الروايات و المنسأه العصا و قوله:

« فَلَمّٰا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مٰا لَبِثُوا فِی الْعَذٰابِ الْمُهِينِ » الخرور السقوط على الأرض.

و يستفاد من السياق أنه(ع)لما قبض كان متكئا على عصاه فبقى على تلك الحال قائما متكئا على عصاه زمانا لا يعلم بموته إنس و لا جن فبعث الله عز و جل أرضه فأخذت فی أكل منسأته حتى إذا أكلت انكسرت العصا و سقط سليمان على الأرض فعلموا عند ذلك بموته و تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان المستور عنهم و ما لبثوا هذا المقدار من الزمان-و هو من حين قبضه إلى خروره-فی العذاب المهين المذل لهم.

قوله تعالى:« لَقَدْ كٰانَ لِسَبَإٍ فِی مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتٰانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمٰالٍ »إلخ،سبأ العرب العاربه باليمن سموا-كما قيل-باسم أبيهم سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان،و قوله:« عَنْ يَمِينٍ وَ شِمٰالٍ »أی عن يمين مسكنهم و شماله.

و قوله:« كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ »أمر بالأكل من جنتين و هو كنايه عن رزقهم منهما،ثم بالشكر له على نعمته و رزقه،و قوله:« بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ »أی بلده ملائمه صالحه للمقام و رب كثير الغفران لا يؤاخذكم بسيئاتكم.

قوله تعالى:« فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنٰا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْنٰاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوٰاتَیْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَیْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ » العرم المسناه التی تحبس الماء،و قيل:

المطر الشديد و قيل غير ذلك،و الأكل بضمتين كل ثمره مأكوله،و الخمط -على ما قيل-كل نبت أخذ طعما من المراره،و الأثل الطرفاء و قيل:شجر يشبهها أعظم منها لا ثمره له،و السدر معروف،و الأثل و شیء معطوفان على« أُكُلٍ »لا على خمط.

و المعنى:فأعرضوا أی قوم سبإ عن الشكر الذی أمروا به فجازيناهم و أرسلنا عليهم سيل العرم فأغرق بلادهم و ذهب بجنتيهم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتی ثمره مره و ذواتی طرفاء و شیء قليل من السدر.

قوله تعالى:« ذٰلِكَ جَزَيْنٰاهُمْ بِمٰا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجٰازِی إِلاَّ الْكَفُورَ »« ذٰلِكَ » إشاره إلى ما ذكر من إرسال السيل و تبديل الجنتين و محله النصب مفعولا ثانيا لجزيناهم و الفرق بين الجزاء و المجازاه-كما قيل إن المجازاه لا تستعمل إلا فی الشر و الجزاء أعم.

و المعنى:جزينا سبأ ذلک الجزاء بسبب کفرهم و إعراضهم عن الشکر-أو فی مقابله ذلک-و لا نجازی بالسوء إلا من کان کثیر الکفران لأنعم الله.

قوله تعالى:« وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً »إلخ، ضمیر« بَيْنَهُمْ »لسبإ و الکلام مسوق لبیان تتمه قصتهم المطلوب ذکرها و هو عطف على قوله:« كانَ لِسَبَإٍ »و المراد بالقرى التی بارکنا فیها القرى الشامیه،و المراد بکون القرى ظاهره کونها متقاربه یرى بعضها من بعض.

و قوله:« وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ »أی جعلنا السیر فیها على نسبه مقدره متناسبه غیر مختلفه فالنسبه بین واحده منها و ما یلیها کالنسبه بین ما یلیها و ما یلیه،و قوله:

« سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ »على تقدیر القول أی و قلنا:سیروا فی هذه القرى على أمن إن شئتم لیالی و إن شئتم أیاما،و المراد قررنا فیها الأمن یسیرون فیها متى ما شاءوا من غیر خوف و قلق.

قوله تعالى:« فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ »إلخ،أی أنعمنا علیهم ما أنعمنا من وفور الفواکه و قرب المنازل و أمن الطرق و سهوله السیر و رغد العیش فملوا ذلک و سئموه و قالوا: رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا أی اجعل أسفارنا ذوات مسافات بعیده نرکب فیها الرواحل و نقطع المفاوز و البوادی و هذا بغی منهم و کفران کما طلبت بنو إسرائیل الثوم و البصل مکان المن و السلوى.

و بالجمله أتم الله نعمه علیهم فی السفر بقرب المنازل و أمن الطرق و وفور النعمه کما أتم نعمه علیهم فی الحضر و أراد منهم الشکر على ذلک فکفروا بنعمه فی السفر کما کفروا بها فی الحضر،فأسرع الله فی إسعاف ما اقترحوه فخرب بلادهم و فرق جمعهم و شتت شملهم.

فقوله:« فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا »اقتراح ضمنی لتخریب بلادهم،و قوله:

« وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ »أی بالمعاصی.

و قوله:« فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ »أی أزلنا أعیانهم و آثارهم فلم یبق منهم إلا أحادیث یحدث بها فیما یحدث فعادوا أسماء لا مسمى لهم إلا فی وهم المتوهم و خیال المتخیل و فرقناهم کل تفرق فلم یبق من أجزاء وجودهم جزءان

مجتمعان إلا فرقنا بينهما فصاروا كسدى لا شبح له بعد ما كانوا مجتمعا ذا قوه و شوكه حتى ضرب بهم المثل«تفرقوا أيادى سبإ».

و قوله:« إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِكُلِّ صَبّٰارٍ شَكُورٍ »أى فى هذا الذى ذكر من قصتهم لآيات لكل من كثر صبره فى جنب الله و كثر شكره لنعمه التى لا تحصى يستدل بتلك الآيات على أن على الإنسان أن يعبد ربه شكرا لنعمه و أن وراءه يوما يبعث فيه و يجزى بعمله.

قوله تعالى:« وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاّٰ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » أى حقق إبليس عليهم ظنه أو وجد ظنه صادقا عليهم إذ قال لربه:« لَأُغْوِيَنَّهُمْ و لَأُضِلَّنَّهُمْ »« وَ لاٰ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شٰاكِرِينَ »،و قوله:« فَاتَّبَعُوهُ إِلاّٰ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » بيان لتصديقه ظنه.

و منه يظهر أن ضمير الجمع فى« عَلَيْهِمْ »هاهنا و كذا فى الآيه التاليه لعامه الناس لا لسبإ خاصه و إن كانت الآيه منطبقه عليهم.

قوله تعالى:« وَ مٰا كٰانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطٰانٍ إِلاّٰ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَهِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهٰا فِي شَكٍّ »ظاهر السياق أن المراد أنهم لم يتبعوه عن سلطان له عليهم يضطرهم إلى اتباعه حتى يكونوا معذورين بل إنما اتبعوه عن سوء اختيارهم فهم يختارون اتباعه فيتسلط عليهم لا أنه يتسلط فيتبعونه،قال تعالى: «إِنَّ عِبٰادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ إِلاّٰ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰاوِينَ» ، :الحجر:۴۲ و قال حاكيا عن إبليس يوم القيامه:

«وَ مٰا كٰانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ إِلاّٰ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاٰ تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ» :إبراهيم:۲۲.

و منشأ اتباعهم له ريب و شك فى قلوبهم من الآخره يظهر منهم بظهور أثره الذى هو الاتباع لإبليس،فإذنه سبحانه لإبليس أن يتسلط عليهم من طريق اختيارهم هذا المقدار من التسلط ليمتاز به أهل الشك فى الآخره من أهل الإيمان به و لا يرفع ذلك مسئوليتهم فى اتباعه لكونه عن اختيار منهم.

فقوله:« وَ مٰا كٰانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطٰانٍ »نفى لكل سلطان،و قوله:« إِلاّٰ لِنَعْلَمَ » أى لنميز« مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَهِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهٰا فِي شَكٍّ »استثناء لسلطانه عليهم من طريق

اتباعهم له عن اختيار منهم،و قد وضع فيه الغايه موضع ذى الغايه أى التمييز المذكور موضع التسلط من طريق الاتباع الاختيارى.

و تقييد الإيمان و الشك بالآخره فى الآيه لمكان أن الرادع الوحيد عن المعصيه و الداعى إلى الطاعه هو الإيمان بالآخره دون الإيمان بالله و رسوله لو لا الآخره كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ» . :_ص:۲۶ و قوله:« وَ رَبُّکَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ »أى عالم علما لا يفوته المعلوم بنسيان أو سهو أو غير ذلك و فيه تحذير عن الكفران و المعصيه و إنذار لأهل الكفر و المعصيه.

(بحث روائى)

فى كمال الدين،بإسناده إلى هشام بن سالم عن الصادق(ع): فى حديث يذكر فيه قصه داود(ع)قال:إنه خرج يقرأ الزبور و كان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل-و لا حجر و لا طائر إلا أجابه.

و فى تفسير القمى،":قوله عز و جل:« أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ »قال:الدروع« وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ »قال:المسامير التى فى الحلقه،و قوله عز و جل:« وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ »قال:كانت الريح تحمل كرسى سليمان-فتسير به فى الغداه مسيره شهر و بالعشى مسيره شهر.

و فى الكافى،بإسناده عن داود بن الحصين و عن أبان بن عثمان عن الفضل أبى العباس قال: قلت لأبى جعفر(ع):« يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ-مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ »قال:ما هى تماثيل الرجال و النساء و لكنها تماثيل الشجر و شبهه.

و فيه،عن بعض أصحابنا مرفوعا عن هشام بن الحكم قال:قال أبو الحسن موسى بن جعفر(ع): يا هشام ثم مدح الله القله فقال:« وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ ».

أقول:و قد وقع هذا المعنى فى عده روايات و هو ينطبق على أحد المعنيين المتقدمين فى ذيل الآيه.

و فى العلل،بإسناده عن أبى جعفر(ع)قال: أمر سليمان بن داود الجن فصنعوا له قبه من قوارير-فبينا هو متكئ على عصاه فى القبه-ينظر إلى الجن كيف ينظرون

إليه إذ حانت منه التفاته-فإذا رجل معه فی القبه قال له:من أنت؟قال:أنا الذی لا أقبل الرشا و لا أهاب الملوک أنا ملک الموت.فقبضه و هو قائم متکئ علی عصاه فی القبه و الجن ینظرون إلیه-.

قال:فمکثوا سنه یدأبون له حتی بعث الله عز و جل الأرضه-فأکلت منسأته و هی العصا،فلما خر تبینت الجن-أن لو کانوا یعلمون الغیب ما لبثوا فی العذاب المهین الحدیث.

أقول:و بقاؤه(ع)علی حال القیام متکئا علی عصاه سنه وارد فی عده من روایات الشیعه و أهل السنه.

و فی المجمع،فی الحدیث عن فروه بن مسیک قال: سألت رسول الله ص عن سبإ أ رجل هو أم امرأه؟فقال:هو رجل من العرب-ولد عشره تیامن منهم سته و تشاءم أربعه-فأما الذین تیامنوا-فالأزد و کنده و مذحج و الأشعرون و أنمار و حمیر فقال رجل من القوم:ما أنمار؟قال:الذین منهم خثعم و بجیله.و أما الذین تشاءموا فعامله و جذام و لخم و غسان:

أقول:و رواه فی الدر المنثور،عن عده من أرباب الجوامع و السنن عنه(ص)

و المراد بالتیامن و التشاؤم السکونه بالیمن و الشام.

و فی الکافی،بإسناده عن سدیر قال: سأل رجل أبا عبد الله(ع)عن قول الله عز و جل.« فَقٰالُوا رَبَّنٰا بٰاعِدْ بَیْنَ أَسْفٰارِنٰا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ »الآیه-فقال:هؤلاء قوم کانت لهم قری متصله ینظر بعضهم إلی بعض-و أنهار جاریه و أموال ظاهره فکفروا نعم الله عز و جل-و غیروا ما بأنفسهم من عافیه الله-فغیر الله ما بهم من نعمه-و الله لا یغیر ما بقوم حتی یغیروا ما بأنفسهم-فأرسل الله علیهم سیل العرم ففرق قراهم و خرب دیارهم و ذهب بأموالهم و أبدلهم مکان جنانهم جنتین-ذواتی أکل خمط و أثل و شیء من سدر قلیل-ثم قال:« ذٰلِکَ جَزَیْنٰاهُمْ بِمٰا کَفَرُوا وَ هَلْ نُجٰازِی إِلاَّ الْکَفُورَ ».

أقول:و ورد فی عده من الروایات أن القری التی بارک الله فیها هم أهل بیت النبی ص و القری الظاهره هم الوسائط بینهم و بین الناس من حمله أحادیثهم و غیرهم، و هو من بطن القرآن و لیس من التفسیر فی شیء.

[سوره سبإ (۳۴): الآیات ۲۲ الی ۳۰]

اشاره

قُلِ اُدْعُوا اَلَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اَللّهِ لاٰ یَمْلِکُونَ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی اَلْأَرْضِ وَ مٰا لَهُمْ فِیهِمٰا مِنْ شِرْکٍ وَ مٰا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِیرٍ (۲۲) وَ لاٰ تَنْفَعُ اَلشَّفٰاعَهُ عِنْدَهُ إِلاّٰ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتّٰی إِذٰا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قٰالُوا مٰا ذٰا قٰالَ رَبُّکُمْ قٰالُوا اَلْحَقَّ وَ هُوَ اَلْعَلِیُّ اَلْکَبِیرُ (۲۳) قُلْ مَنْ یَرْزُقُکُمْ مِنَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ قُلِ اَللّهُ وَ إِنّٰا أَوْ إِیّٰاکُمْ لَعَلیٰ هُدیً أَوْ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۲۴) قُلْ لاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا أَجْرَمْنٰا وَ لاٰ نُسْئَلُ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (۲۵) قُلْ یَجْمَعُ بَیْنَنٰا رَبُّنٰا ثُمَّ یَفْتَحُ بَیْنَنٰا بِالْحَقِّ وَ هُوَ اَلْفَتّٰاحُ اَلْعَلِیمُ (۲۶) قُلْ أَرُونِیَ اَلَّذِینَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَکٰاءَ کَلاّٰ بَلْ هُوَ اَللّهُ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۲۷) وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ کَافَّهً لِلنّٰاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ یَعْلَمُونَ (۲۸) وَ یَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا اَلْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۲۹) قُلْ لَکُمْ مِیعٰادُ یَوْمٍ لاٰ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سٰاعَهً وَ لاٰ تَسْتَقْدِمُونَ (۳۰)

(بیان)

آیات مقرره للتوحید و احتجاجات حوله.

قوله تعالی:« قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ لاٰ یَمْلِکُونَ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ »إلی

ص: ۳۶۹

آخر الآیه،أمر النبی ص أن یحتج علی إبطال ألوهیه آلهتهم بعدم قدرتهم علی استجابه الدعاء،فقوله:« قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ »أی ادعوا الذین زعمتموهم آلهه من دون الله-فمفعولا« زَعَمْتُمْ »محذوفان لدلاله السیاق علیهما-و دعاؤهم هو مسألتهم شیئا من الحوائج.

و قوله:« لاٰ یَمْلِکُونَ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی الْأَرْضِ »واقع موقع الجواب کأنه قیل:فما ذا یکون إذا دعوهم؟فقیل:لا یستجیبون لهم بشیء لأنهم« لاٰ یَمْلِکُونَ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ لاٰ فِی الْأَرْضِ »و لو ملکوا لاستجابوا،و لا تتم الربوبیه و الألوهیه إلا بأن یملک الرب و الإله شیئا مما یحتاج إلیه الإنسان فیملکه له و ینعم علیه به فیستحق بإزائه العباده شکرا له فیعبد،أما إذا لم یملک شیئا فلا یکون ربا و لا إلها.

و قوله:« وَ مٰا لَهُمْ فِیهِمٰا مِنْ شِرْکٍ »کان الملک المنفی فی الجمله السابقه« لاٰ یَمْلِکُونَ » إلخ،الملک المطلق المنبسط علی الجمیع و المنفی فی هذه الجمله الملک المحدود المتبعض الذی ینبسط علی البعض دون الکل إما مشاعا أو مفروزا،لکن المشرکین ما کانوا یقولون بالملک المشترک بینهم و بین الله سبحانه مشاعا بل کانوا یقولون بملک کل من آلهتهم لنوع من الخلقه أو بعض منها،و أما الله سبحانه فهو رب الأرباب و إله الآلهه.

و علی هذا کان من الواجب أن یستجیب آلهتهم إذا دعوا فیما یملکونه من الخلقه و عدم استجابتهم کاشف عن عدم ربوبیتهم و ألوهیتهم.

و قوله:« وَ مٰا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِیرٍ »أی لیس لله سبحانه منهم کلا أو بعضا من معین یعینه فیما یفرض فیه عجزه عن القیام بأمر تدبیره إذ لو کان له منهم ظهیر یظهره علی التدبیر کان مالکا فیستجیب إذا دعی فیما هو ظهیر بالنسبه إلیه و إذ لیس فلیس.

فتبین مما تقدم أن احتجاج الآیه علی نفی الملک بانتفاء استجابتهم دعاء الداعی یجری فی جمیع الصور الثلاث و هی ملکهم لما فی السماوات و ما فی الأرض مطلقا و ملکهم علی وجه الشرکه مع الله سبحانه و کونهم أو بعضهم ظهیرا لله سبحانه.

قوله تعالی:« وَ لاٰ تَنْفَعُ الشَّفٰاعَهُ عِنْدَهُ إِلاّٰ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ »المشرکون کانوا یقولون بشفاعه آلهتهم کما حکاه الله سبحانه عنهم بقوله: «هٰؤُلاٰءِ شُفَعٰاؤُنٰا عِنْدَ اللّٰهِ» ، :یونس:۱۸

و ليس مرادهم بالشـفاعه شفاعه يوم القيامه التى يثبتها القرآن الكريم فإنهم ما كانوا يقولون بالمعاد بل الشفاعه فى الدنيا لعبادهم عند الله سبحانه ليسعدهم بقضاء حوائجهم و إصلاح شئونهم بتوسط آلهتهم.

و إذ كـانت الآلـهه مخلوقين لله مملوكين له من كـل وجه فلا يملكون الشـفاعه من عنـد أنفسـهم مسـتقلين بها إلا أن يملكهم الله سبحانه ذلك و هو الإذن لهم فى أن يشفعوا فأصل شفاعتهم لو شفعوا بإذن الله سبحانه.

و قوله:« إِلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ »يحتمـل أن يكون اللام فى« لِمَنْ »لام الملك و المراد بمن أذن له الشافع من الملائكه،و المعنى:لا تنفع الشـفاعه إلا أن يملكه الشافع بالإذن من الله و أن يكون لام التعليل و المراد بمن أذن له المشـفوع له،و المعنى:لا تنفع الشفاعه إلا لأجل من أذن له من المشفوع لهم،قال فى الكشاف:و هذا يعنى الوجه الثانى وجه لطيف و هو الوجه.انتهى.

و هو الوجه فإن الملائكه على ما يستفاد من كلامه تعالى وسائط لإنفاذ الأمر الإلهى و إجرائه،قال تعالى: «لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» ، :الأنبياء:٢٧ و قال: «جٰاعِلِ الْمَلاٰئِكَهِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَهٍ» ، :فاطر:١ و الوساطه المذكوره من الشفاعه كما تقدم فى مباحث الشفاعه فى الجزء الأول من الكتاب.

فالملائكه جميعا شـفعاء لكن لا فى كل أمر و لكل أحد بل فى أمر أذن الله فيه و لمن أذن له فنفى شفاعتهم إلا مع الإذن يناسب المشفوع لهم دون الشفعاء،فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ ارْتَضىٰ» ، :الأنبياء:٢٨ لا فى معنى قوله:

«مٰا مِنْ شَفِيعٍ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» :يونس:٣.

قوله تعـالى:« حَتّٰى إِذٰا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قٰالُوا مٰا ذٰا قٰالَ رَبُّكُمْ قٰالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ » التفزيع إزاله الفزع و كشـفه و ضـمائر الجمع-على ما يعطيه السياق- للشفعاء و هم الملائكه.

و لازم قوله:« حَتّٰى إِذٰا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ »-و هو غايه-أن يكون هناك أمر مغيى بها و هو كون قلوبهم فى فزع ممتـد فى انتظار أمر الله سبحانه حتى يرتفع بصدور الأمر منه،فالآيه فى معنى قوله تعالى: «وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ X-إلى أن قال-X وَ الْمَلاٰئِكَهُ وَ هُمْ

لاـ يَسْتَكْبِرُونَ يَخٰافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مٰا يُؤْمَرُونَ» ، :النحل:۵۰ فالفزع هو التأثر و الانقباض من الخوف و هو المراد بسجدتهم تذللا من خوف ربهم من فوقهم.

و بذلك يظهر أن المراد بفزعهم حتى يفزع عنهم أن التذلل غشى قلوبهم و هو تذللهم من حيث إنهم أسباب و شفعاء فى نفوذ الأوامر الإلهيه و وقوعه على ما صدر و كما أريد،و كشف هذا التذلل هو تلقيهم الأمر الإلهى و اشتغالهم بالعمل كأنهم بحيث لا يظهر من وجودهم إلا فعلهم و طاعتهم لله فيما أمرهم به و أنه لا واسطه بين الله سبحانه و بين الفعل إلا أمره فافهم ذلك.

و إنما نسب الفزع و التفزيع إلى قلوبهم للدلاله على أنهم ذاهلون منصرفون عن أنفسهم و عن كل شىء إلا ربهم و هم على هذه الحاله لا يشعرون بشىء غيره حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم عند صدور الأمر الإلهى بلا مهل و لا تخلف فليس الأمر بحيث يعطل أو يتأخر عن الوقوع،قال تعالى: «إِنَّمٰا أَمْرُهُ إِذٰا أَرٰادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» ، :يس:۸۲ فالمستفاد من الآيه نظرا إلى هذا المعنى أنهم فى فزع حتى إذا أزيل فزعهم بصدور الأمر الإلهى.

و قوله:« قٰالُوا مٰا ذٰا قٰالَ رَبُّكُمْ قٰالُوا الْحَقَّ »يدل على أنهم طوائف كثيرون يسأل بعضهم بعضا عن الأمر الإلهى بعد صدوره و انكشاف الفزع عن قلوب السائلين.

و يتبين منه أن كشف الفزع و نزول الأمر إلى بعضهم أسبق منه إلى بعض آخر فإن لازم السؤال أن يكون المسئول عالما بما سئل عنه قبل السائل.

فلهم مراتب مختلفه و مقامات متفاوته بعضها فوق بعض تتلقى الدانيه منها الأمر الإلهى من العاليه من غير تخلف و لا مهله و هو طاعه الدانى منهم للعالى،كما يستفاد ذلك أيضا بالتدبر فى قوله تعالى: «وَ مٰا مِنّٰا إِلاّٰ لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ» ، :الصافات:۱۶۴ و قوله فى وصف الروح الأمين: «ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» :التكوير:۲۱.

فبينهم مطاع و مطيع و لاـ طاعه مع ذلك إلا لله سبحانه لأن المطاع منهم لا شأن له إلا إيصال ما وصل إليه من الأمر الإلهى إلى مطيعه الذى دونه،و يمكن أن يستفاد ذلك من توصيف القول بالحق فى قوله:« قٰالُوا مٰا ذٰا قٰالَ رَبُّكُمْ قٰالُوا الْحَقَّ »أى قال

القول الثابت الذى لا سبيل للبطلان و التبدل إليه.

و ما ألطف ختم الآيه بقوله تعالى:« وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ »أى هو العلى الـذى دونه كل شـىء و الكبير الـذى يصـغر عنده كل شـىء فليس للملائكه المكرمين إلا تلقى قوله الحق و امتثاله و طاعته كما يريد.

فقـد تحصل من الآيه الكريمه أن الملائكه فزعون فى أنفسـهم متـذللون فى ذواتهم ذاهلون عن كل شـىء إلا عن ربهم محدقون إلى ساحه العظمه و الكبرياء فى انتظار صـدور الأمر حتى يكشف عن قلوبهم الفزع،بصـدور الأمر و نزوله و هم مع ذلك طوائف مختلفه ذووا مقامات متفاوته علوا و دنوا يتوسط كل عال فى إيصال الأمر النازل إلى من هو دونه.

فهم مع كونهم شـفعاء و أسـبابا متوسطه لا يشفعون و لا يتوسطون فى حدوث حادث من حوادث الخلق و التدبير إلا بإذن خاص من ربهم فى حـدوثه فيتحملون الأـمر النازل إليهم حتى يحققوه فى الكون من غير أن يسـتقلوا من أنفسـهم فى شـىء أو يسـتبدوا برأى،و من كان هذا شأنه لا يشـعر بشـىء إلا طاعه ربه فيما يأمره به كيف يكون ربا مسـتقلا فى أمره مفوضا إليه التدبير يعطى ما يشاء و يمنع ما يشاء؟ و فى الآيه أقوال مختلفه أخر:

منها:أن ضـمير« قُلُوبِهِمْ »و« قالُوا »الثانى للمشـركين دون الملائكه و ضمير « قالُوا »الأول للملائكه و المعنى:حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين وقت الفزع قالت الملائكه لهم:ما ذا قال ربكم؟قالت المشركون لهم:الحق فيعترفون بما أنكروه فى الدنيا.

و منهـا:أن ضـمير« قُلُوبِهِمْ »للملائكه و المراد أن الملائكه الموكلين بالأعمال إذا صـعدوا بأعمال العباد إلى السـماء و لهم زجل و صوت عظيم خشيت الملائكه أنها الساعه فيفزعون و يخرون سجدا لله سبحانه حتى إذا كشف عن قلوبهم الفزع و علموا أنه ليس الأمر كذلك فسألوا ما ذا قال ربكم؟قالوا:الحق.

و منها:أن الله لما بعث النبى ص بعد فتره بينه و بين عيسـى(ع)لم ينزل فيها شـىء من الوحى أنزل الله سـبحانه جبريل بالوحى فلما نزل ظنت الملائكه أنه

نزل بشیء من أمر الساعه فصعقوا لذلک فجعل جبریل یمر بکل سماء و یکشف الفزع عن الملائکه الساکنین فیها فرفعوا رءوسهم و قال بعضهم لبعض:ما ذا قال ربکم؟قالوا:

الحق أی الوحی.

و منها:أن الضمیر للملائکه و المراد أن الله سبحانه إذا أوحی إلی بعض الملائکه غشی علی الملائکه عند سماع الوحی و یصعقون و یخرون سجدا للآیه العظیمه فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائکه ذلک الملک الذی أوحی إلیه ما ذا قال ربک؟أو سأل بعضهم بعضا ما ذا قال ربکم؟فیعلمون أن الأمر فی غیرهم.

و أنت بعد التدبر فی الآیه الکریمه و التأمل فیما قدمناه تعلم وجه الضعف فی هذه الأقوال و أن شیئا منها علی تقدیر صحته فی نفسه لا یصلح تفسیرا لها.

قوله تعالی:« قُلْ مَنْ یَرْزُقُکُمْ مِنَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ »إلخ،احتجاج آخر علی المشرکین من جهه الرزق الذی هو الملاک العمده فی اتخاذهم الآلهه فإنهم یتعللون فی عبادتهم الآلهه بأنها ترضیهم فیوسعون لهم فی رزقهم فیسعدون بذلک.

فأمر النبی ص أن یسألهم من یرزقهم من السماوات و الأرض؟و الجواب عنه أنه الله سبحانه لأن الرزق خلق فی نفسه و لا خالق-حتی عند المشرکین-إلا الله عز اسمه لکنهم یستنکفون عن الاعتراف به بألسنتهم و إن أذعنت به قلوبهم و لذلک أمر أن ینوبهم فی الجواب فقال:« قُلِ اللّٰهُ ».

و قوله:« وَ إِنّٰا أَوْ إِیّٰاکُمْ لَعَلیٰ هُدیً أَوْ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ »،تتمه قول النبی ص و هذا القول بعد إلقاء الحجه القاطعه و وضوح الحق فی مسأله الألوهیه مبنی علی سلوک طریق الإنصاف،و مفاده أن کل قول إما هدی أو ضلال لا ثالث لهما نفیا و إثباتا و نحن و أنتم علی قولین مختلفین لا یجتمعان فإما أن نکون نحن علی هدی و أنتم فی ضلال و إما أن تکونوا أنتم علی هدی و نحن فی ضلال فانظروا بعین الإنصاف إلی ما ألقی إلیکم من الحجه و میزوا المهدی من الضال و المحق من المبطل.

و اختلاف التعبیر فی قولیه:« لَعَلیٰ هُدیً »و« فِی ضَلاٰلٍ »بلفظه علی و فی- کما قیل-للإشاره إلی أن المهتدی کأنه مستعل علی منار یتطلع علی السبیل و غایتها التی فیها سعادته،و الضال منغمر فی ظلمه لا یدری أین یضع قدمه و إلی أین یسیر

و ما ذا يراد به؟.

قوله تعالى:« قُلْ لاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا أَجْرَمْنٰا وَ لاٰ نُسْئَلُ عَمّٰا تَعْمَلُونَ »أى إن العمل و خاصه عمل الشر لا يتعدى عن عامله و لا يلحق وباله إلا به فلا يسأل عنه غيره فلا تسألون عما أجرمنا بل نحن المسئولون عنه و لا نسأل عما تعملون بل أنتم المسئولون.

و هذا تمهيد لما فى الآيه التاليه من حديث الجمع و الفتح فإن الطائفتين إذا اختلفا فى الأعمال خيرا و شرا كان من الواجب أن يفتح بينهما و يتميز كل من الأخرى حتى يلحق به جزاء عمله من خير أو شر أو سعاده أو شقاء و الذى يفتح و يميز هو الرب تعالى.

و فى التعبير عن عمل أنفسهم بالإجرام و فى ناحيه المشركين بقوله:« تَعْمَلُونَ » و لم يقل تجرمون أخذ بحسن الأدب فى المناظره.

قوله تعالى:« قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنٰا رَبُّنٰا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنٰا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتّٰاحُ الْعَلِيمُ »لما كان من الواجب أن يلحق بكل من المحسن و المسىء جزاء عمله و كان لازمه التمييز بينهما بالجمع ثم الفرق كان ذلك شأن مدبر الأمر و هو الرب أمر نبيه ص أن يذكرهم أن الذى يجمع بين الجميع ثم يفتح بينهم بالحق هو الله،فهو رب هؤلاء و أولئك فإنه هو الفتاح العليم يفتح بين كل شيئين بالخلق و التدبير فيتميز بذلك الشىء من الشىء كما قال: «أَنَّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ كٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا» ، :الأنبياء:۳۰ و هو العليم بكل شىء.

فالآيه تثبت البعث لتمييز المحسن من المسىء أولا ثم انحصار التمييز و الجزاء فى جانبه تعالى بانحصار الربوبيه فيه و يبطل بذلك ربوبيه من اتخذوه من الأرباب.

و الفتاح من أسماء الله الحسنى و الفتح إيجاد الفصل بين شيئين لفائده تترتب عليه كفتح الباب للدخول بإيجاد الفصل بين مصراعيه و الفتح بين الشيئين ليتميز كل منهما عن الآخر بذاته و صفاته و أفعاله.

قوله تعالى:« قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكٰاءَ كَلاّٰ بَلْ هُوَ اللّٰهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » أمر آخر للنبى ص أن يسألهم أن يروه آلهتهم حتى يختبر هل فيهم الصفات الضروريه للإله المستحق للعباده من الاستقلال بالحياه و العلم و القدره و السمع و البصر؟و هذا معنى قوله:« أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكٰاءَ »أى ألحقتموهم به شركاء له.

ثم ردع بنفسه و قال:کلا لا یکونون شرکاء له لأنهم إما أن یروه الأصنام بما أنها معبوده لهم معدوده آلهتهم و هی أجسام میته خالیه عن الحیاه و العلم و القدره و إما أن یروه أرباب هذه الأصنام و هم الملائکه و غیرهم بجعل الأصنام تماثیل مشیره إلیهم و هم و إن لم یخلوا عن حیاه و علم و قدره إلا أن ما لهم من صفات الکمال مفاضه علیهم من الله سبحانه لا استقلال لهم فی شیء من هذه الصفات و لا-فی الأفعال المتفرعه علیها فأین الاستقلال فی التدبیر الذی یدعون أنه مفوض إلیهم فالوجود الواجبی بکماله اللامتناهی یمنع أن یکون فی خلقه من یشارکه فی شیء من کماله.

اللهم إلا أن یدعوا أنه شارکهم فی بعض ما له من الشئون لتدبیر خلقه من غیر صلاحیه لهم ذاتیه و هذا ینافی حکمته تعالی.

و قد أشیر إلی هذه الحجه بقوله:« بَلْ هُوَ اللّٰهُ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »فإن عزته تعالی -و هو منع جانبه أن یعدو إلی حریم کماله عاد لکونه لا-یحد بحد-تمنع أن یشارکه فی شیء من صفات کماله کالربوبیه و الألوهیه المنتهیتین إلی الذات أحد غیره هذا لو کانت الشرکه عن صلاحیه ذاتیه من الشریک و لو کانت عن إراده جزافیه منه من غیر صلاحیه حقیقه من الشریک فالحکمه الإلهیه تمنع ذلک.

و قد تبین بذلک أن الآیه متضمنه لحجه قاطعه برهانیه فأحسن التدبر فیها.

قوله تعالی:« وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ کَافَّةً لِلنّٰاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّٰاسِ لاٰ یَعْلَمُونَ »قال الراغب فی المفردات:، الکف کف الإنسان و هی ما بها یقبض و یبسط و کففته أصبت کفه،و کففته أصبته بالکف و دفعته بها و تعورف الکف بالدفع علی أی وجه کان بالکف کان أو غیرها حتی قیل:رجل مکفوف لمن قبض بصره، و قوله: وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ کَافَّةً لِلنّٰاسِ أی کافا لهم عن المعاصی و الهاء فیه للمبالغه کقولهم:

راویه و علامه و نسابه.انتهی.

و یؤید هذا المعنی توصیفه(ص)بالبشیر و النذیر،فقوله:« بَشِیراً وَ نَذِیراً » حالان یبینان صفته لقوله:« کَافَّةً لِلنّٰاسِ ».

و ربما قیل:إن التقدیر و ما أرسلناک إلا إرساله کافه للناس و لا یخلو من تکلف و بعد.و

أما كون كافه بمعنى جميعا و حالا من الناس،و المعنى:و ما أرسلناك إلا للناس جميعا فهم يمنعون عن تقدم الحال على صاحبه المجرور.

و اعلم أن منطوق الآيه و إن كان راجعا إلى النبوه و فيها انتقال من الكلام فى التوحيد إلى الكلام فى النبوه على حد الآيات التاليه،لكن فى مدلولها حجه أخرى على التوحيد و ذلك أن الرساله من لوازم الربوبيه التى شأنها تدبير الناس فى طريق سعادتهم و مسيرهم إلى غايات وجودهم فعموم رسالته(ص)و هو رسول الله تعالى لا رسول غيره دليل على أن الربوبيه منحصره فى الله سبحانه فلو كان هناك رب غيره لجاءهم رسوله و لم يعم رساله النبى ص أو عمتهم و احتاجوا معه إلى غيره،و هذا معنى قول على(ع)-على ما روى-لو كان لربك شريك لأتتك رسله.

و يؤيده ما فى ذيل الآيه من قوله:« وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ »فإن داله انحصار الرساله فى رسل الله على انحصار الربوبيه فى الله عز اسمه أمس بجهل الناس من كونه(ص)رسولا كافا لهم عن المعاصى بشيرا و نذيرا.

فمفاد الآيه على هذا:لا يمكنهم أن يروك شريكا له و الحال أنا لم نرسلك إلا كافا لجميع الناس بشيرا و نذيرا و لو كان لهم إله غيرنا لم يسع لنا أن نرسلك إليهم و هم عباد لإله آخر و الله أعلم.

قوله تعالى:« وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ »سؤال عن وقت الجمع و الفتح و هو البعث فالآيه متصله بقوله السابق:« قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنٰا رَبُّنٰا »الآيه،و هذا أيضا من شواهد ما قدمنا من المعنى لقوله:« وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ كَافَّةً »و إلا كانت هذه الآيه و التى بعدها متخللتين بين قوله:« وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ »الآيه،و الآيات التاليه المتعرضه لمسأله النبوه.

قوله تعالى:« قُلْ لَكُمْ مِيعٰادُ يَوْمٍ لاٰ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سٰاعَةً وَ لاٰ تَسْتَقْدِمُونَ »أمر منه تعالى أن يجيبهم بأن لهم ميعاد يوم مقضى محتوم لا يتخلف عن الوقوع فهو واقع قطعا و لا يختلف وقت وقوعه البته أى إن الله وعد به وعدا لا يخلفه إلا أن وقت وقوعه مستور لا يعلمه إلا الله سبحانه.

و ما قيل:إن المراد به يوم الموت غير سديد فإنهم لم يسألوا إلا عما تقدم وعده و هو يوم الجمع و الفتح و الجمع ثم الفتح من خصائص يوم القيامه دون يوم الموت.

(بحث روائی)

فی تفسير القمی،فی روايه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:« حَتّٰى إِذٰا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ-قٰالُوا مٰا ذٰا قٰالَ رَبُّكُمْ قٰالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ »و ذلک أن أهل السماوات لم يسمعوا وحيا-فيما بين أن بعث عيسی بن مريم إلی أن بعث محمد ص،فلما بعث الله جبرئيل إلی محمد-سمع أهل السماوات صوت وحی القرآن-كوقع الحديد علی الصفا فصعق أهل السماوات-

.

فلما فرغ عن الوحی انحدر جبرئيل-كلما مر بأهل سماء فزع عن قلوبهم يقول:

كشف عن قلوبهم،فقال بعض لبعض: ما ذا قال ربكم؟قالوا:الحق و هو العلی الكبير:

أقول:و روی مثله من طرق أهل السنه موصولا و موقوفا عن النبی ص

و مدلول الروايه علی أی حال مصداق من مصاديق الآيه و لا تصلح لتفسيرها البته.

و فی الدر المنثور،عن ابن مردويه عن ابن عباس و فی المجمع عنه قال:قال رسول الله ص: أعطيت خمسا لم يعطهن نبی قبلی.بعثت إلی الناس كافه الأحمر و الأسود- و إنما كان النبی يبعث إلی قومه،و نصرت بالرعب يرعب منی عدوی علی مسيره شهر، و أطعمت المغنم،و جعلت لی الأرض مسجدا و طهورا،و أعطيت الشفاعه فادخرتها لأمتی إلی يوم القيامه-و هی إن شاء الله نائله من لا يشرک بالله شيئا.

أقول:و روی أيضا هذا المعنی عن ابن المنذر عن أبی هريره عنه(ص).

و الروايه معارضه لما ورد مستفيضا أن نوحا كان مبعوثا إلی الناس كافه و ذكر فی بعضها إبراهيم(ع)و فی بعضها أن أولی العزم كلهم مبعوثون إلی الدنيا كافه، و تخالف أيضا عموم الشفاعه للأنبياء المستفاد من عده من الروايات و قد قال تعالی:

«وَ لاٰ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفٰاعَةَ إِلاّٰ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» ، :الزخرف:

۸۶ و قد شهد القرآن بأن المسيح(ع)من الشهداء قال تعالی: «وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً» :النساء:۱۵۹.

و الروايات من طرق العامه و الخاصه كثيره فى عموم رسالته للناس كافه و ظاهر كثير منها أخذ« كَافَّةً »فى قوله تعالى:« وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ كَافَّةً لِلنّٰاسِ »حالا من « لِلنّٰاسِ »قدم عليه و يمنعه البصريون من النحاه و يجوزه الكوفيون.

[سوره سبإ (٣۴): الآيات ٣١ الى ۵۴]

اشاره

وَ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا اَلْقُرْآنِ وَ لاٰ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ اَلظّٰالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ اَلْقَوْلَ يَقُولُ اَلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اِسْتَكْبَرُوا لَوْ لاٰ أَنْتُمْ لَكُنّٰا مُؤْمِنِينَ (٣١) قٰالَ اَلَّذِينَ اِسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْنٰاكُمْ عَنِ اَلْهُدىٰ بَعْدَ إِذْ جٰاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَ قٰالَ اَلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اِسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اَللَّيْلِ وَ اَلنَّهٰارِ إِذْ تَأْمُرُونَنٰا أَنْ نَكْفُرَ بِاللّٰهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدٰاداً وَ أَسَرُّوا اَلنَّدٰامَةَ لَمّٰا رَأَوُا اَلْعَذٰابَ وَ جَعَلْنَا اَلْأَغْلاٰلَ فِي أَعْنٰاقِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاّٰ قٰالَ مُتْرَفُوهٰا إِنّٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كٰافِرُونَ (٣۴) وَ قٰالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوٰالاً وَ أَوْلاٰداً وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣۵) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ (٣۶) وَ مٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنٰا زُلْفىٰ إِلاّٰ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَأُولٰئِكَ لَهُمْ جَزٰاءُ اَلضِّعْفِ بِمٰا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي اَلْغُرُفٰاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَ اَلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيٰاتِنٰا مُعٰاجِزِينَ أُولٰئِكَ فِي اَلْعَذٰابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ اَلرّٰازِقِينَ (٣٩) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاٰئِكَةِ أَ هٰؤُلاٰءِ إِيّٰاكُمْ كٰانُوا يَعْبُدُونَ (۴٠) قٰالُوا سُبْحٰانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنٰا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كٰانُوا يَعْبُدُونَ اَلْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (۴١) فَالْيَوْمَ لاٰ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذٰابَ اَلنّٰارِ اَلَّتِي كُنْتُمْ بِهٰا تُكَذِّبُونَ (۴٢) وَ إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُنٰا بَيِّنٰاتٍ قٰالُوا مٰا هٰذٰا إِلاّٰ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمّٰا كٰانَ يَعْبُدُ آبٰاؤُكُمْ وَ قٰالُوا مٰا هٰذٰا إِلاّٰ إِفْكٌ مُفْتَرىً وَ قٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُبِينٌ (۴٣) وَ مٰا آتَيْنٰاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهٰا وَ مٰا أَرْسَلْنٰا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (۴۴) وَ كَذَّبَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مٰا بَلَغُوا مِعْشٰارَ مٰا آتَيْنٰاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كٰانَ نَكِيرِ (۴۵) قُلْ إِنَّمٰا أَعِظُكُمْ بِوٰاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ مَثْنىٰ وَ فُرٰادىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مٰا بِصٰاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّٰ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذٰابٍ شَدِيدٍ (۴۶) قُلْ مٰا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلَى اَللّٰهِ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۴٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاّٰمُ اَلْغُيُوبِ (۴٨) قُلْ جٰاءَ اَلْحَقُّ وَ مٰا يُبْدِئُ اَلْبٰاطِلُ وَ مٰا يُعِيدُ (۴٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمٰا أَضِلُّ عَلىٰ نَفْسِي وَ إِنِ اِهْتَدَيْتُ فَبِمٰا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (۵٠) وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلاٰ فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكٰانٍ قَرِيبٍ (۵١) وَ قٰالُوا آمَنّٰا بِهِ وَ أَنّٰى لَهُمُ اَلتَّنٰاوُشُ مِنْ مَكٰانٍ بَعِيدٍ (۵٢) وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكٰانٍ بَعِيدٍ (۵٣) وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مٰا يَشْتَهُونَ كَمٰا فُعِلَ بِأَشْيٰاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كٰانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (۵۴)

(بیان)

فصل آخر من آیات السوره تتکلم فی أمر النبوه و ما یرجع إلیها و ما یقول المشرکون فیها و تتخلص فی خلالها بما یجری علیهم یوم الموت أو یوم القیامه،و قد اتصلت بقوله فی الفصل السابق:« وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ کَافَّهً لِلنّٰاسِ »الآیه،و قد عرفت أن الآیه کالبرزخ بین الفصلین تذکر الرساله و تجعلها دلیلا علی التوحید.

قوله تعالی:« وَ قٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهٰذَا الْقُرْآنِ وَ لاٰ بِالَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ » المراد بالذین کفروا المشرکون و المراد بالذی بین یدیه الکتب السماویه من التوراه و الإنجیل و ذلک أن المشرکین و هم الوثنیون لیسوا قائلین بالنبوه و یتبعها الکتاب السماوی.

و قول بعضهم:إن المراد بالذی بین یدیه هو أمر الآخره مما لا دلیل یساعده، و قد أکثر القرآن الکریم من التعبیر عن التوراه و الإنجیل بالذی بین یدیه،و من الخطإ قول بعضهم:إن المراد بالذین کفروا هم الیهود.

قوله تعالى:« وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ الظّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ »إلخ،الظاهر أن اللام فى« اَلظّالِمُونَ »للعهد،و هذه الآيه و الآيتان بعدها تشير إلى أن وبال هذا الكفر -و أساسه ضلال أئمه الكفر و إضلالهم تابعيهم-سيلحق بهم و سيندمون عليه و لن ينفعهم الندم.

فقوله:« وَ لَوْ تَرىٰ »خطاب للنبى ص إذ هم بمعزل عن فهم الخطاب« إِذِ الظّالِمُونَ »و هم الكافرون بكتب الله و رسله،الذين ظلموا أنفسهم بالكفر« مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ »للحساب و الجزاء يوم القيامه« يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ »أى يتحاورون و يتراجعون فى الكلام متخاصمين« يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا »بيان لرجوع بعضهم إلى بعض فى القول و المستضعفون الأتباع الذين استضعفتهم المتبوعون« لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا » و هم الأئمه القاده« لَوْ لاٰ أَنْتُمْ لَكُنّا مُؤْمِنِينَ »يريدون أنكم أجبرتمونا على الكفر و حلتم بيننا و بين الإيمان.

« قٰالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا »جوابا عن قولهم و ردا لما اتهموهم به من الإجبار و الإكراه« أَ نَحْنُ صَدَدْنٰاكُمْ »الاستفهام للإنكار أى أ نحن صرفناكم« عَنِ الْهُدىٰ بَعْدَ إِذْ جٰاءَكُمْ »فبلوغه إليكم بالدعوه النبويه أقوى الدليل على أنا لم نحل بينه و بينكم و كنتم مختارين فى الإيمان به و الكفر« بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ »متلبسين بالإجرام مستمرين عليه فأجرمتم بالكفر به لما جاءكم من غير أن نجبركم عليه فكفركم منكم و نحن برآء منه.

« وَ قٰالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا »ردا لقولهم و دعواهم البراءه« بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ »أى مكركم بالليل و النهار حملنا على الكفر« إِذْ تَأْمُرُونَنٰا أَنْ نَكْفُرَ بِاللّٰهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدٰاداً »و أمثالا من الآلهه أى أنكم لم تزالوا فى الدنيا تمكرون الليل و النهار و تخطون الخطط لتستضعفونا و تتآمروا علينا فتحملونا على طاعتكم فيما تريدون،فلم نشعر إلا و نحن مضطرون على الائتمار بأمركم إذ تأمروننا بالكفر و الشرك.

« وَ أَسَرُّوا »و أخفوا« اَلنَّدٰامَةَ لَمّٰا رَأَوُا الْعَذٰابَ »و شاهدوا أن لا مناص، و إخفاؤهم الندامه يوم القيامه-و هو يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء- نظير كذبهم على الله و إنكارهم الشرك بالله و حلفهم لله كان بين كل ذلك من قبيل ظهور

ملکاتهم الرذیله التی رسخت فی نفوسهم فقد کانوا یسرون الندامه فی الدنیا خوفا من شماته الأعداء و کذلک یفعلون یوم القیامه مع ظهور ما أسروا و الیوم یوم تبلی السرائر کما یکذبون بمقتضی ملکه الکذب مع ظهور أنهم کاذبون فی قولهم.

ثم ذکر سبحانه أخذهم للعذاب فقال:« وَ جَعَلْنَا الْأَغْلاٰلَ »السلاسل« فِی أَعْنٰاقِ الَّذِینَ کَفَرُوا هَلْ یُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ »فصارت أعمالهم أغلالا فی أعناقهم تحبسهم فی العذاب.

قوله تعالی:« وَ مٰا أَرْسَلْنٰا فِی قَرْیَهٍ مِنْ نَذِیرٍ إِلاّٰ قٰالَ مُتْرَفُوهٰا إِنّٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ کٰافِرُونَ » المترفون اسم مفعول من الإتراف و هو الزیاده فی التنعیم،و فیه إشعار بأن الإتراف یفضی إلی الاستکبار علی الحق کما تفیده الآیه اللاحقه.

قوله تعالی:« وَ قٰالُوا نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوٰالاً وَ أَوْلاٰداً وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ »ضمیر الجمع للمترفین،و من شأن الإتراف و الترفه و التقلب فی نعم الدنیا أن یتعلق قلب الإنسان بها و یستعظمها فیری السعاده فیها سواء وافق الحق أم خالفه فلا یذکر إلا ظاهر الحیاه و ینسی ما وراءه.

و لذا حکی سبحانه عنهم ذلک إذ قالوا:« نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوٰالاً وَ أَوْلاٰداً »فلا سعاده إلا فیها و لا شقوه معها« وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ »فی آخره،و لم ینفوا العذاب إلا للغفله و الانصراف عما وراء کثره الأموال و الأولاد فإذ کانت هی السعاده و الفلاح فحسب فالعذاب فی فقدها و لا عذاب معها.

و هاهنا وجه آخر و هو أنهم لغرورهم بما رزقوا به من المال و الولد ظنوا أن لهم کرامه علی الله سبحانه و هم علی کرامتهم علیهم ما داموا،و المعنی:أنا ذوو کرامه علی الله بما أوتینا من کثره الأموال و الأولاد و نحن علی کرامتنا فما نحن بمعذبین لو کان هناک عذاب.

فتکون الآیه فی معنی قوله: «وَ لَئِنْ أَذَقْنٰاهُ رَحْمَهً مِنّٰا مِنْ بَعْدِ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُ لَیَقُولَنَّ هٰذٰا لِی وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَهَ قٰائِمَهً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلیٰ رَبِّی إِنَّ لِی عِنْدَهُ لَلْحُسْنیٰ» حم السجده:۵۰ قوله تعالی:« قُلْ إِنَّ رَبِّی یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ یَقْدِرُ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَ النّٰاسِ

لاٰ يَعْلَمُونَ

»الآيه و ما يتلوها إلى تمام أربع آيات جواب عن قولهم:« نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوٰالاً » إلـخ،و قد أجيب عنه بوجهين أحدهما أن أمر الرزق من الأموال و الأولاد سعه و ضيقا بيد الله على ما تستدعيه الحكمه و المصلحه و هيأ من الأسباب لا بمشيه الإنسان و لا لكرامه له على الله فربما بسط فی رزق مؤمن أو كافر أو عاقل ذی حزم أو أحمق خفيف العقل،و ربما بسط على واحد ثم قدر له.فلا دلاله فی الإتراف على سعاده أو كرامه.

و هذا معنى قوله:« قُلْ إِنَّ رَبِّی »نسبه إلى نفسه لأنهم لم يكونوا يرون الله ربا لأنفسهم و الرزق من شئون الربوبيه« يَبْسُطُ »أی يوسع« اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ »من عباده بحسب الحكمه و المصلحه« وَ يَقْدِرُ »أی يضيق« وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ » فينسبونه ما لم يؤتوه إلى الأسباب الظاهريه الاتفاقيه ثم إذا أوتوه نسبوه إلى حزمهم و حسن تدبيرهم أنفسهم و كفى به دليلا على الحمق.

قوله تعالى:« وَ مٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ بِالَّتِی تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنٰا زُلْفىٰ »إلى آخر الآيتين هذا هو الجواب الثانی عن قولهم:« نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوٰالاً وَ أَوْلاٰداً وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ » و محصله أن انتفاء العذاب المترتب على القرب من الله لا يترتب على الأموال و الأولاد إذ لا توجب الأموال و الأولاد قربا و زلفى من الله حتى ينتفی معها العذاب الإلهی فوضع تقريب المال فی الآيه موضع انتفاء العذاب من قبيل وضع السبب موضع المسبب.

و هذا معنى قوله:« وَ مٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ »التی تعتمدون عليها فی السعاده و انتفاء عذاب الله« بِالَّتِی »أی بالجماعه التی« تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنٰا زُلْفىٰ »أی تقريبا.

« إِلاّٰ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً »فی ماله و ولده بأن أنفق من أمواله فی سبيل الله و بث الإيمان و العمل الصالح فی أولاده بتربيه دينيه« فَأُولٰئِكَ لَهُمْ جَزٰاءُ الضِّعْفِ »لعله من إضافه الموصوف إلى الصفه أی الجزاء المضاعف من جهه أنهم اهتدوا و هدوا و أيضا من جهه تضعيف الحسنات إلى عشر أضعافها و زياده« وَ هُمْ فِی الْغُرُفٰاتِ »أی فی القباب العاليه« آمِنُونَ »من العذاب فما هم بمعذبين.

« وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِی آيٰاتِنٰا مُعٰاجِزِينَ »أی يجدون فی آياتنا و هم يريدون أن يعجزونا-أو أن يسبقونا- أُولٰئِكَ فِی الْعَذٰابِ مُحْضَرُونَ »و إن كثرت أموالهم و أولادهم.

و فى قوله:« وَ مٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ »إلخ،انتقال إلى خطاب عامه الناس من الكفار و غيرهم و الوجه فيه أن ما ذكره من الحكم حكم الأموال و الأولاد سواء فى ذلك المؤمن و الكافر فالمال و الولد إنما يؤثران أثرهما الجميل إذا كان هناك إيمان و عمل صالح فيهما و إلا فلا يزيدان إلا وبالا.

قوله تعالى:« قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ »قال فى مجمع البيان،:يقال: أخلف الله له و عليه إذا أبدل له ما ذهب عنه.انتهى.

سياق الآيه يدل على أن المراد بالإنفاق فيها الإنفاق فى وجوه البر و المراد بيان أن هذا النحو من الإنفاق لا يضيع عند الله بل يخلفه و يرزق بدله.

فقوله فى صدر الآيه:« قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ يَقْدِرُ »للإشاره إلى أن أمر الرزق فى سعته و ضيقه إلى الله سبحانه لا ينقص بالإنفاق و لا يزيد بالإمساك ثم قال:« وَ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ »قليلا كان أو كثيرا و أيا ما كان من المال« فَهُوَ يُخْلِفُهُ » و يرزقكم بدله إما فى الدنيا و إما فى الآخره« وَ هُوَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ »فإنه يرزق جودا و رزق غيره معامله فى الحقيقه و معاوضه،و لأنه الرازق فى الحقيقه و غيره ممن يسمى رازقا واسطه لوصول الرزق.

قوله تعالى:« وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاٰئِكَهِ أَ هٰؤُلاٰءِ إِيّٰاكُمْ كٰانُوا يَعْبُدُونَ » المراد بهم جميعا بشهاده السياق العابدون و المعبودون جميعا.

و قوله:« ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاٰئِكَهِ أَ هٰؤُلاٰءِ إِيّٰاكُمْ كٰانُوا يَعْبُدُونَ »ليس سؤال استخبار عن أصل عبادتهم لهم و لو كان كذلك لم يسعهم إنكارها لأنهم عبدوهم فى الدنيا و قد أنكروها كما فى الآيه بل المراد السؤال عن رضاهم بعبادتهم على حد قوله تعالى لعيسى بن مريم:« أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّٰاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ ».

و الغرض من السؤال تبكيت المشركين و إقناطهم من نصره الملائكه و شفاعتهم لهم و قد عبدوهم فى الدنيا لذلك.

قوله تعالى:« قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ » أخذت الملائكه فى جوابهم عن سؤاله تعالى بجوامع الأدب فنزهوه سبحانه أولا تنزيها مطلقا فيه تنزيهه من أن يعبدوا من دونه ثم نفوا رضاهم بعباده المشركين لهم لكن لا ـ بالتصريح بنفى الرضا بالعباده و لا ـ بالتفوه بعبادتهم صونا لساحه المخاطبه عما يقرع السمع بذلك،و لو تصوروا لا تصديقا بل أجابوا بقصر ولايتهم فيه تعالى و نفيها عنهم ليدل على نفى الرضا بعبادتهم لهم على طريق الكنايه فإن الرضا بعبادتهم لازمه الموالاه بينهم،و الموالاه بينهم تنافى قصر الولايه فى الله سبحانه فإذا انحصرت الولايه فيه تعالى لم تكن موالاه و إذا لم تكن موالاه لم يكن رضا.

ثم قالوا على ما حكاه الله سبحانه:« بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ » و الجن هم الطائفه الثانيه من الطوائف الثلاث التى يعبدهم الوثنيون و هم الملائكه و الجن و القديسون من البشر،و الأقدم فى استحقاق العباده عندهم هم الطائفتان الأوليان و الطائفه الثالثه ملحقه بهما بعد الكمال و إن كانوا أفضل منهما.

و الإضراب فى قولهم:« بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ »يدل على أن الجن كانوا على رضى من عبادتهم لهم.

و هؤلاء من الجن هم الذين يعدهم الوثنيون مبادئ الشرور فى العالم فيعبدونهم اتقاء من شرورهم كما يعبدون الملائكه طمعا فى خيراتهم لما أنهم مباد للخيرات لا كما قيل:إن المراد بالجن إبليس و ذريته و قبيله و معنى عبادتهم لهم طاعتهم فيما دعوهم إليه من عباده الملائكه أو مطلق المعاصى،و يرده ما وقع فى الآيه من التعبير بلفظ الإيمان دون الطاعه و لا ما قيل:إنهم كانوا يتمثلون لهم و يخيلون لهم أنهم الملائكه فيعبدونهم و لا ما قيل:إنهم كانوا يدخلون أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها.

و لعل الوجه فى نسبه الإيمان بهم إلى أكثرهم دون جميعهم أن أكثرهم يعبدون الآلهه اتقاء من طروق الشر من قبلهم،و مبادئ الشر عندهم مطلقا الجن لا كما قيل:إن المراد بالأكثر الكل،و هو مبنى على تفسير العباده بمعنى الطاعه و قد عرفت ما فيه.

قوله تعالى:« فَالْيَوْمَ لاٰ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا

ذُوقُوا عَذٰابَ النّٰارِ الَّتِی کُنْتُمْ بِهٰا تُکَذِّبُونَ

»نوع تفریع علی تبری الملائکه منهم و قد بین تبری عامه المتبوعین من تابعیهم و التابعین من متبوعیهم فی مواضع کقوله تعالی: «وَ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ یَکْفُرُونَ بِشِرْکِکُمْ» ، :فاطر:۱۴ و قوله: «ثُمَّ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ یَکْفُرُ بَعْضُکُمْ بِبَعْضٍ وَ یَلْعَنُ بَعْضُکُمْ بَعْضاً» :العنکبوت:۲۵.و معنی الآیه ظاهر.

قوله تعالی:« وَ إِذٰا تُتْلیٰ عَلَیْهِمْ آیٰاتُنٰا بَیِّنٰاتٍ قٰالُوا مٰا هٰذٰا إِلاّٰ رَجُلٌ یُرِیدُ أَنْ یَصُدَّکُمْ عَمّٰا کٰانَ یَعْبُدُ آبٰاؤُکُمْ »إلخ،خطابهم هذا لعامتهم بعد استماع الآیات تنبیه لهم علی الجد فی التمسک بدین آبائهم و تحریض لهم علیه(ص)،و فی توصیف الآیات بالبینات نوع عتبی کأنه قیل:إذا تتلی علیهم هذه الآیات و هی بینه لا ریب فیها فبدلا من أن یدعوا عامتهم إلی اتباعها حثوهم علی الإصرار علی تقلید آبائهم و حرضوهم علیه-و فی إضافه الآباء إلی ضمیر« یَصُدَّکُمْ »مبالغه فی التحریض و الإثاره.

و قوله:« وَ قٰالُوا مٰا هٰذٰا إِلاّٰ إِفْکٌ مُفْتَریً »معطوف علی« قٰالُوا »أی و قالوا مشیرا إلی الآیات البینات إشاره تحقیر لیس هذا إلا کلاما مصروفا عن وجهه مکذوبا به علی الله،بدلا من أن یقولوا:إنها آیات بینات نازله من عند الله تعالی-و قد أشاروا إلی الآیات البینات بهذا دلاله علی أنهم لم یفهموا منها إلا أنها شیء ما لا أزید من ذلک.

ثم غیر سبحانه السیاق و قال:« وَ قٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُبِینٌ »و مجیء الحق لهم بلوغه و ظهوره لهم،و الأخذ بوصف الکفر للإشعار بالتعلیل و المعنی:و الذین کفروا بعثهم الکفر إلی أن یقولوا للحق الصریح الذی بلغهم و ظهر لهم هذا سحر ظاهر سحریته و بطلانه.

و أکد إصرارهم علی دحض الحق باتباع الهوی من غیر دلیل یدل علیه بقوله:

« وَ مٰا آتَیْنٰاهُمْ مِنْ کُتُبٍ یَدْرُسُونَهٰا وَ مٰا أَرْسَلْنٰا إِلَیْهِمْ قَبْلَکَ مِنْ نَذِیرٍ »و الجمله حالیه أی و عد الذین کفروا-أی کفار قریش-الحق الصریح الظاهر لهم سحرا مبینا و الحال أنا لم نعطهم کتبا یدرسونها حتی یمیزوا بها الحق من الباطل و لم نرسل إلیهم قبلک من رسول ینذرهم و یبین لهم ذلک فیقولوا استنادا إلی الکتاب الإلهی أو إلی قول الرسول النذیر:إنه حق أو باطل.

قوله تعالى:« وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مٰا بَلَغُوا مِعْشٰارَ مٰا آتَيْنٰاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كٰانَ نَكِيرِ »ضميرا الجمع الأول و الثانى لكفار قريش و من يتلوهم و الثالث و الرابع للذين من قبلهم،و المعشار العشر و النكير الإنكار،و المراد به فى الآيه لازمه و هو الأخذ بالعذاب.

و المعنى:و كذب بالحق من الآيات الذين كانوا من قبل كفار قريش من الأمم الماضيه و لم يبلغ كفار قريش عشر ما آتيناهم من القوه و الشده فكذب أولئك الأقوام رسلى فكيف كان أخذى بالعذاب و ما أهون أمر قريش.و الالتفات فى الآيه إلى التكلم لاستعظام الجرم و تهويل المؤاخذه.

قوله تعالى:« قُلْ إِنَّمٰا أَعِظُكُمْ بِوٰاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ مَثْنىٰ وَ فُرٰادىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مٰا بِصٰاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ »المراد بالموعظه الوصيه كنايه أو تضمينا،و قوله:« أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ »أى تنهضوا لأجل الله و لوجهه الكريم،و قوله :«مَثْنىٰ وَ فُرٰادىٰ »أى اثنين اثنين و واحدا واحدا كنايه عن التفرق و تجنب التجمع و الغوغاء فإن الغوغاء لا شعور لها و لا فكر و كثيرا ما تميت الحق و تحيى الباطل.

و قوله:« مٰا بِصٰاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ »استئناف« إِنَّمٰا »نافيه و يشهد بذلك قوله بعد:

« إِنْ هُوَ إِلاّٰ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذٰابٍ شَدِيدٍ »و يمكن أن يكون« إِنَّمٰا »استفهاميه أو موصوله و« مِنْ جِنَّةٍ »بيانا له.

و المراد بصاحبكم النبى ص نفسه و الوجه فى التعبير به تذكرتهم بصحبته الممتده لهم أربعين سنه من حين ولادته إلى حين بعثته ليتذكروا أنهم لم يعهدوا منه اختلالا فى فكر أو خفه فى رأى أو أى شىء يوهم أن به جنونا.

و المعنى:قل لهم:إنما أوصيكم بالعظه أن تنهضوا و تنتصبوا لوجه الله متفرقين حتى يصفو فكركم و يستقيم رأيكم اثنين اثنين و واحدا واحدا و تتفكروا فى أمرى فقد صاحبتكم طول عمرى على سداد من الرأى و صدق و أمانه ليس فى من جنه.ما أنا إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد فى يوم القيامه فأنا ناصح لكم غير خائن.

قوله تعالى:« قُلْ مٰا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ »إلخ،كنايه عن عدم سؤال أجر على الدعوه فإنه إذا وهبهم كما سألهم من أجر فليس له عليهم أجر مسئول

و لازمه أن لا يسألهم و هذا تطييب لنفوسهم أن لا يتهموه بأنه جعل الدعوه ذريعه إلى نيل مال أو جاه.

ثم تمم القول بقوله:« إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلَى اللّٰهِ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »لئلا يرد عليه قوله بأنه دعوى غير مسموعه فإن الإنسان لا يروم عملا بغير غايه فدفعه بأن لعملى أجرا لكنه على الله لا عليكم و هو يشهد عملى و هو على كل شيء شهيد.

قوله تعالى:« قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاّٰمُ الْغُيُوبِ » القذف الرمى،و قوله:

« عَلاّٰمُ الْغُيُوبِ »خبر بعد خبر أو خبر لمبتدء محذوف و هو الضمير الراجع إليه تعالى.

و مقتضى سياق الآيات السابقه أن المراد بالحق المقذوف القرآن النازل إليه بالوحى من عنده تعالى الذى هو قول فصل يحق الحق و يبطل الباطل فهو الحق المقذوف إليه (ص)من عند علام الغيوب فيدمغ الباطل و يزهقه،قال تعالى: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبٰاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذٰا هُوَ زٰاهِقٌ» ، :الأنبياء:۱۸ و قال: «قُلْ جٰاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبٰاطِلُ إِنَّ الْبٰاطِلَ كٰانَ زَهُوقاً» :إسراء:۸۱.

قوله تعالى:« قُلْ جٰاءَ الْحَقُّ وَ مٰا يُبْدِئُ الْبٰاطِلُ وَ مٰا يُعِيدُ »المراد بمجىء الحق على ما تهدى إليه الآيه السابقه نزول القرآن المبطل بحججه القاطعه و براهينه الساطعه لكل باطل من أصله.

و قوله:« وَ مٰا يُبْدِئُ الْبٰاطِلُ وَ مٰا يُعِيدُ »أى ما يظهر أمرا ابتدائيا جديدا بعد مجىء الحق و ما يعيد أمرا كان قد أظهره من قبل إظهارا ثانيا بنحو الإعاده فهو كنايه عن بطلان الباطل و سقوطه عن الأثر من أصله بالحق الذى هو القرآن.

قوله تعالى:« قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمٰا أَضِلُّ عَلىٰ نَفْسِي وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمٰا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ »بيان لأثر الحق الذى هو الوحى فإنه عرفه حقا مطلقا فالحق إذا كان حقا من كل جهه لم يخطئ فى إصابه الواقع فى جهه من الجهات و إلا كان باطلا من تلك الجهه فالوحى يهدى و لا يخطئ البته.

و لذا قال تأكيدا لما تقدم:« قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ »و فرض منى ضلال« فَإِنَّمٰا أَضِلُّ » مستقرا ذلك الضلال« عَلىٰ نَفْسِي »فإن للإنسان من نفسه أن يضل« وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمٰا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي »فوحيه حق لا يحتمل ضلالا و لا يؤثر إلا الهدى.

و قد علل الكلام بقوله:« إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ »للدلاله على أنه يسمع الدعوه و لا يحجبه عنها حاجب البعد و قد مهد له قبلا وصفه تعالى فى قذف الحق بأنه علام الغيوب فلا يغيب عنه أمر يخل بأمره و يمنع نفوذ مشيته هدايه الناس بالوحى قال تعالى: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً» :الجن:٢٨.

قوله تعالى:« وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ »ظاهر السياق السابق و يشعر به قوله الآتى:« وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ »أن الآيات الأربع وصف حال مشركى قريش و من يلحق بهم حال الموت.

فقوله:« وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا »أى حين فزع هؤلاء المشركون عند الموت« فَلا فَوْتَ »أى لا يفوتون الله بهرب أو تحصن أو أى حائل آخر.

و قوله:« وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ »كنايه عن عدم فصل بينهم و بين من يأخذهم و قد عبر بقوله:« أُخِذُوا »مبنيا للمفعول ليستند الأخذ إليه سبحانه،و قد وصف نفسه بأنه قريب،و كشف عن معنى قربه بقوله: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ» ، :الواقعه:٨٥ و أزيد منه فى قوله: «مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» ، :ق:١۶ و أزيد منه فى قوله: «أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ» ، :الأنفال:٢۴ فبين أنه أقرب إلى الإنسان من نفسه و هذا الموقف هو المرصاد الذى ذكره فى قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ» ، :الفجر:

١۴ فكيف يتصور فوت الإنسان منه و هو أقرب إليه من نفسه؟أو من ملائكته المكرمين الذين يأخذون الأمر منه تعالى من غير حاجب يحجبهم عنه أو واسط يتوسط بينه و بينهم.

فقوله:« وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ »نوع تمثيل لقربه تعالى من الإنسان بحسب ما نتصوره من معنى القرب لاحتباسنا فى سجن الزمان و المكان و أنسنا بالأمور الماديه و إلا فالأمر أعظم من ذلك.

قوله تعالى:« وَ قالُوا آمَنّا بِهِ وَ أَنّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ » التناوش التناول و ضمير« بِهِ »للقرآن على ما يعطيه السياق.

و المراد بكونهم فى مكان بعيد أنهم فى عالم الآخره و هى دار تعين الجزاء و هى

أبعد ما يكون من عالم الدنيا التى هى دار العمل و موطن الاكتساب بالاختيار و قد تبدل الغيب شهاده لهم و الشهاده غيبا كما تشير إليه الآيه التاليه.

قوله تعالى:« وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ »حال من الضمير فى« وَ أَنّى لَهُمُ التَّناوُشُ »و المراد بقوله:« وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ » رميهم عالم الآخره و هم فى الدنيا بالظنون مع عدم علمهم به و كونه غائبا عن حواسهم إذ كانوا يقولون:لا بعث و لا جنه و لا نار،و قيل:المراد به رميهم النبى ص بالسحر و الكذب و الافتراء و الشعر.

و العنايه فى إطلاق المكان البعيد على الدنيا بالنسبه إلى الآخره نظيره إطلاقه على الآخره بالنسبه إلى الدنيا و قد تقدمت الإشاره إليه.

و معنى الآيتين:و قال المشركون حينما أخذوا آمنا بالحق الذى هو القرآن و أنى لهم تناول الإيمان به- إيمانا يفيد النجاه-من مكان بعيد و هو الآخره و الحال أنهم كفروا به من قبل فى الدنيا و هم ينفون أمور الآخره بالظنون و الأوهام من مكان بعيد و هو الدنيا.

قوله تعالى:« وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ »ظاهر السياق أن المراد بما يشتهون اللذائذ الماديه الدنيويه التي يحال بينهم و بينها بالموت،و المراد بأشياعهم من قبل أشباههم من الأمم الماضيه أو موافقوهم فى المذهب،و قوله:« إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ »تعليل لقوله:« كَما فُعِلَ »إلخ.

و المعنى:و وقعت الحيلوله بين المشركين المأخوذين و بين ما يشتهون من ملاذ الدنيا كما فعل ذلك بأشباههم من مشركى الأمم الدارجه من قبلهم إنهم كانوا فى شك مريب من الحق أو من الآخره فيقذفونها بالغيب.

و اعلم أن ما قدمناه من الكلام فى هذه الآيات الأربع مبنى على ما يعطيه ظاهر السياق و قد استفاضت الروايات من طرق الشيعه و أهل السنه أن الآيات ناظره إلى خسف جيش السفيانى بالبيداء و هو من علائم ظهور المهدى(ع)المتصله به فعلى تقدير نزول الآيات فى ذلك يكون ما قدمناه من المعنى من باب جرى الآيات فيه.

(بحث روائی)

فی تفسیر القمی،": فی قوله تعالی:« وَ أَسَرُّوا النَّدامَهَ لَمّا رَأَوُا الْعَذابَ »قال:

یسرون الندامه فی النار إذا رأوا ولی الله-فقیل:یا بن رسول الله-و ما یغنیهم أسرارهم الندامه و هم فی العذاب؟قال:یکرهون شماته الأعداء".:

أقول:و رواه أیضا عن أبی عبد الله(ع) .

و فیه،: و ذکر رجل عند أبی عبد الله(ع)الأغنیاء و وقع فیهم-فقال أبو عبد الله (ع):اسکت-فإن الغنی إذا کان وصولا لرحمه بارا بإخوانه-أضعف الله له الأجر ضعفین لأن الله یقول:« وَ ما أَمْوالُکُمْ وَ لا أَوْلادُکُمْ بِالَّتِی تُقَرِّبُکُمْ عِنْدَنا زُلْفی-إِلاّ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً-فَأُولئِکَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا-وَ هُمْ فِی الْغُرُفاتِ آمِنُونَ ».

و فی أمالی الشیخ،بإسناده إلی أمیر المؤمنین(ع)فی حدیث یقول فیه: حتی إذا کان یوم القیامه حسب لهم-ثم أعطاهم بکل واحده عشر أمثالها إلی سبعمائه ضعف قال الله عز و جل:« جَزاءً مِنْ رَبِّکَ عَطاءً حِساباً »و قال:« فَأُولئِکَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا-وَ هُمْ فِی الْغُرُفاتِ آمِنُونَ ».

و فی الکافی،بإسناده عن السکونی عن أبی عبد الله(ع)قال:قال رسول الله ص: من صدق بالخلف جاد بالعطیه.

و فیه،بإسناده عن سماعه عن أبی الحسن(ع)قال:قال رسول الله ص:

من أیقن بالخلف سخت نفسه بالنفقه.

و فی الدر المنثور،أخرج ابن مردویه عن علی بن أبی طالب سمعت رسول الله ص یقول: إن لکل یوم نحسا فادفعوا نحس ذلک الیوم بالصدقه،ثم قال:اقرءوا مواضع الخلف فإنی سمعت الله یقول:« وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَهُوَ یُخْلِفُهُ »إذا لم ینفقوا کیف یخلف؟

و فی تفسیر القمی،فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر(ع): فی قوله تعالی:

« قُلْ ما سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَکُمْ »و ذلک أن رسول الله ص سأل قومه-أن یودوا أقاربه و لا یؤذوهم.و أما قوله:« فَهُوَ لَکُمْ »یقول:ثوابه لکم.

و فی الـدر المنثور،:فی قوله تعـالی:« وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ فَزِعُوا »الآیه،:أخرج الحـاکم و صـححه عن أبی هریره قـال:قال رسول الله ص: یخرج رجل یقال له السفیانی فی عمق دمشق-و عامه من یتبعه من کلب فیقتل حتی یبقر بطون النساء-و یقتل الصبیان فیجمع لهم قیس فیقتلها حتی لا یمنع ذنب تلعه-و یخرج رجل من أهل بیتی فیبلغ السـفیانی فیبعث إلیه جنـدا من جنـده-فیهزمهم فیسـیر إلیه السفیانی بمن معه-حتی إذا صار ببیداء من الأرض خسف بهم-فلا ینجو منهم إلا المخبر منهم.

أقول:و الروایه مستفیضه من طرق أهـل السـنه مختصـره أو مفصـله و قـد رووهـا من طرق مختلفه عن ابن عباس و ابن مسـعود و حذیفه و أبی هریره و جد عمرو بن شـعیب و أم سـلمه و صفیه و عائشه و حفصه أزواج النبی ص و نفیره امرأه القعقاع عن سعید بن جبیر موقوفا.

و فی تفسـیر القمی،:فی قوله تعـالی:« وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلاٰ فَوْتَ »:حـدثنی أبی عن ابن أبی عمیر عن منصور بن یونس عن أبی خالد الکابلی قال:قال أبو جعفر(ع):

و الله لکـأنی أنظر إلی القـائم(ع)-و قـد أسـند ظهره إلی الحجر ثم ینشـد الله حقه-ثم یقول:یا أیها الناس-من یحاجنی فی الله.فأنا أولی بـالله-أیهـا النـاس من یحـاجنی بـآدم فأنـا أولی بآدم.أیها الناس من یحاجنی فی نوح فأنا أولی بنوح.أیها الناس من یحاجنی بإبراهیم فأنا أولی بإبراهیم.أیها الناس من یحاجنی بموسـی فأنا أولی بموسی.أیها الناس من یحاجنی بعیسی فأنا أولی بعیسی.أیها الناس من یحاجنی بمحمد فأنا أولی بمحمد.أیها الناس من یحاجنی بکتاب الله فأنا أولی بکتاب الله-.

ثم ینتهی إلی المقام فیصلی رکعتین و ینشد الله حقه.ثم قال أبو جعفر(ع):

هو و الله المضطر فی کتاب الله-فی قوله:« أَمَّنْ یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَ یَکْشِفُ السُّوءَ وَ یَجْعَلُکُمْ خُلَفٰاءَ الْأَرْضِ ».

فیکون أول من یبایعه جبرئیل ثم الثلاثمائه و الثلاثه عشـر-فمن کان ابتلی بالمسـیر وافی و من لم یبتل بالمسـیر فقـد عن فراشه-و هو قول أمیر المؤمنین(ع):هم المفقودون عن فرشهم و ذلک قول الله:« فَاسْتَبِقُوا الْخَیْرٰاتِ أَیْنَ مٰا تَکُونُوا یَأْتِ بِکُمُ اللّٰهُ جَمِیعاً »قال: الخیرات الولایه،و قال فی موضع آخر:« وَ لَئِنْ أَخَّرْنٰا عَنْهُمُ الْعَذٰابَ إِلىٰ أُمَّهٍ مَعْدُودَهٍ »

و هم أصحاب القائم(ع)يجتمعون و الله إليه فى ساعه واحده.

فإذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفيانى-فيأمر الله عز و جل الأرض فيأخذ بأقدامهم-و هو قوله عز و جل:« وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ-وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ وَ قالُوا آمَنّا بِهِ »يعنى بالقائم من آل محمد(ع)« وَ أَنّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ »يعنى أن لا يعذبوا« كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ »يعنى من كان قبلهم من المكذبين هلكوا« مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ».

-تم و الحمد لله-.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.